

**TEXT LIGHT
WITHIN THE BOOK
ONLY**

190596

دَارُ الْبَيْتِ الْخَلِيدِيَّةِ

صُبْحُ الْأَسْبَحَةِ

الجزء الرابع

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

فهرست

الجزء الرابع

من کتاب صبح الأعشى للقلقشنديّ

- صفحة
- الحالة الثالثة - من أحوال المملكة ما عليه ترتيب المملكة من ابتداء
- ٥ الدولة الأيوبية وإلى زماننا
- ٦ ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد
- ٦ المقصد الأول - في ذكر رسوم الملك وآلاته ؛ وهو أنواع كثيرة ألخ ...
- ٩ المقصد الثاني - في حواصل السلطان
- المقصد الثالث - في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب ، الذين بهم
- ١٤ انتظام المملكة وقيام الملك ؛ وهم على أربعة أضرب
- ١٤ الضرب الأول - أرباب السيوف ؛ والنظر فيهم من وجهين
- ١٤ الوجه الأول - مراتبهم على سبيل الاجمال ؛ وهي على نوعين
- ١٤ النوع الأول - الأمراء ؛ وهم على أربع طبقات
- ١٥ النوع الثاني - الأجناد ؛ وهم على طبقتين
- الوجه الثاني - في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم
- ١٦ ذكرهم ؛ وهم على نوعين
- ١٦ النوع الأول - من هو بحضرة السلطان
- النوع الثاني - ما هو خارج عن الحضرة السلطانية ؛ وهم
- ٢٤ على ثلاث طبقات
- ٢٤ الطبقة الأولى - تُوَّاب السلطنة
- ٢٥ الطبقة الثانية - الكشاف
- ٢٦ الطبقة الثالثة - الولاة بالوجهين : القليل ، والبحرى
- الضرب الثاني - من أعيان المملكة وأرباب المناصب حملة الأعلام ؛
- ٢٨ وهم على نوعين

صفحة

- النوع الأول — أرباب الوظائف الديوانية ٢٨
- النوع الثاني — أرباب الوظائف الدينية؛ وهم صنفان ٣٤
- الصنف الأول — من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ٣٤
- الصنف الثاني — من لا مجلس له بالحضرة السلطانية ٣٧
- المقصد الرابع — في زى أعيان المملكة؛ وهم أربع طوائف ٣٩
- الطائفة الأولى — أرباب السيوف ٣٩
- الطائفة الثانية — أرباب الوظائف الدينية : من القضاة وسائر العلماء ... ٤١
- الطائفة الثالثة — مشايخ الصوفية ٤٣
- الطائفة الرابعة — أرباب الوظائف الديوانية ٤٣
- المقصد الخامس — في هيئة السلاطون في ترتيب الملك ؛ وله ثلاث (سيم) هيئات ٤٤
- الهيئة الأولى — هيئته في جلوسه بدار العدل ، خلاص المظالم ... ٤٤
- الهيئة الثانية — هيئته في بقية الأيام ٤٥
- الهيئة الثالثة — هيئته في صلاة الجمعة والعيد ٤٦
- الهيئة الرابعة — هيئته للعب الكرة ، بالميدان الأكبر ٤٧
- الهيئة الخامسة — هيئته في الركوب لكسر الخيل ، عند وفاة النيل ... ٤٧
- الهيئة السادسة — هيئته في أسفاره ٤٨
- الهيئة السابعة — في النوم ٤٩
- المقصد السادس — في عاداته في إجراء الأرزاق ؛ وهو على ضربين ... ٥٠
- الضرب الأول — الجاري المستمر ، وهو على نوعين ٥٠
- النوع الأول — الإقطاعات ٥٠

منحة

- النوع الثاني — رزق أرباب الإقلام ٥١
- الضرب الثاني — الإنبام وما يجري مجراه، مما يقع في وقت دون وقت؛ وهو على خمسة أنواع ٥٢
- النوع الأول — الخلع والتشريف ٥٣
- النوع الثاني — الخيول ٥٤
- النوع الثالث — الكسوة والحوائص ٥٥
- النوع الرابع — الإنبام والأوقاف ٥٥
- النوع الخامس — المأكول والمشروب ٥٦

المقصد السابع — في اختصاص صاحب هذه المملكة بما كن داخله في نطاق

- ملكته يمتاز بها على ملوك الأرض من المسلمين، وغيرهم ٥٧
- المقصد الثامن — في انتهاء الأخبار إليه؛ وهو على ثلاثة أنواع ٥٨
- النوع الأول — أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم ٥٨
- النوع الثاني — الأخبار التي ترد عليه من جهة توابه ٥٩
- النوع الثالث — أخبار حاضرتة ٦٠

المقصد التاسع — في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم ٦٠

المقصد العاشر — في ولاية الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية؛

- وهم على أربع طبقات ٦٣
- الطبقة الأولى — التواب ٦٣
- الطبقة الثانية — الكشف ٦٥
- الطبقة الثالثة — الولاية بالوجهين: القبلي والبحري ٦٦
- الطبقة الرابعة — أمراء العربان بنواحي الديار المصرية ٦٧

منه

- الفصل الثاني — من المقالة الثانية في المملكة الشامية، وما يتصل بها من بلاد
الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين الفرات والبدجلة مما هو
مضاف الى هذه المملكة؛ وفيه أربعة أطراف ... ٧٢
- الطرف الأول — في فضل الشام وخواصه وعجائبه، وفيه مقصدان ... ٧٢
- المقصد الأول — في فضل الشام ... ٧٢
- المقصد الثاني — في خواصه وعجائبه ... ٧٣
- الطرف الثاني — في حدوده، وابتداء عمارته، وتسميته شاما؛ وفيه مقصدان ... ٧٥
- المقصد الأول — في حدوده ... ٧٥
- المقصد الثاني — في ابتداء عمارته، وتسميته شاما، وما يلتحق بذات
الطرف الثالث — في أنهاره، وبحيراته، وجباله المشهورة، وزروعه
وفواكهه، ورياحيته، ومواشيه، ووحوشه، وطيوره؛
وفي ستة مقاصد ... ٧٩
- المقصد الأول — في ذكر الأنهار المظام بالشام ... ٧٩
- المقصد الثاني — في ذكر بحيراته ... ٨٣
- المقصد الثالث — في ذكر جباله المشهورة ... ٨٥
- المقصد الرابع — في ذكر زروعه وفواكهه ورياحيته ... ٨٦
- المقصد الخامس — في ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره ... ٨٨
- المقصد السادس — في ذكر النخيل من مطعوماته ... ٨٨
- الطرف الرابع — في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستقرة وأعمالها؛
وفي مقصدان ... ٨٨

صفحة

- المقصد الأول — في ذكر جهاته وكوره القديمة ٨٨
- المقصد الثاني — في ذكر قواعده المستقرة وأعمالها ؛ وهي ست قواعد ٩١
- القاعدة الأولى — دمشق ؛ وفيها جملتان ٩١
- الجملة الأولى — في حاضرتها ٩١
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها وتشتمل على بر وأربع صفحات ٩٧
- الصفحة الأولى — الساحلية والجلبية ؛ ولها جهتان ٩٨
- الجهة الأولى — الساحلية ؛ وهي التي بساحل بحر الروم ٩٨
- الجهة الثانية — الجلبية ١٠٠
- الصفحة الثانية — القبلية ١٠٣
- الصفحة الثالثة — الشمالية ١٠٨
- الصفحة الرابعة — الشرقية ؛ وهي على ضرين ١١٢
- الضرب الأول — ما هو داخل في حدود الشام ١١٢
- الضرب الثاني — ما هو من بلاد الجزيرة ١١٥
- القاعدة الثانية — حلب ؛ وفيها جملتان ١١٦
- الجملة الأولى — في حاضرتها ١١٦
- الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي على ثلاثة أقسام ١١٨
- القسم الأول — ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ١١٩
- القسم الثاني — البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقدم ذكرها من الشمال ؛
وهي المعروفة ببلاد الأرمن ؛ وهو على ضرين ١٣٠
- الضرب الأول — الأعمال الكبار ؛ وهي ساحلية وجلبية ... ١٣١
- الضرب الثاني — الأعمال الصغار ١٣٥

صفحة

القسم الثالث - البلاد المجاورة للفرات من شرقيه ... ١٣٧

القاعدة الثالثة - من قواعد المملكة الشامية حماة؛ وفيها جملتان ... ١٣٩

الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٣٩

الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها... ١٤١

القاعدة الرابعة - من قواعد المملكة الشامية أطرابلس؛ وفيها جملتان... ١٤٢

الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٤٢

الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها؛ وهي على قسمين... ١٤٤

القسم الأول - الأعمال الجارية؛ وهي على ضربين... ١٤٤

الضرب الأول - مضافاتها نفسها ... ١٤٤

الضرب الثاني - قلاع الدعوة ... ١٤٦

القسم الثاني - الأعمال الصغار ... ١٤٧

القاعدة الخامسة - من قواعد المملكة الشامية صفد؛ وفيها جملتان ... ١٤٩

الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٤٩

الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها ... ١٥٠

القاعدة السادسة - من قواعد المملكة الشامية الكرك؛ وفيها جملتان ... ١٥٥

الجملة الأولى - في حاضرتها... ١٥٥

الجملة الثانية - في نواحيها وأعمالها... ١٥٦

الطرف الثاني - من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية فيمن

ملك البلاد الشامية؛ وملوكها على قسمين ... ١٥٨

القسم الأول - ملوكها قبل الإسلام؛ وهم على أربع (خمسة) طبقات ... ١٥٨

الطبقة الأولى - ملوكها من الكنعانيين... ١٥٨

صفحة	
١٥٩	الطبقة الثانية — ملوكها من بني إسرائيل
١٦١	الطبقة الثالثة — ملوكها من الفرس
١٦١	الطبقة الرابعة — ملوكها من اليونان
١٦١	الطبقة الخامسة — ملوكها من الروم
١٦٢	القسم الثاني — من ملوك الشام ملوكه في الإسلام، وهم على ضربين ...
	الضرب الأول — عمال الصحابة فن يعدم من نواب الخلفاء الى حين
١٦٢	استيلاء الملوك عليها ...
١٦٣	الضرب الثاني — من وليها ملكا ...
	الطرف الثالث — من الفصل الثاني من الباب الثالث من المقالة الثانية
١٨٠	في ذكر أحوال الملكة الشامية وفيه مقصدان ...
١٨٠	المقصد الأول — في ترتيب نياباتها ...
١٨٠	النيابة الأولى — نيابة دمشق وفيها جملتان (ثلاث جمل) ...
١٨٠	الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ...
١٨٣	الجملة الثانية — في ترتيب مملكتها وهو ضربان ...
١٨٣	الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها ...
	الضرب الثاني — في بيان أرباب الوظائف بدمشق على تباين
١٨٤	مراتبهم والوظائف على خمسة أصناف ...
١٨٤	الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ...
١٨٨	الصف الثاني — الوظائف الديوانية ...
١٩٢	الصف الثالث — الوظائف الدينية ...
١٩٤	الصف الرابع — وظائف أرباب الصناعات ...

صفحة

- الصف الخامس — وظائف زعماء أهل الذمة بها... ١٩٤ ...
- الجملة الثالثة — في ترتيب النيابة بها ... ١٩٤ ...
- المقصود الثاني — في ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو
- على ضريين ... ١٩٧ ...
- الضرب الأول — ماهو خارج عن حاضرتها من الولايات والولايات ... ١٩٧ ...
- الضرب الثاني — من الخارج عن حاضرة دمشق العربان، والإمرة بها
- في بطون من العرب ... ٢٠٣ ...
- البن الأول — آل ربيعة من طي من كهلان من القحطانية ... ٢٠٣ ...
- البن الثانية — جرم ... ٢١١ ...
- البن الثالثة — ثعلبة... ٢١٢ ...
- البن الرابعة — بنو مهدى ... ٢١٢ ...
- البن الخامسة — زبيد ... ٢١٣ ...
- النيابة الثانية — من نيابات الساطنة بالممالك الشامية نيابة حلب ؛
- وفيها بجلتان ... ٢١٥ ...
- الجملة الأول — في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها... ٢١٥ ...
- الجملة الثانية — في ترتيب مملكتها، وهي على ضريين... ٢١٦ ...
- الضرب الأول — في ترتيب حاضرتها ؛ ووظائفها على أربعة
- (ثلاثة) أصناف ... ٢١٦ ...
- الصف الأول — وظائف أرباب السيوف ... ٢١٧ ...
- الصف الثاني — الوظائف الدينية ... ٢٢١ ...
- الصف الثالث — وظائف أرباب الصناعات ... ٢٢٢ ...

صفحة

- الجملة الثانية — (الثالثة) في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛
 وهو ثلاثة أنواع (نوعان) ٢٢٦
- النوع الأول — ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهم
 ثلاثة أصناف ٢٢٦
- الصف الأول — النواب ؛ وهم على ضربين ٢٢٦
- الضرب الأول — ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ... ٢٢٦
- الضرب الثاني — النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية ؛
 وهي على قسمين ٢٢٨
- القسم الأول — بلاد الثغور والعواصم وما والاها ... ٢٢٨
- القسم الثاني — ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفرات ٢٢٩
- الصف الثاني — من أرباب السيوف بخارج حلب الولاية ... ٢٣٠
- النوع الثاني — مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان ... ٢٣١
- النيابة الثالثة — نيابة أطرابلس ، وفيها جملتان ٢٣٣
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٣
- الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ؛ وهو على ضربين ... ٢٣٥
- الضرب الأول — النواب ؛ وهم على قسمين ٢٣٥
- القسم الأول — النيابات بمضافات نفس أطرابلس ... ٢٣٥
- القسم الثاني — نيابات قلاع الدعوة ٢٣٥
- الضرب الثاني — الولاية ٢٣٦
- النيابة الرابعة — نيابة حماه ؛ وفيها جملتان ٢٣٦
- الجملة الأولى — في ذكر أحوالها ومعاملاتها ٢٣٦
- الجملة الثانية — في ترتيب نياباتها ؛ وهي على ضربين ... ٢٣٧

صفحة	
الضرب الأول — ما بحاضرتها	٢٣٧
الضرب الثاني — ما هو خارج عن حاضرتها	٢٣٩
النيابة الخامسة — نيابة صفد؛ وفيها جملتان	٢٤٠
الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها	٢٤٠
الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها	٢٤٠
النيابة السادسة — نيابة الكرك؛ وفيها جملتان	٢٤١
الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها	٢٤١
الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها؛ وهو على ضربين	٢٤٢
الضرب الأول — الولايات	٢٤٢
الضرب الثاني — العرب	٢٤٢
الفصل الثالث — من الباب الثالث من المقالة الثانية في المملكة الحجازية؛	
وفيه سبعة أطراف	٢٤٣
الطرف الأول — في فضل الحجاز وخواصه وعجائبه	٢٤٣
الطرف الثاني — في ذكر حدوده، وأبتهاء عمارته، وتسميته حجازا	٢٤٤
الطرف الثالث — في أبتهاء عمارته وتسميته حجازا	٢٤٥
الطرف الرابع — في ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة	٢٤٦
الطرف الخامس — في ذروته وقواكه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطيوره	٢٤٧
الطرف السادس — في قواعده وأعماله؛ وفيه ثلاث قواعد	٢٤٨
القاعدة الأولى — مكة المشرفة؛ وفيها جملتان	٢٤٨
الجملة الأولى — في حاضرتها	٢٤٨
الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها؛ وهي على ضربين	٢٥٥

- منه
 ٢٥٥ الضرب الأول — الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة ...
 ٢٥٧ الضرب الثاني — قراها وغاليفها ...
 ٢٦١ الطرف السابع — في ذكر ملوك مكة ؛ وهم على ضربين ...
 ٢٦١ الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام ...
 ٢٦٥ الضرب الثاني — ملوكها في الإسلام ؛ وهم على طبقات ...
 ٢٦٥ الطبقة الثالثة — (هكذا) عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ...
 ٢٦٥ الطبقة الرابعة — عمال بنى أمية ...
 ٢٦٦ الطبقة الخامسة — عمال بنى العباس ...
 ٢٦٧ الطبقة السادسة — السليمانيون من بنى الحسن ...
 ٢٧٠ الطبقة السابعة — الهواشم ...
 ٢٧٥ الطبقة الثامنة — بنو قتادة ...
 ٢٧٥ الطرف السابع — (الثامن) في ترتيب مكة المشرفة ؛ وفيه جملتان ...
 ٢٧٥ الجملة الأولى — فيما هو بحاضرتها ...
 ٢٨٤ الجملة الثانية — فيما هو خارج عن حاضرتها ...
 ٢٨٥ ... (أربع) ... القاعدة الثانية — المدينة الشريفة النبوية ؛ وفيها ثلاث جمل (أربع) ...
 ٢٨٥ الجملة الأولى — في حاضرتها ...
 ٢٨٩ الجملة الثانية — في نواحيها وأعمالها ؛ وهي على ضربين ...
 ٢٨٩ الضرب الأول — حماها ومراقبها ...
 ٢٩٠ الضرب الثاني — في غاليفها وقراها ...
 ٢٩٣ الجملة الثالثة — في ذكر ملوك المدينة وأمرائها ؛ وهم على ضربين ...

منه

الضرب الأول — من قبل الإسلام، وهم ثلاث طبقات ... ٢٩٣

الطبقة الأولى — التابعة ... ٢٩٣

الطبقة الثانية — العاقبة من ملوك الشام ... ٢٩٣

الطبقة الثالثة — ملوكها من بني اسرائيل، ومن انضم اليهم من

الأوس والخزرج ... ٢٩٤

الضرب الثاني — من في زمن الإسلام، وهم أربع طبقات ... ٢٩٥

الطبقة الأولى — من كان بها في صدر الإسلام ... ٢٩٥

الطبقة الثانية — عمال الخلفاء من بني أمية ... ٢٩٥

الطبقة الثالثة — عمالها في زمن خلفاء بني العباس ... ٢٩٧

الطبقة الرابعة — أمراء الأشراف من بني حسين ... ٢٩٨

الجملة الثالثة — (الرابعة) في ترتيب المدينة المنورة ... ٣٠٢

الباب الرابع — من المقالة الثانية في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة

الديار المصرية، وفيه أربعة فصول ... ٣٠٥

الفصل الأول — في الممالك والبلدان الشرقية عنها، وما يخاطر في سلكها

من شمال أو جنوب، وفيه أربعة مقاصد ... ٣٠٥

المقصد الأول — في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان، وفيه جملتان ... ٣٠٥

الجملة الأولى — في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك اليه ... ٣٠٥

الجملة الثانية — في عقيدة جنكرخان وأتباعه في الديانة إلى أن أسلم من

أسلم منهم ... ٣١٠

المهيع الثاني — (له المقصد الثاني) في ذكر ممالك بني جنكرخان على

التفصيل، وهي مملكتان ... ٣١٣

صفحة

٣١٣ المملكة الأولى — مملكة إيران ولها؛ جانبان : جنوبي وشمالى

٣١٤ الجانب الأول — الجنوبي؛ ويشتمل على ستة أقاليم

٣١٤ الإقليم الأول — الجزيرة الفراتية

٣٢٧ الإقليم الثانى — العراق؛ وله قواعد ومدن

٣٢٨ القاعدة الأولى — بابل

٣٢٩ القاعدة الثانية — المدائن

٣٣٠ القاعدة الثالثة — بغداد

٣٣٢ القاعدة الرابعة — سرمن رأى

٣٣٨ الإقليم الثالث — خوزستان والأهواز

٣٤٣ الإقليم الرابع — فارس

٣٤٨ الإقليم الخامس — كرمان

٣٥٠ الإقليم السادس — سجستان والرخج

٣٥٢ الجانب الثانى — من مملكة إيران — الشمال؛ ويشتمل على عدة أقاليم

٣٥٣ الإقليم الأول — أرمينية

٣٥٦ الإقليم الثانى — أذربيجان؛ وبها ثلاث قواعد

٣٥٦ القاعدة الأولى — أردبيل

٣٥٧ القاعدة الثانية — تبريز

٣٥٨ القاعدة الثالثة — السلطانية ، وأسمها قنغزلان

٣٦٠ الإقليم الثالث — أزان؛ ولها قاعدتان

٣٦١ القاعدة الأولى — بردعة

صفحة	
٣٦١	القاعدة الثانية - تفلّيس
٣٦٥	الإقليم الرابع - بلاد الجبل
٣٧٩	الإقليم الخامس - بلاد الديلم
٣٨٠	الإقليم السادس - الجبل ؛ وفيه قواعد
٣٨٢	القاعدة الأولى - بومن
٣٨٢	القاعدة الثانية - تُولم
٣٨٣	القاعدة الثالثة - كسكر
٣٨٤	الإقليم السابع - طبرستان
٣٨٦	الإقليم الثامن - مازندران
٣٨٨	الإقليم التاسع - قومس
٣٨٩	الإقليم العاشر - خراسان
٣٩٦	الإقليم الحادي عشر - زابستان
٣٩٨	الإقليم الثاني عشر - ألغور
٣٩٩	الجلد الثالثة - في الأنهار المشهورة
٤٠٢	الجلد الرابعة - في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة
٤٠٥	الجلد الخامسة - في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة
	الجلد السادسة - فيما بين هذه المملكة من التفاس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر، والمتنزهات المرتفعة
٤٠٨	الصيت
	الجلد السابعة - في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاماً
٤١١	وهم على ضرير

منحة

الضرب الأول — ملوكها قبل الإسلام، وهم على أربع طبقات ٤١١

الطبقة الأولى — القيشدازية ٤١١

الطبقة الثانية — الكيانية ٤١٢

الطبقة الثالثة — الاشغانية ٤١٣

الطبقة الرابعة — الأكاسرة ٤١٤

الضرب الثاني — ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات ٤١٦

الطبقة الأولى — عمال الخلفاء ٤١٦

الطبقة الثانية — خلفاء بني العباس ٤١٧

الطبقة الثالثة — ملوكها من بني جنكركان ٤١٩

الجملة الثامنة — في معاملاتها وأسعارها ٤٢٢

الجملة التاسعة — في ترتيب هذه المملكة، على ما كانت عليه، في زمن

بني هولاكو ٤٢٣

الجملة العاشرة — فيما لأرباب المناصب والجند، من الرزق على

السلطان ٤٢٥

الجملة الحادية عشرة — في ترتيب أمور السلطان، بهذه المملكة ... ٤٢٦

الجملة الثانية عشرة — فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة ٤٢٨

المملكة الثانية — مما بيد بني جنكركان، مملكة توران، وفيها سبع جمل ٤٢٩

الجملة الأولى — في ذكر حدودها وطولها، وعرضها وموقعها من الأقاليم

السبعة ٤٣٠

الجملة الثانية — فيما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهي

سبعة ٤٣١

صفحة	
٤٣١	الإقليم الأول — ماوراء النهر
٤٣٩	الإقليم الثاني — تركستان
٤٤٢	الإقليم الثالث — طخارستان
٤٤٣	الإقليم الرابع — بدخشان
	الجملة الثالثة — في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات
٤٤٤	الواقعة بين بلادها
	اخلة الرابعة — في عظام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة
٤٤٤'	توران
٤٤٥	الجملة الخامسة — في معاملاتها وأسعارها
	الجملة السادسة — في من ملك هذا القسم من مملكة توران، وملوكها
٤٤٥	في الإسلام على طبقتين
٤٤٦	الطبقة الأولى — ما هو عقيب الفتح
٤٤٩	الطبقة الثانية — ملوكها من بني جنكركان
٤٥٠	الجملة السابعة — في ترتيب هذه المملكة ، وحال عساكرها
٤٥١	القسم الثاني — من مملكة توران خوارزم والقجاق؛ وفيه ثمان جمل
٤٥٢	الجملة الأولى — في ذكر حدود هذه المملكة ومساقها
٤٥٣	الجملة الثانية — فيما أشتمت عليه من الأقاليم
٤٦٧	الجملة الثالثة — في ذكر الأنهار العظام والبحيرات الواقعة في هذه المملكة
٤٦٩	الجملة الرابعة — في الطرق الموصلة الى هذه المملكة
٤٧٠	الجملة الخامسة — في الموجود بها
٤٧٠	الجملة السادسة — في المعاملات والأسعار بها

مقدمة

الجملة السابعة — في ذكر ملوك هذه المملكة... ٤٧١

الجملة الثامنة — في مقدار عسكر هذه المملكة ... ٤٧٥

القسم الثالث — من مملكة توران مملكة القان الكبير؛ وفيها خمس

(ست) جمل ... ٤٧٧

الجملة الأولى — فيما اشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم ... ٤٧٨

الإقليم الأول — الصين ... ٤٧٩

الإقليم الثاني — بلاد الخطا ... ٤٨٣

الجملة الثانية — في معاملة هذه المملكة وأسعارها ... ٤٨٤

الجملة الثالثة — في الطريق الموصل إلى هذه المملكة ... ٤٨٤

الجملة الرابعة — في ذكر ملوكها ... ٤٨٥

الجملة الخامسة — في عسكره ... ٤٨٦

الجملة السادسة — في ترتيب هذه المملكة... ٤٨٦



(تم فهرست الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى)

ويليه الجزء الخامس

وأوله المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية



صَبْحُ الْأَسْبَحِ

الجزء الرابع

دَارُ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ

كِتَابُ

صَنِيعُ الْأَسْعَى

تَالِيفُ

السَّيِّحِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ الْقَلَقَشَنْدِ

الجزء الرابع

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

صل الله وسل على سيدنا محمد وآله وصحبه

-- --

الحالة الثالثة

من أحوال المملكة ، ما عليه ترتيب المملكة

(من ابتداء الدولة الأيوبية وإلى زماننا)

وَأَعْلَمُ أَنَّ الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وَخَلَقَتْهَا فِي الدِّيارِ
المِصْرِيَّةِ ، خَالَفَتْهَا فِي كَثِيرٍ مِنْ تَرْتِيبِ الْمَمْلَكَةِ ، وَغَيَّرَتْ غَالِبَ مَعَالِمِهَا ، وَجَرَتْ عَلَى
مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الدَّوْلَةُ الْأَنْبَاشِيَّةُ عِمَادُ الدِّينِ زَنْكِي بِالْمَوْصِلِ ، ثُمَّ وَلَدَهُ الْمَلِكُ الْعَادِلُ
نُورُ الدِّينِ مُحَمَّدٌ بِالشَّامِ وَمَا مَعَهُ ؛ وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمْ أَنَّهُمْ يَلْبَسُونَ الْكَلَوَاتِ الْفُصْفَرِ
عَلَى رُءُوسِهِمْ مَكْشُوفَةً بِغَيْرِ عِمَائِمٍ ، وَذَوَائِبُ شَعُورِهِمْ مُرْخَاةٌ تَحْتَهَا سُوءٌ فِي ذَلِكَ
الْمَحَالِكِ وَالْأَمْرَاءِ وَضَرِهِمْ . حَتَّى يَحْكِيَ عَنِ الْمَلِكِ الْمُعْظَمِ عَيْسَى بْنِ الْعَادِلِ أَبِي بَكْرٍ
صَاحِبِ دِمَشْقَ فِي أَطْرَاحِ التَّكْلِيفِ : أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ الْكَلَوْتَ الصَّفْرَاءَ بِلَا شَاشٍ ،
وَيَحْتَرِّقُ الْأَسْوَاقَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُطَرَّقَ بَيْنَ يَدَيْهِ كَثِيرُهُ مِنَ الْمُلُوكِ ، وَكَانَ سَيْفُ الدِّينِ
غَازِي بْنِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي حِينَ مَلَكَ الْمَوْصِلَ بَعْدَ أَبِيهِ أَحَدَثَ حَمْلَ السَّجَقِ عَلَى
رَأْسِهِ ، فَتَبِعَهُ الْمُلُوكُ عَلَى ذَلِكَ ؛ وَأَلْزَمَ الْأَجْنَادَ أَنْ يَشْتَقُوا السُّيُوفَ فِي أَوْسَاطِهِمْ ،
وَيَعْمَلُوا الدَّبَائِيسَ تَحْتَ رُكْبِهِمْ عِنْدَ الرُّكُوبِ كَمَا حَكَاهُ السُّلْطَانُ عِمَادُ الدِّينِ صَاحِبُ
سَهْمَةِ فِي تَارِيخِهِ .

فلما ملك السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله الديار المصرية، جرى على هذا المنهج أو ما قاربته، وجاءت الدولة التركية، وقد تنقحت المملكة وترتبت، فأخذت في الزيادة في تحسين الترتيب وتنضيد الملك وقيام أهله، ونقلت عن كل مملكة أحسن ما فيها، فسلكت سبيله وتنجحت على منواله حتى تهذبت وترتبت أحسن ترتيب، وفاقت سائر الممالك، وفخر ملوكها على سائر الملوك .

ولم يزل السلطان والجند يلبسون الكلوة الصفراء بغير عمامة إلى أن ولي السلطان "الملك الأشرف خليل" بن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون السلطنة، فأحدث الشائش عليها بغات في نهاية من الحسن، وصاروا يلبسونها فوق الذوائب الشعر المُرَخاة على ما كان عليه الأمر أولاً إلى أن حج السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون في سلطته الثالثة، فخلق رأسه وخلق الناس رؤوسهم، وأستداموا خلق رؤوسهم وترك ذوائب الشعر إلى الآن .

ويتعلق القول من ذلك بعشرة مقاصد .

المقصد الأول

(في ذكر رسوم الملك وآلاته ؛ وهو أنواع كثيرة، بعضها عام في الملوك

أو أكثرهم، وبعضها خاص بهذه المملكة)

منها - (سرير الملك) ويقال له تحت الملك . وهو من الأمور العامة للملوك ، وقد تقدم أن أول من اتخذ مرتبة للجلوس عليها في الإسلام معاوية رضي الله عنه حين بَدَنَ، ثم تنافس الخلفاء والملوك بعده في الإسلام في ذلك حتى اتخذوا الأُسرة، وكانت أُسرةُ خلفاء بني العباس بيغداد يبلغ علوها نحو سبعة أذرع . وهو في هذه المملكة منبر من رُحَام يصدر إيوان السلطان الذي يجلس فيه ، وهو على هيئة منابر

الخواص إلا أنه مستند إلى الحائط ، وهذا المنبر يجلس عليه السلطان في يوم مهم كقدوم رسل عليه ونحو ذلك ، وفي سائر الأيام يجلس على كرسي من خشب مغشى بالحرير ، إذا أرخى رجليه كادت أن تلحق الأرض ، وفي داخل قصوره يجلس على كرسي صغير من حديد يحمل معه إلى حيث يجلس .

ومنها - (المقصورة) للصلاة في الجامع . وقد تقدم في الكلام على ترتيب الخلافة أن أول من اتخذها في الإسلام معاوية ، وقد صارت سنة للملوك الإسلام بعد ذلك تميزا للسلطان عن غيره من الرعية ، وهي في هذه المملكة مقصورة بجامع قلعة الجبل على القرب من المنبر متخذة من شبك حديد بحكمة الصنعة ، يصلى فيها السلطان ومن معه من أخصاء خاصيته يوم الجمعة .

ومنها - (نقش اسم السلطان) على ما يسج ويرقم من الكسوة والطرز المنخدة من الحرير أو الذهب بلون مخالف للون القماش أو الطرز لتصير الثياب والطرز السلطانية مميزة عن غيرها ، تنويها بقدر لابسها : من السلطان أو من يشرفه بلبسها عند ولاية وظيفة أو إنعام أو غير ذلك . ولذلك دار مفردة بعمله بالإسكندرية تعرف بدار الطراز ، وعلى ذلك كانت خلفاء الدولتين : بنى أمية وبنى العباس حين كانت الخلافة قائمة .

ومنها - (الفاشية) . وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب ، يحالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب ، تحمل بين يديه عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها ، يحملها الركاب دارية ، رافعا لها على يديه يلقها يميناً وشمالاً ، وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (المظلة) . ويحبر عنها بالخط (بحم مكسورة) قديماً شينا معجمة ، وتاء مثناة فوق) ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة

مَطْلِيَّةٌ بالذهب، تحمل على رأسه في العيدين . وهي من بقايا الدولة الفاطمية، وقد تقدم الكلام عليها مبسوطاً في الكلام على ترتيب مملكتهم .

ومنها - (الرَّقَبَةُ) . وهي رقبة من أطلس أصفر من رُكْشَةٍ بالذهب بحيث لا يرى الأطلسُ لثراكم الذهب عليها؛ تجعل على رقبة الفرس في العيدين والميادين من تحت أذنى الفرس إلى نهاية عُرْفِهِ؛ وهي من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الجفنة) . وهما اثنتان من أوشاقية إصطبله قريبان في السن، عليهما قَبَآنَانِ أصفران من حرير يطراز من زَرْكُش، وعلى رأسيهما قُبَعَتَانِ من زركش، وتحتهما فرسان أشهبان بركبتين وعُتَّة، نظير ما للسلطان راكبه كأنهما معدان لأن يركبهما، يركبان أمامه في أوقات مخصوصة كالركوب للعب الكرة في الميدان الكبير ونحو ذلك، وهما من خواص هذه المملكة .

ومنها - (الأعلام) . وهي عدة رايات، منها راية عظيمة من حرير أصفر مطرزة بالذهب، عليها ألقاب السلطان وأسمه، وتسمى المِصْبَاية؛ وراية عظيمة في رأسها خُصْلَةٌ من الشعر تسمى الجاليش؛ ورايات صُفْر صغار تسمى السَّناجِق .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : وأوَّل من حَمَلَ السنجق على رأسه من الملوك في ركوبه غازي بن زنكي، وهو أخو السلطان نور الدين محمود ابن زنكي صاحب الشام .

ومنها - (الطبختاه) . وهي طبول ممتدة معها أبواق وزمر تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، تَدُقُّ في كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، وتكون حجة الطلب في الأسفار والحروب، وهي من الآلات العامة لجميع الملوك . ويقال إن الإسكندر^(١)

كان معه أربعون رجلاً طلبخانا، وقد كتب أرسطو في "كتاب السياسة" الذي كتبه للإسكندر أن السر في ذلك إرهاب العدو في الحرب. والذي ذهب إليه بعض المحققين أن السر في ذلك أن في أصواتها تهيباً للنفس عند الحرب وتقوية الجأش كما تفعل الإبل بالحداء ونحو ذلك .

ومنها - (الكوسات) . وهي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير ، يُدقُّ بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ، ومع ذلك طبولٌ وشبابة ، يدق بها مرتين في القلعة في كل ليلة ، ويُدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة ، ومرة قبل التسبيح على الموادِن^(١)، وتسمى الدَّوْرَة بذلك في القلعة ، وكذلك إذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه .

ومنها - (الخيام والفساطيط) في الأسفار . ولهذا السلطان من ذلك المدد الكبير ، تتخذ له الخيام العظيمة الشأن المختلفة المقادير والصنعة من القطن الشامى الملوّن بالأبيض والأحمر والأزرق وغيرها ، وكذلك من الجوخ المختلف الألوان مما يُدهش بحسنه العقول : لينوب مناب قصورهم في الإقامة ، وسيأتى ذكر أمور أخرى من آلات الملك سوى ما تقدمت مفردة في أماكنها إن شاء الله تعالى .

المقصود الثاني

(في حواصل السلطان ، وهي على أربعة أنواع)

النوع الأول

(الحواصل المبرّ عنها بالبيوت)

وذلك أنهم يضيفون كل واحد منها إلى لفظ خاناه كالطشت خاناه ، والشراب خاناه

(١) صوابه المآذن وكثيرا ما يجارى لغة العامة .

(٢) يظهر أن هذا التوزيع من الناحية فإنه في الضرر لم يذكر التوزيع وإنما قسم الحواصل الى البيوت الثمانية فقط ثم أتبعها بالمقصود الثالث .

ونحوهما؛ وخانه لفظ فارسيّ معناه البيت، والمعنى 'بيت كذا' إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه على عادة العجم في ذلك، وهي ثمانية بيوت .

الأول - (الشَّرَابِ خَانَاهُ) : ومعناها بيت الشراب، وتشتمل على أنواع الأُشربة المُرَصَّدة لخاصّ السلطان، والمشروب الخاص من السكر والأقميا وغير ذلك، وفيها يكون السكر المخصوص بالمشروب، وبها الأواني النفيسة من الصّينيّ الفاخر من اللّاز ورديّ وغيره مما تساوى السُّكُّجَة الواحدة اللطيفة منه ألف درهم فما حوله . ووظيفة الشاذ بها تكون لأُمير من أكابر أمراء المئين الخاصكية المؤتمنين ، ولها مهتار يعرف بمهتار الشراب خانه متسلّم لحواصلها، له مكانة عليّة، وتحت يده غلمانٌ عنده برسم الخِدْمَة، يُطلق على كل منهم شَراب دار، وسيأتى في الكلام على الانقلاب في المقالة الثالثة معنى الإضافة إلى الدار في ذلك ونحوه .

الثاني - (الطُّشْتِ خَانَاهُ) . ومعناه بيت الطشت، سميت بذلك لأن فيها يكون الطُّشْت الذي تغسل فيه الأيدي والطُّشْت الذي يُغسل فيه القماش ، وقد غلب عليهم استعمال لفظ الطشت بشين معجمة مع كسر الطاء، وصوابه بالسين المهملة مع فتح الطاء، وأصله طُسُ بسين مشددة فأبدلت من إحدى السنين ناء للآسقةقال . فإذا جُمع أو صُغِّرَ، رُدَّت السين إلى أصلها ، فيقال في الجمع طُسَاس وطُسُوس ، وفي التصغير طُسيس . قال الجوهريّ : ويقال فيه أيضا طُسَة، ويجمع على طُشَات، والناس الآن يقولون طاسة ويجمعونه على طاسات ، ويحطون الطُشْت أسما لنوع خاص، والطاسة أسما لنوع خاص .

وفي الطُّشْتِ خَانَاهُ يكون ما يلبسه السلطان من الكلوة والأقبية وسائر الثياب والسيف والخُفّ والسُرْموزة وغير ذلك .

وفيه يكون ما يحس عليه السلطان من المَقَاعِدِ وَالْمَخَادِ وَالسَّجَادَاتِ الَّتِي يَصِلُ عَلَيْهَا
وما شاكل ذلك، ولها أيضا مِهْنَةٌ من كبار المهتارية، يعرف بمهتار الطشت خاناه،
وتحت يديه عدة غلمان بعضهم يعرفون بالطشت دارية، وبعضهم يعرف
بالرخوانية. وله التحدث في تفرقة اللحم على الممالك السلطانية من الخوامخ خاناه
وإقامة قباض اللحم، ويطلق على كل من غلمان الطشت خاناه وقباض اللحم باباً،
وهي لفظة رومية بمعنى الأب، أطلقوها على مهتار الطشت خاناه تعظيماً له، ثم غلبت
على من عداه، ولغلمانها دُرْبَةٌ بترتيب الأحوال التي تحمل على ظهور البغال للزينة
في المواكب العظيمة ونحوها، يأتون فيها من بديع الصنعة والتعاليق الفرية بكل
عجيب، وهم يتباهون بذلك، ويسامى بعضهم بعضاً فيه.

الثالث - (الفراش خاناه). ومعناها بيت الفراش، وتشتمل على أنواع الفرش
من البسط والخيام، ولها مِهْنَةٌ يعرف بمهتار الفراش خاناه، وتحت يده جماعة من
الغلمان مستكثرة مرصون للخدمة فيها في السفر والحضر يعبر عنهم بالفراشين، وهم
من أمهر الغلمان وأنهم في دُرْبَةٍ عظيمة في نصب الخيام حتى إن الواحد
منهم ربما أقام الخيمة العظيمة ونصبها وحده بغير معاون له في ذلك، ولهم معرفة
تامة بشدة الأحوال التي تحمل في المواكب على ظهور البغال، يبلغ الحمل منها نحو خمسة
عشرة ذراعاً.

الرابع - (السلاح خاناه). ومعناها بيت السلاح، وربما قيل الزرد خاناه ومعناها
بيت الزرد لما فيها من الدروع الزرد؛ وتشتمل على أنواع السلاح: من السيوف،
والقسي العربية، والنشاب، والرماح، والدروع المتخذة من الزرد المانع،
والقرقلاط المتخذة من صفائح الحديد المعشاة بالدياج الأحمر والأصفر، وغير ذلك

من الأطيار وسائر أنواع السلاح ، ويقُلُّ بها قسِيّ الرِّجْل والرَّكَّاب لعدم معانيتها بالديار المصرية ، وإنما تكثر بالنفور كالإِسْكَندَرِيَّة وغيرها ، وفي كل سنة يحمل إليها ما يعمل بخزائن السلاح من الأسلحة ، يحمل على رؤوس الحمالين ويُزَفُّ إلى القلعة ويكون يوما مشهودا ، وفي هذه السلاح خاناه من الصُّنَّاع المقيمين بها لإصلاح العُدَد وتجديد المستعملات جماعة كثيرة ، ويسمى صانع ذلك الزردكاش ، وهي لفظة عجمية وكأن معناها صانع الزرد ، ولها غلمان أنكرى وفراشون بسبب خدمة القماش وأفتقاده .

الخامس - (الرَّكَّاب خاناه) . ومعناها بيت الركاب ، وتشتمل على عُدَد الخيل من السروج ، والبلجم ، والكنايش ، وعى المراكب ، والعبي الإصطيليات ، والأجلال ، والحقالي وغير ذلك من الأصناف التي يطول ذكرها ، وفيها من السروج المغشاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنايش المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش ، وغير المزهرة ، والعبي المتخذة من الحرير وصوف السهك ، وغير ذلك من نفائس العُدَد والمراكب ما يحير العقول ويدهش البصر ، مما لا يقدر على مثله إلا عظماء الملوك . ولها مهتار متسلم لحواصلها يعبر عنه بمهتار الركاب خاناه ، وتحت يده رجال لمعاضدته على ذلك .

السادس - (الحوائج خاناه) . ومعناها بيت الحوائج ، وليست على هيئة البيوت المتقدمة مشتملة على حاصل معين ، وإنما لها جهة تحت يد الوزير منها يصرف القمم الراتب للطبخ السلطاني والدور السلطانية ورواتب الأمراء والممالك السلطانية وسائر الجند والمتعممين ، وغيرهم من أرباب الرواتب الذين تملأ

(١) لم نضرب على حيوان بهذا الاسم ولعله مصحف عن السمند .

أسماءهم الدفاتر، وكذلك تَوَابِلُ الطعام للطبخ السلطاني والدور السلطانية، ومن له تَوَابِلُ مرتبة من الأمراء وغيرهم، والزيت للوقود، والحبوب، وغير ذلك من الأصناف المتعددة؛ ولها مباشرون منفردون بها يضبطون أسماء أرباب المستحقّات ومقادير استحقاقهم، وهي من أوسع جهات الصرف حتّى إن ثمن اللحم وحده يبلغ ثلاثين ألف درهم في كل يوم خارجا عما عداه من الأصناف، وربما زاد على ذلك.

السايج - (المطبخ). وهو الذي يطبخ فيه طعام السلطان الراتب في الغداء والعشاء والطائر في الليل والنهار والأسمطة التي تمتد بالإيوان الكبير بدار العدل في أيام المواكب، ويحمل إليه اللحم والتوابل وسائر الأصناف من الحوائج خاناه المتقدمة الذكر بقدر معلوم مرتب؛ يُستهلك فيه في كل يوم قناطر مقلّطة من اللحم والدجاج والإوز والأطعمة الفاخرة؛ وله أمير من الأمراء يحكم عليه يسمى أستاذار الصحة وتحت يده آخر يعبر عنه بالمشرف؛ وله طبّاخ كبير معتبر يعبر عنه باسماسلار.

الثامن - (الطبخانة). ومعناه بيت الطبل، ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات؛ ويحكم على ذلك أمير من أمراء العشرات يعرف بأمير علم، يقف عليها عند ضربها في كل ليلة. ويتولى أمرها في السّفر، ولها مهتار متسلم لحواصلها يعرف بمهتار الطبخانة؛ وله رجال تحت يده ما بين دسندار: وهو الذي يضرب على الطبل، ومُنْفَر وهو الذي يضرب بالبوق، وكُوسِيٌّ، وهو الذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض وغير أولئك من الصّناع.

المَقْصِدُ الثَّالِثُ

(في ذكر أعيان المملكة وأرباب المناصب الذين بهم انتظام المملكة
وقيام الملك ؛ وهم على أربعة أصرب)

الضرب الأول

(أرباب السيوف ؛ والنظر فيهم من وجهين)

الوجه الأول

(مراتبهم على سبيل الإجمال ؛ وهي على نوعين)

النوع الأول

(الأمراء ؛ وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى - أمراء المئين مقدمو الألف ، وعدة كل منهم مائة فارس .
قال في " مسالك الأبصار " : وربما زاد الواحد منهم العشرة والعشرين ؛
وله التقدمة على ألف فارس من دونه من الأمراء ، وهذه الطبقة هي أعلى مراتب
الأمراء على تقارب درجاتهم ، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والتواب .
ثم الذي كان يستقر عليه قاعدة المملكة في الروك الناصري محمد بن قلاوون ،
وما بعده إلى آخر الدولة الأشرفية شعبان بن حسين ، أن يكون بالديار المصرية أربعة
وعشرون مقدما ، ولما استجدت في الدولة الظاهرية الديوان المفرد لخاص السلطان
وأفرد له عدة كثيرة من المالك السلطانية والمستخدمين ، نقصت عدة المقدمين
عما كانت عليه ، وصارت دائرة بين الثمانية عشر والعشرين مقدما بما في ذلك من
نائب الإسكندرية ونائبي الوجهين : القبلي والبحري .

الطبقة الثانية - أمراء الطبلخانة ، وعدة كل منهم في الغالب أربعون فارسا . قال في "مسالك الأبصار" : وقد يزيد بعضهم على ذلك إلى سبعين فارسا ، بل ذكر في "التعريف" في أواخر المكاتبات أنه يكون للواحد منهم ممانون فارسا . قال في "مسالك الأبصار" : ولا تكون الطبلخانة لأقل من أربعين ، وهذه الطبقة لاضابط لعدة أمرائها بل تتفاوت بالزيادة والنقص لأنه مهما فُرت إمرة الطبلخانة فجعلت إمرة عشرين أو أربع عشرات ، أوضح بعض العشرات ونحوها إلى بعض وجعلت طبلخانة ، ومن أمراء الطبلخانة تكون الرتبة الثانية من أرباب الوظائف والكشاف بالأعمال ، وأكابر الولاية .

الطبقة الثالثة - أمراء العشرات ، وعدة كل منهم عشرة فارس . قال في "مسالك الأبصار" : وربما كان فيهم من له عشرون فارسا ولا يعد إلا في أمراء العشرات ، وهذه الطبقة أيضا لاضابط لعدد أمرائها بل تزيد وتنقص كما تقدم في الكلام على أمراء الطبلخانة ، ومن هذه الطبقة يكون صفار الولاية ونحوهم من أرباب الوظائف .

الطبقة الرابعة - أمراء الخمسات . وهم أقل من القليل خصوصا بالديار المصرية ، وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء المنسوجين بالوفاة رعاية لآلهم ، وهم في الحقيقة أكابر الأجناد .

النوع الثاني

(الأجناد ؛ وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى - الممالك السلطانية . وهم أعظم الأجناد شانا ، وأرفعهم قدرا ، وأشدهم إلى السلطان قُربا ، وأوفرهم إقطاعا ، ومنهم تؤمّر الأمراء رتبة بعد رتبة ،

وهم في العدة بحسب ما يؤثره السلطان من الكثرة والقلة ، وقد كان لهم في زمن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم في أيام السلطان الملك الظاهر بقوق العمد الجَم والمَدَد الوافر لطول مُدَّة ملكهما وأعتائهما بجلب الممالك ومشتراها .

الطبقة الثانية - أجناد الحلقة . وهم عدد جَم وخلق كثير، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتعممين وغيرهم ، بواسطة التزول عن الإقطاعات ، وقد جرت عادة ديوان الجيش عدم الجمع على الجند كي لا يُحاط بعتته ويطلع إليه . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل أربعين نفسا منهم مقدم منهم ، ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر كانت مواقفهم معه ، وترتيبهم في موقفهم إليه . ومن الأجناد طائفة ثالثة يقال لهم البحرية يبيتون بالقلعة وحول دهايز السلطان في السفر كالحرَس ، وأول من رتبهم وسماهم بهذا الاسم السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب .

الوجه الثاني

(في ذكر أرباب الوظائف من أرباب السيوف المتقدم ذكرهم ؛ وهم على نوعين)

النوع الأول

(من هو بحضرة السلطان ، وهي خمسة وعشرون وظيفة)

الأولى - النيابة . ويعبر عن صاحبها بالنائب الكافل ، وكافل المالك الإسلامية . قال في "التعريف" : وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير، وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان ؛ وسائر التواب لا يعلم الرجل منهم إلا على ما يتعلق بخاتمة نيابته . قال : وهذه رتبة

لا ينجى ما فيها من التمييز . قال في "مسالك الأبصار" : وجميع ثواب المسالك
تكتبه فيما تكتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يرجع السلطان، ويستخدم الجند
من غير مشاورة السلطان ، ويعين أرباب الوظائف الجليلة كالوزارة وكتابة السر،
وقل أن لا يحجب فيمن يُعينه ، وهو سلطانٌ مختصر بل هو السلطان الثانى . وعادته
أن يركب بالسكر في أيام المراكب ويتزل الجميع في خدمته . فإذا مثل في حضرة
السلطان، وقف في ركن الإيوان . فإذا آنقضت الخدمة، خرج إلى دار النيابة بالقلعة
والأمراء معه ويجلس جلوسا عاما للناس، ويحضره أرباب الوظائف، ويقف قدامه
الحجاب، وتقرأ عليه القصص، ثم يمد السباط للامراء كما يمد لهم السلطان فياكلون
وينصرفون . وإذا كانت النيابة قائمة على هذه الصورة، لم يكن السلطان يتصدى
لقراءة القصص، وسماع الشكاوى بنفسه، ويأمر في ذلك بما يرى من كتابة مثال
ونحوه، ولكنه لا يستبد بما يكتب من الأبواب السلطانية بنفسه بل يكتب بإشارته
وينبه على ذلك، وتشمله العلامة الشريفة بعد ذلك .

أما ديوان الجيش فإنه لا يكون له خدمة إلا عنده ولا اجتماع إلا به . ولا اجتماع
لهم بالسلطان في أمر من الأمور ، وما كان من الأمور المعضلة التي لابد من إحاطة
علم السلطان بها فإنه يعلمها بها تارة بنفسه وتارة بمن يرسله إليه . هذا آخر كلامه
في "المسالك" غير أن هذا النائب تارة ينصب وتارة يعطى جيد المملكة منه ؛ وعلى
هذا كان الحال في الأيام الناصرية ابن قلاوون تارة وتارة وكذا الحال في زماننا .
وإذا كان متصبيا، أخضع بإنعراج بعض الإقطاعات دون بعض، ويكون صاحب
ديوان الجيش هو الملازم له وناظر الجيش ملازم السلطان .

قال في "التعريف" : أما نائب الغيبة : وهو الذى يترك إذا غاب السلطان

(١) كذا في الضوء أيضا ومراده يترك وشأنه في الحكم .

والنائب الكافل، وليس إلا لإنجاد التوابع وخلص الحقوق، فحكه في رسم الكتابة إليه رسم مثله من الأمراء.

الثانية - الأتابكية . ويعبر عن صاحبها بآتابك العساكر . قال السلطان عماد الدين في "تاريخه" : وأصله أطابك ومعناه الولد الأمير، وأول من لقب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوض إليه ملكشاه تدبير المملكة سنة خمس وستين وأربعمائة، ولقبه بالقباب منها هذا، وقيل أطابك معناه أمير ألب، والمراد أبو الأمراء، وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهى، وغايته رفعة المحلّ وعلو المقام .

الثالثة - وظيفة رأس توبة . وموضوعها الحكم على المالك السلطانية والأخذ على أيديهم، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحد مقدم ألف وثلاثة طلغاناته .

الرابعة - إمرة مجلس . وموضوعها (١) وهو يتحدث على الأطباء والكهّالين، ومن شاكلهم، ولا يكون إلا واحدا .

الخامسة - إمرة سلاح . وأصل موضوعها حمل السلاح للسلطان في المجمع الجامعة، وصاحبها هو المقدم على السلاح دارية من الممالك السلطانية والمتحدث في السلاح خاتاه السلطانية، وما يستعمل لها ويقدم إليها، ولا يكون إلا واحدا من الأمراء المقدمين .

السادسة - إمرة أخورية . وموضوعها التحدث على إصطبل السلطان وخيوله، وعادتها مقدم ألف يكون متحدثا فيها حديثا عاما، وهو الذي يكون ساكنا

(١) يباض بالأصل ولعله وموضوعها تولّى أمور مجلس السلطان .

بإصطبل السلطان، ودونه ثلاثة من أمراء الطليخانة . أما أمراء العشرات والجند،
فغير محصورين .

السابعة - الدَوَادِيرُ . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها تبليغ الرسائل
عن السلطان وإبلاغ عاتة الأمور، وتقديم القصص إليه، والمشاورة على من يحضر
إلى الباب الشريف وتقديم البريد، هو وأمير جندار وكاتب السر . ويأخذ الخط على
عاتة المناشير والتواقيع والكتب . وإذا خرج عن السلطان بكتابة شيء بمرسوم،
حمل رسالته وعيّن فيما يكتب ، وسيأتي بيان ذلك فيما يكتب بالرسائل في الكلام
على قوانين ديوان الإنشاء إن شاء الله تعالى .

وفي هذه الوظيفة عدة من الأمراء والجند ، وقد كانت في أيام الناصر محمد بن
قلاوون وما تلاها ليس فيها أميرٌ مقدّم ألف ، ثم آل الأمر إلى أن صار الأعلى منهم
مقدّم ألف ، وثابته طليخانة . وأول من استقر في وظيفة الدَوَادِيرِ من الأمراء
الألوف طغيتمر التجمي في الدولة الناصرية حسن ، ثم صار غالب من يليها ألوف ،
وربما كان طليخانة أحياناً .

الثامنة - الْمُجُوبِيَّة . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها أن صاحبها
يُنصَفُ بين الأمراء والجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان ، وإليه تقديم
من يعرض ومن يرد، وعرضُ الجند وما ناسب ذلك والذي جرت به العادة خمسة
مُجَابٍ ، آتان من مقدّم الألوف : وهما حاجب المُجَابِ هو المشار إليه من الباب
الشريف ، والقائم مقام النائب في كثير من الأمور . وأعلم أن هذا الاسم أول
ما حدث في الدولة الأموية في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان موضوعها إذ ذاك
تجيب السلطان عن العاتة، ويُضَلّقُ بابه دونهم أو يفتح لهم على قدره في مواقيته،

(١) في الكلام سقط ظاهر ولعل الأمل "حاجب المجاب وثابته وحاجب المجاب هو الخ" تأمل .

ثم يعمهم بنو العباس على ذلك . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أنه كان للقتدر سبعائة حاجب . هذا وكانت الخلافة قد أخذت في الضعف ، وهو خلاف موضوعها الآن ، وفيها بمالك المغرب معانٍ أخرى يأتي ذكرها عند الكلام على ممالكها إن شاء الله تعالى .

التاسعة - إمرة جانداز . وموضوعها أن صاحبها يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان . قال في "مسالك الأبصار" : ويقدم البريد مع الدوادار وكاتب السر . قال : وصاحبها كالمسلم للباب ، وله به البرددارية وطوائف الركابية والحازندارية . وإذا أراد السلطان تميز أحد أوقته كان ذلك على يد صاحب هذه الوظيفة ، وهو المسلم للزبدخانة التي هي أرفع قدرا في الاعتقالات ، ولا تطول مدة المعتقل بها ، بل إما يجعل بتغذية سيئه أو إتلاف نفسه ، وصاحب هذه الوظيفة هو الذي يطوف بالزفة حول السلطان في سفره ، وقد جرت العادة أن يكون فيها أميران : مقدم ألف ، وطلبخانة ، والمشار إليه هو المقدم .

العاشر - الاستادارية . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشرابخانة والحاشية والغلمان ، وهو الذي يمشى بطلب السلطان ، ويحكم في غلمانه وباب داره ، وإليه أمر الجاشنكيرية ، وإن كان كبيرهم نظيره في الإمرة من ذوي الإيدين ، وله حديث مطلق وتصرف تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجري مجرى ذلك للمالك وغيرهم . وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة : واحد مقدم ألف وثلاثة طلبخانة ، وربما نقصوا عن ذلك .

(١) جمع الكسوة كَمَا وَكَأَتْ . فإ في الأصل جار على اصطلاح العامة .

الحادية عشرة - الجاشنكيرية . وموضوعها التحدث في أمر السَّاط مع الاستادار على ما تقدمت الإشارة إليه ، ويقف على السَّاط مع أستاذار الصحة ، وأكبرهم يكون من الأمراء المقدمين .

الثانية عشرة - الخازندرية . وموضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك ، وكانت عاداتها طليخاناه ، ثم استقرت مقدمة ألف ، ويطلبه في حساب ذلك ناظر الخاَص الآتي ذكره .

الثالثة عشرة - شدّ الشراب خاناه . وموضوعها التحدث في أمر الشراب خاناه السلطانية وما عمل إليها من السُّكر والمشروب والفواكه وغير ذلك ، وتارة يكون مقدما ، وتارة يكون طليخاناه .

الرابعة عشرة - أستاذارية الصحة . وموضوعها التحدث على المطبخ السلطاني والإشراف على الطعام والملئى أمامه والوقوف على السَّاط، والعادة أن يكون صاحبها أمير عشرة .

الخامسة عشرة - مقدمة الممالك . وموضوعها التحدث على الممالك السلطانية والحكم فيها ، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام، والعادة أن تكون إمرة طليخاناه ، وله نائب أمير عشرة .

السادسة عشرة - زِمَامية الدور السلطانية . وصاحبها من أكبر الخدام ، وهو المعبر عنه بالزَّمَام، وعادته أن يكون أمير طليخاناه .

السابعة عشرة - رِقَابة الجيوش . قال في "مسالك الأبصار" : وهي موضوعة لتحلية الجند في عَرَضهم ، ومعه يمشى التَّقبّاء . وإذا طلب السلطان أو النائب

أو الحاجب أميرا أو غيره، أخضره . قال : وهو كآحد الحجاب الصغار، وله التطلب بالحراسة في الموكب والسفر .

الثامنة عشرة - المهمندارية . وموضوعها تلقى الرسل الواردين وأمرء العربان وغيرهم ممن يرد من أهل المملكة وغيرها .

التاسعة عشرة - شدة الدواوين . وموضوعها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير متحدثا في استخلاص الأموال، وما في معنى ذلك؛ وعادتها إمرة عشرة .

العشرون - إمرة طبر . وموضوعها أن يكون صاحبها حاملا الطبر في المواكب، ويحكم على من دونه من الطبردارية؛ وعادتها إمرة عشرة أيضا .

الحادية والعشرون - إمرة علم . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على الطبليخاه السلطانية وأهلها، متصرفا في أمرها؛ وعادتها إمرة عشرة .

الثانية والعشرون - إمرة شكار . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا في الجوارح السلطانية من الطيور وغيرها والصيود السلطانية وأحواش الطيور وغيرها؛ وهي إمرة عشرة .

الثالثة والعشرون - حراسة الطير . وموضوعها أن يكون صاحبها متحدثا على حراسة الطيور من الكراكي التي هي بصدد أن يصيدها السلطان في الأماكن التي تنزل بها الطيور من المزارع وغيرها؛ وهي إمرة عشرة .

الرابعة والعشرون - شدة العائر . وموضوعها أن يكون صاحبها متكلما في العائر السلطانية مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور والمنازل والأسوار؛ وهي إمرة عشرة .

الخامسة والعشرون - الولاية . والولاية بالحاضرة على صنفين .

الصف الأول

(وَلَاةُ الشَّرْطَةِ، المعروفون في الديار المصرية بولاية الحرب ؛ وهم ثلاثة،

بالقاهرة، والقُسْطَاطُ المعروف بمصر، والقَرَافَةُ)

فأما وإلى القاهرة، فيحكم في القاهرة وضواحيها، وهو أكبر الثلاثة وأعلام رتبة، وعادته إمرة طبلخاناه .

وأما وإلى القسطنطينية، فيحكم في خاصّة مصر على نظير ما يحكم وإلى القاهرة في بلده، وعادته إمرة عشرة .

وأما وإلى القرافة، فيحكم في القرافة التي هي تربة هاتين المدينتين بمراجعة وإلى مصر، وعادته إمرة عشرة . وقد أضيفت الآن القرافة إلى مصر، وصارت ولاية واحدة وجعلت إمرة طبلخاناه ولكنها لا تبلغ شأوا القاهرة .

الصف الثاني

(وَلَاةُ الْقَلْعَةِ، وهم أثنان)

أحدهما - وإلى القلعة، وهو أمير طبلخاناه، وله التحت على باب القلعة الكبير الذي منه طلوع عامة العسكر وزولهم في الفتح والغلق ونحو ذلك .

الثاني - وإلى باب القلعة، وهو أمير عشرة، وله التحت على الباب المذكور وأهله كما لو إلى القلعة التحت على الباب الكبير المتقدم ذكره .

النوع الثاني

(ماهو خارج عن الحضرة السلطانية ، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(تُوَاب السُلْطَنَة)

والذى بمصر الآن ثلاث نيايات ، جميعها مستحدثة عن قُرب .

الأولى - نيابة الإسكندرية . وهى نيابة جلييلة تُضاهى نيابة طَرَابُلس وحماة وصَفَد من المملكة الشامية الآتى ذكرها ، وبها كرسى سلطنة ونمجاه سلطانية توضع على الكرسي ، وثانها من الأمراء المقتدين يركب في المواكب بالشباب السلطانية ، ومعه أجناد الحلقة المرتبون بها ، ويخرج في موكبته إلى ظاهر الإسكندرية خارج باب البحر، ويجتمع إليه الأمراء المسيرين بها هناك، ثم يعود وهم معه إلى دار النيابة ، ويمتد السباط السلطاني ، ويأكل عليه الأمراء والأجناد ، ويحضره القضاة ، وتقرأ القصص على عادة النيايات ثم ينصرفون .

وكان ابتداء ترتيب هذه النيابة في سنة سبع وستين وسبعائة في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرّق العدو المخذول من الفرنج الإسكندرية وفكوا بأهلها وقتلوا منهم الخلق العظيم ونهبوا الأموال الجمّة ، وكانت قبل ذلك ولاية تُعدّ في جملة الولايات ، وكان لوالها الرتبة الجليلة والمكانة العلية من أكابر أمراء الطبلخاناه .

الثانية - نيابة الوجه القبلى . وهى مما استُحدثت في الدولة الظاهرية برفوق ، وهى في رتبة نيابة الوجه البحرى بل أعظم خطراً منه ، ومقرّ نيابته مدينة أسبوط المتقدم ذكرها ، وحكمه على جميع بلاد الوجه القبلى بأسرها ، وهى في الترتيب على

ما تقدم من نيابة الوجه البحرى ، وكانت قبل ذلك كاشفا يطلق عليه وإلى الولاية كما كان في الوجه البحرى .

الثالثة - نيابة الوجه البحرى . وهي مما أستحدثت في الدولة الظاهرية أيضا ، ونائبها من الأمراء المقدمين ، وهو في رتبة مقدم العسكر بفرقة الآتى ذكرها ، ومقر نائبها دمنهور مدينة البحيرة المتقدم ذكرها ، وليست على قاعدة النيابات بل هي في الحقيقة ولاية حرب كبيرة ، وقد كان القائم بها قبل ذلك كاشفا يطلق عليه وإلى الولاية ولم يكن له مقررة خاصة .

الطبقة الثانية

(الكشاف)

قد تقدم أنه قبل النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كاشفان ، ولما استقرت النيابة بهما جعل للوجه البحرى كاشف من أمراء الطبلخاناه على العادة المتقدمة ، يتحدث في بلاده ماعدا عمل البحيرة لقربه من نائب الوجه البحرى ، وجعل كاشف آخر من رتبته لعمل الفيوم وعطل من الوالى ، وأضيف إليه عمل البهنسى أيضا ، وسائر الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه المتقدم ذكره .

الطبقة الثالثة

(الوَلَاةُ بالوجهين : القبلى والبحرى)

وقد تقدم ذكر أعمالها . ومراتب الوَلَاة بهما لا تخرج عن مرتبتين .

المرتبة الأولى

(١)

(أمرء الطبلخانة ؛ وهى سبع ولايات بالوجهين : القبلى والبحرى)

فأما الوجه القبلى ففيه أربع وَلَاة من هذه الرتبة .

الأول - والى البهنسى ، وهى أقرب ولاة الطبلخانة بهذا الوجه الآن إلى القاهرة :

الثانى - والى الأشمونين .

الثالث - والى قوص وإنعيم ، وهو أعظم ولاة الوجه القبلى حتى إنه يركب

فى المواكب بالشَّابَّة السلطانية أسوة النواب بالملك .

الرابع - والى أسوان ، وهو محدث فى الدولة الظاهرية برفوق ، وكانت قبل

ذلك مضافة إلى والى قوص ، وكانت ولاية القيوم طبلخانة آستقرت كشفا على

ما تقدم .

أما أسبوط ، فلم يكن بها ولاية لكونها كانت مستقر والى الولاية بالوجه القبلى ،

ثم صارت مستقر النائب به ، وسيأتى بيان ما كان ولاية طبلخانة ، ثم نقل إلى

العشرات .

وأما الوجه البحرى ففيه أربعة ولاة من هذه الرتبة .

(١) لعله ثمان ولايات كما يظهر من عد الولاية بالوجهين .

الأول - والى الشرقية وهو والى بليس .

الثاني - والى متوف .

الثالث - والى الغربية ، وهو والى المحلة ، ورتبه فى الوجه البحرى - فى رفعة
القدر تضاهى رتبة والى قوص فى الوجه القبلى .

الرابع - والى البحيرة ، وهو والى دمنهور .

وقد تقدم أن الإسكندرية قبل أن تستقر نيابة كان بها وال من أمراء
الطلخانة .

المرتبة الثانية

(من الولاة أمراء العشرات ، وهى سبعة ولاة بالوجهين)

فأما الوجه القبلى - ففيه ثلاثة ولاة .

الأول - والى الجيزة ، وقد كان قبل ذلك طلخانة ، ثم نقل إلى العشرات .

الثاني - والى إطفح ، ولم يزل عشرة .

الثالث - والى مغلوط ، وهو وإن كان الآن أمير عشرين فقد تقدم أن من دون
الأربعين معدود فى العشرات . على أنها كانت قبل ذلك ولاية طلخانة وحطت
عن ذلك .

وقد كانت بعيداب فى الايام الناصرية والى أمير عشرة يولى من قبل السلطان
ويراجع والى قوص فى الأمور المهمة .

وأما الوجه البحرى ، ففيه أربعة ولاة من هذه الرتبة .

- الأول - والى قَلْبُوب، ولم تزل ولايتها إمرة عشرة .
 الثانى - والى أُمُتُوم، ولم تزل عشرة أيضا .
 الثالث - والى دِمَاط .
 الرابع - والى قَطُيا، وكان قبل ذلك طبلخاناه .

الضرب الثانى

(من أعيان الملكة وأرباب المناصب حلة الأقالم، وهم على نوعين)

النوع الأول

(أرباب الوظائف الديوانية، وهى كثيرة لئلا يسهل آسفاؤها
 والمعتبر منها مما يجب الاقتصاد عليه تسع وظائف)

الأولى - الوزارة . وهى أجل الوظائف وأرفعها رتبة فى الحقيقة لو لم تخرج
 عن موضوعها ويُعَدَّل بها عن قاعدتها . قال فى "مسالك الأبصار" : وربها ثانى
 السلطان لو أنصف وعُرف حقه، لكنها لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعدت بها
 مكانها حتى صار المتحدث فيها كخاطر المال لا يتعدى الحديث فيه، ولا يتسع له
 فى التصرف مجال، ولا تمتد يده فى الولاية والعزل لِتَطْلُع السلطان إلى الإحاطة بجزئيات
 الأحوال . قال : وقد صار يليها أناس من أرباب السيوف والأقالم بأرزاق على
 قدر الإنفاق، وقطيعتها أشهر من أن تذكر .

قال : وكان هذا السلطان (يعنى الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله) قد أبطلها ،
 وصار ما كان يتحدث فيه الوزير مقتصرا إلى ثلاثة : ناظر المال : ومعه شاذ الدواوين

(١) أوصلها فى العدد الست وعشرين ومراده أن المهم منها تسع وإن كان قد ذكر أكثر .

لتحصيل المال وحرف النفقات، وناظر الخالص لتدبير الأمور العامة وتعيين المباشرين، وكاتب السر للتوقيع في دار العدل مما كان يوقع فيه الوزير مشاورةً واستقلالاً . قلت : ولما عادت الوزارة بعد ذلك، صارت إلى ما كانت عليه من الاقتصار على التحدث في المال ، و بقيت كتابة السر على ما صارت إليه من التوقيع على القصص بدار العدل وغيرها . ثم إن كان الوزير صاحب قلم ، فهو المستقل بمباشرة الوظيفة نظرا وتنفيذا ومحاسبة على الأموال ، وإن كان صاحب سيف ، كان مقتصرا على النظر والتنفيذ ، وكان أمر الحساب في الأموال راجعا إلى ناظر الدولة معه .

ثم لو وظيفة الوزارة أتباع كثيرة أجعلها نظر الدولة وأستيفاء الصحة وأستيفاء الدولة . فأما نظر الدولة : وهو المعبر عنه في مصطلح الدواوين المعمورة بالصحة الشريفة فموضوعها أن صاحبها يتحدث مع الوزير في كل ما يتحدث فيه ويشاركه في الكتابة في كل ما يكتب فيه ، ويوقع في كل ما يوقع فيه الوزير تبعاً له . وإن كان الوزير صاحب سيف ، كان ناظر الدولة هو المتحدث في أمر الحسابات ، وما يتعلق بها والوزير مقتصر على النظر والتنفيذ .

وأما استيفاء الصحة - فهي وظيفة جليلة رفيعة القدر . قال في "مسالك الألبصار" : وصاحبها يتحدث في جميع المملكة مصرا وشاما ، ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان ، تارة تكون بما يعمل في البلاد ، وتارة بإطلاقات ، وتارة باستخدامات كبار في صغار الأعمال ، وما يجري مجراه .

قال : وهذا الديوان هو أرفع دواوين الأموال ، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية ، وكل من دواوين الأموال فهو فرع هذا الديوان وإليه يرجع حسابه وينتهي أسبابه .

وأما استيفاء الدولة - فهي وظيفة رئيسية ، وعلى متوليها مدار أمور الدولة في الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصاردها ، ويكون فيها مستوفيان فاكثر .

الوظيفة الثانية - كتابة السر . قال في "مسالك الأبصار" : وموضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم ورودا وصَدْرًا ، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها . وقد تقدم في الكلام على الوزارة أنه صار يوقع فيما كان يوقع عليه بقلم الوزارة مع مراجعة السلطان فيما يحتاج إلى المراجعة فيه ، في أمور أخرى من التحدث في أمر البريد وتصريف البريدية والقصاص ، ومشاركة الدوا دار في أكثر الأمور السلطانية مما تقدم ذكره مفصلاً . وبديوانه تُكتب الدست : وهم الذين يجلسون معه في دار العدل ويقروءون القصص على السلطان ويوقعون عليها بأمر السلطان ، وتُكتب الدُرج : وهم الذين يكتبون الولايات والمكتبات ونحوها مما يكتب عن الأبواب الشريفة ، وربما شاركهم تُكتب الدست في ذلك .

الوظيفة الثالثة - نظر الخاص . وهي وظيفة محدثة ، أحدثها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله حين أبطل الوزارة على ما تقدم ذكره ، وأصل موضوعها التحدث فيما هو خاص بالسلطان . قال في "مسالك الأبصار" : وقد صار كأوزير لقربه من السلطان وتصرفه ، وصار إليه تدير حملة الأمور وتعين المباشرين يعني في زمن تعطيل الوزارة . قال : وصاحب هذه الوظيفة لا يقدر على الاستقلال بأمر إلا بمراجعة السلطان . ولناظر الخاص أتباع من تُكتب ديوان الخاص كستوفى الخاص ، وناظر خزّانة الخاص ونحو ذلك مما لا يسع استيعابه .

الوظيفة الرابعة - نظر الجيش . وموضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه ، وهي وظيفة

جليلة رفعة المقدار ، وديوانها أول ديوان وُضع في الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم في خلافة عمر . قال الزُّهري : قال سعيد بن المسيب : وذلك في سنة عشرين من الهجرة ، وسياق الكلام على ما يتعلق بها في الكلام على كتابة المناشير في المقالة السادسة إن شاء الله تعالى . ولناظر الجيش أتباع بديوانه يُؤلّون عن السلطان ، كصاحب ديوان الجيش وكتّابه وشهوده ، وكذلك صاحب ديوان المالِك ، وكتّاب المالِك وشهود المالِك . فإن المالِك السلطانية فرع من الجيش ونظرم راجع إلى ناظر الجيش .

الوظيفة الخامسة - نظر الدواوين المعمورة والصحبة الشريفة . وهو المعبر عنه بناظر الدولة ، وموضوعها التحدث في كل ما يتحدث فيه الوزير ، وكل ما كتب فيه الوزير كتب فيه هو ، يكتب فيه بمثل مارسم به .

الوظيفة السادسة - نظر الخزانة . قال في "مسالك الأبصار" : وكانت أولا كبيرة الوضع لأنها مستودع أموال المملكة ، فلما استحدثت وظيفة الخصاص ، صغر أمر الخزانة ، وسميت بالخزانة الكبرى ، وهو اسم فوق مسماه . قال : ولم يكن بها الآن إلا خلعٌ تخلع منها أو ما يحضر إليها ويصرف أولا فأولا ، وفي الغالب يكون ناظرها من القضاة أو من يلتحق بهم ، ولناظر الخزانة أتباع يُؤلّون عن السلطان كصاحب ديوان الخزانة .

الوظيفة السابعة - نظر البيوت والحاشية . وهو نظر جليل ، وكل ما يتحدث فيه الاستادار له فيه مشاركة في التحدث فيه ، وقد تقدم تفصيل حال وظيفة الاستادارية .

الوظيفة الثامنة - نظر بيت المال . وموضوعها حمل حمول المملكة إلى بيت المال والتصرف فيه تارة قبضا وصرفا وتارة بالتسويق محضرا وصرفا . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يليها إلا ذو العدالة البارزة من أهل العلم والديانة .

الوظيفة التاسعة - نظر الإصطبلات السلطانية . وموضوعها مباشرة إصطبلات السلطان والتحدث في أنواع الخيول والبغال والدواب والجمال السلطانية ، وعليقها وعُلتها ، وما لها من الاستعمالات والإطلاقات ، وكل ما يتباع لها أو يباع منها ، وأرزاق المستخدمين بها ونحو ذلك .

الوظيفة العاشرة - نظر دار الضيافة والأسواق . وموضوعها التحدث في أمر ما يتحصّل من سوق الخيل والرقيق ونحوهما ، وصرف ذلك في كلفة من يرد إلى الأبواب السلطانية من رُسل الملوك ونحوهم ، وصرف مرتبات مقررة لأناس في كل شهر ، والتحدث فيها ولايةً وعزلاً وتنفيذاً راجعاً إلى الدُودار ؛ وللوزير المشاركة معه في المتحصّل في شيء مخصوص .

الوظيفة الحادية عشرة - نظر خزان السلاح . وموضوعها التحدث على كل ما يستعمل من السلاح السلطاني ، وعادته أن يجمع ما يتحصّل من عمل كل سنة ويجهّز في يوم معين ، ويحمل على رؤوس الحمالين إلى خزان السلاح بالقلعة المحروسة ، ويخلع عليه وعلى رُفقته من المباشرين .

الوظيفة الثانية عشرة - نظر الأملاك السلطانية . وموضوعها التحدث على الأملاك الخاصة بالسلطان من ضياع وريّاع وغير ذلك .

الوظيفة الثالثة عشرة - نظر البهّار والكارمى^(١) . وموضوعها التحدث على واصل التجار الكارمية من اليمن من أصناف البهّار وأنواع المتجر ، وهي وظيفة جليلة تارة نضاف إلى الوزارة وتجمل تبعاً لها ، وتارة تضاف إلى الخالص وتجمل تبعاً لها ، وتارة تفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان .

(١) رجع في الضوء الكامي بالنون وقال أنفسي إلى الكاتم فرقة من السودان كان منهم طائفة مقبلة بمصر فيبرون في البهّار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب من الهند واليمن فعرف ذلك بهم إلى آخر ما قال فراجع .

الوظيفة الرابعة عشرة - نظر الأمراء بمصر بالصناعة . وهي شؤنة الغلال السلطانية التي يتكلم عليها الوزير ، وموضوعها التحدث فيما يصل إليها من النواحي من الغلال وغيرها ، وما يُصرف منها على الإصطبلات الشريفة والمناخات السلطانية وغير ذلك .

الوظيفة الخامسة عشرة - نظر الموارث الحشرية . وموضوعها التحدث على ديوان الموارث الحشرية من يموت ولا وارث له ، أو وله وارث لا يستغرق ميراثه ، مع التحدث في إطلاق جميع الموتى من المسلمين وغيرهم .

الوظيفة السادسة عشرة - نظر الطواحين السلطانية بمصر بالصناعة أيضا . وهو مغلّ عظيم فيه عشرة محجّارة يخرج منها في كل يوم نحو خمسين تليسا .

الوظيفة السابعة عشرة - نظر الحاصلات . وهو المعبر عنه بنظر الجهات ، وموضوعه التحدث في أموال جهات الوزارة من منحصّل ومصروف أو حمل لبيت المال وغيره .

الوظيفة الثامنة عشرة - نظر المرتجعات . وموضوعها التحدث على ما يرجع ممن يموت من الأمراء ونحو ذلك ، وقد رُفِضت هذه الوظيفة وتعلّلت ولايتها في الغالب وصار أمر المرتجع موقوفا على مستوى المرتجع ، وهو الذي يحكم في القضايا الديوانية ويفصلها على مصطلح الديوان ، وهو المعبر عنه بديوان السلطان .

الوظيفة التاسعة عشرة - نظر الجزية . وموضوعها التحدث على ما يتحصّل من عمل الجزية التي هي خاص السلطان ، وهي فرع من فروع الدواوين .

الوظيفة العشرون - نظر الوجه القليل . وموضوعها التحدث على بلاد الصعيد بأسرها مما يتحصّل فيها من ميراث وغيره .

الوظيفة الحادية والعشرون - نظر الوجه البحرى - وموضوعها ك موضوع نظر الوجه القبلى المتقدم ذكره .

الوظيفة الثانية والعشرون - صحابة ديوان الجيش . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر الجيش من أمر الإقطاعات .

الوظيفة الثالثة والعشرون - صحابة ديوان البيارستان . وموضوعها التحدث فى كل ما يتحدث فيه ناظر البيارستان .

الوظيفة الرابعة والعشرون - صحابة ديوان الأعباس . وصاحبها يكتب فى كل ما يكتب فيه ناظر الأعباس إلا أنها بطلت .

الوظيفة الخامسة والعشرون - أستيفاء الصجبة .

أستيفاء الدولة (١)

النوع الثانى

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم صنفان)

الصنف الأول

(من له مجلس بالحضرة السلطانية بدار العدل الشريف ،

وهو منحصر فى خمس وظائف)

الوظيفة الأولى - قضاء القضاة . وموضوعها التحدث فى الأحكام الشرعية

وتنفيذ قضايها ، والقيام بالأوامر الشرعية ، والفصل بين الخصوم ، ونصب التواب

(١) تقدم الكلام على ما فى الكلام على تواب الوظيفة الأولى من هذا النوع وهى الوزارة فرأى أنه لا داعى

الى الإعادة فلا سقط كما قد يتوهم .

للتحدث فيما عَسُرَ عليه مباشرة بنفسه ؛ وهى أرفع الوظائف الدينية واعلاها قدرا وأجلها رتبة .

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ كَانَ قَاصِرًا عَلَى قَاضٍ وَاحِدٍ بِالْDIAR الْمِصْرِيَّةِ مِنْ أَىِّ مَذْهَبٍ كَانَ ، بَلْ كَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ قَاضٍ وَاحِدًا بِالْDIAR الْمِصْرِيَّةِ ، وَأَجْنَادِ الشَّامِ ، وَبِلَادِ الْمَغْرِبِ ، مَضَافًا إِلَيْهِ انْتَحَدَتْ فِي أَمْرِ الصَّلَاةِ وَدُورِ الضَّرْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ عَلَى مَا اسْتَقْفَ عَلَيْهِ فِي تَقَالِيدِ بَعْضِ قَضَاتِهِمْ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَقَالِيدِ الْقَضَاةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْحَالُ فِي الْأَيَّامِ الْفَاهِرِيَّةِ بِبَيْرُتَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسِتِينَ وَسَمَائَةَ عَلَى أَرْبَعَةِ قَضَاةٍ مِنْ مَذَاهِبِ الْأُتَمَّةِ الْأَرْبَعَةِ : الشَّافِعِيَّةِ وَمَالِكِ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ فِيمَا ذَكَرَهُ صَاحِبُ "نَهَايَةِ الْأَرْبِ" أَنَّ قَضَاءَ الْقَضَاةِ بِالْDIAR الْمِصْرِيَّةِ كَانَ يَوْمَئِذٍ بِيَدِ الْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ عَبْدِ الْوَهَّابِ ابْنِ بَنْتِ الْأَعَزِّ بِمُفْرَدِهِ ، وَكَانَ الْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ أَيْدَغْدِي أَحَدَ أُمَرَاءِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ بِعَانَدِهِ فِي أُمُورِهِ ، وَيَغْضُ مِنْهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ ، لَتَثْبِيتهِ فِي الْأُمُورِ وَتَوْقِفِهِ فِي الْأَحْكَامِ . فَبَيْنَمَا السُّلْطَانُ ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسٌ بِدَارِ الْعَدْلِ إِذْ رُفِعَتْ إِلَيْهِ قِصَّةٌ بِسَبَبِ مَكَانٍ بَاعَهُ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ السَّنْجَارِيُّ ، ثُمَّ آذَعَى ذَرِيَّتَهُ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنَّهُ مُوقُوفٌ ، فَأَخَذَ الْأَمِيرُ أَيْدَغْدِي يَغْضُ مِنْ الْقَضَاةِ بِمُحْضَرَةِ السُّلْطَانِ ، فَسَكَتَ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَاضِي تَاجِ الدِّينِ : مَا الْحَكْمُ فِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِذَا ثَبَتَ الْوَقْفِيَّةُ يَسْتَعَادُّ الثَّمَنُ مِنْ تَرَكَةِ الْبَائِعِ ، قَالَ : فَإِنْ عَجَزَتِ التَّرَكَةُ عَنْ ذَلِكَ ، قَالَ : يَوْقِفُ عَلَى حَالِهِ ، فَأَمْتَعَضَ لَهَا السُّلْطَانُ وَسَكَتَ ، ثُمَّ جَرَى فِي الْمَجْلِسِ ذِكْرُ أُمُورٍ أُخْرَى تَوْقِفُ الْقَاضِي فِي تَمَشُّيَتِهَا ، وَكَانَ آخِرُ الْأَمْرِ أَنَّ الْأَمِيرَ أَيْدَغْدِي حَسَّنَ لِلْسُّلْطَانِ نَصَبَ أَرْبَعَةِ قَضَاةٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فَفَعَلَ ، وَأَقَرَّ الْقَاضِي تَاجَ الدِّينِ ابْنَ بَنْتِ الْأَعَزِّ فِي قَضَاءِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَوَلَّى الشَّيْخَ شَهَابَ الدِّينِ أَبُو حَفْصٍ عَمْرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ

السبكي - قضاء المالكية ، والقاضي بدر الدين بن سلمان قضاء الحنفية ، والقاضي شمس الدين محمد بن الشيخ عماد الدين إبراهيم القدسي قضاء الحنابلة ، وجعل لهم الأربعة أن يؤلوا التواب بأعمال الديار المصرية ، وأفرد القاضي تاج الدين بالنظر في مال الأيتام والأوقاف ، وكتب له بذلك تقليد من إنشاء القاضي محي الدين بن عبد الظاهر أوله " الحمد لله مجرد سيف الحق على من اعتدى " . ثم كل من الأربعة له التحدث فيما يقتضيه مذهبه بالقاهرة والفسطاط ، ونصب التواب ، وإجلاس الشهود ، ويستقل الشافعي منهم بتولية التواب بنواحي الوجهين القبلي والبحري لا يشاركه فيه غيره .

الوظيفة الثانية - قضاء العسكر . وهي وظيفة جليلة قديمة كانت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وكان قاضي عسكره بهاء الدين بن (١) وموضوعها أن صاحبها يحضر بدار العدل مع القضاة المتقدم ذكرهم ، ويسافر مع السلطان إذا سافر ، وهم ثلاثة نفر : شافعي ، وحنفي ، ومالكي ، وليس للحنابلة منهم حظ ، وجلسهم في دار العدل دون القضاة الأربعة المتقدم ذكرهم على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

الوظيفة الثالثة - إنشاء دار العدل . وموضوعها على نحو ما تقدم في قضاء العسكر ، وبها أربعة نفر ، من كل مذهب واحد ، وجلسهم دون قضاة العسكر على ما يأتي ذكره .

الوظيفة الرابعة - وكالة بيت المال . وهي وظيفة عظيمة الشأن رفيعة القدر ، وموضوعها التحدث فيما يتعلق ببيعات بيت المال ومشترياته من أراض وأدر وغير ذلك ، والمعاقدة على ذلك وما يجري هذا المجرى . قال في "سالك الأبصار" :

ولا يليها إلا أهل العلم والديانة ، ومجلسه بدار العدل : نارة يكون دون المحتسب ،
ونارة فوقه بحسب رتبة قدر كل منهما في نفسه .

الوظيفة الخامسة - الجسبة . وهي وظيفة جليلة رفيعة الشأن ، وموضوعها
التحدث في الأمر والنهي ، والتحدث على المعاش والصنائع ، والأخذ على يد الخارج
عن طريق الصلاح في معيشته وصناعته . وبالحضرة السلطانية محتسبان : أحدهما
بالقاهرة ، وهو أعظمهما قدرا وأرفعهما شأنًا ؛ وله التصرف بالحكم والتولية بالوجه
البحري بجلاله خلا الإسكندرية ، فإن لما محتسبا يُحصى ، والثاني بالسُّطاط ومرتبته
منحطة عن الأول ؛ وله التحدث والتولية بالوجه القبلي بجلاله ، والذي يجلس
منهما بدار العدل في أيام المواكب محتسب القاهرة فقط دون محتسب مصر ؛
ومحل جلوسه دون وكيل بيت المال ، وربما جلس أعلى منه إذا كان أرفع منه
بمحل أو نحوه .

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف الدينية من لا يجلس له بالحضرة السلطانية)

وهذه الوظائف لاحصر لمدنها على التفصيل ، ولا سبيل إلى استيفاء ذكرها
على تفاوت المراتب فوجب الاكتصار على ذكر أهمها .
ثم هذه الوظائف منها ما هو مختص بشخص واحد ، ومنها ما هو عام في أشخاص .
فأما التي هي مختصة بشخص واحد .

فمنها (رقابة الأشراف) وهي وظيفة شريفة ، ومرتبته نفيسة ؛ موضوعها التحدث
على ولد علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه من فاطمة بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم - وهم المراد بالأشراف ، في الفحص عن أنسابهم والتحدث في أقاربهم

والأخذ على يد المعتدى منهم ونحو ذلك ، وكان يعبر عنها في زمن الخلفاء المتقدمين بنقابة الطالبين .

ومنها (مشيخة الشيوخ) والمراد بها مشيخة الخانقاه التي أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون بسرياقوس من ضواحي القاهرة .

أما مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقاهرة المعروفة بسعيد السعداء ، فإنها وإن قدم زمنها وعظم قدرها دون تلك في المشيخة .

ومنها (نظّر الأجاس المبرورة) وهي وظيفة عالية المقدر ، وموضوعها أن صاحبها يتحدث في رزق الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الأرضين المفردة لذلك من نواحي الديار المصرية خاصة ، وما هو من ذلك على سبيل البر والصدة لأناس معينين ، وأصل هذه الوظيفة أن أليّ بن سعد رحمه الله اشترى أراضى من بيت المال في نواح من البلدان وحسبها على وجوه البر ، وهي المماسة ديوان الأجاس بوجوه العين ، ثم أضيف إلى ذلك الرباع والدور المعروفة بالفسطاط وغيره ، ثم أضيف إليها رزق الخطابات ، ثم كثرت الرزق من الأرضين في الدولة الظاهرية ببيرس بواسطة الصاحب بهاء الدين بن حنا وأخذت في الزيادة إلى زماننا ، وهي تارة يتحدث فيها السلطان بنفسه ، وتارة النائب ، وفي غالب الوقت يتحدث فيها الدؤادار الكبير على ما استقر عليه الحال آخر .

ومنها (نظر البيارستان) والمراد البيارستان المنصورية الذي أنشأه المنصور قلاوون بين القصرين ، وكان داراً ليست الملك أخت الحاكم الفاطمي فغير معاملته وزاد فيه ، وليس له نظير في الدنيا في ربه ومعروفه ، وهي من أجل الوظائف وأعلامها ، وعادة النظر فيه من أصحاب السيوف لأكبر الأمراء بالديار المصرية .

وأما التي هي عاقبة في أشخاص .

فمنها (الخطابة) وهي في الحقيقة أجل الوظائف وأعلها رتبة ، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها بنفسه ، ثم فعلها الخلفاء الراشدون فمن بعدهم ، وهي على كثرة الجوامع بالديار المصرية بحيث إنها لا تحصى كثرة - لا يتعلق منها بولاية السلطان إلا القليل النادر : بكامع القلعة إلا إذا كان مفردا عن القضاء ونحو ذلك مما لا ناظر له خاص .

ومنها (التدريس) وهي على اختلاف أنواعها من الفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة وغير ذلك لا يولّى السلطان فيها إلا فيما يعظم خطره ويرتفع شأنه مما لا ناظر له خاص كالمدرسة الصلاحية بجوار تربة الإمام الشافعي رضي الله عنه ، والزاوية الصلاحية بالجامع العتيق بالقسطنطين ، وهي المعروفة بالخشابية ، والمدرسة المنصورية بالبيارستان المنصورية المتقدم ذكره بين القصرين ، ودرس الجامع الطولوني ونحو ذلك .

المقصود الرابع

(في زِيّ أعيان المملكة من أرباب المناصب السلطانية بالديار المصرية)

في لبسهم وركوبهم ، وهم أربع طوائف)

الطائفة الأولى

(أرباب السيوف ، وزيمهم راجع إلى أمرين)

الأمر الأول (لبسهم) . ويختلف الحال فيه باعتبار مواضع اللبس من البذل .

فأما ما به تقطيع رؤوسهم ، فقد تقدم أنهم كانوا في الدولة الأيوبية يلبسون كُتُونات صُفْر بنير عمام ، وكانت لهم فوائب شعر يرسلونها خلفهم . فلما كانت الدولة

الأشرافية "خليل بن قلاوون" رحمه الله، غير لونها من الصفرة إلى الحمرّة وأمر بالهائم من فوقها، وبقيت كذلك حتى حجّ الملك الناصر "محمد بن قلاوون" رحمه الله في أواخر دولته لخلق رأسه لخلق الجميع رؤوسهم، واستمروا على الخلق إلى الآن، وكانت عمائمهم صغيرة فزيد في قدرها في الدولة الأشرافية "شعبان بن حسين" فحسنت هيئتها وجادت، وهي على ذلك إلى زماننا .

وأما ثياب أبدانهم فيلبسوا الأقبية التّريّة والتكلاوات فوقها ثم القباء الإسلامي فوق ذلك، يشدّ عليه السيف من جهة اليسار والصولق والكرك من جهة اليمين . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : وأوّل من أمر بذلك غازي بن زنكي أخو العادل نور الدين الشهيد حين ملك الموصل بعد أبيه ، ثم الأمراء والمقدمون وأعيان الجند تلبس فوقه أقبية قصيرة الأكم أقصر من القباء التحتانيّ بلا تفاوت كبير في قصر الكمّ وطوله ، مع سعة الكم القصير وضيق الأكم الطويلة .

ثم إن كان زمن الصيف كان جميع القماش من فوقانيّ وغيره أبيض من النّصافي ونحوه، وتشدّ فوق القباء الإسلامي المنطقّة، وهي الحياصة، ومعظم مناطقهم من الفضّة المطلية بالذهب، وربما جُمِلت من الذهب، وقد تُرصّع باليشم . قال في "مسالك الأبصار" : ولا تُرصّع بالجواهر إلا في خلع السلطان لأكابر أمراء الميئين .

وإن كان زمن الشتاء كانت فوقانيّاتهم ملوّنة من الصوف النغوس والحرير الفائق، تحتها فراء السّنجاب النّض . ويلبس أكابر الأمراء السّعور، والوشق، والقاقم والفك، ويحمل في المنطقّة منديلا لطيفا مُسدّلا على الصولق، ومعظمهم يلبس

المطرز على الكتّين من الزركش أو الحرير الأسود المرقوم . قال في "مسالك" : ولا يلبس المطرز إلا مَنْ له إقطاع في الحلقة ، أمانٌ هو بعدُ بالجامكية ، فلا يتعامل ذلك . وأما ما يجعل في أرجلهم ، فإن كان في الصيف لبسوا الخفاف البيض العلوية ، وإن كان في الشتاء لبسوا الخفاف الصفر من الأديم الطائفي ، وبشتون المهايز المسقطة بالفضة في القدم على الخف . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يكفّ مهازه بالذهب إلا مَنْ له إقطاع في الحلقة على ما تقدم في لبس المطرز .

الأمر الثاني (ركوبهم) . أما ما يركبون ، فالحليل المسومة النفيسة الأمان خصوصا الأمراء ومن يلحق بشاؤهم ، ولا يركبون البغال بحال بل تركبها غلمانهم خلفهم بالقاش النفيس والهيئة الحسنة والقوالب المحلاة بالفضة ، وربما غشى جميعها بالفضة بل ربما غشى جميعها بالذهب للسلطان وأعيان الأمراء ، ومعها العبي السابلة الملوّنة من الصوف الفائق ، وربما جعلت من الحرير لأعيانهم ، وقد يتخذ بدلها الكتايش بالحواشي الخفايش ، وربما كانت زركشا للسلطان والأمراء ، وتحلّ بهمهم وتُسقط بالفضة بحسب اختيار صاحبها ، ويجعل الدبوس في حلقة متصلة بالسرّج تحت ركبته اليمنى . قال صاحب حماة : وأول من أمرهم بذلك غازي بن زكي حين أمرهم بشد السيوف في أوساطهم على ما تقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : وعلى الجملة فزيهم ظريف وعُدّهم فائقة نفيسة .

الطائفة الثانية

(أرباب الوظائف الدينية من القضاة وسائر العلماء؛

وزيهم راجع أيضا إلى أمرين)

الأمر الأول (ملبوسهم) . ويختلف ذلك باختلاف مراتبهم ، فالقضاة والعلماء

منهم يلبسون العائم من الشاشات الكبار للغاية ، ثم منهم من يرسل بين كتفيه ذؤابة تلحق قَرْبُوسَ سرجه إذا ركب ، ومنهم من يجعل عَوْضَ الذُّؤَابَةِ الطَّيْلَسَانَ الفائق ، ويلبس فوق ثيابه دلقاً متسع الأكم طوليها مفتوحاً فوق كتفيه بغير تفرج ، سابل على قدميه . ويتميز قُضَاةُ القضاة الشافعي والحنفي بلبس طرحة تستر عمامته وتسدل على ظهره ، وكان قبل ذلك غنصاً بالشافعي ؛ ومن دون هذه منهم تكون عمامته ألطف ، ويلبس بدل الدلق فَرَجِيَّةً مفرجة من قدامه من أعلاها إلى أسفلها مزززة بالأزرار ، وليس فيهم من يلبس الحرير ، ولا ما غلب فيه الحرير ؛ وإن كان شتاء كان القوقاني من ملبوسهم من الصوف الأبيض الملعلي ، ولا يلبسون المئون إلا في بيوتهم ، وربما لبسه بعضهم من الصوف في الطرقات ، ويلبسون الخفاف من الأديم الطائفي بغير مهاييز .

الأمر الثاني (مركوبهم) . أما أعيان هذه الطائفة من القضاة ونحوهم فيركبون البغال النفيسة المساوية في الأثمان لمُسَوِّمَاتِ الخيول ، بلُجُمٍ ثَقَالٍ وسروج مدهونة غير محلاة بشيء من الفضة ، ويعملون حول السرج قرقيشاً من جوخ . قال في "مسالك الأبصار" : وهو شبيه بثوب السرج مختصر منه ، ويعملون بدل العبي الكلابيش من الصوف المرقوم محاذية لكفل البغلة ، ويمتاز قضاة القضاة بأن يعمل بدل ذلك الزناري من الجوخ ، وهو شبيه بالعباءة مستدير من وراء الكفل ولا يعلوه برديب ولا قوش ، وربما ركبوا بالكلابيش . وأما من دون هؤلاء من هذه الطائفة فربما ركبوا الخيول بالكلابيش والعبي .

الطائفة الثالثة

(مشايخ الصوفية)

وهم مُضَاهُونَ لطائفة العلماء في لبس الدلق إلا أنه يكون غير سابل، ولا طويل الكُمَّ، وَيُرْخُونَ ذَوَابَةَ لطيفة على الأذن اليسرى لا تكاد تلحق الكتف، ويركبن البغال بالكابيش على نحو ما تقدم .

الطائفة الرابعة

(أرباب الوظائف الديوانية)

أما أعيانهم كالوزراء وَمَنْ ضَاهَاهُمْ، فيلبسون الفرجى المضاهية لفرجى العلماء المتقدمة الذكر، وربما لبسوا الحُجَّابَ المفرجة من ورائها . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن أكابرهم كانوا يجعلون في أكمامهم بادهنجات مفتوحة، وقد صار ذلك الآن قاصرا على ما يلبسونه من التشاريف . وَمَنْ دُونَ هؤلاء يلبسون الفرجيات المفرجة من ورائها على ما تقدم .

وأما ركوبهم فيضاهى ركوب الهند أو يقاربه . قال في "مسالك الأبصار" : وتجل هذه الطائفة بمصر أكل مما هم بالشام في زيَّهم وملبوسهم، إلا ما يحكى عن قبْط مصر في بيوتهم من اتساع الأحوال والنفقات، حتَّى إن الواحد منهم يكون في ديوانه بأدنى اللباس ويأكل أدنى المأكَل، ويركب الحمار، حتَّى إذا صار في بيته آتقل من حال إلى حال وخرج من عدم إلى وجود . قال : ولقد تبالغ الناس فيما تحكى من ذلك عنهم .

المقصود الخامس

(في هيئة السلطان في ترتيب الملك ، وله ثلاث هيئات)

الهيئة الأولى

(هيئته في جلوسه بدار العدل تَخْلَاصُ الْمَطَالِمِ)

عادةً هذا السلطان إذا كان بالقلعة في غير شهر رمضان أن يجلس بكرة يوم الاثنين ببايوانه الكبير المسمى بدار العدل المتقدم ذكره مع ذكر القلعة في الكلام على حاضرة الديار المصرية ؛ ويكون جلوسه على الكرسي الذي هو موضوع تحت سرير الملك . قال في "مسالك الأبصار" : ويجلس على يمينه قضاة القضاة من المذاهب الأربعة ، ثم وكيل بيت المال ، ثم الناظر في الحسبة . ويجلس على يساره كاتب السر ، وقدامه ناظر الجيش وجماعة الموقعين تكملة حلقة دائرة . قال : وإن كان الوزير من أرباب الأتقلام ، كان ابنه وبين كاتب السر ، وإن كان من أرباب السيوف ، كان واقفا على بسند مع بقية أرباب الوظائف . وكذلك إن كان ثم نائب وقف مع أرباب الوظائف . ويقف من وراء السلطان عماليك صغار عن يمينه ويساره من السلاح دارية والجدارية والخاصكية ؛ ويجلس على بسند بقدر خمسة عشر ذراعا من يمينه ويساره ذوو السن من أكابر أمراء الميئين ، وهم أمراء المشورة ؛ يليهم من أسفل منهم أكابر الأمراء ، وأرباب الوظائف وقوف ، وباقي الأمراء وقوف من وراء المشورة ؛ ويقف خلف هذه الحلقة المحيطة بالسلطان المحجَّب والدُّوَادارية لإحضار قصص أرباب الضرورات وإحضار المساكين ، وتقرأ عليه القصص فما احتاج فيه إلى مراجعة القضاة راجعهم فيه ، وما كان متعلقا بالمسكرت تحت فيه مع الحاجب وناظر الجيش ، ويأمر في البقية بما يراه .

(١) الصواب سيج كما عبره في الضم . وهي في العدد أيضا سيج كما سراه .

قلت : وقد استقرّ الحال على أن يكون عن يمينه قاضيان من القضاة الأربعة :
 وهما الشافعي والمالكي ، وعن يساره قاضيان وهما الحنفي ثم الحنبلي ؛ وعلى القاضي
 المالكي من الجانب الأيمن قضاة العسكر الثلاثة المتقدم ذكرهم الشافعي ثم الحنفي
 ثم المالكي ؛ ولهم مفتو دار العدل على هذا الترتيب ؛ ولهم وكيل بيت المال
 ثم الناظر في الحسبة بالقاهرة ، وربما جلس المحتسب فوق وكيل بيت المال إذا علا
 قدره عليه يعلم أو رياسة . كل هؤلاء صف واحد عن يمين السلطان مستدبرين
 جدار صدر الإيوان مستقبلين بابه ، والقاضيان الحنفي والحنبلي كذلك من الجانب
 الأيسر ، والوزير إن كان من أرباب الأقلام إلى جانب الكرسي من الجانب الأيسر
 بأخفاف ، وكاتب السرّ يليه ، وتستدير الحلقة حتى يصير الجالس بها مستدبرا باب
 الإيوان على ما تقدمت الإشارة إليه في كلام "مسالك الأبصار" .

الهيئة الثانية

(هيئة في بقية الأيام)

عادته فيما عدا الاثنين والخميس من الأيام أن يخرج من قصوره الجوانية المتقدم
 ذكرها إلى قصره الكبير المشرف على اصطبلاته ، ثم تارة يجلس على تحت الملك الذي
 يصدره ، وتارة يجلس على الأرض ، ويقف الأمراء حوله على ما تقدم في الجلوس
 في الإيوان ، خلا أمراء المشورة والغرباء منه فليس لهم عادة بحضور هذا المجلس
 إلا من دعت الحاجة إلى حضوره ، ثم يقوم في الثالثة من النهار فيدخل إلى قصوره
 الجوانية لمصالح ملكه ، ويعبر عليه خاصته من أرباب الوظائف كالوزير ، وكاتب
 السر ، وناظر الخصاص ، وناظر الجيش في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه .

الهيئة الثالثة

(هيئة في صلاة الجمعة والعيد)

أما صلاة الجمعة فإن عادته أن يخرج إلى الجامع المجاور لقصره المتقدم ذكره من القصر، ومعه خاصة امرأته، فيدخل من أقرب أبواب الجامع للقصر، ويصلي في مقصورة في الجامع عن يمين المحراب خاصة، ويصلي عنده فيها أكابر خاصته، ويحيى بقية الأمراء : خاصتهم وعاقبتهم فيصلون خارج المقصورة عن يمينها ويسارها على مراتبهم ، فإذا فرغ من الصلاة دخل إلى دور حرته وذهب الأمراء كل واحد إلى مكانه .

وأما صلاة العيد ، فعادته أن يركب من باب قصره ويتزل من متقدمة من الإصطبل إلى الميدان الملاصق له ، وقد ضرب له فيه دهليز على أكل ما يكون من الهيئة ، ويحضر خطيب جامع القلعة إلى الميدان فيصلي به العبد ويخطب ، فإذا فرغ من سماع الخطبة ركب وخرج من باب الميدان والأمراء والمسالك يمشون حوله ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، والناشية محمولة أمامه ، والحر وهو المظلة محمول على رأسه مع أحد أكابر الأمراء المتقدمين وهو راكب فرسا إلى جانبه ، والأوشاقيان الخفنة المتقدم ذكرهما راكبان أمامه ، وخلفه الخنائب ، وعلى رأسه العصائب السلطانية ، وأرباب الوظائف من السلاح دارية كلهم خلفه ، والعلبر دارية أمامه مشاة بأيديهم الأطلسار ، ويطلع من باب الإصطبل ويطلع إلى الإيوان الكبير المتقدم ذكره ، ويمتد السباط ويحلق على حامل الحر ، وأمير سلاح ، والأستادار ، والجاشنكير ، وجماعة من أرباب الوظائف ممن لهم خدمة في مهم العبد كتواب أستاذار ، وصغار الجاشنكيرية ، وناظر البيوت ونحوهم .

(١) لم يذكر هذه الجملة في الضوء وعدم ذكرها أولى لأنها سبقت .

الهيئة الرابعة

(هيئة اللعب الكرة بالميدان الأكبر)

عادته أن يركب لذلك بعد وفاء النيل ثلاثة مواكب متوالية في كل سبت ينزل من قصره أول النهار من باب الإصطبل، وهو راكب على الهيئة المذكورة في العيد ماعدا الجتر فإنه لا يحمل على رأسه، وتحمل الفاشية أمامه في أول الطريق وآخره، ويصير إلى الميدان فينزل في قصوره، وينزل الأمراء منازلهم على قدر طبقاتهم، ثم يركب للعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمراء معه، ثم ينزل فيستريح، ويستمر الأمراء في لعب الكرة إلى أذان العصر، فيصلي العصر ويركب على الهيئة التي كان عليها في أول النهار ويطلع إلى قصره .

الهيئة الخامسة

(هيئة في الركوب لكسر الخليج عند وفاء النيل)

واعلم أن السلطان قد يركب لكسر الخليج، ولم تجر العادة بركوبه فيه بمظلة ولا رقية فرس، ولا غاشية، ولا ما في معنى ذلك مما تقدم ذكره في ركوب الميدان والعبدن، بل يقتصر على السناجق، والطبردارية، والجاويشية ونحو ذلك، ويركب من القلعة عند طلوع صاحب المقياس بالوفاء في أي وقت كان، ويتوجه إلى المقياس فيدخله من بابه ويمد هناك ستماطا يأكل منه من معه من الأمراء والمالِك، ثم يذاب زعفران في إناء ويتناوله صاحب المقياس ويتسبح في فسقية المقياس حتى يأتي العمود والإناء الزعفران بيده فيخلق العمود، ثم يعود ويخلق جوانب الفسقية وتكون حرافة السلطان قد زينت بأنواع الزينة، وكذلك حراريق الأمراء، وقد فتح شبك المقياس المثل على النيل من جهة الفسطاط وعلق عليه ستر، فيؤتى بمزاقة

السلطان إلى ذلك الشباك فينزل منه ويسبح وحراريق الأمراء حوله وقد شحن البحر بمراكب المتفرجين ، يسرون خلف الحراريق حتى يدخل إلى فم الخليج ، وحرقة السلطان العظمى المعروفة بالذهبية وحراريق الأمراء يلعب بها في وسط أمتدادها ، ويرمي بمدافع التفت على مقدماتها ، ويسير السلطان في حرافته الصغيرة حتى يأتي السد فيقطع بحضوره ، ويركب وينصرف إلى القلعة .

الهيئة السادسة

(هيئته في أسفاره)

ولم تجر العادة فيها باظهار ماتقدم من الزينة في موكب العبد والميدان ، بل يركب في عدة كبيرة من الأمراء : الأكابر والأصاغر ، والخواص ، والغرباء ، وخواص ماليكه . ولا يركب في السير برقة ولا عصائب ، ولا تنبته جنائب ، ويقصد في الغالب تأخير التزول إلى الليل . فإذا دخل الليل حُملت أمامه فوائس كثيرة ومشاعل ، فإذا قارب مُحيمه ، تُلقي بالشموع المركبة في الشمعدانات المكثفة ، وصاحت الجاوشية بين يديه ، وترجل الناس كافة إلا حملة السلاح والأوشاقية وراءه ، ومشت الطبردارية حوله حتى يدخل الدهليز الأول من مُحيمه فينزل ويدخل إلى الشقة ، وهي خيمة مستديرة متسعة ، ثم منها إلى شقة مختصرة ، ثم إلى لاجوق . وبدائر كل خيمة من جميع جوانبها من داخلها سور حركاه من خشب ، وفي صدر اللاجوق قصر صغير من خشب ينصب للبيت فيه ، وينصب بإزاء الشقة حمامٌ بقدر من رصاص وحوض على هيئة الحمامات بالمدن إلا أنه مختصر . فإذا نام طافت به الممالك دائرة وطاف بالجميع الحرس ، وتدور الزفة حول الدهليز في كل ليلة مرتين : عند نومه وعند استيقاظه من النوم ، ويطوف مع الزفة أمير من أكابر الأمراء وحوله

الفوائس والمشاعل، ويسبت على باب الدهليز أبواب الوظائف من النقباء وغيرهم .
فإذا دخل إلى المدينة، ركب على هيئة ركوبه لصلاة العيد بالمظلة وغيرها ، هذا
ما يتعلق بخاصته .

أما موكبه الذى يسير فيه جمهور ممالكه، فشعاره أن يكون معهم مقدم المالك
والأستادار، وأمامهم الخزائن والجنائب والمجن، ويكون بصحبته فى السفر من كل
ما تدعو الحاجة إليه من الأطباء والكهالين والجراحين وأنواع الأدوية والأشربة
والعقاقير وما يجرى مجرى ذلك، يُصَرَّف ذلك لمن يعرض له مرض بالطريق .

الهيئة السابعة

(النوم)

وقد جرت العادة أنه يبيت عنده خواص ممالكه من الأمراء وأرباب الوظائف
من الجندارية وغيرهم، يَسْهَرُونَ بالنوبة بقسمة بينهم على تناكيم الرمل، كلما أُنْقَضَتْ
نوبة قوم أيقظوا أصحاب النوبة الذين يلوئهم، ويتعاقب كل منهم ما يشاغله عن
النوم فقوم يقرءون فى المصاحف، وقوم يلعبون بالشطرنج والأكل وغير ذلك .^(١)

(١) أى وقوم يتشاغلون بالأكل الخ .

المقصود السادس

(في عاداته في إجراء الأرزاق؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(الجارى المستقر؛ وهو على نوعين)

النوع الأول

(الإقطاعات)

والإقطاعات في هذه المملكة تجرى على الأمراء والجند ، وعامة إقطاعاتهم بلاد وأراض يستغلها مقطاعها ويتصرف فيها كيف شاء ، وربما كانت فيها نقد يتناوله من جهات وهو القليل ، وتختلف باختلاف حال أربابها .

فأما الأمراء بالديار المصرية فقد ذكر في ” مسالك الأبصار “ أن أكبر الأمراء يبلغ إقطاع الواحد منهم مائتي ألف دينار جيشية ، وربما زاد على ذلك . ويتناقص باعتبار انحطاط الرتبة إلى ثمانين ألف دينار وما حولها ، ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء الطبليخاناه ثلاثين ألف دينار فاكتر ، وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار؛ ويبلغ إقطاع الواحد من أمراء العشرات تسعة آلاف دينار إلى ماديون ذلك ، ويبلغ إقطاع الواحد من مقدمي الحلقة إلى ألف وخمسمائة دينار ، وكذلك أعيان جند الحلقة إلى مائتين وخمسين ديناراً .

وأما إقطاعات الشام فلا تقارب هذا المقدار بل تكون بقدر الثلثين في جميع ما انتقم ، خلا أكبر الأمراء المقدمين بالديار المصرية ، فليس بالشام من يبلغ شأوهم إلا نائب الشام فإنه يقاربهم في ذلك . قال في ” مسالك الأبصار “ : وليس للثواب في المسالك مدخل في تأمير أمير عوض أمير بل إذا مات أمير صغير أو كبير طولع به

السلطان فأمر مكانه من أراد ممن في خدمته، ويخرجه إلى مكان الخدمة، وأما من كان في مكان الخدمة أو ينقل إليه من بلد آخر فعلى ما يراه في ذلك .

أما جُند الحلقة، فمن مات منهم استخدم النائب عوضه، وكتب بذلك رُقعة في ديوان جيش تلك المملكة، ويجهز مع بریدی إلى الأبواب السلطانية فيُقابل عليها من ديوان الجيش بالحضرة، ثم إن أمضاها السلطان كتب عليها (يكتب) ويكتب بها مربعة من ديوان الجيش، ويكتب عليها منشور .

ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتب الجارية في كل يوم: من اللحم، والتوابل، والخبز، والعليق، والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشَّمع، وكذلك المالِك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيتهم عند السلطان وقربهم إليه . قال في "مسالك الأبصار": وإذا نشأ لأحد الأمراء ولد، أطلق له دناير وخبر ولحم وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة، ثم منهم من ينقل إلى العشرة أو الطبلخانة على حسب الحفظ والارزاق .

النوع الثاني

(رزق أرباب الأقاليم)

وهو مبلغ يصرف إليهم مُشَاهرة . قال في "مسالك الأبصار": وأكبرهم كالوزير له في الشهر مائتان وخمسون ديناراً جيشية، ومن الرواتب والعلّة ما إذا بسط وثمن كان نظير ذلك، ثم دون ذلك ودون دونه، ولأعيانهم الرواتب الجارية: من اللحم، والخبز، والعليق، والشَّمع، والسُّكَّر، والكسوة ونحو ذلك، إلى غير ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأراضي المؤبدّة، وما يجري مجراها مما يتوارثه الخلف عن السلف مما لا يوجد بمملكة من الممالك، ولا مصر من الأمصار .

الضرب الثاني

(الإتمام وما يجري مجراه : مما يقع في وقت دون وقت؛ وهو على خمسة أنواع)

النوع الأول

(الخلع والتشريف)

قال في "المسالك" : ولصاحب مصر في ذلك البدء الطول حتى بقي بابه سوقاً ينفق فيه كل مجلوب، ويحضّر الناس إليه من كل قطر حتى كاد ذلك ينهك الملكة ويودي بمُحصَلاتها عن آخرها . قال : وغالب هذا مما قرره هذا السلطان ، ولقد أتعب من يميء بعده من كثرة الإحسان ، وهي على ثلاثة أصناف .

الصنف الأول

(تشريف أرباب السيوف)

وهي على طبقات ، أعلاها ما هو مختص بالأمرء المقتسمين من النواب وغيرهم فوقاني أطلس أحمر بطرز زركش ، مفرى بستجاب ، بدائره يحجب من ظاهره مع غشاء قندس ، وتحت قباء أطلس أصفر ، وكلوته زركش بكلايب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بألقاب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون ، ومنطقة ذهب مرّبة على حاشية حرير تشد في وسطه ، ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عمدتها [بواكير ^(١)] وسطاً ومحسين ، مرصعة بالبخش والرّمْد واللؤلؤ ، ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان بيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مُفَخِّمة ، زيد سيقاً محلي بذهب وفضاً مُسرّجاً ملجأ بكتبوش زركش ؛ وربما زيد أكبر النواب كتاب الشام

(١) الزيادة عن ضوء الصبح .

تركية زركش على الفوقاني، وشاش حرير سكندري مموج بالذهب، ويعرف ذلك بالمتبر، وعلى ذلك كان شاش صاحب حماة، ويكون عوض كنبوشه زنارى أطلس أحمر، ودون ذلك من التشاريف أقبية طرد وحش من عمل الإسكندرية ومصر والشام، مجوخ : جاخات مكتوبة بالقاب السلطان، وجاخات صور وحوش أو طيور صغار، وجاخات ملونة مموجة بقصب مذهب، يفصل بين جاخاته نقوش، يركب على القباء طراز زركش، وعليه السنجاب والقدس كما تقدم، وتحته قباء من الطرح السكندري المفرج، وكلوته زركش بكلايب وشاش كما تقدم، وحياصة ذهب تارة تكون بيكارية وتارة لاتكون، وهذه لأصاغر أمراء المئين ومن يلحق بهم، وكذلك أصحاب الوظائف المختصة بذلك كالجوكندار والولاء ومن يجرى مجراهم.

ثم للتشاريف أماكن .

منها إذا ولي أمير أو صاحب منصب وظيفة فإنه يلبس تشريفًا يناسب ولايته التي وليها على حسب ما تقتضيه الرتبة علوا وهبوطا .

ومنها عيد الفطر، يخلع فيه على جميع أرباب الوظائف : من الأمراء وأرباب الأعلام كالاستادار والدوادار وأمير سلاح والوزير وكاتب السر وناظر الخصاص وناظر الجيش ونحوهم، كل منهم بما يناسبه .

قال في "مسالك الأبصار" : ومن عادة السلطان أن يُعَدَّ لكل عيد خلعة على أنها للمبوسه من نسبة خلع أكابر المئين فلم يلبسها، ولكن يختص بها بعض أكابر المئين يخلعها عليه .

ومنها الميادين، يخلع فيها على أكابر الأمراء كل ميدان يختص بأمير أو أكثر يلبس فيه خلعة من المفتح المذهب .

(١) لم يذكر في الأصل الصف الثاني والثالث وهما تشاريف الوزراء والكباب وتشاريف القضاة والعلماء . وقد تكلم عليها في الضوء ، فأنظره .

ومنها دَوْران الحمل في شَوَّال ، يخلع فيه على أرباب الوظائف بالحمل كالقاضي والنَّاظر والمحسب والشاهد والمقدمين والأدلة وناظر الكسوة ومباشرها ومن في معانهم .

النوع الثاني

(الخيول)

قد جرت عادة صاحب مصر أن ينعم على أمرائه بالخيول مرتين في كل سنة : المرة الأولى عند خروجه إلى مرابط خيوله على القُرط في أواخر ربيعها ، فينعم على الأخصاء من أمرائه بما يختاره من الخيول على قدر مراتبهم ، وتكون خيول المقدمين منهم مُسَرَّجَة ملجَمة بكأيش من زركش ، وخيول أمراء الطليخانات عُرياً من غير قُشاش . المرة الثانية عند لَعِيهِ الكُرَّة بالميدان ، وتكون خيول المقدمين والطليخانات مُسَرَّجَة ملجَمة بفضة يسيرة بلا كأيش ؛ وكذلك يرسل إلى نواب الممالك الشامية كل أحد بحسبه ، وليس لأمرء العشرات في ذلك حظ إلا ما يتفقدون به على سبيل الإنعام .

قال المقر الشهابي بن فضل الله : ولخاصة المقترين من الأمراء المقدمين والطليخانات زيادات كثيرة في ذلك بحيث يصل بعضهم إلى مائة فرس في كل سنة ؛ وله أوقات أخرى يفرق فيها الخيل على ممالكه وربما أعطى بعض مقدمي الحلقة ؛ وكل من مات له فرس من ممالكه دفع إليه عوضه ، وربما أنعم بالخيول على ذوى السن من أكابر الأمراء عند الخروج إلى الصيد ونحوه .

ونخيول الأمراء في كل سنة إطلاقات أراض بالأعمال الجيزية لزرع القُرط لخيولهم من غير نَحْرَاج ؛ وللمالك السلطانية البرسيم المزدور على قدر مراتبهم ، وما يدفع

إليهم من القرط يكون بدلا من علق الشعير المرتب لهم في غير زمن الربيع عوضا عن كل عليقة نصف فدان من القرط القائم على أصله في مدة ثلاثة أشهر .

النوع الثالث (الكؤوة والحوائص)

قد جرت عادة السلطان أنه ينعم على مماليكه وخواص أهل المناصب من حملة الأقاليم في كل سنة بكسوة في الشتاء وكسوة في الصيف على قدر مراتبهم ، ومن عاداته أنه إذا ركب للعب الكرة بالميدان فرّق حوائص من ذهب على بعض الأمراء المقسمين ، يفرق في كل وكب ميدان على أميرين بالتوبة حتى يأتي على آخرهم في ثلاث سنين أو أربع بحسب ما تقع توبته في ذلك . قال في " المسالك " : أما أمراء الشام فلا حظ لهم من الإنعام في أكثر من قبأ واحد يلبس في وقت الشتاء إلا من تمرض لقصد السلطان فإنه ينعم عليه بما يقتضيه حاله .

النوع الرابع (الإنعام والأوقاف^(١))

وأكثر الأوقاف لا ضابط لمعطائه إنما يكون بحسب منزلة المنعم عليه عند السلطان وقربه منه . قال في " مسالك الأيصار " : ونخاصة الأمراء المقدمين أنواع من الإنعامات كالعقار والأبنية الضخمة التي ربما أنفق على بعضها فوق مائة ألف دينار ، وكساوى القماش المتنوع ، وفي أسفارهم في وقت خروجهم إلى الصيد وغيره العلوفات والأموال .

(١) في الضوء " والإدارة " .

النوع الخامس

(المأكول والمشروب)

أعظم أسمىطة هذا السلطان تكون بالإيران الكبير أيام الموكب . إذا خرجت القضاة وسائر أرباب الأقلام من الخدمة ، مَدَّ السباط بالإيران الكبير من أوله إلى آخره بأنواع الأطعمة المتنوعة الفاخرة ، ويَجْلِسُ السلطانُ على رأس الخِوَانِ والأمراء يَمْنَةً وَيَسْرَةً على قدر مراتبهم في القرب من السلطان ، فَيَأْكُلُونَ أَكْلاً خفيفاً ثم يقومون ، ويجلس من دونهم طائفة بعد طائفة ، ثم يَرْفَعُ الخِوَانُ . وأما في بقية الأيام فيمَدُّ الخِوَانُ في طَرَفِ النهار لعامة الأمراء خلا البرانيين فإنه لا يحضره منهم إلا القليل النادر .

ففي أول النهار يَمْدُ سباطُ أولُ لا يأكل منه السلطان شيئاً ، ثم سباط ثانٍ بعده قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ، ثم سباط ثالث بعده يسمى الطارئ ، ومنه مأكول السلطان .

وفي آخريات النهار يَمْدُ سباطان الأول والثاني المسمى بالخاص ، ثم إن استُدْعِيَ بطارئ حضر ، وإلا فبحسب ما يؤمر به ، وفي كل هذه الأسمىطة يسقى بعدها المشروب من الأقسام السكرية عقب الأكل . وأما في الليل فيبيت بالقرب من ميينة أطباق من أنواع المأكول المختلفة والمشروب الفاخر ليشاغل أصحاب النوب بالمأكول والمشروب عن النوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولكل ذي إمرة بمصر من خواص السلطان عليه السكر والحلوى في شهر رمضان ، والضحية على مقادير ربهم .

المقصود السابع

(في اختصاص صاحب هذه المملكة بأماكن داخلية في نطاق مملكته ، يتاز بها
على ملوك الأرض من المسلمين وغيرهم)

منها الكعبة المعظمة داخلية في نطاق هذه المملكة ، واختصاصه بكنسها
ودوران الحمل في كل سنة .

أما كسوة الكعبة ، فإنها كانت في الزمن الأول مختصة بالخلفاء ، وكانت خلفاء
بني العباس يجهزونها من بئداد في كل سنة ، ثم صارت إلى ملوك الديار المصرية
يجهزونها في كل سنة ، واستقرت على ذلك إلى الآن . ولا عثرة بما وقع من استبداد
بعض ملوك اليمن في بعض الأعصار بذلك في بعض السنين ، وهذه الكسوة تُنسج
بالقاهرة المحروسة بمشهد الحسين من الحرير الأسود مطرزة بكتابة بيضاء في نفس
النسج ، فيها : (إِنْ أَوَّلَ يَتَّ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي يَكُنَى) الآية . ثم في آخر الدولة
الفاهرية برقوق استقرت الكتابة صفراء مشعرة بالذهب . ولمذه الكسوة ناظر
مستقل بها ، ولها وقف أرض يسوس من ضواحي القاهرة يُصرف منها على
استعمالها .

وأما دوران الحمل ، فقد جرت العادة أنه يدور في السنة مرتين : المرة الأولى
في شهر رجب بعد النصف منه ، يحمل وينادي لأصحاب الحوائت التي في طريق
دورانه بترين حوائتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ، ويكون دورانه في يوم الاثنين أو الخميس
لا يتعداهما ، ويحمل الحمل على رجل وهو في هيئة لطيفة من خركاه وعليه غشاء
من حرير أطلس أصفر ، وباعلاه قبة من فضة مطلية وبييت في ليلة دورانه داخل
باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، ويحمل بعد الصبح على الجمل المذكور

ويسير إلى تحت القلعة، فيركب أمامه الوزير والقضاء الأربعة والمختسب والشهود وناظر الكسوة وغيرهم، ويركب جماعة من الممالك السلطانية الرماحة ملبسين المصفات الحديد المُشَّاة بالحرير الملون، وخبوهم ملبسة البركستونات والوجوه الفولاذ كما في القتال، وبأيديهم الرماح، عليها الشطافات السلطانية فيلمبون تحت القلعة كما في حالة الحرب، ومنهم جماعة صفار بيد كل منهم رمحان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس، وربما كان وقوفه في نعل من خشب على دُباب سفين من كل جهة، وهو يفعل كذلك ويثبتوا من أزيار النفط وغيرها جملة مستكثرة، ويطلق تحت القلعة في خلال ذلك، ثم يذهب إلى القُسطاط فيمتر في وسطه، ثم يعود إلى تحت القلعة ويفعل كما في الأول إلا أنه أقل من ذلك، ثم يحمل من جامع الحاكم ويضع في مكان هناك إلى شوال؛ وفي خلال ذلك كله الطلعات والكورات السلطانية تضرب خلفه، ويخلف فيه على جماعة مستكثرة؛ وكذلك يفعل في نصف شوال إلا أنه يرجع من تحت القلعة إلى باب النصر ويخرج إلى الرِدْائِيَّة للسفر ولا يتوجه إلى القُسطاط.

المقصود الثامن

(في انتهاء الأخبار إليه، وهو على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(أخبار الملوك الواردة عليه مكاتبات منهم)

وقد جرت العادة أنه إذا وصل رسول من ملك من الملوك إلى أطراف مملكته كاتَّب نائب تلك الجهة السلطان عزفه بوفوده، وأسأذنه في إشخاصه إليه، فتبرز المراسيم السلطانية بحضوره فيحضر. فإذا وقع الشعور بحضوره فإن كان مرسله

ذا مكانة عظيمة من الملوك : كأحد القنات من ملوك الشرق ، خرج بعض أكابر
 الأمراء كالنائب وحاجب الحجاب ونحوهما للقائه ، وأُنزل بقصور السلطان بالميدان
 الذى يلعب فيه بالكرة ، وهو أعلى منازل الرسل . وإن كان دور ذلك تلقاه
 المهتمندار وأستاذن عليه الدوادار وأنزله دار الضيافة أو ببعض الأماكن على قدر
 رتبته ، ثم يرتقب يوم موكب فيجلس السلطان بإيوانه ، وتحضر أعيان المملكة الذين
 شأنهم الحضور من أرباب السيوف والأقلام ، ويحضر ذلك الرسول ومحبته
 الكلاب الوارد معه ، فيقبل الأرض ويتناول الدوادار الكلاب منه فيمسحه بوجه
 الرسول ، ثم يدفعه إلى السلطان فيفضّه ويدفعه إلى كاتب السر فيقرؤه على السلطان
 ويأمر فيه أمره .

النوع الثانى

(الأخبار التى تردّ عليه من جهة توابه)

عادة هذا السلطان أن يطالعه توابه فى مملكته بكل ما يتجدد عندهم من مهمات
 الأمور أو ما قاربها ، وتؤخذ أوامره وتعود أجوبته عليهم من ديوان الإنشاء بما
 يراه فى ذلك ، أو ينتسبهم هو بما يقتضيه رأيه ، وينفذ على البرد أو أجنحة الحما
 الرسائل على ما يأتى ذكره فى المقالة الثالثة من الكلاب إن شاء الله تعالى .

وقد جرت العادة أنه إذا ورد برّيد من بلد من بلاد المملكة أو عاد المجهز من
 الأبواب الشريفة بجواب ، أحضره أمير جاندار والدوادار وكاتب السرى يدى
 السلطان فيقبل الأرض ، ثم يأخذ الدوادار الكلاب فيمسحه بوجه البريدى ، ثم
 يتناوله السلطان فيفضّه ويجلس كاتب السر فيقرؤه عليه ويأمر فيه بأمره .

وأما بطائق الحمام ، فإنه إذا وقع طائر من الحمام الراسي - ببطاقة أخذها البراج وأتى بها الدوادر ، فيقطع الدوادر البطاقة عن الحمام بيده ، ثم يحملها إلى السلطان ويحضر كاتب السر فيقرأها كما تقدم .

النوع الثالث

(أخبار حاضرتة)

جرت العادة أن وإلى الشرطة يستعلم متجددات ولاياته من قتل أو حريق كبير أو نحو ذلك في كل يوم من توابه ، ثم تكتب مطالعة جامعةً بذلك وتجعل إلى السلطان صبيحة كل يوم فيقف عليها . قال في "مسالك الأبصار" : وأما ما يقع للناس في أحوال أنفسهم فلا .

المقصود التاسع

(في هيئة الأمراء بالديار المصرية وترتيب إمرتهم)

وأعلم أن كل أمير من أمراء المئين أو الطبلخانات سلطان مختصر في غالب أحواله ، ولكل منهم بيوت خدّمة كبيوت خدّمة السلطان من الطشت خاناه ، والفرّاش خاناه ، والركاب خاناه ، والزرّد خاناه ، والمطبخ ، والطبلخاناه ، خلا الحوائج خاناه فإنها مختصة بالسلطان ، ولكل واحد من هذه البيوت مهتار متسلم حاصله ، وتحت يده رجال وغلمان لكل منهم وظيفة تخصه ، وكذلك لكل منهم الحواصل من اصطبلات الخيول ومناخات الجمال وشون الغلال ، وله من أجناده أستاذدار ، ورأس نوبة ، ودوادر ، وأمير مجلس ، وجمدارية ، وأمير اخور ، وأستاذار محبة ، ومشرف . وتوصف البيوت في دواوين الأمراء بالكريّة ، فيقال البيوت الكريّة كما يقال في بيوت السلطان البيوت الشريفة ، وكذلك كل فرد منها فيقال : الطشت خاناه الكريّة والفرّاش خاناه

الكرمية ، وكذا في الباقي ؛ ويوصف الإصطبل بالسعيد فيقال : الإصطبل السعيد ، وكذلك المناسخ ؛ وتوصف الشئون بالمعمورة فيقال : للشئونة المعمورة . قال في "مسالك الأبصار" : ومن رسم الأمراء أن يركب الأمير منهم حيث ركب وخلفه جنيب مخرج ملجم ، وربما ركب الأمير من أكابرهم بجنيين سواء في ذلك الحاضرة والبصرة . قال : ويكون لكل منهم طلب مشتمل على أكثر ممالكه ، وقدامهم خزانة محمولة للطلبخانة على جمل واحد ، يحميها راكب على جمل آخر ، والألف على جملين وربما زاد بعضهم على ذلك . وأمام الخزانة عتلة جنائب تميز على أيدي ممالك ركاب خيل وجن ، وركابة من العرب على هجن ، وأمامهم الهجن بأكوارها مجنوبة ، للطلبخانة قطار واحد وهو أربعة ، ومركوب الهجان والألف قطاران وربما زاد بعضهم . قال : وعدد الجنائب في كثيرها وقتلها إلى رأى الأمير وسعة نفسه ، والجنائب المذكورة منها ماهو مخرج ملجم ، ومنها ماهو بعباءة لاغير . انتهى كلامه .

ومن عادتهم أيضا أن الأمير إذا ركب يكون أكابر أجناده من أرباب الوظائف : كرأس توبة والدوادار ، وأمير مجلس ، ومشاة الخدمة أمامه ، وكل من كان منهم أكبر كان إليه أقرب ، وتكون الجندارية من ممالكه الصغار خلفه وأمير اخوره خلف الجميع ، ومعه الجنائب والأوشاقية على قاعدة السلطان في ذلك .

ومن عادة أكابر مجالس بيوتهم أنه ينصب للأمير بشتميخ خلف ظهره من الجلوخ الأحمر المزهر بالجلوخ الملون ، ينك ذلك الأمير وطراز ذيه ألقابه ، ويجلس على مقعد مسند ظهره إلى البشتميخ ، وربما جلس أكابرهم على مدورة من جلد ورجلاه على الأرض ، وتكون الناس في مجلسه في القرب إليه على حسب مراتبهم .

ومن عادة كل أمير من كبير أو صغير أن يكون له دنك يخصه ما بين هتاب أو دواة أو بقجة أو فرنسية ونحو ذلك ، بشطفة واحدة أو شطفتين ، بألوان مختلفة ، كل

أمير بحسب ما يختاره ويؤثره من ذلك، ويعمل ذلك دهانا على أبواب بيوتهم والأماكن المنسوبة إليهم كطابخ السكر، وشون الفلال، والأملاك والمراكب وغير ذلك، وعلى قماش خيولهم من جوخ ملون مقصوص، ثم على قماش جمالهم من خيوط صوف ملونة تنقش على العبي والبلاسات ونحوها، وربما جعلت على السيوف والأقواس والبركصطوانات الخيل وغيرها.

ومن عوائد أمراء العسكر بالحضرة السلطانية أنهم يركبون في يومى الاثنين والخميس في الموكب منضمين على نائب السلطنة الكافل إن كان، وإلا فعلى حاجب الجباب، ويسرون تحت القلعة مرات، ثم يقفون بسوق الخيل وتعرض عليهم خيول المتأداة، وربما تودى على كثير من آلات الخيل والخيل والجرار والاسلحة. قال فى "مسالك الأبحار": وقد ينادى على كثير من العقارات، ثم يطلعون إلى الخدمة السلطانية على ما تقدم.

ومن قاعدة هذه المملكة أن أجناد الأمراء كافة تعرض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أمتاؤهم مفصلة فيه، وكانوا فيما تقدم يحملون بالديوان. أما الآن، فقد ترك ما هنالك وأكثف بأوراق تكتب من دواوين الأمراء بأسماء أجناده وتخلد بديوان الجيوش. ثم كلما مات واحد منهم أو فصل من الخدمة، عرض بديوان الجيش واحد مكانه يعبر فيه عرض من ديوان ذلك الأمير.

وبن تادتهم أن من مات من الأمراء والجنود قبل استكمال سنة خدمته حوسب فى مستحق إقطاعه على مقدار مدته، وكتب له بذلك محاسبة من ديوان الجيوش، ويكون ما يتحصل من المثل شركة بين المستقر وبين الميت أو المتفصل على حسب استحقاق القراريط، كل شهر من السنة بتراطين.

ومن عادة الأمراء أنه إذا مر السلطان في متصيدهاته بإقطاع أمير كبير، قدم له من الإوز والدجاج وقصب السكر والشعير ما تسمو إليه همة مثله فيقبله منه ، ثم ينعم عليه بخلة كاملة يلبسها، وربما أمر لبعضهم بشيء من المال فيقبضه .

المقصود العاشر

(في ولاة الأمور من أرباب السيوف بأعمال الديار المصرية ،

وهم على أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(الثواب ، والمستقر بها ثلاث نيايات)

الأولى - نيابة الإسكندرية : وهي نيابة جلييلة ، نائباها من الأمراء المتقدمين يضيأها في الرتبة نيابة طرابلس وما في معناها أو يقاربها ، وبها حاجب أمير عشرة ، وحاجب جندى ، ووال للدينة ، وأجناد حلقية عنتهم مائتا نفر ، يعبر عنهم بأجناد الماسين ، وبها قاضى قضاء مالكي ، وقاض حنفى مستحدث ، وربما كان بها قاض شافى ، والمالكي أكبر الكل بها ، وهو المتحدث في أموال الأيتام والأوقاف . على أنه ربما ولي قضاء قضائها في الزمن الماضى شافى ، وبها موقع يعبر عنه في البلد بكتاب السر ، وناظر متحدث في الأموال الديوانية ، ومعه مستوف ، وتحت يده كتاب وشهود ، وبها محتسب ، وليس بها قضاة عسكر ولا مفتو دار ندل ؛ ووكيل بيت المال بها نائب عن نائب بيت المال بالقاهرة ، وتركز بها أمراء المتقدمين والطلبغات في غير الزمن الذى يتمتع سير المراكب الحربية في البحر بشدة الريح منها ، ووال للتركيز يسمى الحاجب . وقد مر القول على معاملتها ، وذكر أحوالها في الكلام على قواعد الديار المصرية المستقرة فأغنى عن إعادته هنا .

وهذه النيابة مع جلالة قدرها ورُقمة محلها ليس لما عمل يحكم فيه نائبها ولا قاضيا
ومعتسبا، بل حكمهم قاصر على المدينة وظواهرها لا يتعدى ذلك، بخلاف غيرها من
سائر نيابات المملكة؛ وبها كرسى سلطنة بدار النيابة؛ وعادة الخدمة السلطانية بها
في أيام الموكب أن يركب نائب السلطنة من دار النيابة وفي خدمته مماليكه وأجناد
المائتين المتقدم ذكرهم، ويخرج من دار النيابة عند طلوع الشمس، ويسير
في موكة والشَّابَّة السلطانية بين يديه حتى يخرج من باب البحر، ويخرج الأمراء
المركَّون على حديثهم أيضا، ويحتمعون في الموكب ويسيرون خارج باب البحر
ساعة ثم يعودون، ويتوجه النائب إلى دار النيابة في مماليكه وأجناد المائتين، وقد
فارقه الأمراء المركَّون وتوجه كلُّ منهم إلى منزله. فإذا صار إلى دار النيابة: فإن
كان في ذلك الموكب سَمَاطٌ، وضع الكرسي في صدر الإيوان مغشى بالأطلس الأصفر
ووضع عليه سيف نجاة سلطانية ومُد السَماط تحته وأكل ممالك النائب وأجناد
المائتين وجلس النائب يجنبه من الإيوان والشباك مُطَّل على مينا البلد. ويمس
القاضي المالكي عن يمينه، والقاضي الحنفى عن يساره، والناظر تحته، والموقع بين
يديه، ورؤوس البلد على قدر منازلهم، وترفع القصص فيقرؤها الموقع على النائب
فيفصلها بحضرة القضاة ثم ينصرف الموكب.

قلت: وهذه النيابة مستحدثة، وكان آتداء ترتيبها في سنة سبع وستين وسبعائة
في الدولة الأشرفية شعبان بن حسين حين طرَقها الفرنج وقتلوا أهلها وقتلوا ونهبوا
وأُسروا، وكانت قبل ذلك ولاية تصد في جملة الولايات الطلخاناه، وكان لواليها
الرتبة الجليلية والمكانة العلية.

الثانية - نيابة الوجه البحرى. وهى مما استُحدثت في الدولة الظاهرية بقوق،
ونائبها من الأمراء المتقدمين، وهو في رتبة مقدم العسكرية الآتى ذكره في الممالك

الشامية، ومقرّ نيابتها مدينة دَمَنُورَ بالبحيرة، وحكه على جميع بلاد الوجه البحرى المتقدّم ذكرها فى الكلام على أعمال الديار المصرية المستنقزة خلا الإسكندرية، وليست على قاعدة النيابات فى ركوب المواكب وما فى معناها، بل نائبا فى الحقيقة كاشفٌ كبير، وليس فيها من رسوم النيابة سوى لیس التشريف وكتابة التقليد والمكاتب بما يكتب به مثل نائبا من النواب، وقد كان القائم بها فى الزمن الأول قبل استقرارها نيابةً يعبر عنه بوالى الولاية .

الثالثة - نيابة الوجه القبلى . وهى مما استحدثت فى الدولة الظاهرية برقوق أيضا، وكان مقرّ نائبا مدينة أسيوط، وحكه على جميع بلاد الوجه القبلى، وهى فى الترتيب والرتبة على ما تقدمت من نيابة الوجه البحرى، غير أنها أعظم خطرا فى النفوس وكان القائم بها قبل ذلك يسمى والى الولاية كما تقدمت فى الوجه البحرى .

الطبقة الثانية

(الكشاف)

قد تقدم أنه قبل استحداث النيابة بالوجهين القبلى والبحرى كان بهما كاشفان يعبر عن كل منهما بوالى الولاية، ولما استقرّ نيابتين جعل للوجه البحرى كاشفٌ من أمراء الطلبة خاضا على العادة المتقدمة، وهو فى الحقيقة تحت أمر نائب الوجه البحرى، ومقرّته مئبة غمر من الشرقية، وجعل كاشف آخر للبهنساوية والقيوم، وعُطل القيوم من الولى، وباقى الوجه القبلى أمره راجع إلى نائبه، وللمجزية كاشفٌ يتحدّث فى جسورها وسائر متعلقاتها، ولا تتعدى أمره إلى غيرها من النواحى .

الطبقة الثالثة

(الولة بالوجهين القليل والبحرى)

وقد تقدم ذكر أعمالها؛ ومراتب الولة بهما لا تخرج عن مرتبتين :
المرتبة الأولى - الولة من أمراء الطبلخاناه، وهى سبع ولايات بالوجهين القليل والبحرى على ما استقر عليه الحال .

فأما الوجه القليل فيه أربع ولايات من هذه الرتبة: وهى ولاية البنسى، وولاية الأشمونين، وولاية قوص، وهى أعظمها حتى إن واليا كان يركب بالشبابه أسوة النواب بالملك، وولاية أسوان: وهى مستعدة فى الدولة الظاهرية برقوق، وكانت قبل ذلك مضافة إلى والى قوص يجعل فيها نائباً من تحت يده، وكانت ولاية القيوم طبلخاناه، ثم استقرت كشفا على ما تقدم .

أما أسبوط، فلم يكن بها والى لكونها مقر نائب الوجه القليل ومقر والى الولة من قبله، وسباقى ما كان ولاية طبلخاناه من الوجه القليل ثم قل .

وأما الوجه البحرى فيه أربع ولايات من هذه الرتبة، وهى ولاية الشرقية، ومقر واليا بليس، وولاية المنوفية ومقر واليا مدينة منوف، وولاية الغربية، ومقر واليا المحلة الكبرى، وهى تضاهى ولاية قوص من الوجه القليل إلا أن واليا لم يركب بالشبابه قط، وولاية البحيرة، ومقر واليا مدينة دمنهور، وربما عطلت ولايتها لكونها مقره النائب، وقد تقدم أن ولاية النائب قبل أن تستقر نيابة كانت ولاية طبلخاناه.

المرتبة الثانية - من الولة أمراء العشرات . وهى سبع ولايات بالوجهين :

فأما القليل فيه من هذه الرتبة ثلاث ولايات : ولاية الجيزة، وكانت قبل ذلك طبلخاناه، وولاية إطفح ولم تزل عشرة، وولاية مقلوط ولايتها عشرون، وكانت

قبل ذلك ولاية طبلخاناه، وقد كان بَيْدَاب في الأيام الناصرية ابن قلاوون وما بعدها
وال أمير عشرة يوثى من قِبَل السلطان ويراجع والى قُوص في الأمور المهمة .
وأما الوجه البحرى ، ففيه أربع ولايات من هذه الرتبة، ولاية منوف، وولاية
أشْمُومَ، وولاية دِمَياط، وولاية قَطَا، وكانت قبل ذلك طبلخاناه .

الطبقة الرابعة

(أمراء العُربان بنواحي الديار المصرية)

قد تقدم في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى ذكر أصول أنساب
العرب، وأنقسامهم إلى قَحْطَانِيَّة وهم المَارِيَّة، وإلى عَدْنَانِيَّة وهم المستعربة، وبيان
رجوع كل بطن من بطون العرب الموجودين الآن بالديار المصرية وغيرها إلى قبيلتهم
التي إليها ينتسبون، وبيان من بوجهى الديار المصرية القبيل - والبحرى - من القبائل،
وأخذ كل قبيلة المتشعبة منها . والمقصود هنا بيان أمراء العُربان بالوجهين
المذكورين في القديم والحديث .

فأما الوجه القبلى، فقد ذكر الحمدانى أن الإمرة كانت بالوجه القبلى - في ثلاثة أعمال :
العمل الأول - عمل قُوص، وكانت الإمرة به في بيتين من بِلَى من قُصَاعَةَ بن
حَمِيد بن سَبِيٍّ من القَحْطَانِيَّة .

الأول - بنو شاذي المعروفون ببني شاذى . وكانت منازلهم بالقصر الخراب المعروف
بقصر بنى شاذى بالأعمال القُوصِيَّة ، وتقدم هناك أنه قيل إنهم من بنى أُمَيَّة بن
عبد شمس من قُرَيْش .

الثان - العجالة . وهم بنو الجَيْل بن الذئب منهم أيضا، وكانوا معهم هناك .

العمل الثاني - عمل الأثمنين . وكانت الإمرة به في بني ثعلب من السلاطنة ، وهم أولاد أبي جحيش من الحيادة من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، من عقب الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وكانت منازلهم بدروت سربام ، وغلب عليها الشريف حصن الدين بن ثعلب فعرفت بدروت الشريف من يومئذ ، وأستولوا عليها وعلى بلاد الصعيد . وقد تقدم أنه كان في آخر الدولة الأيوبية . فلما ولي المعز أيك التركماني : أول ملوك الترك بالديار المصرية السلطنة ، أئف من سلطته وسمت نفسه إلى السلطنة فجهاز إليه المعز جيوشا ، بغرت بينهم حروب لم يظفروا به فيها ، وبقي على ذلك إلى أن كانت دولة الظاهر بيبرس ، فنصب له جبال الحبل وصاده بها وشقه بالإسكندرية .

العمل الثالث - البهنسي ، وكانت الإمرة فيه في يتين .

الأول - أولاد زطازع . (يضم الزاي) من بني جديدي من بني بلار من لوانة ^(٢) من البربر أو من قيس عيلان على الخلاف السابق عند ذكر نسبهم في المقالة الأولى . قال الحمداني : وهم أشهر من في الصعيد .

الثاني - أولاد قریش . قال الحمداني : وهم أمراء بني زيد ، ومساكنهم نورة دلاص .

قال : وكان قریش هذا عبدا صالحا كثير الصدقة ، ومن أولاده سعد الملك المشهور بنوه هناك .

وذكر المقر الشهابي بن فضل الله في " التعريف " : أن الإمرة بالوجه القبلي في زمانه (وهو سلطنة الناصر محمد بن قلاوون وما وليها) كانت لناصر الدين عمر بن فضل ، ولم يذكر مقرته ولا من أي العرب هو ، وذكر أيضا أن الإمرة في افوق

(١) تقدم لنا في الجزء الأول (ص ٣٦٥) ضبطها بالفتح والصواب ما هنا .

(٢) ضبطها المؤلف فما تقدم بالهاء المثلثة ولكن المجد ذكرها في باب التاء المثناة .

أسوان كانت في عرب يقال لهم الحِدَارِيَّة في سَمِيَّة بن مالك . قال : وهو ذو عَدَد جَمٍّ وشوكة مُنَكَّة ، يَفْزُو الحَبَشَةَ وأُمَمَ السُّودَان ويَأْتِي بالنَّهَابِ والسَّبَايا ، وله أثر محمودٌ وَفَضْلٌ مَأثورٌ ، وقد على السلطان فأكرمتهوا ، وعقد له لواءً وَشُرَّفَ بالتَّشْرِيف ، وَقُلِّدَ ، وَكُتِبَ إلى ولاية الوجه القبليّ عن آخرهم وسائر العربان بمساعدته ومعاضدته والركوب للغزو معه متى أراد ، وكتب له منشور بما يفتح من البلاد ، وتقليدٌ بِإِمْرَةِ عربان القبلة مما على قُوصَ إلى حيث تصلُ غايته ، وتُرَكُّزُ رايته .

قلت : أما في زماننا فذ وَجَّهَتْ عربُ هَوَارة وجوهها من عمل البحيرة إلى الوجه القبليّ ونزلت به آنتشرت في أرجائه آنتشار الجراد ، وبسطت يدها من الأعمال البهنساوية إلى متناه حيث أسوان وما والاها ، وأذعنت لهم سائر العربان بالوجه القبليّ قاطبةً ، وأحازوا إليهم وصاروا طَوَّعَ قِيادهم .
والإمرة الآن فيهم في بيتين .

الأول - بنو عمر : محمد وإخوته . ومنازلهم يَجْرُبا وَمُنْشَأةً لِنَحِيمٍ ، وأمرهم نافذ إلى أسوان من القبلة وإلى آخر بلاد الأَشْشُمُونِيَّين من بحرى .
الثانى - أولاد غَرِيب . وبيدهم بلاد البهنسى ، ومنازلهم دَهْرُوط وما حولها .



وأما الوجه البحرى ، فقد ذكر الحمداني أن الإمرة فيهم في خمسة أعمال .
العمل الاول - الشرقية . قال : والإمرة فيها في قبيلتين .
الأول - ثعلبة ، وذكر أن الإمرة كانت فيهم في شُقَيْر بن جريحى من المَصَافِخَةِ من بنى زُرَيْقٍ ، وفي عمر بن نَفِيلَةَ من العَلِيمِيَّين .
الثانية - جُدَام : وقد ذَكَرَ أن الإمرة كانت فيهم في خمسة بيوت .
الأول - بيت أبى رُشد بن حبشى ، بن تَجم ، بن إبراهيم من العُقَيْلِيَّين : بنى عُقَيْل

ابن قُوة، بن مَوْهوب، بن عَيْد، بن مالك، بن سُويد، من بني زيد بن حَرَام، ابن جُدَام، أُمَرُ بِالْبُقِ وَالْعَلَمِ .

الثاني - طَرِيف بن مَكْنُون^(١)، من بني الوليد، بن سُويد المقدم ذكره؛ وإلى طَرِيف هذا يُنسَب بنو طَرِيف من بلاد الشرقية . قال الحمداني : وكان من أكرم العرب، كان في مَضِيَّتِهِ أَيَّامَ الْفَلَاءِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا تَأْكُلُ عَنْده، وكان يَشْتَمُ التَّريْدَ في المراكب . قال : ومن بَنِيهِ فَضْلُ بن سَمْعٍ بن كُثُونة، وإبراهيم بن عَالِي، أُمَرُ كُلِّ مِنْهُمَا بِالْبُقِ وَالْعَلَمِ .

الثالث - بيت أولاد منازل من ولد الوليد المذكور، كان منهم مَعْبِد بن مُبَارَك، أُمَرُ بِالْبُقِ وَالْعَلَمِ .

الرابع - بيت نَمِي بن خَنَمٍ من بني مالك، بن هَلْبَا بن سويد، أُنْقَطَعَ خَنَمُ ابن نَمِي المذكور وأُمَرُ، وأَقْنَى عِدَّةً مِنَ الْمَسَالِكِ الْأَتْرَاكِ وَالرُّومِ وَغَيْرِهِمْ، وبلغ من الملك الصالح أَيُّوبَ مَنَزَلَةً، ثُمَّ حَصَلَ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمُعْزِ أَيْبُكُ التُّرْكُمَانِي عَلَى الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَقَفَّعَهُ عَلَى عَرَبِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ غِلْمَانُهُ، بِفِعْلِ الْمُعْزِ أَيْبُكُ : سَلِمَى وَدَغَشَ عَوْضَهُ، فَكَانَا لَهُ نَعَمٌ الْخَلْفُ، ثُمَّ قَدِمَ دَغَشُ دِمَشْقَ فَأَمَرَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ صَاحِبُ دِمَشْقَ يَوْمئِذٍ مِنْ بَنِي أَيُّوبَ بِبُقِ وَعَلَمَ، وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَيْبُكُ أَخَاهُ سَلِمَى كَذَلِكَ .

الخامس - بيت مُفَرِّج بن سالم بن راضِي من هَلْبَا بَعَجَةَ، ابن زيد، بن سُويد، ابن بَعَجَةَ، من بني زيد بن حَرَام بن جُدَام، أَمَرَهُ الْمُعْزُ أَيْبُكُ التُّرْكُمَانِي بِالْبُقِ وَالْعَلَمِ . وذلك أَنَّهُ حِينَ أَرَادَ الْمُعْزُ تَأْمِيرَ سَلِمَى بن خَنَمِ الْمُقَدَّمِ ذَكَرَهُ أَمْتَنَعَ أَنْ يُؤْمَرَ حَتَّى يُؤْمَرَ مُفَرِّجُ بن غَانِمِ فَأَمَرَ^(٢) .

(١) تقدم في الجزء الأول (ص ٢٢٢) ابن يكتوت . (٢) لعله سالم .

العمل الثاني - المنوفية . والإمارة فيها لأولاد نصير الدين من لواتة ، ولكن إصرتهم في معنى مشيخة العرب .

العمل الثالث - الغربية . والإمارة فيه في أولاد يوسف من الخزانة من سينس من طي من كهلان من الصحطانية ، ومقرتهم مدينة سخا من الغربية .

العمل الرابع - البحيرة . وقد ذكر في " التعريف " : أن الإمارة في الدولة الناصرية ابن فلاوون كانت لخالد بن أبي سليمان وفائد بن مقدم . قال في " مسالك الأبصار " : وكانا أميرين سيدين جليلين ذوي كرم وإفضال وشجاعة وتبأت رأى وإقدام .

العمل الخامس - برقة . قال في " التعريف " : ولم يبق من أمراء العرب برقة يعني في زمانه إلا جعفر بن عمر ، وكان لا يزال بين طاعة وعصيان ، وغاشنة وليان ، والجيوش في كل وقت تمد إليه ، وقُلَّ أن تظفر منه بطائل أو رجعت منه بمغم ، وإن أصابته نوبة من الدهر . قال : وآخر أمره أن ركب طريق الواح حتى خرج من القيوم وطرق باب السلطان لاثنا بالمغو ، ووصل ولم يسبق به خبر ، ولم يعلم السلطان به حتى استأذن المستأذن له عليه وهو في جملة الوقوف بالباب ، فأكرمهم الكرامة وشرف بأجل التشاريف ، وأقام مدة في قرى الإحسان وإحسان القرى وأهله لا يملكون ماجرى ، ولا يعلمون أين يتم ولا أي جهة تحا ، حتى انتهت وافدات البشائر وجاءت منه . فقال له السلطان : لم لا أعامت أهلك بقصدك إلينا ؟ قال : خفت أن يقولوا : يفتك بك السلطان فأتبط ، فاستحسن قوله ، وأفاض عليه طوله ، ثم أعيد إلى أهله ، فأقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء ولا رنى له صاحب ولا شمت به علو .

قلت : والإمرة اليوم في بَرَقَة في عمر بن عريف ؛ وهو رجل دين وكان أبوه [عريف ذا دين متين رأيته ^(١) في الإسكندرية بعد الثمانين والسبعائة ، واجتمعتُ به فوجدت آثار الخير ظاهرة عليه .

الفصل الثاني

من المقالة الثانية

(في المملكة الشامية ، وما يتصل بها : من بلاد الأرمن والروم وبلاد الجزيرة بين القُرَات والدَّجَلَة مما هو مضاف إلى هذه المملكة ؛ وفيه أربعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضل الشام وخواتمه ومعجائبه ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في فضل الشام)

أعظم شاهد لذلك ما أخرجه الترمذی من حديث زَيْد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال : ” كُنَّا يَوْمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوَلِّفُ الْقُرَّاءَ مِنَ الرِّقَاعِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : طُوبَى لِأَهْلِ الشَّامِ . فَقُلْتُ : لِمَ ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ بِأَسْطَلُ أَجْنَحَتِهَا عَلَيْهِ “ . هَذَا وَقَدْ بُعِثَ بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَفِي ضَرَائِحِهِمُ الشَّرِيفَةِ ، وَالْمَسْجِدُ الْأَقْصَى الَّذِي هُوَ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي تُسَدُّ إِلَيْهَا الرِّحَالُ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْقِبْلَتَيْنِ ؛ وَبِهِ يَتَرَلَّى الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَنَارَةِ جَامِعِ دِمَشْقَ ؛ وَبِهِ يَقْتُلُ الدَّجَالُ بِمَدِينَةِ لُدٍّ . وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” إِنْ اللَّهُ بَارَكَ فِيمَا بَيْنَ الْعَرِيشِ إِلَى الْقُرَّاتِ وَخَصَّ فَلَسْطِينَ بِالْقُدَيْسِ “ .

(١) ترك له في الأصل بياناً وأخذناه عن الضوء للؤلؤ .

المقصود الثاني

(في خواصه وعجائبه)

أما خواصه فإن به الأماكن التي تعظمها الأمم على اختلاف عقائدهم كالصخرة التي هي قبلة اليهود، والقائمة التي يحجها النصارى من سائر أقطار الأرض، وطور بابلس الذي تحججه السامرة؛ وبمدينة صور كنيسة تعتقد طائفة من النصارى أنه لا يصح تملك ملوكهم إلا منها، على ماسياني ذكره في الكلام على أعمال صفد إن شاء الله تعالى، وغير ذلك مما تتقاده به الأمم إلى صاحب هذه المملكة وتُدعِجُ لمسلته .
وأما عجائبه فكثيرة .

منها - (حمة طبرية) المشهورة : وهي عين تبسُّع ماء شديد الحرارة يكاد يسلق البيضه، يقصدها المترددون للاستشفاء بالغتسل فيها . قال ابن الأثير في "عجائب المخلوقات" : " وليس فيها حمام يوقد فيه النار إلا الحمام الصغير .

ومنها - (قبة العقارب) بمدينة حصص . وهي قبة بالقرب من مسجد جامع ، إذا أخذ شيء من تراب حصص وجبل بالماء وألصق بداخل تلك القبة وترك حتى يجف ويسقط بنفسه من غير أن يلقيها أحد ثم أخذت ووضع منها شيء في بيت لم يدخله عقرب ، أو في قماش لم يقربه ، وإن دثر على عقرب منه شيء أخذها مثل السكر فرما زاد عليها فقتلها ، بل قيل إن ذلك لا يختص بالقبة بل عاتمة أرض البلد كذلك حتى لا يدخلها عقرب إلا مات ، بل لا يقرب ثيابا ولا أمتعة عليها غبارها ، وإلى ذلك أشار القاضي الفاضل في البشري بفتحها بقوله : " ودبت إليها عقارب الجانيق لخالفات عادة حصص في العقارب ، ورُميت الحجارة بالحجارة فوقعت العداوة المعروفة بين الأفاعيل " .

ومنها - (عَيْنُ قَوَارٍ) داخل البحر المائج على القُرب من ساحل مدينة طرابلس على قدر مِية حجر عن البر، تأتي ماءً عذبا يطفو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر يتبين عند سكون الريح .

ومنها - (وادي القوار) وهو وادٍ بالقرب من حصن الأكراد من عمل طرابلس غربا عنه شمال على الطريق السالكة . قال في "مسالك الأبصار" : وهي صفة بر قائمة في الأرض، وفي سفلى الأرض سردابٌ ممتد إلى الشمال يهوى في كل أسبوع يوما واحدا لاغير، تستقي به أرض ومزروعات، ويترى عليه التركبان ويردونه؛ ويُسمع له قبل قورانه دوي كالرعد، وهو في بقية الأيام يابس لا ماء فيه . قال : وذكر لي من دخل السرداب أن في نهايته نهرا كبيرا آخذا من القرب إلى الشرق تحت الأرض؛ له جريان قوي، وبه موج وريح عاصف، لا يعرف إلى أين يجري ولا من أي جهة يأتي .

ومنها - (حمام القُدُموس) من قلاع الدعوة من عمل طرابلس يخرج منها أنواع كثيرة من الحيات تظهر من أنابيب مائها وتدخل في ثياب داخلها ، ولم يشتهر أنها أضرت أحدا قط على تمر الدهور وتطاول الأزمنة، حكاه في "مسالك الأبصار". ومنها - (صدع) في سور الخواوي من قلاع الدعوة من عمل طرابلس أيضا. إذا لدغ أحد بحية فأتى إلى ذلك الموضع فشاهده بعينه أو أرسل رسوله فشاهده، سلم من تلك اللدغة، ولم يضره السم . إلى غير ذلك من المعجائب الظاهرة والمندرة بمرور الزمان عليها .

قال ابن الأثير: وبقري حلب قرية تسمى برقي، يقال إن بها معبدا يقصده أصحاب الأمراض ويقتون به، فلما أن يرى المريض في منامه من يقول له استعمل كذا وكذا

فيراً، أو يمسح عليه بيده فيراً . قال في تاريخه: وبقرية مبرون من قرى صَفَد مَقَارَة يظهر فيها الماء في يوم من السنة تجتمع إليه اليهود في ذلك اليوم، ويحلبون منه الماء إلى البلاد البعيدة؛ وبوادي دلسه من عملها عين تعرف بعين الجن تغور لحظة كالنهر ثم تغور حتى لا يبقى فيها ماء، ثم تغور كذلك ليلاً ونهاراً؛ وبقرية بكوزا من قرى صَفَد عِنَبٌ داخل العِنَبَةِ عِنَبَةٌ أُخْرَى؛ وبقرية عد شيب من قراها بَلُوطٌ يؤخذ الواحد منه من الشجرة فيوجد حوضها حجر؛ وبقرية عياض تراب الخير إذا عمل منه كَوْزٌ وَسُقِي فِيهِ الكسير من آدمى أو غيره، جُرَّ عَظْمُهُ؛ وبالناصره من أعمالها كنيسة بها عمود إذا اجتمع عنده جماعة وعملوا سماعاً عَرِقَ العمود حتى يظهر عَرَقُهُ .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في حدوده، وأبْتَدَاءُ عمارته، وتسميته شاماً؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في حدوده)

وقد اختلف في تحديده، فذكر في "التعريف" أن حده من القبلة إلى البرّ المَقْفَر: يَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَرَّ الْجَبَّازِ وَالسَّيَاةِ إِلَى مَرْمَى الْفَرَاتِ بِالْعِرَاقِ . قال : وهذه الْمُخَاذَاتُ كُلُّهَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

وحده من الشرق طَرَفُ السَّيَاةِ وَالْفَرَاتِ .

وحده من الشمال الْبَحْرُ الرَّومِيُّ .

وحده من الغرب حَدُّ مِصْرَ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ، وَذَكَرَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" :
أَن حُدَّهُ مِنَ الْجَنُوبِ مِنْ أَوَّلِ رَجَحٍ الَّتِي فِي أَوَّلِ الْخَفَّارِينَ مِصْرَ وَالشَّامَ إِلَى حُدُودِ
يَسِيحِ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى مَايِنِ الشُّوْبَكِ وَأَيْلَةَ مِنَ الْبَلْقَاءِ؛ وَحُدَّهُ مِنَ الشَّرْقِ مِنَ الْبَلْقَاءِ

إلى مشاريق صرّحده، أخذنا على أطراف القوطة، إلى سلمية، إلى مشاريق جلب، إلى بّاليس، وحدثه من الشمال من بالس مع الفرات إلى قلعة نجم، إلى البيرة، إلى شمّسط إلى حصن منصور، إلى بهسني، إلى مرعش، إلى بلاد سيس، إلى طرسوس، إلى بحر الروم، وحدثه من الغرب من طرسوس المذكورة أخذنا على ساحل البحر الرومي إلى رفح المتقدمة الذكر حيث وقع الابتداء .

قلت : وانخلف بينهما في شيئين .

أحدهما - أنه في " التعريف " جعل حده الشمالى إلى البحر الرومي، وحدثه الغربى حد مصر المتقدم ذكره، وفي " تقويم البلدان " جعل حده الشمالى البلاد التى بين الفرات والبحر الرومي، وحدثه الغربى البحر الرومي من طرسوس إلى رفح فيدخل حد مصر الذى حد به الجانب الغربى في " التعريف " في هذا الحد، وكأن الموقع لما في ذلك أن البحر الرومي عن الشام غربا بشمال، فجَنَحَ كل منهما إلى جهة .

الثانى - أنه في " تقويم البلدان " أدخل بلاد الأرمن المتصلة بأخر بلاد حلب من الشمال في حدود الشام، وفي " التعريف " أخرجها وهو التحقيق . وقد صرح بذلك في " التعريف " فيما بعد فقال بعد أن أفرد الفتوحات الجاهانية التى هى أول بلاد الأرمن من جهة حلب بالذكر : وأتيت بها ههنا إذ لم يكن لها تعلق بمملكة تذكر فيها، وليست من الشامات فى شئ، وإنما هى من بلاد الأرمن المسماة قديماً ببلاد العواصم والثغور، وسيأتى الكلام على بلاد الأرمن بمفردها فى جملة أعمال حلب فى الكلام على قواعد المملكة الشامية إن شاء الله تعالى .

على أن ما ذكره من التحديد فى " التعريف " و " تقويم البلدان " لا يخلو عن تساهل . فقد قال فى " التعريف " : بعد ذكر الحدود التى أوردتها : وهذه الحدود هى الجامعة على ما يحتاج إليه ، وإذا فصلت تحتج إلى زيادة إيضاح . وقال

في "تقوم البلدان" : بعد ذكر الحدود التي أوردتها أيضا : وبعض هذه الحدود قد تقع شرقية عن بعض الشام وهي بينها جنوبية عن بعض آخر، مثل البلقاء فإنها جنوبية عن حلب وما على سمتها، وشرقية عن مثل غزّة وما على سمتها فليعلم العذر في ذلك.

قال ابن حوقل : وطول الشام من مَلطية إلى رَفح خمس وعشرون مرحلة . فمن مَلطية إلى مَنبج أربع مراحل ، ومن مَنبج إلى حلب مرحلتان ، ومن حلب إلى حِمص خمس مراحل ، ومن حِمص إلى دِمَشق خمس مراحل ، ومن دِمَشق إلى طَبْرِية أربع مراحل ، ومن طَبْرِية إلى الرملة ثلاث مراحل ، ومن الرملة إلى رَفح مرحلتان .

قال اليعاقبة في "سرور النفس" : وطوله أكثر من شهر . قال ابن حوقل : وأعرض ما فيه طَرَفاه . فأحد طرفيه من الفرات من جسر منبج على منبج على قُورُس في حد قنسرين ، ثم على العواصم في حد انطاكية ، ثم يقع على جبل اللكام ، ثم على المصيبة ، ثم على أذنة ، ثم على طَرُسوس ، وذلك نحو عشر مراحل وهذا هو السمت المستقيم . والطرف الآخر يأخذ في البحر من حد ياقا من جند فلسطين حتى ينتهي إلى الرملة إلى بيت المقدس ، ثم إلى أريحا ، ثم إلى زغرة ، ثم إلى جبل الشراة إلى أن يأتي إلى معان ، وتقدر ذلك ست مراحل . أما ما بين هذين الطرفين من الشام فلا يكاد بين الأردن ودمشق وحمص يزيد على أكثر من ثلاثة أيام ، لأن من دمشق إلى طرابلس على بحر الروم غربا يوما وإلى أقصى القوطة شرقا حتى يتصل بالبادية يوما ، ومن حمص إلى أنططوس على بحر الروم غربا يومين ، ومن حمص إلى سلمية على البادية شرقا يوما ، ومن طَبْرِية من جند الأردن إلى صور على البحر الرومي غربا يوما ، ومنها إلى أريحا على حدود بني فزارة شرقا يوما .

المقصود الثاني

(في ابتداء عمارته وقسمته شاما وما يتحقق بذلك)

أما ابتداء عمارته، فقد روى الحافظ بن عساكر في تاريخ الشام عن هشام بن محمد عن أبيه : أن نوحا عليه السلام لما قسم الأرض بين بنيه لحق قوم من بني كنعان^(١) ابن حام بن نوح عليه السلام بالشام فسميت الشام، حين تَسَامَعُوا إليها، يعني من أرض بابل كما جاء في الرواية الأخرى. قال : فكانت الشام يقال لها لذلك أرض كنعان، وجاء بنو إسرائيل فأجلّوهم عنها، وبقيت الشام لبني إسرائيل إلى أن غلب عليه الروم وآتبعوه منهم فأجلّوهم إلى العراق إلا قليلا منهم، ثم جاء العرب فغلبوا على الشام (يعني في الفتح الإسلامي) ثم الشام مهجوز مقصور. قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" وغيره : ويموز فيه فتح الشين والمذ. قال : وهي ضعيفة وإن كانت مشهورة قال الجوهري : ويموز فيه التذكير والتأنيث . قال النووي : والمشهور التذكير . وقد اختلف في سبب تسميته شاما ف قيل لتشاؤم بني كنعان إليه كما تقدم في كلام ابن عساكر، وقيل سمي بإسم بن نوح لأنه نزل به، وأسمه بالسريانية شام بشين معجمة، والعرب تنقلها إلى السين المهملة . وقيل لأن أرضه مختلفة الألوان بالحرارة والسواد واليباض فسمي شامًا لذلك كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة . وقيل سميت شاما لأنها عن شمال الكعبة، والشام لغة في الشمال . قال أبو بكر بن محمد : ويموز فيه وجهان . أحدهما أن يكون من اليد الشؤمي وهي اليسرى . والثاني أن يكون قَعْلًا من الشؤم .

(١) كذا في جميع البلدان أيضا وفي القاموس في مادة (ك ن ع) كنعان بن سام .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في أنهاره وبحيراته وجباله المشهورة وزروعه وفواكهه ورّياحيته ومواشيه، وحوشه وطيوره؛ وفيه ستة مقاصد)

المقصود الأول

(في ذكر الأنهار العظام بالشام وماهو مضاف إليه مما يتكرر ذكره بذكر البلدان، وهي أربعة ^(١) أنهار)

الأول - نهر الفُرات وهو أعظمها، وقد تقدّم في الكلام على النيل أنه شقيقه في الخروج من الجنة . وقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ! قال : " لا تقوم الساعةُ حتّى يحسّرَ الفُراتُ عن جبلٍ من دَهَبٍ فيقتلَ الناسُ عليه فيقتلُ من كل مائة تسعة وتسعون ، ويقولُ كلُّ رجلٍ منهم لعلّى أنا الذى أنجّويه " وأولُ أبتدائه من شماليّ مدينة (أرزن الروم) وشرقيّها، وهى آخر بلاد الروم من جهة الشرق حيث الطولُ أربع وستون درجة والعرض اثنتان وأربعون درجة ونصف، ثم يأخذ إلى قُرب (ملطية) ثم يأخذ إلى (شمساط) ثم يأخذ مشرقا ويتجاوز (قلعة الروم) من شماليّها وشرقيّها، ثم يسير إلى (البيرة) من جنوبيّها، ثم يمرّ مشرقا حتّى يجاوز بالسّ، ثم قلعة جَمْعٍ ويتجاوزها إلى الرّقة، ثم يسير مشرقا ويتجاوز الرّجة من شماليّها ويسير إلى عُنّة، ثم يمتدّ إلى هيت، ويمتدّ حتّى يجاوز مخرّج (نهر كوثى) الآتى ذكره، فينقسم قسمين ويمرّ أحدهما : وهو الجنوبى إلى (الكوفة) ويتجاوزها، ويصبّ في بطائح العراق، ويمرّ الآخر : وهو أعظمها بإزاء (قصر ابن هبيرة) ويعرف هذا القمم بنهر سُوراً (يضم السين المهملّة وآخره ألف يمدّ ويقصر) وهى قرية على النهر تُنسب إليها،

(١) الصواب ستة أنهار كما يتضح مما سبق .

و يتجاوز قصر ابن هُبَيْرَة ويسير جنوباً إلى (مدينة بابل) القديمة، ويتفرع منه بعد أن يجاوز بابل عدّة أنهر، ويمتد عموده إلى (مدينة النيل) ويجاوزها حتى يصب في دجلة ويسمى من بعد مجاوزة النيل (نهر الصّراة) . وعلى الفرات أنهار تصب فيه وأنهار تخرج منه ليس بنا حاجة إلى تفصيلها .

الثاني - نهر حماة . ويسمى العاصي لأن غالب الأنهر تسقى الأرض بغير دواليب ولا نواعير بل ترتكب البلاد بأنفسها، ونهر حماة لا يسقى إلا بنواعير تترع الماء منه ، ويسمى أيضاً النهر المقلوب : لجره من الجنوب إلى الشمال ، وغالب الأنهر إنما تجرى من الشمال إلى الجنوب ، وأسمه القديم نهر الأُرْتُط^(١) ، وأوله نهر صغير من ضبعة قرية من بعلبك في الشمال عنها على نحو مرحلة، تسمى الرأس، ويمتد من الرأس شمالاً حتى يصل إلى مكان يسمى قائم الهرمل بين قرية جوسية والرأس، ويمتد في واد هناك وينبع من هناك أكثر ماء النهر من موضع يسمى مغارة الراهب، ويمتد شمالاً حتى يجاوز (جوسية) ويمتد حتى يصب في (بحيرة قدس) غربي مخمس، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حصص إلى الرستن، ويمتد إلى حماة، ثم إلى شيزر، ثم إلى بحيرة أفاعية، ثم يخرج من بحيرة أفاعية، ويمتد على دركوش، ويمتد إلى جسر الحديد، وذلك جميعه شرق جبل اللكّام . فإذا وصل إلى جسر الحديد أقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ويرجع ويسير جنوباً بغرب ويمتد على سور أنطاكية، ويسير كذلك مغرباً بجنوب حتى يصب في بحر الروم عند السويدية ويصب في العاصي أنهر :

منها - نهر منبعه من تحت أفاعية يسير مغرباً حتى يصل إلى بحيرة أفاعية ويختلط بالعاصي .

(١) أورده باقوت في معجم البلدان بالبدال المهملة .

ومنها - نهر في شمال أفامية على نحو ميلين يعرف بالنهر الكبير يسير مدى قريبا
ويصب في بحيرة أفامية، ويخرج منها مع العاصي .

ومنها - النهر الأسود، يجري من الشمال ويمر تحت دربساك ويمتد حتى يصب
في بحيرة أنطاكية ويخرج منها ويصب في العاصي .

ومنها - نهر يفر - بفتح الياء المثناة تحت وسكون الفين المعجمة وفتح الراء المهملة
ثم ألف مقصورة - بلدة هناك يمر عليها ويصب في النهر الأسود المذكور .

ومنها - عفرين - بكسر العين المهملة وسكون الفاء وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة
تحت ونون في الآخر - وهو نهر يأتي من بلاد الروم ويمر على الراوندان إلى الجومة
ويمر في الجومة إلى العمق ويختلط بالنهر الأسود .

الثالث - نهر الأردن . والأردن بضم الهمزة وسكون الراء المهملة وضم الدال
المهملة أيضا وتشديد النون . كذا ضبطه السمعاني في "الآبَاب" قال : وهي بلدة
من بلاد الفور من الشام نسب إليها النهر ويسمى الشريعة أيضا ، وأصله من أنهار
تصب من جبل التلج إلى بحيرة بانياس ، ثم يخرج من البحيرة المذكورة ويصب
في بحيرة طبرية ، ويمتد جنوبا ، وهناك يصب في نهر اليرموك بين بحيرة طبرية
المذكورة وبين القصير ، ويمتد في وسط الفور جنوبا حتى يجاوز بيسان ، ويمتد
في الجنوب كذلك إلى أريحا ، ولا يزال يمتد في الجنوب حتى يصب في بحيرة زغر
وهي البحيرة المنيئة المعروفة ببصرة لوط .

الرابع - نهر الموجاء - بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح الجيم وبعدها
ألف - ويسمى نهر أبي فطرس (بضم الفاء وبالطاء والراء والسين المهملات) وهو نهر
شمال مدينة الرملة من فلسطين باثني عشر ميلا ، ومنبعه من تحت جبل الخليل

عليه السلام مقابل قلعة خراب هناك تسمى مجد اليابا، ويمر هذا النهر من الشرق إلى الغرب، ويصب في بحر الروم جنوبى غابة أرسوف، ومن منبعه إلى مصبه دون مسافة يوم. قال في "العزيزي": وما التقي عليه جيشان إلا غلب الغربى وأنهم الشرق، وسيأتى الكلام على أنهار دمشق في الكلام على حاضرتها إن شاء الله تعالى إذ لا يتعداها إلى غيرها من البلاد.

الخامس - نهر جيجان. بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبعد الألف نون - وتسميه العامة جهان - يجيم وهاء مفتوحين وألف ثم نون، وربما زادوا ألفا بعد الجيم فقالوا جادان، وإليه تنسب الفتوحات الجاهلية الآتى ذكرها. قال: في "رسم المعمور": وأوله عند طول ستين درجة وعرض أربعين درجة، وهو نهر يقارب القرآت في الكبر، ويمتد ببس، ويسير من الشمال إلى الجنوب بين جبال في حدود الروم حتى يبلغ المصيبة من شمالها حيث الطول تسع وخمسون وكسر والعرض ست وثلاثون درجة، وعرض خمس عشرة، وبحرياته عندها من المشرق إلى المغرب، ويتجاوز المصيبة ويصب بالقرب منها في بحر الروم.

السادس - نهر سيجان. بفتح السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الحاء المهملة وبهذا ألف ثم نون. قال في "رسم المعمور": وأوله عند طول سمان وخمسين، وعرض أربع وأربعين، ويمتد ببلاد الروم إلى الجنوب عند مجرى جيجان المتقدم ذكره، ويسير حتى يمتد ببلاد الأرمن، ويمتد على سور أذنة من شرقها حيث الطول تسع وخمسون وكسر، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة،

(١) أوردتها في المعجم هكذا "مجد يابا".

(٢) في قديم أبي الفداء "وخمسة عشرة دقيقة".

ويتجاوز أذنه ويلتقي مع جيحان المتقدم ذكره ويصيران نهرا واحدا ، ويصبان في بحر الروم بين آيَّاس وطرسوس على ما تقدم ذكره .

المقصود الثاني

(في ذكر بحيراته ، وهي ثمان بحيرات)

الأولى - بحيرة طبرية . قال الزجاجي : سميت طبرية بطبارى ملك من ملوك الروم ، وهي في أول الفُور ، يدخل إليها نهر الشريعة المنصب من بحيرة بانيَّاس الآتي ذكرها ، ودورها نحو مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول ثمان وخمسون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون ، وهي قرعاء . ليس بها قصب ثابت ، وطبرية مدينة خراب على شاطئ البحيرة المذكورة من جانبها الغربي الجنوبي ، قال العثماني في " تاريخ صند " : ويقال إن قبر سليمان بن داود عليهما السلام بهذه البحيرة .

الثانية - بحيرة زُغر وتعرف بحيرة سدوم وبحيرة لوط . وهي بحيرة مثنية ليس بها سمك ولا يأوى إليها طير ، وفيها مصب نهر الأردن المسمى بالشريعة عند نهايته ، ويفيض الماء فيها ولا يخرج منها شيء من الأنهار ، وهي في آخر الفُور من جهة الجنوب ، ودورها فوق مسيرة يومين ، ووسطها حيث الطول تسع وخمسون درجة والعرض إحدى وثلاثون .

الثالثة - بحيرة بانيَّاس . وهي بحيرة بالقرب من بانيَّاس من مقابلة دمشق يصب فيها عدة أنهار من جبل هناك ، ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة طبرية المتقدم ذكرها ، وبها غابة قصب .

الرابعة - بحيرة القِقاء . وهي مستنقع ماء في جهة الغرب عن بعلبك على مسيرة يوم منها ، بها هيش وغابات قصب .

الخامسة - بحيرة دِمَشَقَ . وهي بحيرة في شرق غُوطَةِ دِمَشَقَ بِمِثْلَةِ يسيرة إلى الشمال يصب إليها فضلة نهر بَرْدَى وغيره، وتوسع في أيام الشتاء وتضيق في أيام الصيف، وبها غابات قَصَب، وفيها أما كن تَحْمَى من العدو .

السادسة - بحيرة قَدَس . بفتح القاف والدال وفي آخرها سين مهملة . وهي بحيرة في أرض مستوية . عن حِمَصَ في جهة الغرب على بعض يوم منها، وطولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة وفي طرفها الشمال سَدٌ ممتد في طولها مبنى بالجر من بناء الأوائل ينسب بناؤه إلى الإسكندر طوله شرقا وغربا ألف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا، وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف ذراع، وعلى وسط السد بُرْجَان من حجر أسود .

السابعة - بحيرة أَفَامِيَّة . وهي عَذَّة بطائع في الغرب بِمِثْلَةِ إلى الشمال عن أَفَامِيَّة بين غابات من القَصَب، يصب فيها النهر العاصي من جهة الجنوب . وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك، فالجنوبية منهما بُحِيرَةُ أَفَامِيَّة المذكورة، وسعتها بالتقريب نحو نصف فرسخ، وقعرها قريب قامة، وأرضها مَوْحَلَةٌ لا يقدر الإنسان على الوقوف فيها، وبوسطها جَمٌّ قَصَب و بَرْدَى وحولها القصب والصفصاف، وبها من أنواع الطير مالا يحصى كثرة، وينبت بها في زمن الربيع اللَّيْثُوفُ الأصفر حتى يستر الماء عن آخره بوزقه وزهره . والبحيرة الشمالية من عمل حصن برزوية بقدر بحيرة أَفَامِيَّة أربع مرات، ووسطها مكشوف، وينبت اللَّيْثُوفُ بجانبها الجنوبي والشمالي وبينها وبين بحيرة أَفَامِيَّة المذكورة زُقَاق تسير فيه المراكب من إحداها إلى الأخرى . قال في "تقويم البلدان" : ويعتبر طول هذه البطائع وعرضها بأفامية .

الثامنة - بحيرة أَنْطَلِكِيَّة . وهي بحيرة بين أَنْطَلِكِيَّة وبُغْرَاس وحارم في أرض تعرف بِالْعَمَقِ (فتح العين المهملة وسكون الميم) من معاملة حَلَبَ شمالي أَنْطَلِكِيَّة على

مَسِيرَة يَوْمين من حَلَب في جهة الغرب عنها . وفيها مَصَبُّ نهر عَفْرين والنهر الأسود ونهر بَغْرَا المتقدم ذكرها ، وقَوْرُها نحو مسيرة يوم ، وأَجَامُ القصب محيطةٌ بها وفيها من الطير والسمك نحو ما نقلتم ذكره في بحيرة أَفَامِيَّة . قال في "تقويم البلدان" : وطولها طول أنطاكية تقريبا ، وعرضها أكثر من عرضها بدقائق .

المقصود الثالث

(في ذكر جباله المشهورة التي يتعلق بها كثير من المقاصد ، وهي ثلثة أَجُلُّ) منها - (جبل التَّلِيع) بالناء المثلثة والجليم ، وما يتصل به . قال في "تقويم البلدان" : والطرف الجنوبي لهذا الجبل بالقرب من صَفَد . قال في "رسم المعمور" حيث الطول تسع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال : في "تقويم البلدان" : ثم يمتد إلى الشمال ويتجاوز دِمَشْق . فإذا صار في شماليها ، سُمِّيَ جبل (سَنِير) ويسمى جانبه المطلُّ على دِمَشْق جبل (قاسِيُون) ويتجاوز دِمَشْق ويمر غربي بَعْلَبَك ، ويسمى الجبل المقابل لَبْعَلَبَك جبل (لَبْنَان) بلام مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مفتوحة بعدها ألف ونون ثانية - وإذا تجاوز بَعْلَبَك وصار شرق طَرَابُلُس سُمِّيَ جبل (عَكَار) بعين مهملة مفتوحة وكاف مشددة وراء مهملة في الآخر - إضافة إلى حصن بأعلاه يسمى عَكَارًا ، ثم يتر شَمَالًا ويتجاوز طَرَابُلُس إلى حصن الأكراد من عمل طَرَابُلُس ، ويسامت حصن من غربيها على مسيرة يوم ويمتد حتى يجاوز سَمْتِ حماة ، ثم سَمْت شَيْزَر ، ثم سَمْت أَفَامِيَّة ، ويسمى قبالة هذه البلاد جبل (الأكَّام) بضم اللام . قال في "رسم المعمور" : وجبل الأكَّام يمتد إلى أن يصير بينه وبين جبل شَحْبُو ، آتساعه نصف يوم حتى يتجاوز صَهْبُون والشَّغَر وبَكَاس والقُصَيْر ، وينتهي إلى أنطاكية فينقطع هناك ويصير قبالة جبال الأرمن .

قال في "تقويم البلدان" : ويقابل جبل اللكلم المذكور عند مسامته لأفامية المتقدمة الذكر جبل آخر من شرقه ، يسمى جبل (شَحْشَبُو) بشين معجمة مفتوحة وحاء مهملة ساكنة وشين ثانية مفتوحة بعدها باء موحدة مضمومة ثم واو - إضافة إلى قرية هناك تسمى بذلك ، ويمر من الجنوب إلى الشمال على غربي المعرة وسمرين وحلب ، ثم يأخذ غربا ويتصل بمجال الروم .

ومنها - (جبل عاملة) وهو جبل ممتد في شرق ساحل بحر الروم وجنوبيه ، حتى يقرب من مدينة صور ، وعليه شقيف أرنون ، نزله بنو عاملة بن سبط من عرب اليمن عند تفرقهم بسبل العريم فعرف بهم .

ومنها - (جبل عوف) وهو جبل بالقرب من عجلون ، كان ينزله قوم من بني عوف من جرم قضاة فعرف بهم ، وكانوا عصاة لا يدخلون تحت طاعة حتى بنى عليهم أسامة أحد أمراء السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب قلعة عجلون فدخلوا تحت الطاعة على ما ساقى ذكره .

ومنها - (جبل الصلت) إضافة إلى مدينة الصلت الآتي ذكرها في أعمال دمشق ، وهو جبل في شرق جبل عوف وشماليه ، كان أهله عصاة حتى بنى عليهم المعظم عيسى ابن العادل حصن الصلت فدخلوا في الطاعة .

المقصود الرابع

(في ذكر زروعه وفواكهه ورأحيته)

أما زروعه فقالها على المطر . قال في "مسالك الأبصار" : ومنها ماهو على سقى الأنهار وهو قليل ، وفيه من الحبوب من كل ما يوجد في مصر من البر والشعير والذرة والأرز والباقلا والبسلة والجلبان ، واللوبياء والحلبة ، والسمن والقرطم ، ولا يوجد فيه

الْكَنْ وَالْبَرْسيمُ، وبه من أنواع البَطِيخِ والقَناء ما يُستطاب ويستحسن، وكذلك غيرها من المزدروعات كالقُلُقاسِ والمُلُوخِ والبَذِيجَانِ واللَّقْمِ والجزرِ والهلِيونَ والقُنَيْطِ والرجلة والبقلة اليمانية، وغير ذلك من أنواع الخضراوات المأكولة؛ وقصب السكر في أغواره إلا أنه لم يبلغ في الكثرة حد مصر.

وأما فواكهه، ففيه من كل ما يوجد في مصر كالتين والعنب والرمان والقراصيبا والبرقوق والمشمش والخوخ - وهو المسمى بالذراقة - والتوت والفِرصاد؛ ويكثر بها التفاح والكثيرى والسفرجل مع كونها أكثر أنواع وأهيج منظرًا، ويزيد عليه فواكه أخرى لا توجد بمصر، وربما وجد بعضها في مصر على الندور الذي لا يعتد به كالجوز والبندق والإجاص والعناب والزعرور، والزيتون فيه الغاية في الكثرة، ومنه يتمصر الزيت وينقل إلى أكثر البلدان وغير ذلك، وبأغوارها أنواع الحمضات كالأنج والليمون والكماد والتارنج ولكنه لا يبلغ في ذلك حد مصر، وكذلك الموز ولا يوجد البلح والرطب فيه أصلاً. قال في "مسالك الأبصار": وفيه فواكه تأتي في الخريف وتبقى إلى الربيع كالسفرجل والتفاح والعنب.

وأما رايحته، ففيه كل ما في مصر من الآس والورد والتريجس والبنفسج والياسمين والنسرين، ويزيد على مصر في ذلك خصوصاً الورد حتى إنه يستقطر منه ماء الورد وينقل منه إلى سائر البلدان. قال في "مسالك الأبصار": وقد نسي به ما كان يذكر من ماء ورد جور ونصيين.

المقصد الخامس

(في ذكر مواشيه ووحوشه وطيوره)

أما مواشيه ففيه جميع ما تقدم من مواشى مصر من الإبل والبقر والغنم والخيول واليغال والحمير، إلا أن أبقاره لا تبلغ في العظم مبلغ أبقار مصر، وأغنامه لا تبلغ في طيبة اللحم مبلغ أغنامها، وحميره لم تبلغ في القراة مبلغ حميرها .
وأما ووحوشه ، ففيه الفيلان والأرانب والأسود وكثير من أنواع الوحوش المختلفة مما لا يوجد مثله في مصر .

وأما طيوره، ففيه الإوز والدجاج والحمائم وأنواع طيور الماء المختلفة الأنواع .
قال في "مسالك الأبصار": ولا تكون الفرائج فيها إلا بمحضنة ولا تتجّع فيها المعامل التي تُعمل لإخراج الفرائج في مصر . قال : ويذكر أن رجلا من أهل مصر عمل فيها معملا في حاضرة العقية فصعد له العمل فيه في الصيف دون الخريف .

المقصد السادس

(في ذكر التفيس من مطوماتها)

فيها العسل بقدر متوسط ، ويعمل فيها السكر الوسط والمكرر ، والشراب موجود فيها دون مصر، وأكثر حلواها من العسل والمن .

الطَّرَف الرابع

(في ذكر جهاته وكوره القديمة وقواعده المستنقعة وأعمالها وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ذكر جهاته وكوره القديمة)

قد قسم المتقدمون الشام إلى خمسة أجناد - جمع جند بضم الجيم وإسكان النون ودال مهملة في الآخر كما ضبطه الجوهري وغيره .

الأول - (جُنْدُ فَلَسْطِين) وفِلَسْطِينُ بكسر الفاء وفتح اللام وسكون السين وكسر الطاء المهملين وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر . قال الزجاجي : سميت بفِلَسْطِين بن كُثُوم من ولد فلان بن نوح ، بلدة كانت قديماً نسبت الكورة إليها . قال ابن حوقل : وهو أول الأجداد الخمسة من جهة الغرب من رَمَحٍ إلى حدِّ الجُبُونِ ، وعَرَضُهُ من يافا إلى أَرِيحَا نحو يومين . قال ابن الأثير : هي كُورَةٌ كبيرة تشتمل على بلاد المقدس وعَرَزة وعَسْقَلَان . قال ابن حوقل : وهي أرنخى بلاد الشام .

الثاني - (جُنْدُ الْأُرْدُنِّ) والأُرْدُنُّ بلدة قديمة من بلاد القَوْرِ نسبت الكورة إليها ، وقد مرَّ ضبطها في الكلام على نهر الأُرْدُنِّ عند ذكر الأنهار ، وقد نسبت الكورة إليها كما نسب إليها النهر المتقدم ذكره . قال ابن حوقل : وديار قوم لُوطٍ والبحيرة المُتَنَتَّةُ وَزُعْرُ إِلَى يَسَّانَ وإلى طَبْرِيَّةَ تسمى القَوْرَ : لأنه بين جبلين ، وسائر بلاد الشام مرَّعةٌ عليه . قال : وبعضها من الأُرْدُنِّ وبعضها من فِلَسْطِين .

الثالث - (جُنْدُ دِمَشْقَ) وسيأتي الكلام عليها في قواعد الشام المستقرة .

الرابع - (جندِ حِمَصَ) وسيأتي الكلام عليها في الصفة الشرقية من صفقات دِمَشْقَ .

الخامس - (جُنْدُ قَنْسَرِينَ) . قال في "الألباب" : بكسر القاف وفتح النون المشددة وسكون السين وكسر الراء المهملين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة ونون في الآخر . قال الزجاجي : وقد روى أنها سميت برجل من قيس يقال له ميسرة ، نزلها فزبه رجل فقال له : ما أشبه هذا الموضعَ بِقَنْ مَبْرِينَ ! فبني منه اسم المكان فقل : قَنْسَرِينَ . وقيل : دتا أبو عبيدة ميسرة بن مسروق القيسي فوجهه في ألف فارس

(١) في معجم البلدان لياقوت : رجل من عيس .

(٢) » » » : العيسى .

في أثر المدوّ فتز على قَنَسِيرِنَ بفعل ينظر إليها فقال : ماهذه ؟ فسميت له بالرومية .
فقال : والله كأنها قَنَسِيرِنُ . قال : وهذا يدل على أن قَنَسِيرِنَ اسم مكان آخر عرفه
ميسرة فثبته به هذا فسميت به .

قال ابن الأثيري : وفي إعرابها قولان .

أحدهما - أنها تجرى مجرى قولك الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو فقول هذه
قَنَسِيرُونْ وفي الخفض والنصب بالياء فقول مررت بقَنَسِيرِنَ ونحلت قَنَسِيرِنَ .
التول الثاني - أن تجعلها بالياء على كل حال وتجعل الإعراب في النون ولا تصرفها .
وهي قاعدة من قواعد الشام القديمة على القرب من حلب ؛ كان الجند ينزلها
في ابتداء الإسلام ، ثم ضعفت بحلب وتخرت وصارت قرية على ما سبأني ذكره
في الكلام على حلب إن شاء الله تعالى .

قال ابن الأثير : وكل جُند منها عَرْضُهُ من ناحية القُرَاتِ إلى ناحية فلسطين ،
وطوله من الشرق إلى البحر ، وحكاها في "التعريف" على وجه آخر فقال : للناس
في الشام أقوال ، فمنهم من لا يجعله إلا شاما واحدا [ومنهم من يجعله شامات ، فيجعلون
بلاد فلسطين والأرض المقتسمة إلى الأردن شاماً] ويقولون الشام الأعلى ؛
ويعملون دمشق وبلادها من الأردن إلى الجبال المعروفة بالطوال شاما ، ويقع على
قرية البُك وما هو على خطها ؛ ويعملون سُورِيَا ؛ وهي حصص وبلادها إلى رجة
مالك بن طوق شاما ، ويعملون حماة وشيّر من مضافاتها . ونم من يحصل منها حماة
دون شيّر ؛ ويعملون قَنَسِيرِنَ وبلادها وحلب مما يدخل في هذا إلى جبال الروم
وبلاد العواصم والثغور ؛ وهي بلاد ميس شاما . ثم قال : أما عكا وطرابلس وكل

ما هو على ساحل البحر فكل ما قابل منه شيئا من الشامات حُيب منه . قال :
ونبها على ذلك كله ليعرف . ثم قال : أما ما هو في زماننا وعليه قانون ديواننا فإنه إذا
قال سلطاننا بلاد الشام ونائب الشام لا يريد به إلا دِمَشْقَ ونائبها . وسيأتى الكلام
على حدود ولايته في الكلام على نيابة دِمَشْقَ إن شاء الله تعالى .

المقصود الثاني

(في ذكر قواعد المستقرة وأعمالها ، وهي ست قواعد ، كل قاعدة منها تعد مملكة
بل كانت كل قاعدة منها مملكة مستقلة بسلطان في زمن بنى أيوب)

القاعدة الأولى

(دِمَشْقُ ؛ وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بكسر الهمزة والمهملة وفتح الميم وسكون الشين المعجمة وقاف في الآخر ، وتسمى
أيضا جِلَقَ - بفتح الجيم مكسورة ولام مشددة مفتوحة وقاف في الآخر . وبذلك ذكرها
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه في مدحه لبني غَسَّانَ : ملوك العرب بالشام بقوله :

لِلَّهِ دُرٌّ عَصَابِيَّةٌ نَادَمَتْهُمْ ۖ يَوْمًا بِجِلَقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وحكى في "الروض المعطار" تسميتها جَبْرُونَ - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت
وضم الراء المهملة وسكون الراء ونون في الآخر - وسماها في موضع آخر العَدْرَاءَ - بفتح
العين المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح الراء المهملة وألف بعدها - وموقعها
في أواخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : وطولها ستون درجة
وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وقد اختلف في بانيتها : فقيل بناها

نُوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وذلك أنه لما نزل من السفينة أشرف فرأى ثَلَّ حَرَّافٍ بَيْنَ نَهْرِي حَرَّافٍ وَدِيصَافٍ، فَأَتَاهُ فَبْنَى حَرَّافٌ، ثُمَّ سَارَ فَبْنَى دِمَشْقَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى بَابِلَ فَبَنَاهَا .^(١)
 وَقِيلَ بَنَاهَا جَيْرُونُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عَادٍ، وَبِهِ سَمِيَ جَيْرُونٌ . وَيَقَالُ إِنَّ جَيْرُونًا وَبَرِيدًا كَانَا أَخَوَيْنِ وَهُمَا أَبْنَا سَعْدِ بْنِ لَهَّانَ بْنِ عَادٍ، وَبِهِمَا يَعْرِفُ بَابُ جَيْرُونٍ وَبَابُ الْبَرِيدِ مِنْ أَبْوَابِهَا . وَقِيلَ بَنَاهَا الْعَازِرُ : غَلَامُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَكَانَ حَبِشِيًّا وَهَبَهُ لَهُ مُرَّوْذُ بْنُ كَثْمَانَ حِينَ نَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ أَسْمُهُ دِمَشْقَ فَبَنَاهَا بِأَسْمِهِ .

وَفِي "كُتَابِ فُضَائِلِ الْفُرْسِ" لِأَبِي عُيَيْدٍ أَنَّ بِيُورَاسَبَ مَلِكَ الْفُورِسِ بَنَاهَا . وَقِيلَ إِنَّ الَّذِي بَنَاهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ السِّدِّ وَوَكَّلَ بِجَارَتِهَا غَلَامًا لَهُ أَسْمُهُ دِمَشْقُشَ وَسَكَنَهَا دِمَشْقُشَ وَمَاتَ فِيهَا فَسَمِيَتْ بِهِ . وَهِيَ مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ الْبِنَاءِ ذَاتُ سُورٍ شَاهِقَةٍ وَلَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ : بَابُ كَيْسَانَ، وَبَابُ شَرْقٍ، وَبَابُ تُوْمَا، وَبَابُ الصَّغِيرِ، وَبَابُ الْجَلَابِيَةِ، وَبَابُ الْفَرَادِيْسِ، وَالبَابُ الْمَسْدُودُ .

وَرَوَى الْحَافِظُ بْنُ عَسَاكَرٍ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ تَمَّامِ بْنِ مُحَمَّدٍ : أَنَّ بَنَاهَا جَعَلَ كُلَّ بَابٍ مِنْ هَذِهِ لِكُوكَيْبٍ مِنَ الْكُوكَابِ السَّبْعَةِ، وَصَوَّرَ عَلَيْهِ صُورَتَهُ، فَجَعَلَ بَابُ كَيْسَانَ لِرُحْلٍ، وَبَابُ شَرْقٍ لِلشَّمْسِ، وَبَابُ تُوْمَا لِلزُّهْرَةِ، وَبَابُ الصَّغِيرِ لِلشُّتْرِى، وَبَابُ الْجَلَابِيَةِ لِلْمَرْيَمِ، وَبَابُ الْفَرَادِيْسِ لِعُطَّارِدَ، وَالبَابُ الْمَسْدُودُ لِلْقَمَرِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَهِيَ مَدِينَةٌ حَسَنَةُ التَّرْتِيبِ، جَلِيلَةُ الْأَبْنِيَةِ، ذَاتُ حَوَاجِزَ بَنِيَتْ مِنْ جِهَاتِهَا الْأَرْبَعِ، وَغُوطُهَا أَحَدُ مَسْتَنْزَهَاتِ الدُّنْيَا الْعَجِيبَةِ الْمَفْضَلَةِ عَلَى سَائِرِ مَسْتَنْزَهَاتِ الْأَرْضِ، وَكَذَلِكَ الرَّبُّوَّةُ وَهِيَ كَهْفٌ فِي فَمِ وَادِيَا الْفَرَبِيِّ، عِنْدَهُ تَنْقَسِمُ مِيَاهُهَا، يُقَالُ إِنَّ بِهِ مَهْدَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَبِهَا الْجَوَامِعُ وَالْمَدَارِسُ، وَالْخَوَاطِقُ وَالرُّبُطُ، وَالزُّوَايَا وَالْأَسْوَاقُ الْمُرْتَبَةِ

(١) كَذَا فِي الضَّوِّ، أَيْضًا وَلَمْ تَنْصَرَفْ عَلَى هَذَيْنِ الْأَسْمَيْنِ .

والديار الحليّة المذهب السَّقْفِ المفروشة بالرخام المتنوع، ذات البرك والماء الجاري .
 وربما جرى الماء في الدار الواحدة في أماكن منها والماء مُحْكَم عليها من جميع نواحيها
 باتقان محكم، وهي في وطأة مستوية من الأرض بارزة عن الوادي المنحط عن منتهى
 ذيل الجبل، مكتوفة الجوانب لئلا يهوى إلا من الشمال فإنه محجوب بجبل قاسيون،
 وبذلك تُعَاب وتنسب إلى الوخامة . قال في "مسالك الأبصار" : ولولا جبلها
 الغربي الملبس بالتلوج صيفا وشتاء، لكان أمرها في ذلك أشد، وحال سُكَّانها أشق،
 ولكنه درياق ذلك السم، ودواء ذلك الداء . وهي مستديرة به من جميع نواحيه .
 قال في "مسالك الأبصار" : وغالب بنائها بالحجر ودورها أصغر مقادير من دور
 مصر لكنها أكثر زخرفة منها وإن كان الرخام بها أقل، وإنما هو أحسن أنواعا .
 قال : وعناية أهلها بالمباني كثيرة، ولهم في بساطينهم منها ما تفوق به وتحسن
 بأوضاعه، وإن كانت حلب أجل بناء لعنايتهم بالحجر، فدمشق أزين وأكثر رونقا
 لتحكم الماء على مدينتها وتسليطه على جميع نواحيها، ويستعمل في عماراتها خشب
 الحور - بالخاء والراء المهملتين - بدلا من خشب النخل إلا أنه لا يُشْتَى بالياض
 ويكتفى بحسن ظاهره . وأشرف دورها ما قرب، وأجل حاضرتها ما هو في جانبيها :
 الغربي والشمالي .

فأما جانبيها الغربي ففيه قلعتها، وهي قلعة حسنة مرحلة على الأرض، تحيط بها
 وبالمدينة جميعها أسوار عالية، يحيط بها حندق يطوف الماء منه بالقلعة . وإذا دعت
 الحاجة إليه أطلق على جميع الحندق المحيط بالمدينة فيحتملها، وتحت القلعة ساحة
 فسيحة بها سوق الخليل، على جانب وادي ينتهي فيه مما يلي القلعة إلى شرفين محيطين
 به في جهتي القبلة والشمال، في ذيل كل منهما ميدان مُتْرَج بالجيل الأخضر، والوادي
 يشق بينهما . وفي الميدان القليل منهما القصر الأبلق . وهو قصر عظيم مبنى من أسفل

إلى أعلاه بالبحر الأسود والأصفر بتأليف غريب، وإحكام عجيب، ببناء الظاهر ببيرس
البُنْدُقْدَارِيّ في سلطته، وعلى مثاله بنى الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلعة
الجليل بمصر، وأمام هذا القصر دركاه يُدْخَلُ منها إلى دِهْلِيز القصر، وهو دِهْلِيز
فَسِيحٌ يشتمل على قاعات ملوكة مفروشة بالأخام الملون البديع الحُسن، مؤزَّر بالأخام
المفصل بالصدَف والقَصّ المُذهَّب إلى مُجَفِّ السقوف، وبالدار الكبرى به
إيوانان متقابلان تُطلُّ شبايك شرقيهما على الميدان الأخضر، وغربيهما على شاطئ
وادي أخضر يجري فيه نهر، وله رَفَارِفُ عالية تناغى السُّحُب. تُشْرِفُ من جهاتها الأربع
على جميع المدينة والفُوطَة .

والوادي كامل المتافع بالبيوت الملوكية والإصطبلات السلطانية والحمام وغير ذلك
من سائر ما يحتاج إليه، وبالدكاية التي أمام القصر المتقدم ذكرها جَسْرٌ معقود على
جانب الوادي يُتَوَصَّلُ منه إلى إيوان براني يُطَلُّ منه على الميدان القبل، استجده
أفوش الأفرم في نيابته في الأيام الناصرية ابن قلاوون، وتُجَاهَ باب القصر باب
يُتَوَصَّلُ من رجبته إلى الميدان الشمالي، وعلى الشرفين المتقدم ذكرهما أبنية جليلة
من بيوت ومناظر ومساجد ومدارس ورُبُط وخَوَانِقَ وزَوَايَا وحمامات ممتدة على
جانين ممتدين طول الوادي .

ولهذه القلعة نائبٌ بمفردها غير نائب دمشق يحفظها للسلطان ولا يَمُكِّنُ أحدا من
طلوعها من الذائب أو غيره . وإذا دخل السلطان دمشق نزل بها . وبها تَحْتَ مُلْك
كثيرها من ديار الملك .

وأما جانبها الشمالي ويسمى القُصْبِيَّة، فهو مدينة مستقلة بذاتها ذات أبنية جليلة
وعمار ضخمة، يسكنها كثير من الأمراء والجد، وبازاء المدينة في سفح جبل قاسيون
(مدينة الصالحية): وهي مدينة ممتدة في سفح الجبل بازاء المدينة في طول مدى تُشْرِفُ

على دِمَشْقَ وَطُوطِهَا، ذَاتُ بِيوتٍ وَمَدَارَسَ وَرَبَطَ وَأَسْوَاقَ وَبِيوتَ جَلِيلَةٍ، وَبِأَعَالِيهَا
مَعَ ذَيْلِ الْجَبَلِ مَقَابِرَ دِمَشْقَ الْعَامَّةِ، وَلِكُلِّ مَن دِمَشْقَ وَالصَّالِحِيَّةِ الْبَسَاتِينِ الْأَنْيَقَةَ
يَسْلُسِلُ جَدَاوِلَهَا وَيَتَنَقَّى دَوَحَاتِهَا، وَبِمَنَائِلِ أَغْصَانِهَا وَتَفَرَّدِ أَطْيَارِهَا، وَفِي بَسَاتِينِ الزَّهَةِ
بِهَا الْعَائِثُ الضَّخْمَةُ، وَالْجَوَاسِقُ الْعَلِيَّةُ، وَالْبَرْكَ الْعَمِيقَةُ، وَالْبَحِيرَاتُ الْمُنْتَدَّةُ، تُتَقَابِلُ
بِهَا الْأَوَاوِينَ وَالْمَجَالِسُ، وَتُحْفُ بِهَا الْفِرَاسُ وَالنَّصُوبُ الْمُطْرَازَةُ بِالْمَرْوِ الْمُتَلَفِّ،
وَالْحُورُ الْمَشْهُوقُ الْقَدَّ وَالرَّيَاحِينُ الْمُنْتَازِجَةُ الطَّيْبُ، وَالْقَوَاكِي الْجَنِّيَّةُ، وَالثَّمَرَاتُ
الشَّيْبِيَّةُ، وَالْأَشْيَاءُ الْبَدِيعَةُ، الَّتِي تُفْنِي شَهْرَتَهَا عَنِ الْوَصْفِ، وَيَقُومُ الْإِيْمَازُ فِيهَا
مَقَامَ الْإِطْنَابِ .

وَسَقَى دِمَشْقَ وَبَسَاتِينَهَا مِنْ نَهْرِ يَسْمَى بَرْدَى - بَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالرَّاءِ وَالْدَّالِ
الْمُهْمَلَتَيْنِ وَبَآخِرِهِ أَلِفٌ . أَصْلُ مَخْرَجِهِ مِنْ عَيْنَيْنِ: الْبَعِيدَةُ مِنْهُمَا دُونَ قَرْيَةِ تَسْمَى
الرَّيْدَانِيَّ، وَدُونَهَا عَيْنٌ بِقَرْيَةٍ تَسْمَى الْقَيْجَةَ، بِذَيْلِ جَبَلٍ يَخْرُجُ الْمَاءُ مِنْ صَدْعٍ
فِي نَهَائِهِ سَفْلُهُ قَدْ عَقِدَ عَلَى مَخْرَجِ الْمَاءِ مِنْهُ عَقْدٌ رَوْحِي الْبِنَاءِ، ثُمَّ تَرْفِدُهُ مَنَاقِبُ فِي مَجْرَى
النَّهْرِ، ثُمَّ يَقْدُمُ النَّهْرُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْهَارٍ: أَرْبَعَةٌ غَرْبِيَّةٌ: وَهِيَ نَهْرُ دَارِيَاءَ، وَنَهْرُ الْمِزَّةِ، وَنَهْرُ
الْقَنَوَاتِ، وَنَهْرُ بَانَّاسَ . وَاثْنَانِ شَرْقِيَّةٌ وَهُمَا نَهْرُ يَزِيدَ، وَنَهْرُ ثَوْرَاءَ، وَنَهْرُ بَرْدَى مُمْتَدَّ بَيْنَهُمَا .
فَأَمَّا نَهْرُ بَانَّاسَ وَنَهْرُ الْقَنَوَاتِ، فَهُمَا نَهْرَا الْمَدِينَةِ حَاكِمَانِ عَلَيْهَا وَمُسْلَطَانِ عَلَى
دِيَارِهَا، يَدْخُلُ نَهْرُ بَانَّاسَ الْقَلْعَةَ، ثُمَّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ لِلْجَامِعِ وَقِسْمٌ لِلْقَلْعَةِ، ثُمَّ يَنْقَسِمُ
كُلُّ قِسْمٍ مِنْهُمَا عَلَى أَقْسَامٍ كَثِيرَةٍ وَيَتَفَرَّقُ فِي الْمَدِينَةِ بِأَصَابِعِ مَقْدَرَةٍ مَعْلُومَةٍ، وَكَذَلِكَ
يَنْقَسِمُ نَهْرُ الْقَنَوَاتِ فِي الْمَدِينَةِ، وَلَا يَدْخُلُ لَهُ فِي الْقَلْعَةَ وَلَا الْجَامِعَ، وَيَجْرِي فِي قُبَّةٍ
مَدْفُونَةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى مُسْتَحَقَاتِهَا بِالْأُورُ وَالْأُمَّا كُنْ عَلَى حَسَبِ

التقسيم، ثم تنصب فضلات الماء والبرك ومجارى الميضآت إلى قُبَيٍّ معقودة تحت الأرض، ثم تجتمع وتنهر وتخرج إلى ظاهر المدينة لسوق البساتين .
وأما نهر يَزِيد، فإنه يجري في ذيل الصالحية المتقدم ذكرها ويشق في بعض عمارتها .
وأما بقية الأنهار، فإنها تنصرف إلى البساتين والغيطان لسقيها، وعليها القصور والبيدان خصوصا ثورا فإنه نيل دِمَشق، عليه جلُ مبانيها وبه أكثر تزهات أهلها، من يخاله يراه زُرْدَة خضراء، لاكتفاف الأشجار عليه من الجانبين .

وبها (جامع بنى أمية) وهو جامع عظيم، بناه الوليد بن عبد الملك بن مروان في سنة ثمان وثمانين من الهجرة، وأنفق فيه أموالا جمة حتى يقال إنه أنفق فيه أربعمائة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وإنه أجتمع في ترخيمه آثنا مشر ألف مَرَحَم. قال في "الروض المعطار": وذَرَعه في الطول من المشرق إلى المغرب مائتا خُطوة وهي ثلثمائة ذراع؛ وعرضه من القبلة إلى الشمال مائة خُطوة وخمسة وثلاثون خُطوة وهي مائتا ذراع، وقد زُخِرِفَ بأنواع الزُخْرِفَةِ من الفُصُوص المُنْهَية والمَرَصِي المصقول، وتحت نُسْرِهِ عمودان مجزعان بالجمرة لم يُرَ مثلهما، يقال إن الوليد اشتراها بألف ونمسمائة دينار، وفي المحراب عمودان صغيران يقال إنهما كانا في عرش يَلْقِيس، وعند منارته الشرقية حجر يُقال إنه قطعة من الحجر الذي ضرب به موسى عليه السلام فأنفجرت منه اثنتا عشرة عينا .

وقد ورد أن المسيح عليه السلام ينزل على المنارة الشرقية منه، ويقال إن القبة التي فيها المحراب لم تزل مَعْبَدًا لابتداء عمارتها وإلى آخر وقت . بناها الصابئة متعبدا لهم، ثم صارت إلى اليونانيين فكانوا يُعْظَمُونَ فيها دينهم، ثم أُنْتَقِلَ إلى اليهود قَتْلُ يحيى بن زكريا عليه السلام، ونصب رأسه على باب جَيْرُون من أبوابه فأصابته بركته، ثم صار إلى النصارى فجعلتها كنيسة، ثم أفتتح الماسمون دِمَشق فاحتفوه

جامعها، وعلق رأس الحسين عليه السلام عند قتله في المكان الذي علق عليه رأس يحيى بن زكريا إلى أن جثده الوليد، ويقال إن رأس يحيى عليه السلام، مدفون به، وبه مصحف عثمان الذي وجه به إلى الشام.

قال في "الروض المطار": ويقال إن أول من وضع جداره الأول هوّد عليه السلام. وقد ورد في أثر أنه يُعبد الله تعالى فيه بعد خراب الدنيا أربعين سنة.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها وما يدخل تحت حكم الولايات)

وقد ذكر في "التعريف" أن ولايتها من لادن العريش: حدّ مصر إلى آخر ساسية مما هو شرق بشمال وإلى الرّحبة مما هو شرق يمينوب. قال: وقد أضيف إليها في زمن سلطاننا بلاد جعبر، وكان من حتمها أن تكون مع حاب. وحينئذ فتكون ولايتها مشتملة على الشام الأعلى المتقدم ذكره وما يليه وما يلي ما يليه، وبعض الشام الأدنى، وليس يخرج عنه من ذلك إلا حماة وما خرج مع صفد وطرابلس والكرك. قال: ويكون في نيابة نائبها غزّة ونيابة حمص وبعض شيء مما يقتضي الحق أن يكون مع حلب.

وتشتمل على برّ وأربع صفقات.

فأما البرّ فالمراد به ضواحيها. قال في "التعريف": وحدتها من القبلية قرية الحيازة المجاورة للكسوة وما هو على سمتها طولا، ومن الشرق الجبال الطوال إلى التّك وما على سمتها من القرى أخذنا على عسان^(١) وما حولها من القرى إلى الزبداني، ومن القرب ما هو من الزبداني إلى قرى القران المسامنة للحيازة المقدم ذكرها. قال: ويدخل في ذلك مرج دمشق وغوطتها.

(١) في الأصل والضوء باللام [والصحيح عن ياقوت].

وأما صَفَقَاتُهَا، فأربع صَفَقَات .

الصفقة الأولى

(الساحلية والجبليّة)

وهي الصَّفَقَةُ الغَربيّة عن دمشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي عبارة عن بلاد غَزَّة وما جاورها سهلاً ووعراً .

قال في "التحريف" : وهذه الصفقة هي الشام الأعلى، ينتقص منه ماهو من نهر الأردن إلى حدِّ قاقون . ثم هذه الصفقة لها جهران .

الجهة الأولى

(الساحلية) وهي التي بإساحل بحر الروم المتقدم ذكره ،

وتشتمل على أربعة أعمال)

الأول - (عمل غَزَّة) - بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة أيضا وفي آخرها هاء - وهي مدينة من جُندِ فلسطين ، في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وعشر دقائق ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ، وهي على طَرَفِ الرمل بين مصر والشام ؛ أخذتُ بين البر والبحر بجانبيها ، مبنية على تَنَزُّعٍ عالٍ على نحو ميل من البحر الرومي ، متوسطة في العِظَم ، ذات جوامع ، ومدارس ، وزوايا ، وبيمارستان ، وأسواق ، محيضة الهواء ؛ وشرب أهلها من الآبار ، وبها أمكنة يجتمع بها المطر إلا أنه يُسْتَقَلُّ في الشرب فيعدل منه إلى الآبار لخلقة مائها ، وإساحلها البساتين الكثيرة . وأجلُّ فاكهتها العِنَبُ والتين ؛ وبها بعض النخيل ، وبرّها تمتد إلى تيه بنى إسرائيل من قبلها ، وهو موضع زَرْع

وماشية إلا أن أهل برها عُشْرَانُ^(١) بعضهم أعداء بعض . ولولا خوف سطوة السلطنة لما أُنْجِدَ سيفُ الفتنه بينهم ولا جتاحوا المدينة ومن فيها .

قلت : والحال فيها مختلف : فأكثر الأحيان هي مقدمة عسكر مضافة إلى دِمَشْقَ ، يأتمر مقدم العسكر فيها بأمر نائب السلطنة القائم بِدِمَشْقَ ، ولا يُعْضِي أمرًا دون مراجعته وإن كانت ولايته من الأبواب السلطانية ، وثارة تكون نيابةً مستقلةً وتضاف إليها الصفقة الساحلية بكاملها فيكون لها حكم النيابات .

الثاني - (عمل الرَّمْلَة) . بفتح الراء المهملة وسكون الميم وفتح اللام وفي آخرها داء - وهي مدينة من جند الأَرْدُنِّ ، موقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وعشر دقائق . وقال في "القانون" : طولها ست وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وست وعشرون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاث وعشرون دقيقة .

وهي مدينة إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة أبيه عبد الملك . قال في "الروض المبطّر" : وسميت الرَّمْلَة لقلبة الرمل عليها . وقال في "مسالك الأبصار" : سميت بأمرأة اسمها رَمْلَة ، وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيت شَمَر - حين نزل مكانها يرتاد بنائها ، فأكرمه وأحسنَتُ زُورَه ، فسالها عن اسمها فقالت رَمْلَة ، فبنى البلد وسمّاها بِأَسْمَها . قال في "العزى" : وهي قَصَبَة فِلَسْطِين ، وهي في سهل من الأرض ، وبينها وبين القُدْس مسيرة يوم . قال في "الروض المبطّر" : وبينها وبين نَابِلُس يوم ، وبينها وبين قَيْسَارِيَة مرحلة ، وكان عبدُ الملك قد أجرى إليها قناة

ضعيفة للشرب منها ، وأكثر شربهم الآن من الآبار ومن صهاريج يجتمع فيها ماء المطر ، وهي مقرة الكاشف بتلك الناحية .

وميتاها مدينة ياقا - بفتح المثناة من تحت وألف وفاء ثم ألف في الآخر - وهي مدينة صغيرة بالساحل ، وهي في الغرب عن الرملة وبينهما ستة أميال .

الثالث - (عمل لُد) - بضم اللام وتشديد الدال المهملة - وهي بلدة من جند فلسطين واقعة في الإقليم الثالث شرقا بشمال عن الرملة ، وبينهما ثلاثة فراسخ ، ولم تحترق طولها وعرضها . غير أنها نحو الرملة في ذلك : لقربها منها أو أطول وأعرض بقليل . وهي مدينة قديمة كانت هي قصبة فلسطين في الزمن الأول إلى أن بنيت الرملة فتحول الناس إليها وتركوا لُدًا ، وقد ثبت في الصحيح أن المسيح عليه السلام يقتل الدجال ببابها .

الرابع - (عمل قاقون) - بفتح القاف وبعدها ألف ثم قاف ثانية مضمومة - وهي مدينة لطيفة غير مسورة ، بها جامع وحمام وقلة لطيفة ، وشربها من ماء الآبار ، ولم تحترق لى طولها وعرضها ، إلا أن بينها وبين لُد مسيرة يوم فتعتبر بها بالتقريب .

الجهة الثانية

(الجيلة ، وبها ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل القدس) . والقدس بضم القاف والدال لفظ غلب على مدينة بيت المقدس - بفتح الميم وسكون القاف وكسر الدال المهملة - وهو المسجد الأقصى ، وأصل التقديس التطهير ، والمراد المطهر من الأدناس . وهي مدينة من جند فلسطين واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة . وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة .

وهي مبنية على جبل مستدير، وعرة المسلك، وبنائها بالحجر والكس، وغالب حجرها أسود، وشرب أهلها من ماء المطر المجتمع بصهاريج المسجد الأقصى، وعين تجري إليها عن بُعد، وكذلك عين سلوان وليس مأواها بالكثير، وكان بها آثار قلعة قديمة تحربت بفنقدها الناصر محمد بن قلاوون في سنة ست عشرة وسبعائة، وليس بها حصانة، وكانت المدينة كلها قد غلب عليها الخراب من حين استيلاء الفرنج عليها، ثم تراجع أمرها للعمارة، وصارت في نهاية الحسنى بها المدارس والربط والحمامات والأسواق وغيرها. والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، وهو القبلة الأولى.

قال في "الروض المطار": وأول من بنى بيت المقدس وأرى موضعه بمقبوب عليه السلام، وقيل داود. والذي ذكره في "تقويم البلدان" أن الذي بناه سليمان ابن داود عليهما السلام، وبقى حتى تحربه بختنصر، فبناه بعض ملوك الفرس وبقى حتى تحربه طيطوس ملك الروم، ثم بقى وزم، وبقى حتى تنصر قسطنطين ملك الروم وأمه هيلانة وبنت أمه قمامة على القبر الذي يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام دفن فيه، وتحربت البناء الذي كان على الصخرة وجعلتها مطرحة لقمامات البلد عنادا لليهود، وبقى الأمر على ذلك حتى فتح أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه القدس فدل على الصخرة فنظف مكانها وبنى عليها مسجدا، وبقى حتى ولي الوليد ابن عبد الملك الخلافة فبناه على ما هو عليه الآن. على أن المسجد الأقصى على الحقيقة جميع ما هو داخل السور، وعلى القرب من المسجد الصخرة التي ربط النبي صلى الله عليه وسلم بها البراق ليلة الإسراء، وهي حجر مرتفع مثل الدكة أرفعاها من الأرض نحو قامة، وتحتها بيت طوله بسطة في مثلها، يترل إليها بسلم وعليها قبة تالية، بناها الوليد بن عبد الملك حين بنى المسجد الأقصى.

قال المهلب في كتابه "العزري": ولما بناها الوليد بنى هناك عتة قباب وسمى كل واحدة منها بأسم: وهى قبة المعراج، وقبة الميزان، وقبة السلسلة، وقبة المحشر. قال فى "مسالك الأبصار": وإلى الصخرة المتقدمة الذكر قبلة اليهود الآن، وإليها حجهم. وبه القامة التى تحجها النصارى من أقطار الأرض، وبيت لحم الذى هو من أجل أما كن الزيارة عندهم، وكان به كنيسة للروم يقال إن بها قبر حنة أم مريم بنت عمران عليها السلام ثم صارت فى الإسلام دار علم. فلما ملك الفرنج القدس فى سنة آتنتين وتسعين وأربعمائة أعادوها كنيسة، فلما فتح السلطان صلاح الدين القدس بنى بها مدرسة. وكان اسمها فى الزمن الأول إيليا. والأرض المقدسة مشتملة على بيت المقدس وما حوله، إلى نهر الأردن المسمى بالشريعة، إلى مدينة الرملة طولاً، ومن البحر الشامى إلى مدائن لوط عليه السلام، وغالبها جبال وأودية إلا ما هو فى جنباتها.

الثانى - (عمل بلد الخليل عليه السلام). وأسمها بيت حبرون بإضافة بيت واحد البيوت إلى حبرون (بجاء مفتوحة وباء موحدة ساكنة وراء مهمل مضمومة بعدها واو ساكنة ونون) كذا ضبطه فى "تقويم البلدان": وفى كلام صاحب "الروض المعطار": ما يدل على إبدال الحاء بيمين والباء الموحدة بمثناة تحت، فإنه ذكرها فى حرف الجيم فى سياقة الكلام على تسمية دمشق جيرون. وهى بلدة من جند فلسطين فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة، طولها فى بعض الأزياج ست وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، وبها قبر إبراهيم وإسماعيل ويعقوب عليهم السلام ونسائهم، وهى إحدى القرى التى أقطعها النبي صلى الله عليه وسلم لتمييم الدارى كما سأتى ذكره فى الكلام على المناشير إن شاء الله تعالى.

الثالث - (عمل نائلس) - فتح النون وألف وضم الباء الموحدة واللام وسين مهملة في آخرها - مدينة من جُندِ الأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طُولُها سبع وخمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ست وخمسون درجة وأربع وعشرون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة يُحتاج إليها ولا يحتاج إلى غيرها . قال ابن حوقل : وليس بفلسطين بلدة فيها ماءٌ جارٍ سواها ، وباقى ذلك شرب أهله من المطر وزرعهم عليه ، وبها البئر التي حفها يعقوب عليه السلام ، وهي مدينة السامرة ، وكانت السامرة في الزمن المتقدم لا توجد إلا بها ، وبها الجبل الذي يصبغ إليه السامرة ، وسيأتي الكلام على الموجب لتعظيمه عندهم عند الكلام على تخليفهم في باب الإيمان إن شاء الله تعالى .

الصفقة الثانية

(القبيلة)

سميت بذلك لأنها قبيلة دِمَشَق . قال في "مسالك الأبصار" : وتشتمل على بلاد حَوْرَانَ والغَوْر وما مع ذلك . قال في "التعريف" : وحدها من القبلة جبال الغَوْر القبيلة المجاورة لمَرْج بنى عامر ، ومن الشرق البرية ، ومن الشمال حدود ولاية بَرَدِمَشَقِ القُبَيْلَى ، ومن الغرب الأغوار إلى بلاد الشَّيْف . قال : والأغوار كلها داخلية في هذه الصفقة خلا ما يختص بالكرك .

وتشتمل هذه الصفقة على عشرة أعمال .

الأول - (عمل يسان) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة وألف ونون - مدينة من جُندِ الأُرْدُنِّ من الإقليم الثالث . قال

في "الأطوال" : طولها ثمان ونمسون درجة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع ونمسون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وسبع وعشرون دقيقة . وهي مدينة صغيرة بلا سور، ذات بساتين وأشجار وأنهار وأعين، كثيرة الحطب واسعة الرزق، ولها عين تشق المدينة، وهي على الجانب الغربي من القور .

قال في "التعريف" : وهي مدينة القور، وبها مقر الولاية . قال في "مسالك الأبصار" : ولها قلعة من بناء الفرنج . قال في "الروض المعطار" : ويقال إن طالوت قتل جالوت هناك .

الثاني - (عمل بانياس) - بياض موحدة وألف ونون وباء مثناة تحت وألف ثمسين مهملة - مدينة من جند دمشق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" : طولها ثمان ونمسون درجة، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة . قال : وهي على مرحلة ونصف من دمشق من جهة الغرب بميلة إلى الجنوب . قال في "العزري" : وهي في لحف جبل التاج ، وهو مطل عليها والتلج على رأسه كالعمامة لا يمد منه شتاء ولا صيفاً . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة الجولان، وبها قلعة الصبية (بضم الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وهاء في الآخر) . قال في "التعريف" : وهي من أجل القلاع وأمنها .

الثالث - (عمل الشعرا) - بفتح الشين المعجمة وسكون العين المهملة وفتح الزاء المهملة ويسدح ألف - وهي عن بانياس المتقدمة الذكر شرق بجنوب ، وطوله ما بين بانياس إلى جبل التلج . قال في "التعريف" : والولاية بها تكون تارة بقرية حان (بالحاء المهملة) وتارة بقرية القنيطرة تصغير قنطرة ، ولم يتجزر لى طولها ، وعرضها فلتعتبرا بما قاربهما من الأعمال .

الراج - (عمل نوى) - بفتح النون والواو وألف في الآخر - وهي بلدة صغيرة، عن دِمَشْق في جهة الغرب إلى الجنوب على نحو مرحلة، وهي مدينة قديمة من أعمال دِمَشْق، بها قبر أيوب النبي عليه السلام، وإليها ينسب الشيخ محيي الدين النووي الشافعي رحمه الله، ولم يتجزر لى طولها وعرضها فلتعتبر بما قاربها أيضا، وهي عن يمين الشَّعْرَا المتقدم ذكرها شرق بجنوب أيضا .

الخامس - (عمل أذرعات) - بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وفتح الزاء والعين المهملتين وألف ثم تاء مثناة من فوق في الآخر - قال في "الروض المطار": ويموز فيها الصرف وعدمه . قال : والتاء في الحالين مكسورة . وقال الخليل بن أحمد : مَنْ كَسَرَ الْأَلْفَ لَمْ يَصْرَفْ؛ وهذا صريح في حكاية كسر الألف في أولها . ويقال لها بِذُرْعَاتُ بَيَاء مثناة تحت بدل الألف - وهي مدينة من أعمال دِمَشْق من الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ستون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة - وهي مدينة البَثْنِيَّة، وبينها وبين الصَّنَمِين ثمانية عشر ميلا . قال في "التعريف" : وبها ولاية الحاكم على مجموع الصَّفَّة، وقد كان قديما بشيرها .

السادس - (عمل عَجْلُون) - بفتح العين وسكون الجيم وضم اللام وسكون الواو ونون في آخره - قلعة من جُند الأُرْدُنَّ في الإقليم الثالث، طولها ثمان وخمسون درجة وعشر دقائق، وعرضها ثلاثون درجة وعشر دقائق . مبنية على جبل يعرف بجبل عَوْف المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة تُشْرِف على القَوْرِ . وهي محدثة البناء بناها عمر الدين أسامة بن منقذ : أحد أكابر أمراء السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب في سنة ثمانين وخمسمائة . قال في "مسالك الأبصار" : وكان مكانها [دير به]

(١) كذا في التوريم أيضا وفي المعجم | وكسر الزاء | وفي القاموس | بكسر الزاء وتفتح | .

راهب اسمه عَجْلُونُ فسميت به . قال في "التعريف" : وهو حصن جبل على صِغَرِه ، وله حصانة ومنعة منيعة . ومدينة هذه القلعة الباعونة (بفتح الباء الموحدة وألف بعدها ثم عين مضمومة وواو ساكنة ونون مفتوحة وفي آخرها هاء) وهي على شوط فرس من عَجْلُون . قال في "المسالك" : وكان مكانها ديراً أيضاً به راهب اسمه باعونة فسميت المدينة به ، وهما شرق بيسان المتقدم ذكرهما

السابع - (عمل البلقاء) . قال في "الروض المعطار" : سميت بالبقاء بن سورية من بني عَمَّان بن لوط ، وهو الذي بناها . قال في "تقويم البلدان" : وهي إحدى كَوَرِ الشَّراة ، وهي عن أريحا في جهة الشرق على مرحلة ، ومدينة هذا العمل حُصْبَانُ (بضم الحاء وإسكان السين المهملين وفتح الباء وبعدها ألف ونون) وهي بلدة صغيرة ولها واد وأشجار وأرجحة وبساتين وزروع .

قال في "مسالك الأبصار" : ومن هذا العمل (الصَلْتُ) - وهي بألف ولام لازمين في أوله وفتح الصاد المهملة المشددة وسكون اللام وبعدها تاء مثناة - بلدة لطيفة من جُندِ الأَرْدُنِّ في جبل القَوْرِ الشرقي في جنوب عَجْلُون على مرحلة منها ، وبها قلعة بناها المعظم عيسى بنُ العادل أبي بكر بن أيوب ، وتحت القلعة عين واسعة يجرى ماؤها حتى يدخل البلد ، وهي بلدة عامرة أهلة ذات بساتين وفواكه . قلت : وكلامه في "التعريف" قد يخالف كلامه في "مسالك الأبصار" في جعل الصلْتُ من عمل حُصْبَان ، فإنه قال : وأولها من جهة القبلة البلقاء ومدينتها حُصْبَان ، ثم الصلْتُ ، ثم عَجْلُون ، وعَجْلُون عمل مستقل كما تقدم ، ومقتضاه أن يكون الصلْتُ أيضاً عملاً مستقلاً . وكذا رأيته في "التذكرة الآملية" نقلًا عن شهاب الدين ابن الفارقي أحد كتّاب الإنشاء بدمشق في الدولة الناصرية ابن قلاوون ، وأخبرني بعض

كُتِبَ الإنشاء أن المستقرّ الصلّت فقط والبقاء مضافة إليها، وعليه يدل كلام القاضى تقي الدين بن ناظر الجيش في "التتيف" فإنه قال : ومن كُتِبَ إليه من الولاة بالمالك الشامية في قديم الزمان - ولعله في الأيام الشهيدة - وإلى الصلّت والبقاء فيما نقل عن خط المرحوم نصر الدين بن النشائي كاتب الدست الشريف .

الثامن - (عمل صرخد) - بفتح الصاد وإسكان الراء المهملتين وفتح الحاء المعجمة ودال مهملة في آخره - بلدة صغيرة ذات بساتين وكروم وليس بها ماء سوى ما يجمع من ماء المطر في الصهاريج والبرك . قال ابن سعيد : وليس وراء عملها من جهة الجنوب وإلى الشرق إلا البرية، ومنها تسلك طريق تعرف بالرصيف إلى العراق يصل المسافرون منها إلى بغداد في نحو عشرة أيام . قال في "التتيف" : وبها قلعة وكان بها ملك من المالك المعظمية . قال في "مسالك الأبصار" : وهي عديمة البناء بُدِئَتْ قبل نور الدين الشهيد بقليل، ولما وصلت عساكر هولاكو ملك التار إلى الشام هدموا شرفاتها وبعض جذرانها فجندوها الظاهر ببيرس ، وهي على ذلك إلى الآن .

التاسع - (عمل بصرى) - بضم الباء الموحدة وسكون الصاد المهملة وألف في الآخر - هكذا هو مقيد بالشكل في كتب اللغة والحديث والمسالك والممالك وجار على الألسنة، ووقع في "تقويم البلدان" ضبطه بفتح أوله فلا أدري أهو سبق فلم أو غلط من النسخة أو أخذه من كلام غيره، وهي مدينة بموران من أعمال دمشق واقعة في الإقليم الثالث . قال في "كتاب الأطوال" و"القانون" : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة .

(١) الذي في "تقويم البلدان" طبع بباريس سنة ١٨٤٠ م ضبطه بضم الباء الموحدة كما هو المشهور، فلم نسخة التقويم كانت كذلك فأصلحها المصحح ولم يبه .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة حَوْرَانَ السفلى، بل حَوْرَانَ كلها، بل الصفقة جميعها، وكلامه في "التعريف" يوافق، وهي مدينة أَرْيَـة مبنية بالحجارة السود، ولها قلعة ذات بناء مَتِين شبيه ببناء قلعة دِمَشق . قال في "التعريف" : وكانت دار مُلْك لبني أيوب، وقد ثبت في الصحيح من حديث الخندق أنه (صل الله عليه وسلم) . قال "ثم ضربت الضربة الثالثة فلاحَت لي مِنْهَا قُصُور بُصْرَى كأنها أنيابُ الكَلَابِ" وهي التي وجد النبي صلى الله عليه وسلم بها يَمِيراً الراهب وآمن به حين قدم تاجراً لخديجة بنت خُوَيلِد قبل البعثة ، وقبر يَمِيراً هناك مشهور يزار، وقد تقدم الكلام عليها فأغنى عن إعادته هنا .

العاشر - (عمل زُرْع) - بضم الزاي المعجمة وفتح الراء المهملة وعين مهملة في الآخر - وهي بلدة من بلاد حَوْرَانَ لها عملٌ مستقلٌّ، ولم يتحزُر لي طولها وعرضها . قال في "التعريف" : وقد يتصل عمل بُصْرَى بأذرَعَاتِ لوقوع زُرْع متشاملة .

الصفقة الثالثة

(الشمالية)

سميت بذلك لأنها عن شَمَالِ دِمَشق . قال في "مسالك الأبصار" : وهي ساحلية وجبلية . قال في "التعريف" : وحدّها من القبلة حدّ ولاية دِمَشق الشماليّ وبعض الغربيّ؛ وحدّها من الشرق قرية جُوسِيّة التي بين القرية المعروفة بالقَصَب من عمل حمص وبين القرية المعروفة بالتيجة من عمل بَطْلَبَك ؛ وحدّها من الشمال مرج الأَسَل المستقل عن قائم الهرمل حيث يمتد العاصي بطراً بلسّ، وكل ما تشامل عن جبل لُبَّانَ إلى البحر؛ وحدّها من المغرب ما هو على سمت البحر منحدرًا عن صور إلى حدّ ولاية بَرَدِمَشق القبلي والغربي .

وتشتمل هذه الصفقة على خمسة أعمال .

الأول - (عمل بَلْبَكْ) - بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والياء الموحدة الثانية وفي آخرها كاف - هكذا ضبطه في "تقويم البلدان" والجارى على ألسنة الناس فتح العين وإسكان اللام . قال في "الروض المعطار" : وكان لأهلها صَنَمٌ يدعى بَعْلًا ، فالبعل اسم للصنم ، وبَكَ اسم الموضع فسميت بعلبك لذلك . قال : وإليهم بُعث النبي إِيَّاسُ عليه السلام ، وكأنه يشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في سورة الصافات بقوله : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ ؛ وكان فتحها في سنة أربع عشرة من الهجرة ؛ وهى مدينة من أعمال دِمَشْقَ واقعة في الإقليم الرابع طولها ستون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونحسون دقيقة ، وهى مدينة شمالي دِمَشْقَ ، جليلة البناء ، نبيهة الشان ، قديمة البنيان ، يقال إنها من بناء سليمان عليه السلام . قال في "مسالك الأبصار" : وهى مختصرة من دِمَشْقَ في كمال محاسنها وحسن بنائها وترتيبها ؛ بها المساجد والمدارس والربط والخوانق والزوايا والبيمارستان والأسواق الحسنة ، والماء جار فى ديارها وأسواقها ، وفيها يعمل الدهان الفائق من الماعون وغيره ويحمل منها إلى غالب البلدان مع كونها واسعة الرزق رخيصة السعر ، وكانت دار مُلْك قديم ، ومن عُشَّها درج "نجم الدين أيوب" والد الملوك الأيوبية رحمه الله ، وبها قلعة حصينة جليلة المقدار من أجل البنيان وأعظمه ، وهى مرجلة على وجه الأرض كقلعة دِمَشْقَ . قال في "التعريف" : بل إنما بنيت قلعة دِمَشْقَ على مثالها ، وهى بات لا تعد من أمثالها ! وأين قلعة دِمَشْقَ منها ومحاربتها تلك الجبال الثوابت ، وعمدها تلك الصخور الثوابت .

قَدِيمَةُ الشَّيْءِ مِنْ شَيْءٍ يُشَابِهُهُ ۝ إِنَّ السَّمَاءَ تُظِيرُ الْمَاءَ فِي الزَّرَقِ

وهذه القلعة من عمارة مَنْ نزل بها من الملوك الأيوبية آثارٌ ملوكية جليلة ، ويستدير بالمدينة والقلعة جميعاً سورٌ عظيمُ البناء مبنًى بالحجارة العظيمة المقدار الشديدة الصلابة ، ويحُفُّ بذلك غُوطَة عظيمة أَيْقَة ذاتِ بساتين مشبَّكة الأشجار بها الثمار الفاتحة ، والفواكه المختلفة . وبظاهرها عين ماء منسعة الدائر مأوَّها في غاية الصفاء بين مروج وبساتين ، يمتدُّ منها نهري تنكَّر على الحصباء في خلال تلك المروج إلى أن يدخل المدينة ، وينقسم في بيوتها وجهاتها . وعلى البعد منها عَيْنٌ أخرى تُعرَف بعين المحوج (٤) في طَرَفِ بساتينها ، منها فرع إلى الجانب الشمالي من المدينة ، ويصب في قناة هناك ويدخل منه إلى القلعة ، وبجارجها جبلٌ يُنَازِلُ المعروف بِعُشِّ الأولياء .

الثاني - (عَمَلُ الْبِقَاعِ الْبَلْبَكِيِّ) - بوصف البقاع - بكسر الباء الموحدة وفتح القاف وبعدها ألف ثم عين مهمل - بالبلبيكي ، نسبة إلى بلبك لقربه منها . قال في "التعريف" : وليس له مقر ولاية .

الثالث - (عمل البقاع العزيزي) - بوصف البقاع بالعزيزي - نسبة إلى العزيز عكس الدليل ، وكأنه نسبة إلى الملك العزيز ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله . قال في "التعريف" : ومقرُّ الولاية به كَرَكُ نوح عليه السلام . قال : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَلْبَك ، وهما مجموعتان لولاي جليل مفرد بذاته .

الرابع - (عمل يَرْوَت) - بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وضم الراء المهمل وواو واء مثناة من فوق في آخرها - وهي مدينة من الإقليم الثالث بساحل دِمَشْق . قال في "كتاب الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعَرْضُها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . وهي مدينة جليلة على ضَفَةِ البحر الرومي ، عليها سُورَان من حجارة ، وفيه كانت ينزل الأوزاعي الفقيه

المشهور، وبها جبل فيه معدن حديد، ولما غيضة من أشجار الصنوبر سعتها اثنا عشر ميلاً في التكسير، تتصل إلى تحت لبنان المقدم ذكره . قال في "تقويم البلدان" : وشرب أهلها من قناة تجري إليها . وقال في "مسالك الأبصار" : شرب أهلها من الآبار . قال ابن سعيد : وهي فُرْضة دِمَشَقَ ولها مينا جليلة ، وفي شمالها على الساحل مدينة جُبَيْل تصغير جبل . قال في "الروض المعطار" : بينهما ثمانية عشر ميلاً . قال في "العزى" : وبينها وبين بعلبك على عَقَبَةِ المُفَيْثَةِ ستة وثلاثون ميلاً .

الخامس - (عمل صَبَدَا) - بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة في الآخر - وهي مدينة بساحل البحر الرومى، واقعة في الإقليم الثالث، ذات حصن حصين . قال ابن القطاوى سميت بصَيْدُون بن صدقا بن كنعان ابن حام بن نوح عليه السلام ، وهو أول من عمرها وسكنها . وقال في "الروض المعطار" : سميت بأمرأة . وشرب أهلها من ماء يجري إليهم من قناة . قال في "العزى" : وبينها وبين دِمَشَقَ ستة وثلاثون ميلاً . قال في "مسالك الأبصار" : وكُورَتُهَا كثيرة الأشجار، غزيرة الأنهار . قال في "الروض المعطار" : وبها سمك صغار له أيدٍ وأرجل صغار إذا جُفِّفَ ومُحِقَّ وشرب بالماء، أنعظ إنعاطاً شديداً . قال في "المسالك" : وهي ولاية جليلة واسعة العمل ممتدة الفرى، تشتمل على نيف وستائة ضيعة .

الصفحة الرابعة

(الشرقية؛ وهي على ضرين)

الضرب الأول

(ماهو داخل في حدود الشام، وهو غربي الفرات)

قال في "التعريف": وحدتها من القبلة قرية القصب المجاورة لقرية جوسية المقدم ذكرها، أخذنا على النك إلى القريتين؛ وحدتها من الشرق السماوة إلى الفرات ويتهى إلى مدينة سلمية إلى الرستن؛ وحدتها من الغرب نهر الأرناط وهو العاصي، وتشتمل على خمسة أعمال أيضا.

الأول - (عمل حصص) - بكسر الحاء المهملة وسكون الميم وصاد المهملة في الآخر. قال في "الروض المعطار": ولا يجوز فيها الصرف كما يجوز في هند لأن هذا اسم أعجمي. قال: وسميت برجل من العالقي اسمه حصص هو أول من بناها. قال الزجاجي: هو حصص بن المهر بن حاف بن مكنف، وقيل برجل من ناملة هو أول من زلها، وأسمها القديم سوريا (بسين مهملة مضمومة وووا ساكنة وراء مهملة مكسورة ويا، منشأة تحت مفتوحة وألف في الآخر). وبه كانت تسميها الروم، وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "تقويم البلدان": والقياس أن طولها إحدى وستون درجة، وعرضها أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة، وهي مدينة جبلية، وقاعدة من قواعد الشام العظام. قال في "التعريف": وكانت دار ملك لليت الأسدي يبنى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب. قال: ولم يزل لملكها في الدولة الأيوبية سطوة تخاف وبأس يخشى، وهي في وطأة من الأرض ممتدة على القرب من النهر العاصي، ومنه شرب أهلها، ولها منه

(١) كذا في نصوصه أيضا وفي "معجم البلدان" ابن جان.

ماء مرفوعٌ يجرى إلى دار النياحة بها وبعض مواضع بها . قال في "مسالك الأبصار" :
وبها القلعة المصفحة وليست بالمنيعة ، ويحيط بها وبالبلد سورٌ حصين هو أمنع
من القلعة . قال في "العزري" : وهي من أصح بلاد الشام هواءً ، وبوسطها
بحيرة صافية الماء ، ينقل السمك إليها من الفرات حتى يتولد فيها ، والطير مبثوث
في نواحيها . قال ابن حوقل : وليس بها عقارب ولا حيات . وقد تقدم في الكلام
على خواص الشام وعجائبها أن بها قبة بالقرب من جامعها إذا الصق بها طين من طينها
وترك حتى يسقط بنفسه ووضع في بيت أو ثياب لم يقر بها عقرب . وإن دُر منه على
العقرب شيء أخذته مثل السكر وما قتله ؛ ولما من بر ببلدك أنواع الفواكه وغيرها ؛
ولما شها يقارب قماش الإسكندرية في الجودة والحسن ، وإن لم يبلغ شأوه في ذلك .
قال في "الروض المعطار" : ويقال إن بقراط الحكيم منها . وإن أهلها أول من أبدع
الحساب ؛ وبها قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه ، ومقامه مشهور بها يزار .

الثاني - (عمل مضيا) بكسر الميم وسكون الصاد - وهي بلدة جليظة ، ولها
قلعة حصينة في لُحف جبل الألكام الشرقى عن حماة وطرابلس ، في جهة الشمال عن
بازين على مسافة نرح ، وفي جهة الغرب عن حماة على مسيرة يوم ، وبها أنهر صغار
من أعين ، وبها البساتين والأشجار . وهي قاعدة قلاع الدعوة الآتى ذكرها في أعمال
طرابلس ودار ملكها ، وكانت أولا مضافة إلى طرابلس ثم أفردت عنها وأضيفت
إلى دمشق .

الثالث - (عمل قارا) - بقاف مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملثة وألف ثانية .
هكذا هو مكتوب في "التعريف" وغيره وهو الجارى على الألسنة . ورأيتها
مكتوبة في "تقويم البلدان" بهاء في الآخر بدل الألف الأخيرة . وهي قرية كبيرة
قبلى حمص ، بينها وبين دمشق على نحو منتصف الطريق ، تزلها قوافل السفارة ، وبينها
وبين حمص مرحلة ونصف ، وبينها وبين دمشق مرحلتان ، وغالب أهلها نصارى .

الرابع - (عمل سَلِيَّة) - بفتح السين المهملة واللام وكسر الميم وياء مثناة تحت ^(١) مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي بلدة من عمل حمص من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون العرض أربعاً وثلاثين ونصفاً . قال أحمد الكاتب : بناها عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله ابن عباس بن عبد المطلب وأسكن بها ولده . وهي بلدة على طرف البادية نَزْهَةً خِصْبَةً كثيرة المياه والشجر، ومياهها من قَيٍّْ . قال في "الروض المعطار" : وبينها وبين حمص مرحلة .

الخامس - (عمل تَدْمَر) - بفتح التاء المثناة فوق وسكون الدال المهملة وضم الميم وراء مهمله في الآخر - كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" : والجاري على السنة الناس ضم أولها . قال في "التعريف" : وهي بين القَرَيْنَيْنِ والرَّجَّةِ ، وهي معدودة من جزيرة العرب واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : طُولُهَا اثْنَانِ وستون درجة ، وعَرْضُهَا أربع وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : وهي من أعمال حِمص من شرقها ، وغالب أرضها سَبَاخٌ ، وبها نخيل وزيتون ، وبها آثار عظيمة أزيلت من الأعمدة والصخور ، ولها سور وقلعة .

قال في "الروض المعطار" : وهي في الأصل مدينة قديمة بنيتها الحق لسليان عليه السلام ، ولها حصون لأثرهم . قال : وسميت تَدْمَرُ بِتَدْمَرِ بنت حَسَّانِ ابن أَدْيَةَ ، وفيها قبرها . وإنما سكنها سليان عليه السلام بعدها . قال في "العزيزي" : وبينها وبين دِمَشْقَ تسعة ونحسون ميلاً ، وبينها وبين الرَّجَّةِ مائة ميل ومِيلان . قال صاحب حماة : وهي عن حِمص على ثلاث مراحل .

(١) في القاموس ويقوت "وسكون الميم" أي وتخفيف الياء

الضرب الثاني

(من هذه الصفة ماهو من بلاد الجزيرة، بين الفرات والبلجة

على القرب من الفرات)

وهو مدينة الرّحبة . قال في "اللباب" : ففتح الراء والحاء المهملتين والباء الموحدة وهاء في الآخر . وهي مدينة على الفرات بين الرقة وعانة ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وتعرف برّجة مالك بن طوق ، وهو قائد من قواد هارون الرشيد ، قيل إنه أول من عمرها فنسبت إليه . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد تحربت الرّحبة المذكورة وصارت قرية ، وبها آثار المدينة من المآذن الشواحق وغيرها ، وأستحدث شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذى صاحب حصص من جنوبها الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات ، وهي بلدة صغيرة ولها قلعة على تل تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد ، الخارج من الفرات . قال : وهي اليوم عطف القوافل من الفرات والشام ، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا .

قال في "التعريف" : وبها قلعة نيابة ، وفيها بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين ، ولم تزل إمرتها طبلخاناه ، بموسم شريف من الأبواب الشريفة من الأيام الناصرية ابن قلاوون إلى الآن .

تنبيه - قال في "التعريف" : ومما أضيف إلى دمشق في زمن سلطاننا يعني الناصر بن قلاوون بلاد جعبر . قال : وحققا أن تكون مع حلب ، وهي مستمرة على ذلك إلى زماننا ، وسيأتي الكلام عليها في الأعمال الخلية إن شاء الله تعالى .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطها في المعجم بإسكان الحاء ، وهو مفضى إطلاق القاموس .

وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في كتابه "التتيف" : أنه كان قد أَسْتَقَرَّ
بِتَدْمُرٍ وَسَلْمِيَّةٍ وَالسَّخْنَةِ وَالْقَرَيْتَيْنِ تَوَابُ، وَأَسْتَقَرَّ الْحَالُ عَلَى أَنْ مَكَاتِبُهُ كُلُّ مِنْهُم
إِنْ كَانَ مَقْدَمًا فَظَلِيرُ النَّائِبِ بِالرَّجَبَةِ، يَعْنِي "صَدَرَتْ" وَ"الْعَالِي" وَإِنْ كَانَ طَبْلُهَا نَاهٍ
فَالْأَمَمِ "وَالسَّامِي" بِالْيَاءِ .

القاعدة الثانية

(من قواعد البلاد الشامية حَلَبُ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

قال في "اللباب" : هي بفتح الحاء المهملة واللام وباء موحدة في الآخر -
وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها آنتان
وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

وأختلف في سبب تسميتها حَلَبُ عَلَى قولين حكاهما صاحب "الروض المعطار" :
أحدهما أنه كان مكان قلعتها رُبُوعًا، وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يَأْوِي إليها وَيَحْلُبُ
غَنَمَهُ وَيَتَصَدَّقُ بِلَبْنِهَا فَسُمِّيَتْ حَلَبَ بِذَلِكَ . الثاني أنها سُمِّيَتْ بِرَجُلٍ مِنَ الْعَالِقِ
أَسْمُهُ حَلَبُ . قال الزجاجي : حَلَبُ بْنُ الْمُثَمَّرِ مِنْ وَلَدِ جَانِ بْنِ مَكْتَفٍ^(١) .

قال في "مسالك الأبصار" : وهي مدينة عظيمة من قواعد الشام القديمة، وهي
في ولاة حمراء ممتدة، مبنية بالبحر الأصفر الذي ليس له نظير في الآفاق، وبها المساكن
الفاتحة، والمنازل الأنيقة، والأسواق الواسعة، والقياسر الحسنة، والحمامات البهجة .
ذات جوامع ومساجد ومدارس وخوانق وزوایا وغير ذلك من سائر وجوه البر،

(١) في الأصل "خان" وفي النص "حاف" والتصحيح من ياقوت .

وبها بیمارستان حسنّ لعلاج المرضى . قال في "مسالك الأبصار" : ولها نهران : أحدهما يعرف بنهر قُوقٍ ، وهو نهرها القديم . والثاني يعرف بنهر الساجور ، وهو نهر مستحدث ، ساقه إليها السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" في سلطنته وحكمه عليها . وقد ذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة : أن الملك الظاهر غازي بن العادل "أبي بكر بن أيوب" ساق إليها نهرًا في سنة خمس وستمئة ، ولعله نهر قُوقٍ المذكور . قال في "مسالك الأبصار" : ويمرّ إلى داخلها فرع ماء يتشعب في دُورها ومساكنها ولكنه لا يُبلّ صَدَاحًا ولا يَشْفى عُقْبًا ، وبها الصهاريج المملوءة من ماء المطر ، ومنها تُشرب أهلها ، ويدخل إليها الثلج من بلادها ، وليس لأهلها إليه كثير ألتفات لبرد هوائهم وقرب اعتدال صيفهم وشتائهم ؛ وبها الفواكه الكثيرة وأكثرها مجلوب إليها من نواحيها لقلّة البساتين بها ، وبظاهرها المروجُ الفيحُ والبرّ المتمدّ حاضرة وبادية ؛ وبها عسكر كثير وأمم من طوائف العرب والأكراد والتركيّان .

قال في "اللباب" : وكان الجُنْدُ في ابتداء الإسلام يزلون قَنَسِيرين ، وهي المدينة التي تُنسب الكورة إليها ؛ إلى ما تقدم ذكره ولم يكن لحلب معها ذكر . قال ابن سعيد : ثم ضعفت بقوة حلب عليها ، وهي الآن قرية صغيرة .

قال في "مسالك الأبصار" : وكانت حلب قد عظمت في أيام بني حمدان ، وتاهت بهم شرقًا على كيوان . جاءت الدولة الأتابكية فزادت فخارًا ، واتخذت لها من بروج السماء منطقةً وأسوارًا ، ولم تزل على هذا يُسار إليها بالتعظيم ، وبأبي أهلها في الفضل عليها لدمشق التسليم ، حتى تزل هولاكُو بحوافر خيله فهُدِمت أسوارها ونحرت حواضرها ، ولم تزل خالية من الأسوار ، عَريّة من الأبواب ، إلى أن كانت فتنة منطاش في سلطنة الظاهر برقوق والنائب بها من قبيلة الأمير كشبغا ، بخدّ أسوارها ، ورتب أبوابها ، وهي

سبعة أبواب: باب قَنْسَرِينَ من القبلية، و باب المقام من القبلية أيضا، و باب التَّيْرَب من الشرق، و باب الأربعين من الشرق أيضا، و باب النصر من بحريها، و باب الحِثَّان من غربيها، و باب أَنْطَلِكَةَ من غربيها أيضا، و هي الآن في غاية ما يكون من العماره و حُسْن الرّوق و البهجة، و لعلها قد فاقت أيام بني حَمْدان؛ و لم يزل نائبا من أكابر الأمراء المقتدمين من الدولة الناصرية فما قبلها إلى الآن، و قد زادت رتبته عما كان عليه في الأيام الناصرية؛ و هي ثانية دِمَشْق في الرتبة؛ و معاملاتها على ما تقدم في دِمَشْق من الدراهم و الدنانير و الفُلُوس و صنجة الذهب و الفضة . غير أن الفلوس الجُدُد لم تُرَجَّح بها بعد، و رِطْلُهَا سبعمائة و عشرون درهما بالصَّنْجَةِ الشامية، كُلُّ أوقية ستون درهما، و معاملاتها معتبرة بالمَكْشُوك، و لا تعرف فيها الفِرازة، و لا في شيء من أعمالها، و تختلف بلادها في المَكْشُوك اختلافا متباينا في الزيادة و النقص . قال في "مسالك الأبصار": و المعدل فيها أن يكون كل مَكْشُوكين و نصف غرارة و مابين ذلك و كل ذلك تقريبا .

قلت : و أخبرني بعض أهلها أن المَكْشُوك بنفس مدينة حَلَب معتبر بسبع و مِائَت بالكيل المصري، و الذراع القماش ذراعٌ و سدسٌ بذراع القماش القاهري، و يزيد على ذراع دمشق بغيراطين، و قياس دُور أرضها بذراع العمل المعروف بالديار المصرية .

الجملة الثانية

(في نواحيها و أعمالها)

قال في "مسالك الأبصار": هي أوسع الشام بلادا، متصلةٌ ببلاد سِيس و الروم و ديار بكر و بَرِّيَّة العراق . قال في "التعريف": و يحدها من القبلية المَعْرَة و ما وقع

(١) و أوافيه اثنتا عشرة أوقية [كما سيأتى له في حلب في موضع آخر] .

على سُمْتَا إلى الدِّمْنَةُ الخراب والسلسلة ازومية ومجرى القناة القديمة الواقع ذلك بين الحِيَارِ (يعنى بكسر الحاء المهملة والياء المشاة تحت وألف وراء مهملة) والقربة المعروفة بَقْبَةٍ ملاعب؛ ويحدها من الشرق [البر] حيث يحذَرْدَى أخذًا على جبل الثلج، ثم الجَلَّاب على أطراف بَالِس إلى الْفُرَاتِ دائرة يحدها . قال : وبهذا التقسيم تكون بلاد جَعَبٍ داخلية في حدودها؛ ويحدها من الشمال بلاد الروم مما وراء بَهْسَنَى وبلاد الأرمن على البحر الشامي :

ثم أعمالها على ثلاثة أقسام .

القسم الأول

(ما هو داخل في حدود بلاد الممالك الشامية ، ولها بر وأعمال)

فأما برّها فهو ضواحيها على ما تقدّم في دِمَشَق ، وهو كالعمل المنفرد بنفسه .
وأما أعمالها ، فقد ذكر المقرّ الشهابي بن فضل الله في كتابه " التعريف " و " مسالك الأبصار " بها سِتَّة عشر عملاً على أكثرها ، وربما انفرد أحد الكاتلين عن الآخر ببعض دون البعض .

الأول - (عمل قلعة المسلمين) - المصاة في القديم بقلعة الروم وهي قلعة من جُنْدِ قَنَسَرِينَ في البرّ الغربي الجنوبي من الْفُرَاتِ ، في جهة الغرب الشمالي عن حَلَب على نحو خمس مراحل منها ، وفي الغرب عن الْيَبَرَةِ على نحو مرحلة ، والفرات بذيلها . وموقعها في الإقليم الرابع . قال بعض أصحاب الأزياج : وطولها آنتنان وستون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي من القلاع الحصينة التي لا تُرَام ولا تُدْرَك ، ولها رِبَض وبساتين ، ويمر بها نهر يعرف بمرزبان يصب في الْفُرَاتِ . قال في " التعريف " : وكان بها خليفة الأرمين

(١) الممدودة عشرون وفي الفوق "سبعة وعشرون" . (٢) لعله آتقعا على أكثرها .

ولا يزال بها طاغوت الكُفْر، فقصدها الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون فقتل عليها، ولم يزل بها حتى فتحها، وسماها قلعة المسلمين . قال : وهى من جلائل القلاع .

الثانى - (عمل الكُفْتَا) - بفتح الكاف وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المشددة فوق ثم ألف فى الآخر، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهى قلعة فى أقصى الشام من جهة الشمال بشرق من حلب، على نحو خمس مراحل منها؛ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال بعض أصحاب الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة. وهى قلعة عالية البناء لأثرهم حصانة، ولما بساين ونهر، وملطية عنها فى جهة الغرب على مسيرة يومين؛ وركز منها فى جهة الشرق، وكانت أحد ثغور الإسلام فى وجوه التار عند قيامهم. قال فى "التعريف" : وهى ذات عمل متسع، وعسكر تطوع مجتمع .

الثالث - (عمل كُرْكُر) بفتح الكاف وسكون الراء المهملة ثم كاف مفتوحة ثانية بعدها راء مهملة ثانية أيضا - وهى قلعة من أقصى الشام فى الشمال عن حلب على نحو خمس مراحل أيضا، وفى الغرب من الكُفْتَا المتقدمة الذكر على نحو يوم منها؛ وموقعها فى الإقليم الرابع . قال فى بعض الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وعشرون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

قال فى "تقويم البلدان" : وهى قلعة حصينة شاهدة فى الهواء يرى الفرات منها كالجدول الصغير، وهو منها فى جهة الشرق؛ وكانت من أعظم الثغور فى زمان التار .

الرابع - (عمل بهننى) - بفتح الباء الموحدة والهاء وسكون السين المهملة ثم نون وألف - وهى قلعة فى شمالى حلب على نحو أربع مراحل منها، وموقعها فى الإقليم

الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة مرتفعة لأثرام حصانة ، بها بساتين ونهر صغير وأسواق ورُستاق متسع ، وبها مسجد جامع . ثم قال : وهي بلدة واسعة ، كثيرة الخير والحطب ، وهي في الغرب والشمال عن عيّناب ، وبينهما نحو مسيرة يومين ، وبينها وبين سبيس نحو ستة أيام . قال في "التعريف" : وهي الثغر المتأخّر لبلاد الدروب ، والمشتعل في جرة الحروب ؛ وبها عسكر من التركمان والأكراد . ولا يزال لم آثار في الجهاد . قال : ولنا فيها مكانة جليّة ، وإن كان لا يلتحق بنائب البيرة .

الخامس - (عمل عيّناب) - بفتح العين وسكون الياء المثناة تحت والنون وفتح التاء المثناة فوق ثم ألف وباء موحدة - وهي مدينة من جُند قنسرین شمالاً حلب على نحو مرحلتين منها ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهي مدينة حسنة ، واسعة الأرجاء ، كثيرة المياه والبساتين ، ذات أسواق جليّة مقصودة للتجار والمسافرين ؛ وبها قلعة حصينة متقوية في الصخر . وهي عن حلب في الشمال على نحو ثلاث مراحل منها ، وعن قلعة الروم في الجنوب على نحو ثلاث مراحل أيضاً ، وعن بهسنى في جهة الشرق والجنوب على نحو ثلاث مراحل .

السادس - (عمل الرأوندان) - بألف ولام لازمتين وراء مهمله بعدها ألف ثم واو مفتوحة ونون ساكنة ودال مهمله ثم ألف ونون - وهي قلعة من جُند قنسرین واقعة في الإقليم الرابع طولها اثنتان وستون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة على جبل مرتفع أبيض ، ذات أعين وبساتين وفواكه ، وواد

حسن ، ونهرها من تحتها نهر عَفْرَيْنَ المتقدم ذكره آخذنا من الشمال إلى الجنوب ،
وحى في الغرب والشمال عن حلب ، وبينهما نحو مرحلتين ، وفي الشمال عن حارم .
السابع - (عمل الدَّرْبَسَاك) - بفتح الدال المهملة وسكون الراء المهملة وفتح الباء
الموحدة والسين المهملة ثم ألف وكاف ، والألف واللام فيه غير لازمتين - وهي قلعة
من جُنْدِ قَنْسَرَيْنَ واقعة في الإقليم الرابع شمالى حلب على نحو ثلاث مراحل أو أربع
منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن يكون طولها إحدى وستين درجة ،
وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي قلعة حصينة ذات أعين وبساتين ، وبها مسجد
جامع ، ولها من شرقها مَرُوج منسعة ، حسنة المنظر ، كثيرة الشب ، يمر بها النهر
الأسود المتقدم ذكره .

الثامن - (عمل بَقْرَاس) - بفتح الباء الموحدة وسكون الفين المعجمة وراء مهملة
وألف ثم سين مهملة - كذا ضبطه السمعاني في "الأنساب" ووقع في "التعريف"
و"مسالك الأبصار" بالصاد المهملة بدل السين . والجارى على ألسنة الناس
ضم أقله ، وهي قلعة من جُنْدِ قَنْسَرَيْنَ ، واقعة في الإقليم الرابع شمالى حلب على نحو
أربع مراحل منها . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة
ونحس ونحسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاث ونحسون دقيقة ،
وهي في الجبل المطل على عَمَقِ حارم . قال ابن حوقل : وكان بها دار ضيافة
لرُبَيْدَةَ . قال في "تقويم البلدان" : وهي ذات أعين وبساتين وأشجار ، وبينها
وبين الدَّرْبَسَاك نحو بعض مرحلة ، وهي في جهة الجنوب عن اندَرَبَسَاك . قال
في "العزى" : وبينها وبين أنطاكية اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين إسكندرونة
كذلك ، وبينها وبين حارم نحو مرحلتين . وبقَرَّاس في الجنوب عن دَرَبَسَاك
وبينها بعض مرحلة ، وحارم في جهة الشرق عنها . قال في "التعريف" : وكانت

هى الثغر في بحر الأرمن حتى استضيفت الفتوحات الجاهانية . قال : وبها رُصص
وهى عضو من أعضائها وجزء من أجزائها . ورُصص المذكورة براء مهمل مضمومة
وصادين مهملين الصاد الأولى مفتوحة ، وهى بلدة على الساحل ، وقد مر ذكرها
في الكلام على بحر الروم على سواحل الأرمن .

التاسع - (عمل القصير) تصغير قصر . قال في "مسالك الأبصار" : وهى قلعة
غربي حلب على نحو أربع مراحل منها . قال في "التعريف" : وهى لأطاككة
ولم يتقرر لى طولها وعرضها .

الساشر - (عمل الشفر وبكاس) - آسمان لقلعتين بينهما رمية سهم .
فالشفر - بضم الشين وسكون الفين المجمعتين ثم راء مهمله .

وبكاس - بفتح الباء الموحدة والكاف ثم ألف وسين مهمله في الآخر . وهما من
جند قيسرين ، وموقعهما في الإقليم الرابع . قال في بعض الأزياج : طولها إحدى
وستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهما مبنيان على
جبل مستطيل ، وتحتهما نهر يجرى ، وبهما بساتين وأشجار وفواكه كثيرة ، ولها
رستاق ومسجد جامع . قال في "تقويم البلدان" : وهما في الجنوب عن أنطاكية
وبينهما الجبال .

الحادى عشر - (عمل شيرد) - بفتح الشين المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح
الزاي المعجمة وفي آخرها راء مهمله . وهى مدينة من جند حص غربى حلب
على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" :
القياس أن طولها إحدى وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها أربع وثلاثون درجة
ونحسون دقيقة . وهى مدينة ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة وأكثرها الرمان ،
ولها ذكر في شعر أمرى القيس مع حماء . قال في "العزى" : وبينها وبين حماة

تسعة أميال ، وبينها وبين حَصَّ ثلاثة وثلاثون ميلا ، وبينها وبين أَنْطَاكِية ستة وثلاثون ميلا .

الثاني عشر - (عمل حَجَرِ شُفْلَانَ) بلفظ حَجَرٍ واحد المجارة وإضافته إلى شُفْلَانَ (بضم الشين وسكون الفين المعجمتين ثم لام ألف ونون) . وهي قلعة شمالي حَلَبَ على نحو ثلاث مراحل منها . قال في "مسالك الأبصار" : وهي بالقرب من بَرَّاسَ في جهة الشمال على مسافة قريبة جدًا ، ولم يتحزُر لي طُولها وعَرْضها ولكنها تعتبر بِبَرَّاسَ المتقدمة الذكر لقربتها منها - وهي الآن خراب .

الثالث عشر - (عمل قلعة أَيْ قُبَيْس) - بهمزة مفتوحة وباء موحدة مكسورة بعدهما ياء ساكنة ثم قاف مضمومة وباء موحدة مفتوحة وياء مشاة تحت ساكنة ثم سين مهملة في الآخر - وهي قلعة حصينة غربي حَلَبَ مما يلي الساحل ، على نحو ثلاث مراحل قصيرة من حَلَبَ ، كذا أخبرني به بعض أهل البلاد ، ولم يتحزُر لي طولها وعرضها ، وسيأتي في الكلام على ترتيب المملكة أنها استقرت ولاية ، وربما أُضيفت إلى غيرها .

الرابع عشر - (عمل قلعة حَارِم) - بحاء مهملة مفتوحة وألف ثم راء مهملة مكسورة وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي قلعة حصينة في جهة الغرب من حَلَبَ على نحو مرحلتين منها ، ذاتُ بساتين وأشجار ، وبها نهر صغير وبينها وبين أَنْطَاكِية مرحلة ، ورَبَضُها بلد صغير . قال ابن سعيد : وقد خُصِّتْ بِالرُّمَّانِ الذي يُرى باطنه من ظاهره مع عدم العَجَمِ وكثرة الماء .

الخامس عشر - (عمل كَفَرِ طَابَ) - بفتح الكاف وسكون الفاء وراء مهملة ثم طاء مهملة بعدها ألف وباء موحدة - على إضافة كَفَرٍ إلى طَابَ . هذا هو الجارى على

الأسنة وهو الصواب ، وأصله من الكُفْر بمعنى التغطية ، والمراد مكان الزرع والحرث لتغطية الحبّ بالزراعة كما في قوله تعالى: ﴿كَثَلْ غَيْثَ كُفَّارٍ تِبَّاهُ﴾ (١) يريد الزُّرَّاع ، ووقع في كلام صاحب حماة بفتح الفاء وهو وهم .

وظاهر كلام صاحب "الروض المعطار" أن طاب في معنى الصفة لكُفْر فإنه قال : وسمى بذلك لأن حوله أرض كريمة . قال : وأرضه صحيحة الهواء ومن سكناها لا يكاد يَمْرُضُ ، وقيل إنه منسوب إلى رجل اسمه طاب - وهي بلدة صغيرة من جندِ حَمَصَ غربي حَلَبَ ، على نحو ثلاث مراحل منها ، واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة - وهي على الطريق بين المعرة وشيزر . قال في "العزى" : وبينها وبين المعرة وشيزر اثنا عشر ميلا .

السادس عشر - (عمل فامية) - بفتح الفاء وألف بعدها ثم ميم مكسورة وباء مشناة تحت وهاء في الآخر . قال في "المشترك" : ويقال لها أفاعية بهمزة في أولها يعنى مفتوحة . وهي مدينة من أعمال شيزر، غربي حَلَبَ ، على نحو أربع مراحل منها واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وثلاث دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . قال في "العزى" : وكورة فامية لها مدينة كانت عظيمة قديمة ، على نثر من الأرض ، ولها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب .

(١) وكذا في "معجم البلدان" ضبط القلم .

السابع عشر - (عمل سَرْمِين) - بفتح السين وسكون الراء المهملة وكسر الميم ثم ياء مثناة تحت ساكنة ونون بعدها . وهى مدينة فى الغرب من حَلَب على نحو مرحلتين صغيرتين منها ، واقعة فى الإقليم الرابع . قال فى "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهى مدينة غير مسورة ؛ وبها أسواق ومسجد جامع ؛ وشرب أهلها من الماء المجموع فى الصحاريح من الأمطار ، وهى كثيرة الحصب ، وبها الكثير من شجر التين والزيتون ، وهى فى جهة الجنوب عن حَلَب على مسيرة يوم منها وعملها متسع .

ومن مضافاتها مدينة الفوعة (بضم الفاء وفتح العين المهملة) . وهى مدينة على الغرب من سَرْمِين فى الغرب منها ، وتسمى هذه الولاية القريبات (بفتح القين المعجمة وسكون انزاء المهملة وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المثناة تحت المشددة وألف ثم تاء مثناة فوق فى الآخر) . قال فى "التعريف" : وهى أجل ولايات حَلَب .

الثامن عشر - (عمل الجبُول) - بفتح الجيم وضم الباء الموحدة المشددة ثم واو ساكنة ولام فى الآخر - وهى بلدة شرق حَلَب على نحو مرحلة كبيرة منها ، وهى بالقرب من الفرات ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها . قال فى "تقويم البلدان" : ومنها ينقل الملح إلى سائر أعمال حَلَب ؛ وقد أخبرنى بعض أهلها أن أصل هذا الملح نهر يصل إليها يعرف بنهر الذهب فيبقى ماء فيما يتر عليه من البلدان حتى ينتهى إليها فينقعد ملحا لوقتة .

التاسع عشر - عمل (جَبَل سَمْعَانَ) - وضبطه معروف . وهى فى جهة الشمال من حَلَب على (يوم) منها ، ولم يتحرر لى طولها وعرضها .

(١) فى الأصل سانة وأبدل فى الهامش بـ "نظ" "يوم" .

العشرون - (عمل عَزَاز) - بفتح العين المهملة والزاي المعجمة وألف ثم زاي ثانية مكسورة - كذا ضبطه في "اللباب" والجارى على الألسنة عَزَازُ بهززة مفتوحة في أولها وسكون العين والزاي الأخيرة في الوقف ؛ وهي بلدة شمالي حلب بشرق على نحو مرحلة منها . قال في "كتاب الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . وهي في شمالي حلب بمِيلة إلى الغرب . قال ابن سعيد : ولأعزاز جهات في نهاية الحسن والطيبة والحصب ، وهي من أئمة الأماكن .

الحادى والعشرون - (عمل تَلَّ بِاشِر) - بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام ثم فتح الباء الموحدة وألف بعدها شين معجمة مكسورة وراء موحلة في الآخر - وهي حصن شمالي حَلَبَ على مرحلتين منها بالقرب من عَيَّات المتقدم ذكرها . قال ابن سعيد : وهي ذات مياه وبساتين .

الثاني والعشرون - (عمل مَنَبَج) - بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحدة وفي آخرها جيم - كذا ضبطه ابن الأثير في "اللباب" : وهي بلدة من جُندِ قَسْرِينَ شرقي حَلَبَ على نحو مرحلتين منها واقعة في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولاً اثنتان وستون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام وسَمَّاهَا مَنَبَجَ فمزيت مَنَبَجَ ، وكان بها بيت نارٍ للفرس ، وهي كثيرة الفئى السارحة والبساتين ، وغالب شجرها التوت ، وأكثرها خراب .

(١) ضبطه في قاموس كنجلى [أى بكسر اللام] وكذلك ضبطه صاحب "تقويم البلدان" عن اللباب

الثالث والعشرون - (عمل تيزين) - بكسر التاء المثناة فوق وسكون الياء المثناة تحت وكسر الزاي المعجمة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر - وهي بإيدة صغيرة من أعمال حلب في جهة الغرب على نحو مرحلة منها .

الرابع والعشرون - (عمل الباب وبزاعا) . وضبط الباب معروف ، وبزاعا بضم الباء الموحدة وفتح الزاي المعجمة وألف بعدها عين مهملة وألف مقصورة في الآخر . كذا ضبطه في "تقويم البلدان" : والجارى على الأكنسة إبدال الألف في آخره بياء . وهما بلدان متقاربتان ، من جنيد قنسرين على مرحلة من حلب في الجهة الشمالية الشرقية في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها اثنتان وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة .

أما الباب : فبليدة صغيرة . قال في "تقويم البلدان" : بها مشهد به قبر عليل ابن أبي طالب رضى الله عنه ، وبها أسواق وحمام ومسجد جامع ، وبها البساتين الكثيرة والنزه .

وأما بزاعا - فضيعة من أعمال الباب .

الخامس والعشرون - (عمل دركوش) - بفتح الدال وسكون الراء المهملتين وضم الكاف وسكون الواو وشين معجمة في الآخر - وهي بلدة على النهر العاصي غربي حلب على نحو ثلاث مراحل منها ، وأكثر زرع أرضها العنب . أخبرني بعض أهل تلك البلاد أن حبة العنب بها ربما بلغت في الوزن عشرة دراهم ، وبها قلعة عاصية استولى هؤلاء كوعلى قلاع الشام ماعداها فإنه لم يصل إليها .

السادس والعشرون - (عمل أنطاكية) . قال في "اللباب" : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الطاء المهملة . قال في "تقويم البلدان" : ثم ألف وكاف

مكسورة ثم باء مشاة تحت وهاء في الآخر . قال ابن الجوالقي في "المعرب" :
وياؤها مشددة . وخالف في "الروض المعطار" : فذكر أنها مخففة الياء . وهي
مدينة عظيمة غربي حاب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . قال في "تقويم
البلدان" : وهي قاعدة بلاد العواصم . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن
طولها ستون درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . وهي مدينة
عظيمة قديمة ، على ساحل بحر الروم ، بناها بطليموس الثاني من ملوك اليونان ؛ وقيل
بناها ملك يقال له أنطاكين عرفت به ، ولها سور عظيم من صخر ليس له نظير
في الدنيا . قال في "العزى" : مساحة دُورِه اثنا عشر ميلاً . قال في "الروض
المعطار" : عدد شُرُفاته أربع وعشرون ألفاً ، وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً .
قال ابن حوقل : وهي أتره بلاد الشام بعد دمشق ، ويمتد بظاهرها العاصي والنهر
الأسود مجوتين ، وتجرى مياههما في دُورِها ومساكنها ومسجدها الجامع ، وماؤها
يستحجر في مجاريه حتى لا يؤثر فيه الحديد ، وشربه يحدت رياح القولنج ، والسلاح
بها يُنزع إليه الصداً ويذهب رُجُ الطَّيِّب بالملك فيها ، وهي أحد كراسي بطارقة
النصارى ، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى
الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ ! إنها أنطاكية وإن ذلك الرجل
"حبيب التجار" وقبره بها مشهور يزار . قلت : وحيث قد فصير ولايتها المذكورة
في "التعريف" و"مسالك الأبصار" : اثنتي عشرة ولاية .

ومِنَ أنطاكية المذكورة (السَّوَيْدِيَّة) بضم السين المشددة وفتح الواو وسكون الياء
المتناة تحت وكسر الدال المهملة وفتح الياء المتناة تحت المشددة وهاء في الآخر .
قال في "تقويم البلدان" : وموضعها حيث الطول ستون درجة وخمس وأربعون

(١) لعله ولاياتها . على أن هذه الفلكة تحتاج إلى تأمل .

دقيقة . وعندها مصبُ النهر العاصي ، وهناك ينطفئ البحر الروميّ ويأخذ غربا
بشمال على سواحل بلاد الأرمن .

القسم الثاني

(من الأعمال الحليّة البلاد المتصلة بذيل البلاد المتقنم ذكرها

في الأعمال الحلية من الشمال، وهي المعروفة ببلاد الأرمن)

قال في "التعريف" في مكتبة ممتلك سيس : وهذه البلاد منها بلاد تسمى
العواصم، ومنها بلاد كانت تسمى قديما بالتغور، سميت بذلك لما غربتها الروم، وإلى
مثل ذلك أشار في "تقويم البلدان" أيضا .

فالعواصمُ (يفتح العين المهملة والواو وكسر الصاد المهملة وميم في الآخر). قال ابن
حوقل : وهي أسمٌ للناحية وليست موضعا بعينه يسمى العواصم . قال : وقصبتها
أنطاكية . قال : وعدّ ابن نرداذبه العواصم فكثرتها وجعل منها كورة منبج،
وكورة تيزين وبالس ورصافة هشام، وكورة جومة وكذا شيزر وأفامية، وإقليم معزة
الشمان، وإقليم صوران، وإقليم تل باشر وكفر طاب، وإقليم سلمية، وإقليم جوسية،
وإقليم لبنان إلى أن بلغ إقليم قسطل بين حصص ودمشق .

قلت : وأول من سماها بذلك الرشيد هارون حين بنى بها مدينة طرسوس الآتي
ذكرها في سنة سبعين ومائة ، والذي يظهر أنها سميت بذلك لعصمتها مأدوتها من
بلاد الإسلام من العدو، إذ كانت متاخمة لبلاد الكفر، واقعة في نحر العدو، وعسكر
المسلمين حافظة لها .

والتغور جمع تغر (يفتح التاء المثناة وسكون النين المعجمة وفي آخره راء مهملة).

قال في "المشارك" وهو أسم لكل موضع يكون في وجه العدو؛ قال : وثغور الشام
كانت أذنة طرسوس وما معها فاستولى عليها الأرمن .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في تاريخه : أن الرشيد في سنة سبعين ومائة عزل الثغور كلها من الجزيرة وقنسرين وجعلها حيزاً واحداً وسماها العواصم . قلت : ومقتضى ذلك أن تكون الثغور والعواصم أسماء على مسمى واحد ، وعليه ينطبق كلام المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" . وقد حُدد في "التعريف" هذه البلاد بمجملتها فقال : وحدها من القبلة وأنحراف للجنوب بلاد بَرَّاس وما يليها ؛ وحدها من الشرق جبال الدَّرَبَدَات ؛ وحدها من الشمال بلاد آبن قرمان ؛ وحدها من الغرب سواحل الروم المفضية إلى العَلَايا وأنطاليا . وسيأتي الكلام على أصل استيلاء الأرمن على هذه البلاد وأتراعها منهم وعودها إلى الإسلام في الكلام على مكتبة مملك سِيس ، على ما كان عليه الأمر قبل عودتها إلى الإسلام في مكاتبات ملوك الكفر إن شاء الله تعالى .

ويشتمل على عدة نِسيابات ؛ بعضها ذكره في "التعريف" وبعضها استجبت بعد ذلك ، وهي على ضربين أيضاً .

الضرب الأول

(الأعمال الجارية) وهي صفتان : ساحلية وجبلية)

فأما الجبلية ، فثلاثة أعمال .

الأول - (عمل مَلِيطِيَّة) - بفتح الميم واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . وهي مدينة شمالي حلب بمِيلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها . قال آبن سعيد : وهي قاعدة بلاد الثُّغُور ، وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : وطولها إحدى وستون درجة ،

(١) ضبطها ياقوت والمجد بفتحين ثم سكون وقال ياقوت : كسر الطاء . وتشديد الياء . من قول العامة .

وعرضها سبع وثلاثون درجة ، ووافق في " القانون " على الطول وجعل العرض ثمانيا وثلاثين درجة ؛ وقد عدّها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قرى بلاد الروم على مرحلة . قال صاحب حماة : والأبقى عدّها من بلاد الروم . ثم قال : وعدّها بعضهم من الثغور الجزرية . قال في " الروض المعطار " : وكانت قديمة فخرتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور يعني ثانياً خلفاء بني العبّاس في سنة تسع وثمانين^(١) ومائة ، وجعل عليها سورا محكا - وهي بلدة ذات أشجار وفواكه وأنهار ، وهي مسورة ، في بسيط من الأرض والجبال محفة بها من بُعد ، ولها نهر صغير يمر بسورها ، ولها قنطرة تدخلها وتجرى في دورها إلا أنها شديدة البرد - وهي في شمالي الجبل الدائر الذي ببيس في غربيّه ، في الجنوب عن سيواس ، وبينهما نحو ثلاث مراحل ، وفي الغرب عن نكتنا وبينهما نحو مرحلتين . وقد ذكر في " تقويم البلدان " : أنها قُتعت في سنة خمس عشرة وسبعائة .

الثاني - (عمل درنة) - بفتح الدال والراء المهملتين وسكون النون وفتح الدال الثانية وهاء في الآخر - وهي مدينة في جهة الغرب عن مَلطية على نحو مرحلة ، ذاتُ بساتين وأنهار وعيون ماء تجري ، وبينها وبين حلب نحو عشرة أيام .

الثالث - (عمل دبركي) - بفتح الدال المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الراء المهملة ولسر الكاف وياء مثناة تحت في الآخر . وقد يقال دَوْرَكِي بإبدال الباء واوا . وهي مدينة في جهة الشمال والغرب من حلب ، على نحو عشر مراحل منها ، بها بساتين وأشجار ، وبينها وبين حلب نحو آخى عشر يوما .

(١) ابنه مصحف عن ثلاثين فإن المنصور تولى الخلافة سنة ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة ، ونقل ياقوت أنه أرسل من بني ملطية سنة أربعين ومائة .

وأما الساحلية، فإن بها خمسة أعمال .

الأول - (آياس) - بفتح الهمزة المدودة والياء المثناة تحت ثم ألف وسين مهملة في الآخر . وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل البحر، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها تسع وخمسون درجة ، وعرضها ست وثلاثون درجة ، وهي فُرْضة تلك البلاد، وبينها وبين بفرّاس المتقدم ذكرها مرحلتان . قال في "التعريف" : وقد جعلت نيايةً جلييلةً نحو حصّ ، وجعل أمرها إلى نائب الشام ، ثم جعلت إلى نائب حلب ، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية إضافة إلى نهر جاهان المجاور لها ، وهو جيحان المتقدم ذكره ، وكانت آستعادتها من الأرمن في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون في سنة ثمان وثلاثين وسبعائة ، ولذلك قال في "التعريف" : والمهد بفتحها قريب .

الثاني - (عمل طرسوس) - بفتح الطاء والراء المهملتين جميعاً وضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية - هكذا ضبطه في "اللباب" والجارى على الألسنة سكون رائها ، وهي مدينة من بلاد الأرمن على ساحل بحر الروم شمالاً بغرب عن حلب ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثمان وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة مسورة ، بناها الرشيد في سنة سبعين ومائة وأكملها في سنة اثنتين وسبعين ، ولها خمسة أبواب : باب الجهاد ، وباب الصفّصاف ، وباب الشام ، وباب البحر ، والباب المسدود . والنهر يشق في وسطها وعليه قنطرتان داخل البلد . قال ابن حوقل : وهي في غاية الخصب ، وبينها وبين حد الروم جبال هي الحاجز بين الروم والمسلمين ، وبها دُفِن المأمون بن الرشيد ، وكانت آستعادتها من الأرمن في الدولة الناصرية حسن بن محمد بن قلاوون .

الثالث - (عمل أدنة) - بهزة ودال مهملة ونون مفتوحات وهاء في الآخر .
وهي مدينة من بلاد الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في بعض الأرياح : طولها
تسع وخمسون درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أحمد
ابن يعقوب الكاتب في كتابه "المسالك والممالك" : وهي من بناء الرشيد . قال
ابن حوقل : وهي مدينة حصينة عامرة ، وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا .

الرابع - (عمل سرفندكار) - بكسر السين وسكون الراء المهملتين وفتح الفاء
وسكون النون وفتح الدال المهملة والكاف ثم ألف وراء مهملة - هكذا ضبطه
صاحب حماة ، ثم قال : وقد يجعل موضع الفاء واوا فيقال سِرُونْدَكَارَ والموجود
في الساتير إسْفَنْدَكَارُ بهزة في الأول وسقوط الراء الأولى ؛ وهي قلعة من بلاد
الأرمن واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها
سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة
في واد على صخر ، وبعض جوانبها ليس له سور للاستغناء عنه بالصخر ، وهي على القرب
من نهر جيحان من البر الجنوبي ، في الشرق عن تل حمدون على نحو أربعة أميال .

الخامس - (عمل سيس) - بكسر السين المهملة وسكون الياء المثناة تحت ثم
سين مهملة ثانية - هذا هو المعروف في زماننا ، ووقع في كلام صاحب كمال الدين
ابن العديم أن اسمها سيسيّة باثبات هاء في آخرها ، وكلامه في "العريزي" يوافقه .
وهي قاعدة بلاد الأرمن وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون
درجة ، وعرضها سبع وثلاثون درجة . وهي بلدة كبيرة ذات بساتين وأشجار ، ولها قلعة
حصينة عليها ثلاثة أسوار على جبل مستطيل ، بناها بعض خدام الرشيد وهو الذي
سمّاها . قال ابن سعيد : وكانت قاعدة الثغور الشمالية . قال في "العريزي" : وبينها

(١) الذي في "تقويم البلدان" و"معجم البلدان" و"الفهرست" أنها بالدال المعجمة .

وبين المصيبة أربعة وعشرون ميلا، وكانت استعادتها من الأرمن في الدولة الأشرافية شعبان بن حسين. قلت : وقد كانت ميس في أعقاب الفتح نيابة مستقلة، ثم صارت مقدمة عسكر مضافة إلى حلب كما يقع في غزاة في كونها تارة تكون نيابة مستقلة، وتارة مقدمة عسكر مضافة إلى دمشق على ما تقدم ذكره .

الضرب الثاني

(١١) (من الأعمال الصغار بلاد الأرمن)

وهي ثلاثة عشر عملا لثلاث عشرة قلعة، لم تجر العادة بمكاتبة أحد من نوابها عن الأبواب السلطانية، ذكر بعضها في " التعريف " وبعضها في " التثقيف " وبعضها في غيرهما من الدساتير .

الأول - (عمل قلعة باري كروك) بفتح الباء الموحدة وألف بعدها راء مهملة مكسورة ثم ياء ساكنة ثم كاف مفتوحة وراء مهملة وواو ساكنة ثم كاف في الآخر. وهي قلعة على رأس جبل بالقرب من طرسوس في الشمال، على نحو نصف مرحلة قال في " التثقيف " : استجذت في سنة ستين وسبعائة . قلت : آفتحتها بيدمر الخوارزمي نائب ميس في سلطنة الناصر محمد بن قلاوون .

الثاني - (عمل كاؤرا) بفتح الكاف وبعدها ألف وواو وراء مفتوحة مشددة وألف في الآخر . وهي قلعة في الشمال عن آياس على جبل مطلق على البحر الرومي على نحو ساعة . قال في " التثقيف " : استجذت سنة تسع وستين وسبعائة .

الثالث - (عمل كولاك) بفتح الكاف وسكون الواو ولام ألف بعدها كاف ثانية . وهي قلعة مدورة على رأس جبل في الشمال عن طرسوس على نحو مرحلة، يسكنها طائفة من التركمان .

الرابع - (عمل كَرْزَال) بكاف مكسورة وراء هملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وبعدها ألف ثم لام . وهى قلعة صغيرة على رأس جبل بالقرب من كَوْلَاك المتقدم ذكرها على نحو مرحلة . قال فى "التثقيف" : آستجذت فى سنة نَيْف وسبعين وسبعائة .

الخامس - (عمل كُومى) بضم الكاف وسكون الواو وكسر الميم وياه مثناة تحت فى الآخر .

السادس - (عمل تَلْ حَمْدُون) بفتح التاء المثناة فوق وتشديد اللام وفتح الحاء المهملة وإسكان الميم وضم الدال المهملة وسكون الواو ونون فى الآخر . وهى قلعة ببلاد الأرمن ، وموقعها فى الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : طولها تسع وخمسون درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة . قال صاحب حماة : كانت قبل أن يخرّبها المسلمون قلعة حصينة حسنة البناء على تَلْ عال ، ولها سور مانع و رِبَض وبساتين ونهر يجرى ، وعلى القرب من جِيحان فى جهة الجنوب على نصف مرحلة ، وبينها وبين آياس نحو مرحلة ، وبينها وبين سِيس نحو مرحلتين .

السابع - (عمل المَارُونِيَّتَيْنِ) - بفتح المَاء وألف بعدها ثم راء هملة مضمومة ونون مكسورة بعدها ياء مثناة تحت مشددة مفتوحة ثم تاء مثناة فوق بعدها ألف ونون . قال فى "التعريف" : وهما حصنان بناهما هارون الرشيد . وقال فى "المشترك" : المارونية مدينة صغيرة آخطها هارون الرشيد بالثغور فى طَرْف جبل اللُكَّام . وقال فى "العزى" : المارونية آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية ، وبينها وبين الكنيسة السوداء أشأ عشر ميلاً .

قال في "كتاب الأطوال" : وطولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

الثامن - (عمل قلعة نَجْمَة) بفتح النون وسكون الجيم وفتح الميم وهاء في الآخر.^(١) وهي قلعة على القرب من الفُراتِ بينها وبين جَسْر مَنبِج خمسة وعشرون ميلا. قال في "تقويم البلدان" : وهذه القلعة في السحاب . قال : وكان يقال لذلك المكان حصن مَنبِج فصارت تعرف بقلعة نَجْمَة . ثم قال : وهي من بناء السلطان محمود بن زنكي . قلت : وفي "التعريف" ما يقتضى أنها من جملة بناء المأمون .

التاسع - (عمل قلعة حِمِص) . وهي قلعة خراب صغيرة بالقرب من نهر جَبْجَان .
العاشر - (عمل قلعة لُؤْلُؤَة) - وهي قلعة شمالي كَوَلَاكَ أَسْتَعَادَهَا أَبُو عَثْمَانَ .
الحادى عشر - (عمل قلعة تَامَرُون) شمالي طَرَسُوسَ ، بيد عيسى بن الألس البرسقى التركمانى .

الثانى عشر - (عمل سِنْيَاطُ كَلَا) شمالي طَرَسُوسَ . كانت داخل المملكة أَسْتَوَلَى عليها أَبُو قَرْمَانَ في أيام المنصور بن الأشرف شعبان .
الثالث عشر - (عمل بلسلوص) غربى طَرَسُوسَ على ساحل البحر ، بيد حسن ابن قوسى البرسقى التركمانى .

القسم الثالث

(من الأعمال الحلبية البلاد المجاورة للفرات من شرقية من بلاد الجزيرة الواقعة بين الفرات ودجلة ؛ وهي ثلاثة أعمال)

الأول - (عمل البيرة) بكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الراء المهملَة وألف في الآخر . وهي قلعة في البر الشرقى في الشمال عن الفُراتِ ، في الشرق^(٢)

(١) في المعجم بدون هاء . وقال "بلفظ النجم من الكواكب" (٢) لعله وهاء . في الآخر ، وهي غير البيرة التي يبلاد الأندلس فان تلك الهزئة فيها أصلية على وزن إنريطة وكبرية فليتنبه .

عن قلعة الروم المتقدم ذكرها على نحو مرحلة والفُرات بينهما . وقد عثا
في "تقويم البلدان" : من جُند قنسرين من أعمال الشام ، وموقعها في الإقليم الرابع
من الأقاليم السبعة . قال في بعض الأزياج : طولها اثنتان وستون درجة وثلاثون
دقيقة ، وعرضها ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة ، وهي قلعة ذات ارتفاع
وحصينة لأترام . قال في "تقويم البلدان" : ولها سوق وعمل . قال ابن سعيد :
وقلعتها على صخرة . قال في "التعريف" : ولها منعة وعسكر .

الثاني - (عمل قلعة جَعْبَر) - بفتح الجيم وسكون الهين المهملة وفتح الباء
الموحدة وراء مهملة في الآخر . وهي قلعة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي من
الفُرات أيضا ، وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها اثنتان وستون
درجة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال القاضي جمال الدين
ابن واصل : وكانت هذه القلعة تعرف قديما بالنُوسيرية نسبة إلى دُوسر : عبد النعمان
ابن المنذر ، وهو الذي بناها أولا لما جعله النعمان على أفواه الشام ، ثم تملكها سابق الدين
جعبر القشيرى في أيام الملوك السلجوقية فعرفت به ، ثم آثرعها منه السلطان ملكشاه
السايق . قال صاحب حماة : وهي في زماننا خراب ليس بها ديار . قلت : وذلك
في أثناء الدولة الناصرية محمد بن قلاوون ، ثم عمرت بعد ذلك في آخر الدولة الناصرية
أو بعدها بقليل ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التعريف" : حين تعرض لذكرها في آخر
مضافات الشام قبل ذكر حلب بقوله : وهي مجتدة البنيان ، مستجدة الآن ، لأنها
جُددت منذ سنوات ، بعد أن طال عليها الأمد ، وأُخِي عليها الذي أُخِي على بُد .
وكان قد ذكر قبل ذلك في الكلام على تقاسيم الشام أنها مضافة إلى دِمَشْق .
ثم قال : وحققا أن تكون مع حلب ، وقد صارت الآن من مضافات حلب .

الثالث - (عمل الرُّها) - بضم الراء المهملة وفتح الهاء وألف في الآخر . وهي مدينة
من ديار مُضَرَ في البر الشرقي الشمالي عن الفُرات ، وموقعها في الإقليم الرابع بالقرب

من قلعة الروم . قال في "الأطوال" : طولها أثنان وستون درجة وخمسون دقيقة، وعرضها سبع وثلاثون درجة . قال في "العزى" : وهي مدينة عظيمة رومية، فيها آثار عجيبة . قال في "الروض المعطار" : وهي مدينة ذات عيون كثيرة تجري منها الأنهار، وبها البساتين والأشجار الكثيرة، وعليها سور من حجارة، ولها أربعة أبواب باب حرّان، والباب الكبير، وباب سبع، وباب الماء . قال : وليس في بلاد الجزيرة أحسن منتهات منها ولا أكثر فواكه ، والفُراتُ منها في ناحية الغرب على مسيرة يومين، وفي ناحية الشمال على مسيرة يوم . قال في "تقويم البلدان" : وكان بها كنيسة عظيمة، وفيها أكثر من ثلثائة دير للنصارى . قال : وهي اليوم خراب يعنى في أثناء الدولة الناصرية، ثم عمرت بعد ذلك . قلت : وهي اليوم عامرة أهلة، والله سبحانه وتعالى أعلم .

القاعدة الثالثة

(من قواعد المملكة الشامية حمأة)

وقد ذكرها في "مسالك الأبصار" بعد دمشق ، وهو أليق لغربها منها، ولكنه قد ذكرها في "التعريف" بعد حلب فتبعته على ذلك ؛ وفيها جملتان :

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الحاء المهملة والميم وألف ثم هاء في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع بين خِصّ وقنسرين . قال في "تقويم البلدان" : وطولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة ؛ وهي مدينة قديمة أزليّة . قال في "تقويم البلدان" : ولها ذكر في التوراة، وهي على صفة

العاصي مَكِينَةُ البناء، ولها سُورٌ جليل، وبيوت ملوكها وشُرَفانها مظلة على النهر العاصي؛ وبها القصور الملوكية، والدور الأنيقة والجوامع والمساجد والمدارس والربط والزوايا والأسواق التي لا تَقْدَمُ نوعاً من الأنواع؛ وبها قلعة مبنية بالحجارة الملوّنة؛ وغالبُ مبانيها العلية، وآثار الخير والبرِّ الباقية فيها من فواضل نِعم الدولة الأيوبية؛ وبها أنواعٌ مرَّجبة على العاصي، تدور بجرّان الماء، وترفع الماء إلى الدور السلطانية ودُور الأمراء والأكابر والبساتين؛ وفي بساتينها الفِرَاسُ الفائق والشمار الغربية؛ ولم يكن لها في القديم نَبَاحَةٌ ذِكْرٌ، وكان الصَّيْتُ لِمَحْصِ دُونِهَا، ثم تنبه ذكرها في الدولة الأتابكية زَنكى؛ فلما آلت إلى ملوك بني أيوب مَصْرُوهَا بالأبنية العظيمة، والقصور الفاتحة، والمسكن الفاتحة، وتأمير الأمراء، وتجنيد الأجناد فيها؛ وعظّموا أسواقها وزادوا في غِرَاسِهَا، وجلبوا إليها من أرباب الصنائع كُلِّ من فاق في فنّه إلى أن كملت محاسنها، وصارت معدودة من أمهات البلاد وأحسن الممالك؛ وهى في غاية رَفَاهَةِ العيش إلا أنها شديدة الحُرِّ محبوبة الهواء، وبِعَرَضٍ لها في الخريف تغير تنسب به إلى الوَخامة، ولا يبقى بها الثلج إلى الصيف كما يبقى في بقية الشام، وإنما يجلب إليها مما يجاورها؛ وحولها مروج فيح ممتدة يكثر فيها مصايد الطير والوحش؛ وليس بالممالك الشامية بعد دِمَشْقَ لها نظير، ولا يلدانها في لُطْفِ ذاتها من مجاورتها قريب ولا بعيد. قال في "الروض المِعْطَار": وبينها وبين حِمَصَ أربعون ميلاً، ولم تزل بأيدي بقايا الملوك الأيوبية من جهة صاحب مصر، يقيم ملوكهم فيها ملكاً بعد ملك إلى أن كان بها منهم آخر الأيام الناصرية محمد بن قلاوون المتقدم ذكره، وأستقر فيها بالأمير طغتمش الجوى: أحد مقدمي الألوف بالديار المصرية نائباً، وأستقرت بأيدي التواب يليها مقدم ألف بعد مقدم ألف إلى الآن.

(١) لعل الباء من زيادة النسخ أى كان بها منهم في تلك الأيام وأستقر فيها الأمير الخ.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدها من القبلية مدينة الرستن وماساتها أخذنا بين سلمية وقبة ملاعب ، إلى حيث بحر النهر والآثار القديمة ؛ وحدها من الشرق البر أخذنا على سلمية إلى ما أستفل عن قبة ملاعب ؛ وحدها من الشمال آخر حد المعزة من العرايا ،^(١) وحدها من الغرب مضافات مضيايف وقلاع الدعوة ؛ وليس بها نواب قلاع البتة ، ولها ثلاثة أعمال .

الأول - (عمل برها) - وهو ظاهرها وما حولها كما تهتم في دمشق وحلب .
الثاني - (عمل باري) - بفتح الباء الموحدة وألف بعدها وكسر الراء المهملة وسكون الياه المثناة تحت ونون في الآخر - وهي بلدة على مرحلة من حماة في الغرب عنها بميلة يسيرة إلى الجنوب ؛ وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" :
والقياس أن طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة .^(٢)

الثالث - (عمل المعزة) - بفتح الميم والعين المهملة ثمراء مهلة مشددة مفتوحة وهاء في الآخر - وهي مدينة من جند حمص واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها إحدى وستون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها إحدى وستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وتعرف بمعزة النعمان . قال : البلاذري إضافة إلى النعمان بن بشير الأنصاري رضي

(١) كذا في الأصل بإعمال القط وفي الضوء "من الغرب" .

(٢) لم يتكلم على العرض كعادته ولعله سقط من قلم النسخ . ويستفاد من "التقويم" أن عرضها أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة .

الله عنه . قال في "العزيزي" : وهي مدينة جليلة عامرة كثيرة الفواكه والثمار والخضيب، وشرب أهلها من الآبار . قال في "الروض المعطار" : ولها سبعة أبواب : باب حلب، والباب الكبير، وباب شيت، وباب الجنان، وباب حص، وباب كذا^(١) . قال : ويُذكر أن قبر شيت بن آدم عليه السلام عند الباب المنسوب إليه فيها، ودخلها قبر يوشع بن نون عليه السلام، وعلى ميل منها دير سمعان الذي به قبر عمر بن عبدالعزيز . قال السمعاني : والنسبة إليها معرّتي . قال : وبالشام بلدة أخرى تسمى معرة نسر بن النون والسين المهملة ، والنسبة إليها معرّتي . قال صاحب حماة : والمشهور في الثانية أنها معرة مصرين بميم وصاد مهملة .

القاعدة الرابعة

(من قواعد الملكة الشامية أطراً بلس، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الهمزة وسكون الطاء وفتح الراء المهملتين ثم ألف وباء موحدة ولام مضمومتين وسين مهملة في الآخر . قال السمعاني : وقد تسقط الألف منها فرقا بينها وبين أطراً بلس التي في الغرب، وأنكر ياقوت في "المشترك" : سقوطها وعاب على المتنبي حذفها منها في بعض شعره . قال في "الروض المعطار" : ومعنى أطراً بلس فيما قيل ثلاث مدن ، وقيل مدينة الناس . وهي مدينة من سواحل حص واقعة في الإقليم الرابع . قال في "كتاب الأطوال" : طولها تسع وخمسون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة ؛ وكانت في الأصل من بناء الروم فلما فتحها المسلمون في سنة ثمان وثمانين وستمائة في الأيام الأثرفية "خليل بن قلاوون" رحمه

(١) هذا هو السادس وكنتي عنه ولم يحله ولم يذكر السابع فليعلم .

الله، خربوها وعمّروا مدينة على نحو ميل منها وسمّوها باسمها، وهى الموجودة الآن؛ ولما بنيت هذه المدينة الجديدة كانت وخيمة البقعة، ذميمة السكن. فلما طالت مدة سكّنها وكثُر بها الناس والدوابُّ وصُرفت المياه الآسنة التى كانت حولها وعملت بساتين، ونُصبت بها النصبوب والغُرُوس، خَفَّ ثِقَلُها وقلَّ وَجْهها.

قال فى "مسالك الأبصار": ولما وَلَّى نيايتها أَسْتَدْمَرَ الكرجى كان لايفك عن كونه ونحما فشكا ذلك إلى سليمان بن داود المتطبب، فأشار عليه أن يستكثرفها من الإبل وسائر الدوابِّ ففعل نَحْفٌ وَجْهها. قال: وقد سألت عن علة ذلك الكثير من الأطباء فلم يجيبوا فيه بشئ.

قلت: لا خفاء أن المعنى فى الإبل ما أشار به النبي صلى الله عليه وسلم فى أمر العربيين حين أَسْتَوْنَحُوا المدينة "أنهم يُقِيمُونَ فى إبل الصَّدَقَةِ ويشربُونَ من ألبانها وأبوالها ففعلوا ذلك فَصَحُّوا" فكان ذلك من خاصة الإبل. ولعل التأثير فى ذلك للإبل خاصة دون سائر الدواب. وهى الآن مدينة متمدنة كثيرة الزحام، وبها مساجد، ومدارس، وزوايا، وبمارستان، وأسواق جلييلة، وحمامات حسان، وجميع بنائها بالحجر والكليس مبيضا ظاهرا وباطنا، وغُوطُها محيطة بها، وتحيط بغُوطِها مزروعاتها، وهى بديعة المُشْتَرَف، ولها نهر يحكم على ديارها وطباقتها يتخزق الماء فى مواضع من أعلى بيوتها التى لأيرقى إليها إلا بالدرج العلية؛ وحولها جبال شاهقة، صحيجة الهواء، خفيفة الماء، ذات أشجار وكروم ومروج ومواش، ومينائها ميناء جليلة، تهوى إليها وفود البحر الرومى وترسو بها مراكبهم، وتُباع بها بضائعهم. وهى بلدة متَجَر وزرع، كثيرة الفائدة. وقد تهتم فى الكلام على عجائب الشام أن داخل البحر بالقرب منها على نحو رَمِيَّة حجر عن البر عيناً فَوَارَةً عَذْبَةُ الماء تَطْفُو على وجه الماء قدر ذراع أو أكثر، يتبين ذلك عند سكون الريح.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في " التعريف " : وحدّها من القبلّة جبل لُبْنَان ممتدّا على ما يليه من مَرَج الأمد، حيث يمتدّ النهر العاصي، وحدّها من الشّمال فَلَاح الدَّعْوَة، وحدّها من الغرب البحر الرّومي . وأعمالها على قسمين :

القسم الأوّل

(الأعمال الجبّار التي يكتأبّ نوابها عن الأبواب السلطانية، وهي على ضريين)

الضرب الأوّل

(مضافاتها نفسها ، وهي ست نيايات)

الأوّل - (عمل حصن الأكراد) - بإضافة حصن واحد الحصون إلى الأكراد الطائفة المشهورة ؛ وهي قلعة من جُنْدِ حِمَص ، موقعها في الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها ستون درجة وثلاثون دقيقة، وعرضها أربع وثلاثون درجة . قال في "المشارك" : وهي قلعة حصينة مقابل حصن من غربها، على الجبل المتصل بجبل لُبْنَان نحو مرحلة من حصن . قال في "التعريف" : وهي حصن جليل وقلعة شَمَاء، لا تبعد منها السماء . قال : وكانت محل النياية ومقرّ العسكر قبل فتح طَرَّا بُلُس .

الثاني - (عمل حصن عَكَار) - بإضافة حصن إلى عَكَار - ففتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وبعدها ألف ثم راء مهملة - وهي قلعة على مرحلة من طَرَّا بُلُس في جهة الشرق بوسط جبل لُبْنَان في وادٍ والجبل محيط بها، وشرب أهلها من عين تجري إليها من ذيل لُبْنَان المذكور، ولها رِبَض ليس بالكبير .

الثالث - (عمل بلاطُس) - بفتح الباء الموحدة وبعدها لام ألف ثم طاء مهملة ونون مضمومتان وسين مهملة في الآخر - وهي قلعة بالقرب من مدينة مصياف في جهة الغرب منها على نصف مرحلة ، وفي جهة الشمال من طَرَأْبُلُس على نحو مرحلتين .

الرابع - (عمل صَهِوَن) - بفتح الصاد المهملة وسكون الهاء وضم الياء المتناة تحت وسكون الواو ثم نون في الآخر - وهي قلعة من جُند قَنَسِيرِينَ في الإقليم الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي من القلاع المشهورة ، ذات حصانة ومنعة ، مبنية على صخر أصم ، في ذيل جبل يظهر من اللاذقية وبينهما نحو مرحلة ، وهي في الشرق عن اللاذقية بميلة إلى الجنوب ، وبها المياه الكثيرة حاصلة من الأمطار .

الخامس - (عمل اللاذقية) - بالفاء ولام لازمتين وذال معجمة وقاف مكسورتين وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في آخرها . وهي مدينة من سواحل الشام واقعة في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة وأربعون دقيقة ، وعرضها خمس وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وعندها في "العزري" من أعمال خمس ثم قال : وهي مدينة جليظة بل هي أجلى مدينة بالساحل منعة وعمارة ، ولها مينا حسنة ، ومنها إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ، وقد عدها في "التعريف" : في جملة ولايات طَرَأْبُلُس على ما كانت عليه إذا ذاك ، ثم استقرت بعد ذلك نيابة ، وهي الآن أعظم نيابات طَرَأْبُلُس .

السادس - (عمل المرقب) - بفتح الميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وباء موحدة في الآخر . وهي قلعة بالقرب من ساحل البحر الرومي ، وموقعها في الإقليم

(١) ضبطها ياقوت والمجد بكسر الصاد وفتح الياء المتناة من تحت .

الرابع . قال في "الزيج" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمسة وأربعون دقيقة ، وهي قلعة حصينة حسنة البناء مشرفة على البحر وعلى نحو فرسخ منها مدينة (بِلْنِيَّاس) بكسر الباء الموحدة واللام وسكون النون وباء مشاة تحت وألف وسين مهملة . وفي الغالب تضاف إليها فيقال المَرْقَبُ وبِلْنِيَّاسُ ، وهي مدينة حسنة على الساحل ، ذات مياه وأعين تجري وفواكه كثيرة . قال في "العزيزي" : وبينها وبين أنطَرطُوسَ اثنا عشر ميلاً ، ولم يتعرض لذكر المَرْقَبِ في "التعريف" : ولا في "مسالك الأبصار" .

الضرب الثاني

(قِلَاعُ الدَّعْوَةِ ، بفتح الدال)

سميت بذلك لأنها كانت بيد الإسماعيلية من الشَّيعة المتسعين إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهم يسمون أنفسهم أصحاب الدعوة الحادية ، وهؤلاء هم المعروفون في ديوان الإنشاء بالقُصَاد ، وبين العنقة بالفداوية ، وسيأتي الكلام على معتقدهم في الكلام على القُصَاد ، ثم في الكلام على تحليف أهل الدِّع في باب الأيمان إن شاء الله تعالى . وهي سبع قلاع ، عظيمة الشأن ، رفيعة المقدار ، لأسمائِ مَنَعَة ولا تُرام حصاناً ، وكانت أولاً كلها مضافة إلى طَرَابُلُسَ ثم نقلت مِصْيَافَ منها إلى دِمَشْقَ على ما تقدم ذكره ، والبقية على ما كانت عليه من إضافتها إلى طَرَابُلُسَ . وهي ستة أعمال .

الأول - (عمل الرضائفة) - بألف ولام لازمتين في أولها وراء مهملة مضمومة وصاد مفتوحة بعدها ألف ثم فاء وهاء - وهي قلعة بالقرب من مِصْيَافَ ، وبالشام

بلدة أخرى يقال لها الرُصَافَةُ أيضا وتعرف بِرُصَافَةِ هِشَام، على أَقْلٍ من مسافة يوم من الجانب الغربي من القُرَاتِ .

الثاني - عمل (الخَوَاطِي) - بفتح الخاء المعجمة والواو ثم ألف وباء موحدة مكسورة وياء في الآخر - وهي قلعة في جهة الشمال من طَرَّا بَلَسَ على نحو مرحلين، وقد تقدم في الكلام على خواص الشام أن بسورها مكانا لا ينظره ملسوع أو رسوله إلا براً ذلك الملسوع ولم يضره السم .

الثالث - (عمل القَدَمُوسِ) - بفتح القاف والdal المهملة وضم الميم وسكون الواو وسين مهملة في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الخَوَاطِي المقدمة الذكر، وقد تقدم في الكلام على خواص الشام أن بها حَمَّامًا يظهر منه أنواع من الحيات وتمشي بين الناس ولا تضر أحدا البتة .

الرابع - (عمل الكَهْفِ) - بفتح الكاف وسكون الهاء وفاء في الآخر - وهي قلعة بالقرب من القَدَمُوسِ على نحو ساعة على نَشْرَ جبل مرتفع عال يُرى على بعد .

الخامس - (عمل المَيْتَقَةِ) - بفتح الميم وسكون الياء المثناة تحت وفتح الذنون والقاف وهاء في الآخر - وهي قلعة بالقرب من الكَهْفِ على نحو ساعة على جبل مرتفع أيضا .

السادس - (عمل العُلَيْقَةِ) - بضم العين المهملة وفتح اللام المشددة وسكون الياء المثناة تحت وفتح القاف وهاء في الآخر - وهي قلعة على الجبل المذكور على نحو ساعة من المَيْتَقَةِ .

القسم الثاني

(من أعمال طَرَّا بَلَسَ الأعمال الصغار وهي ستة أعمال)

قال في "التعريف" : سوى ما نقل في تلك القلاع مما له ولاية .

الأول - (عمل أَنْطَرُطُوسَ) . قال في "اللاباب" : بفتح الهمة وسكون النون وفتح الطاء وسكون الراء المهملتين وضم الطاء المهملّة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . قال في "كتاب الأطوال" : وموضعها حيث الطول مستون درجة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشر دقائق . وهي بلدة بالساحل . قال في "تقويم البلدان" : وهي تَقْرُ لأهل حص فتحها المسلمون وتَرَبُّوا أسوارها ، وهي الآن أهلة . قال : وكان بها مُصَحِّفُ عَثَانِ بْنِ عَقَّانِ رضى الله عنه .

الثاني - عمل جُبَّةِ المُنْيَظَرَةِ بإضافة جُبَّةِ (بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة المفتوحة وتاء التانيث) إلى المُنْيَظَرَةِ (بضم الميم وفتح النون وسكون الياء المثناة تحت وفتح الظاء المعجمة والراء المهملّة وهاء في الآخر) .

الثالث - (عمل الظَّنَيْنِ) - بالفتحة واللام لازمتين وظاء معجمة مفتوحة مشددة ونون مشددة مكسورة وياء مثناة تحت مكسورة بعدها ياء ثانية ساكنة ثم نون - وهي كُورَة بين مصياف وقامية ، وليس بها مقر ولاية .

الرابع - (عمل بُسْرِيَه) - بضم الباء الموحدة وفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملّة المشددة وسكون الياء المثناة تحت وهاء في الآخر - هكذا مكتوب في "التعريف" : والجارى على الألسنة بشرى بإبدال الهاء ياء مثناة تحت .

الخامس - (عمل جَبَلَة) - بفتح الجيم والباء الموحدة واللام ثم هاء في الآخر - وهي بلدة صغيرة بساحل البحر الرومي من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ستون درجة ، وعرضها أربع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العزى" : ولها أعمال واسعة ،

(١) أوردتها في "معجم البلدان" ونص على إهمال الظاء وأنها بصيغة التصغير .

وبينها وبين اللافية اثنا عشر ميلا ، وبينها وبين أنطاكية ثمانية وأربعون ميلا ،
وبها مقام إبراهيم بن آدم رحمه الله .

السادس - (عمل أُنْفَة) - بفتح الحمة المقصورة والنون والفاء وبهاء في الآخر -
وهي بلدة على البحر الرومي تردها المراكب بقلة .

القاعدة الخامسة

(من قواعد الملكة الشامية صفد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الصاد المهملة والفاء وتاء مثناة فوق في آخرها . هكذا ضبطه
في "تقويم البلدان" . ثم قال : والمشهور على ألسنة الناس أن مكان التاء دالا
مهملة ؛ وهي مدينة من جُند الأردن ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال في "الزيج" . طولها سبع وخمسون درجة وخمسة وثلاثون دقيقة ، وعرضها
أثنان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة متوسطة
بين الكبر والصغر ، وذكر العثاني في "تاريخ صفد" : أنه كان مكانها أولا قرية
وأصل الصفّت في لغتهم العطية ، سميت بذلك لأن الفرج أعطتها للطائفة الدمية منهم
لا يشاركون فيها أحد . قال : وقد تكون سميت بذلك أخذنا من الصفّد ، وهو القل
لأن صاحب الغل يمنع من الحركة ويلزم موضعه ، وكذلك هذا البلد لأنها في جبل
عال لا يمكن ساكنه من الحركة في كل وقت ، إن ركب تهب وإن مشى على قدمه
أخلط لحمه بدمه لصعود الرية وهبوط الوهدة ، فيستقر في مكانها ويقنع بالنظر .
وربما منتشر الهارة على ثلاثة أجبل ، وأكثر ما يدخل أهلها حمامات الوادي لتلة

الماء بها وسوء بناء حماماتها، وبساتينها تحتمل في الوادي إلى جهة بحيرة طَبْرِيةَ، وكل ما يوجد في دِمَشقَ يوجد فيها: إمام بلادها، وإمام جلوب إليها من دِمَشقَ؛ ونيابتها نيابة جلييلة ونائبها من أكبر الأمراء المقدمين؛ ولها قلعة حصينة ذات بساتين تُسَرَفُ على بحيرة طَبْرِيةَ، يحفُّ بها جبال وأودية. قال ابن الواسطي: بنتها الفرنج سنة خمس وتسعين وأربعمائة. ولما فتحها الظاهر بيبرس رحمه الله عظم شأنها ورفع مقدارها. قال في "مسالك الأبصار": وهي جديرة بالتعظيم قتل أن يوجد لها شبه. ولا يعلم لها نظير. وهذه القلعة نائب مستقل من قبيل السلطان يوثق من الأبواب الشريفة بمرسوم شريف؛ وعادته أن يكون من أمراء الطبلخاناه، ولا حكم لثائب السلطنة بالبلد عليه بل هو مستقل بنفسه كما في نائب قلعتي دِمَشقَ وحلبَ.

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف": وحدتها من القبلية الفَورُ حيث جَسَرُ الصَّبْرَةِ من وراء طَبْرِيةَ؛ وحدتها من المشرق المَلَّاحَةُ الفاصلة بين بلاد الشقيف وبين حَوْلَةِ بانياس؛ وحدتها من الشمال نهر ليطا، وحدتها من الغرب البحر. وليس في أعمالها نيابة أصلا. وقد ذكر لها في "مسالك الأبصار": أحد عشر عملا.

الأول - (عمل برها) - كما في دِمَشقَ وحلبَ وغيرهما من القواعد المتقدمة.
 الثاني - (عمل النَّاصِرَةِ) - بالألف واللام اللازمتين ونون مفتوحة بعدها ألف ثم صاد مهملة مكسورة وراء مهملة مفتوحة وهاء في الآخر. وهي بلدة صغيرة قال في "الروص المعطار": على ثلاثة عشر ميلا من طَبْرِيةَ. قال: ويقال: إن المسيح عليه السلام ولد بها، وأهل القُدس ينكرون ذلك ويذكرون أنها ولدت

بالقدس ، والمعروف أن أمه حين عادت به من مصر إلى الشام وعمره يومئذ اثنتا عشرة سنة نزلت به القرية المذكورة ، وهي اليوم منبع الطائفة النصرانية ، والذي ذكره العثماني في " تاريخ صفد " : أن أهل هذه البلاد منسوبون إلى الدين .

الثالث - (عمل طبرية) - بفتح الطاء المزحمة والباء الموحدة وكسر الراء المهملية وفتح الباء المثناة تحت وتشديدها وهاء في الآخر - وهي مدينة من جند الأردن بناها طبريون أحد ملوك اليونان البطالسة فعرفت به ثم عريت طبرية ، والنسبة إليها طبراني للفرق بينها وبين طبرستان من نواحي بلاد الشرق حيث ينسب إليها طبري ، وموقعها في الإقليم الثالث . قال في " الأطوال " : وطولها ثمان وخمسون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وقال في " رسم المعمور " : طولها سبع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة ، وتبعه ابن سعيد على ذلك . وقال في " تقويم البلدان " : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي في القور في سفح جبل على بحيرتها المتقدمة الذكر في بحيرات الشام . قال في " مسالك الأبصار " : ومن عملها قدس . قال : وكان معها قديما السواد ويسان ثم خرجا عنها . قال العثماني في " تاريخ صفد " : ومن ولايتها البطيحة وكفر عاقب .

الرابع - (عمل يثين وهونين) - يعطف الثاني على الأول .

فاما يثين ، فبناء مشاة فوق مكسورة وباء موحدة ساكنة ونون مكسورة وياء مشاة تحت ساكنة ونون في الآخر .

وأما هُونَيْنُ ، فهما مضمومة وواو ساكنة ونون مكسورة بـمدحاياء مثناة تحت ساكنة ونون في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهما حصنان بُنيَا بعد الخمسمائة بين صُورَ وبانياسَ يجبل عاملة المتقدم ذكره في جبال الشام المشهورة ، وجعل العثماني في "تاريخ صَفَدَ" قلعة هُونَيْنَ من عمل الشَّقِيفِ ، وأهل هذا العمل شِيعَةٌ رافضة .

الخامس - (عمل عَثَلَيْتَ) - بفتح العين المهملة وإسكان التاء المثناة وكسر اللام وسكون الياء المشناة تحت وئاء مثناة في الآخر - وهي كورة بين قاقُون وَعَكَّا ، فيها قُرى متسعة وليس بها مقر ولاية معلوم . قال العثماني في "تاريخ صَفَدَ" : وفي آخر هذا العمل بلاد قاقُون وهو آخر الأعمال الصَفَدِيَّة .

السادس - (عمل عَكَّا) - بفتح العين المهملة وتشديد الكاف المفتوحة وألف في الآخر - وهي مدينة من سواحل الشام . قال العثماني في "تاريخ صَفَدَ" : بناها عبد الملك بن مروان ، ثم غلبت عليها الفرنج ، ثم أترعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم غلبوا عليها ثانيا ، ثم أسترِجعت . وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : طولها ثمان وخمسون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . ونال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة وعشرون دقيقة ، وقيل غير ذلك ؛ وقد خربت بعد أن أسترِجعها المسلمون من الفرنج في سنة تسعين وسبعمائة في الدولة الأشرافية "خليل بن قلاوون" ؛ وبها مسجد ينسب لإصالح عليه السلام ، وبينها وبين طَبْرِية أربعة وعشرون ميلا ؛ وكانت هي قاعدة هذا الساحل قبل صَفَدَ . فلما خربت أقيمت صَفَدُ مقامها وصارت هي ولاية .

السابع - (عمل صُور) - بضم الصاد المهملة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر -
وهي مدينة قديمة بساحل دِمَشَق ، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" :
طولها ثمان وخمسون درجة ونحو ثلاثون دقيقة ، وعرضها اثنتان وثلاثون
درجة وثمان وثلاثون دقيقة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها
سبع وخمسون درجة ، وعرضها ثلاث وثلاثون درجة ونحو دقائق . وبنائها
من أعظم أبنية الدنيا ، وكانت من أحصن الحصون التي على ساحل البحر ؛ فلما
فتحها المسلمون في سنة تسعين وستائة مع عكا خربوها خوفا أن تحصن بها العدو ،
وهي خراب إلى الآن . ويقال إنها أقدم بلد بالساحل ، وإن عامة حكام اليونان
منها . قال الشريف الإدريسي : وكان بها مرسى ، يدخل إليه من تحت قنطرة عليها
سلسلة تمنع المراكب من الدخول . قال في "التعريف" : وبصور كنيسة يقصدها
ملوك من البحر عند تملكهم فيملكون ملوكهم بها ، إذ لا يصح تملكهم إلا منها .
قال : وشرطهم أن يدخلوها عنوة ، ولذلك لا يزال عليها الرقبة ، ومع ذلك يأتونها
مباغة فيقضون أزبهم منها ثم ينصرفون ؛ وسكان هذا العمل رافضة لا يشهدون
جمعة ولا جماعة .

الثامن - (عمل الشاغور) - بالفتح ولام لازمتين وشين معجمة مشددة مفتوحة
بعدها ألف ثم غين معجمة مضمومة بعدها واو ساكنة وراء مهملة في الآخر - وهي
كورة بين عكا وصفد والناصرية ؛ بها قرى متسعة ، وليس بها مقر ولاية معروف ،
وعدها العثاني في "تاريخ صفد" شاغورين .
أحدهما - شاغور العمة . وهو جبل به قرى عامرة . قال : وبالعمة ديرة به
مصطبة إذا بات عليها من به جنون شفي بإذن الله .

(١) في الضوء "وسجلها" وهي أوضح .

(٢) كذا في الأصل بإمالة حروفها - وفي الضوء "النية" ولم يحدها بيد البحث .

والثاني - شاغور غرابية، وفيه عدة قرى، وبه مقام أولاد يعقوب عليه السلام،
وحدو من المزارات المشهورة .

التاسع - (عمل الإقليم) - بكسر الهمة وسكون القاف وكسر اللام وسكون الياء
المنشأة تحت وميم في الآخر - وهي كورة بين دِمَشَق والشَّغَر والخربة، بها قرى متسعة
وليس بها مقر ولاية .

العاشر - (عمل الشَّيْف) - بفتح الشين المعجمة وكسر القاف وسكون الياء
المنشأة تحت ثم فاء - ويُعرف بِشَقِيف أَرْنُون (بفتح الهمة وسكون الراء المهملة وضم
التون وسكون الواو ثم نون في الآخر) . قال في "المشترك" : وهو اسم رجل
أضيف الشَّيْف إليه ، ويُعرف أيضا بالشَّيْف الكبير . وهو حصن بين دِمَشَق
والساحل، بعضه مَقَارَة منحوتة في الصخر، وبعضه له سُر . وهو في غاية الحصانة
وعلى القرب منه شَقِيف آخر يُعرف بِشَقِيف تَرُون (بكسر التاء المنشأة فوق وسكون
الياء المنشأة تحت وضم الراء المهملة وسكون الواو ونون في الآخر) وهي قلعة حصينة
من جُند الأَرْدَنِّ على مَسِيرَة يوم من صَفَد في سَمْت الشمال . قال في "مسالك الأَبصار" :
وليس من بلاد صَفَد، وأهل هذا العمل رافضة .

الحادي عشر - (عمل جَبِين) - بجم مكسورة وياء منشأة تحت ساكنة ونون
مكسورة ومنشأة تحت ثانية ساكنة ونون في الآخر - وهي بلدة قديمة متسعة، وهي
مُرَبَّجَة على كَتِف واد لطيف به نهر ماء يجري، وهي في الشمال عن قَافُون على نحو
مرحلة، في رأس مَرَج بنى عامر، وبها مقام دِحْيَة الكلبي : صاحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم !

ومن أعمالها (الْجُبُون) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح اللام المشددة وضم الجيم
المشددة . وهي قرية قديمة في جهة الغرب عن بَيْسَانَ، على نصف مرحلة منها .

قال في "كتاب الأطوال" : موضعها حيث الطول سبع وخمسون درجة ونحو
وأربعون دقيقة، والمرصّ اثنتان وثلاثون درجة، والجئون مقام الخليل عليه السلام،
وبها يتزل الملوكة على مصطبة هناك معدة لذلك . قال في "مسالك الأبصار" : ومن
عملها (قدس) . وكان معها قديما (السواد ويسار) وخرج عنها ، ثم قال :
ومما يذكر فيها (حيفا) . وهي خراب على الساحل ، و (قلعة كوكب) . وهي التي يقول
فيها العباد الأصغاني : راسية راسخة ، شماء شائعة . وقلعة (الطور) وهي مفردة على
جبل الطور ، بناها العادل أبو بكر بن أيوب ثم غلبه عليها الفرنج فهدمها .

قلت : وأقتصر في "التعريف" : على ولاية برصند وولاية الشقيف ، وولاية
جيبين ، وولاية عكا ، وولاية الناصرة ، وولاية صور ، من غير زيادة على ذلك .

القاعدة السادسة

(من قواعد المملكة الشامية الكرك ، وفيها جحلتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وهي بفتح الكاف والراء المهمله ثم كاف ثانية ، والألف واللام في أولها غير لازمتين .
وتعرف برك الشوبك لمقاربتها لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي من البلقاء
وهما ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد : وطولها سبع
وخمسون درجة وخمسون دقيقة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة .
وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها سبع وخمسون درجة وخمسون دقيقة ،
وعرضها إحدى وثلاثون درجة وخمس دقائق . وهي مدينة محدثة البناء كانت ديرا
يتدبره رهبان ، ثم كثروا فكبروا بناء وأوى إليهم من يجاورهم من النصاري ، فقامت

لم به أسواق ودرت لم فيه معاش، وأوت إليه الفريخ فأداروا أسواره فصارت مدينة عظيمة، ثم بنوا به قلعة حصينة من أجل المعافل وأحصنها، وبقى الفريخ مستولين عليه حتى فتحه السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" رحمه الله على يد أخيه العادل أبي بكر.

قال في "التعريف" : وكانوا قد عملوا فيه مراكب ونقلوها إلى بحر القلزم لفصد الجحاز الشريف لأمر مستولتها لم أنفسهم ، فأوقع الله تعالى بهم العزائم الصلاحية ، والهزم العادلية فأخذوا ، وأمر بهم السلطان صلاح الدين فعملوا لئلا منى ونحروا بها على بحرة العقبة حيث تُنحر البُدُنُ بها ، واستمرت بأيدي المسلمين من يومئذ واتخذها ملوك الإسلام حرزا ، ولأموالهم كنزا ولم يزل الملوك يستخلفون بها أولادهم ويُعذونها لمخاوفهم ؛ وهو بلد خصب ، وبواديه حمام وبساتين كثيرة وفواكه مفضلة . قال البلاذري في "فتوح البلدان" : وكانت مدينة هذه الكورة في القديم القُرندَل .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها)

قال في "التعريف" : وحدتها من القبلة عقبة الصَّوَّان ، وحدتها من الشرق بلاد البلقاء ، وحدتها من الشمال بحيرة سلُوم المتقدم ذكرها ، وحدتها من الغرب نية بني إسرائيل . ولها أربعة أعمال .

الأول - (عمل برّها) المختص ببلادها كما في غيرها من القواعد المتقدمة .

الثاني - (عمل الشَّوْبَك) - بأنف ولام لارمتين وفتح الشين المعجمة المشددة وسكون الواو وفتح الباء الموحدة وكاف في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي من جبل الشَّراة ، وموقعها في الإقليم الثالث . قال ابن سعيد : طولها ست وخمسون

درجة ، وعَرْضُهَا إحدى وثلاثون درجة . وقال في "تقويم البلدان" : القياس أن طولها ثماناً وخمسون درجة ، وعرضها إحدى وثلاثون درجة . وهي بلدة صغيرة أكثر دخولاً في البر من الكرك ، ذات عيون وجدلول تجري ، وبساتين وأشجار ، وفواكه مختلفة . قال في "العزى" : ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل مرتفع أبيض مطلق على الفور من شربه . قال في "تقويم البلدان" : ويَنبُغ من تحت ثلعتها عينان : إحداهما عن يمينها والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه يحريان للبلد ، ومنهما شرب أهلها وبساتينها . قال : وكانت بأيدى الفرنج مع الكرك وفتح بفتحها ، وأقطعها السلطان صلاح الدين مع الكرك لأخيه العادل فأعطاهما لابنه المعظم عيسى ، فأعشى بأمرهما وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار حتى تركها نضاهي دمشق في بساتينها وتدفق أنهارها وتريد بطيب ماها .

قلت : وذكر في "مسالك الأبصار" : لها عمليان آخرين .

الثالث - (عمل زُغَر) - بضم الزاي وفتح الفين المعجمتين وفي آخرها راء مهملة - وهي مدينة قديمة متصلة بالبادية سميت زُغَر بنت لوط عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : وهي حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثلاثون درجة وكسر .

الرابع - (عمل مَعَان) بضم الميم وفتح العين المهملة وألف ثمنون . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة كان يسكنها بنو أمية ومواليهم . قال في "مسالك الأبصار" : وقد خربت هي وعملها ولم يبق بها أحد ، وتعرف مَعَان بن لوط عليه السلام . قال في "كتاب الأطوال" : وهي حيث الطول سبع وخمسون درجة والعرض ثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وبينها وبين الشوبك مرحلة .

(١) ضبطها ياقوت بالفتح ثم قال "والمحدثون يروونه بالنس" .

الطَّرَف الثاني

(من الفصل الثاني، من الباب الثالث، من المقالة الثانية، فيمن ملك البلاد الشامية ؛ وملوكها على قسمين)

القسم الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

ولم يزل مجموعا قبل الإسلام للملك واحد : إما بمفرده وإما مع غيره .
وملوكه في الجاهلية على أربع طبقات ^(١) .

الطبقة الأولى

(ملوكها من الكنعانيين)

وهم بنو كنعان بن مازيع بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل هم من ولد سام ابن نوح ، وكان كنعان قد نزل الشام بجهة فلسطين عند تبليز الأكنسة بعد الطوفان ، وتوارثها بنوه بعد ذلك ، وكان كل من ملك منهم يلقب بجالوت إلى أن انتهى الملك إلى رجل منهم اسمه كلياذا ، وهو جالوت الذي قتله داود عليه السلام ، وبقتله تفرق بنو كنعان وباد ملكهم وزال . وكان في خلال ذلك بقاء من أطراف الشام ملوك من العمالة ، وهم بنو عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ، أنتقلوا إليه من الحجاز ، وهم الذين قاتلهم موسى عليه السلام ، وكان آخر من ملك منهم الشام والحجاز الأرقم بن الأرقم الذي قتله بنو إسرائيل حين وجههم موسى عليه السلام في آخر عمره إلى الحجاز على ما سيأتي ذكره في الكلام على ملوك المدينة إن شاء الله تعالى .

(١) المحدود خمس .

(٢) في القاموس "لاوذ بن إرم بن سام" .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني إسرائيل)

وأولهم (طالوت) الذى ذكره الله تعالى فى القرآن بقوله : (إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا) وأسمه شاول بن قيس، ولم يكن لهم قبل ذلك ملك بل حُكَّام وقُضاة يحكمون، وبقي حتى قتل فى قتال الفلسطينيين .

وملك بعده (داود عليه السلام) وكانت دارُ ملكه بالقدس، وفتح فتوحات كثيرة من أرض فلسطين وعمَّان ومأرب وحلب ونصيبين وغير ذلك، فأقام فى الملك أربعين سنة .

وتوفى ذلك بعده أبنه (سليمان عليه السلام) وعمره اثنتا عشرة سنة، وعمر بيت المقدس وفرغ منه فى سبع سنين، وتوفى لأربعين سنة من ملكه .

وملك بعده أبنه (رحبعم) على سبطين من بني إسرائيل خاصة، وخرج عنه عشرة أمباط فلُكوا عليهم غيره، وبقي فى الملك سبع عشرة سنة .

[وملك بعده أبنه (أبيا) وهلك لثلاث سنين] (١٢)

وملك بعده أبنه (أسا) إحدى وأربعين سنة وتوفى .

فلُك بعده أبنه (يهوشافاط) خمسًا وعشرين سنة وتوفى .

فلُك بعده أبنه (يهورام) ثمان سنين وتوفى .

فلُك بعده أبنه (أخزياهو) ستين سنة، وتوفى فبقى الملك شاغرًا لحكت فيه امرأة ساحرة أسمها غليا فأقامت فى الملك سبع سنين .

(١) كذا فى حاشية الجمل أيضا فى "مروج الذهب" "ساود بن بشر" وهو تصحيف .

(٢) الزيادة عن ابن خلدون فى العبر (ج ٢ ص ١٠١) .

(٣) أقاد فى العبر أنبا أم أخزياهو .

ثم ملك بعدها (بُؤَاسُ) فأقام في الملك أربعين سنة ووات .
 فملك بعده أبنه (أَمَصْيَاهُو) تسعا وعشرين سنة وتوفى .
 فملك بعده (عُزْرَياهُو) اثنتين وخمسين سنة وتوفى .
 فملك بعده أبنه (بُؤَاسُ) ست عشرة سنة ^(١) ويقال إن يونس عليه السلام كان في زمنه .
 ثم ملك بعده أبنه (أَحَازُ) ست عشرة سنة أيضا ، وكانت الحرب بينه وبين ملك
 دِمَشْقَ وفي زمنه كان سُعَيْبٌ عليه السلام ، وتوفى .
 فملك بعده أبنه (هُوَحِرْقِيَا) وأتقاده له بقية الأسباط فملك جميعهم ، وأقام في الملك
 تسعا وعشرين سنة ثم توفى .
 فملك بعده أبنه (مِنشَا) خمسا وخمسين سنة ثم توفى .
 فملك بعده أبنه (أُمُون) ستين [وقيل ثلث عشرة] سنة وتوفى ^(٢) .
 فملك بعده أبنه (يُوشِيَا) إحدى وثلاثين سنة ، ووجدت عمارة بيت المقدس ، ثم توفى .
 فملك بعده أبنه (يهوياجور) ثلاثة أشهر ، وغزاه فرعون مصر فأخذه أسيرا .
 وملك بعده أخوه (يهوياقيم) إحدى عشرة سنة ودخل تحت طاعة بُحْتَنَصَّرَ .
 ثم استخلف بُحْتَنَصَّرَ مكانه أبنه (يَحْيُو) بن يهوياقيم فأقام مائة يوم .
 ثم استخلف مكانه عمه (صَدَقِيَا) إحدى عشرة سنة ، فأقام على طاعة بُحْتَنَصَّرَ
 تسع سنين ، ثم عصى عليه فجهر إليه جيشا ففتح المقدس بالسيف وحرقه وهدم بيت
 المقدس الذي بناه سليمان عليه السلام وأخذ صديقيا المذكور أسيرا ، وهو آخر من
 ملك منهم . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
 عِبَادًا نَافِلًا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ الآية .

(١) في العبر "بؤاب" . (٢) الزيادة عن ابن خلدون في "العبر" .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من الفُرس)

قد تقدم في الكلام على ملوك مصر أن بُحَّتْ نَصْرَكان نانبًا لِهراشف ملك الفُرس إلى حين غلبته على الشام فأستقر الشام في مملكة الفُرس مع مصر من لدن هراشف المذكور إلى غلبة الإسكندر على دارًا ملك الفُرس على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر، وفي خلال ذلك عُمر بيت المقدس بعد أن بقي سبعين سنة خرابًا من تخريب بُحَّتْ نَصْر . وأختلف فيمن عمّره، فقيل أردشير، وقيل ابنه دارا، واليهود تسمى الذي عمّره من الفُرس كيرش ويقال كُورش .

الطبقة الرابعة

(ملوكها من اليونان)

وأول من ملك الشام منهم الإسكندر بن فيليس حين ظهر على ملوك الفُرس مضافًا إلى مصر، وبقى على ذلك حتى مات، فملك بعض الشام مع العراق انطياخس، وملك بعضه مع مصر البطالسة من ملوك اليونان من ولد بطليموس المنطقي إلى حين أنقراضهم بقتل أغشطش ملك الروم قلوبطرا آخر ملوكهم بمصر على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية .

الطبقة الخامسة

(ملوكها من الروم)

وأول من ملكها منهم أغشطش المتقدم ذكره حين غلب على قلوبطرا آخر ملوكهم، وبقى بأيدي الروم إلى حين الفتح الإسلامي، يتداولونه مع مصر ملكًا بعد ملك على ما تقدم في الكلام على ملوك الديار المصرية .

القسم الثاني

(من ملوك الشام ملوكه في الإسلام؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(عُمّال الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم من ثُواب الخلفاء إلى حين استيلاء الملوك عليه)

وأول من وليه في الإسلام (أبو عبيدة بن الجراح) رضى الله عنه، عند فتحه في خلافة أمير المؤمنين: عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم صُرف عنه ووليه (معاوية بن أبي سفيان) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيضاً، فبقى إلى أن سلم الحسنُ إليه الأمرَ ونزل له عن الخلافة في سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وتوالت عليه خلفاء بني أمية، واختاروه داراً لخلافتهم من لدن معاوية وإلى أنقراض دولتهم بقتل (مروان بن محمد) آخر خلفائهم على ما تقدم ذكره في الكلام على من ولي الخلافة.

ثم كانت دولة بني العباس فولّوها في خلافة السفّاح عمّه (عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس) في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فبقى أيام السفّاح وبعض أيام المنصور بعده، ثم صرفه المنصور بولاية (أبي مسلم الخراساني) الشام ومصر في سنة سبع وثلاثين ومائة، ثم قتله المنصور بعد ذلك في السنة المذكورة. وتوالى عليه بعد ذلك عُمّال خلفاء بني العباس إلى أن وليها (عبد الصمد) بن علي، ثم عزله الرشيد ووثنى مكانه (إبراهيم بن صالح بن علي) ثم توالى عليه العُمّال إلى أن غلب عليه (أحمد بن طولون) مع مصر على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

(١) سلك في التعبير عن الشام سبيل التأنيث والتذكير، والأمر واضح.

الضرب الثاني

(مَنْ وَلِيَهَا مُلْكًا)

قد تقدم أن القواعد العظام بالشام ست قواعد : وهي دِمَشْقُ ، وَحَلَبُ ، وَحِمَاةُ ، وَأَطْرَابُلسُ ، وَصَفْدُ ، وَالْكُرْكُ . وكل قاعدة من القواعد الست تشتمل على مملكة . فاما (دِمَشْقُ) فأول ملوكها (أحمد بن طولون) صاحب مصر بعد موت مُقَطَّعِهَا أماجور في سنة أربع وستين ومائتين ؛ وذلك أول اجتماع مصر والشام لملك واحد في الإسلام ؛ ثم ملكها بعده مع مصر آبنه (نُحَارَوِيَّة) ؛ ثم (هارون بن نَحَارَوِيَّة) . وكان طنج بن جف نائباً عنهما بها ، وفي أيام هارون تغلبت القرامطة على دِمَشْقُ ؛ ثم أترعها منهم (المكتفي بالله) خليفة بغداد في سنة إحدى وتسعين ومائتين ، وأقام عليها (أحمد بن كيغلق) أميراً ، فبقى بها بقية أيام المكتفي ، ثم أيام المقتدر . ثم أيام الظاهر . فلما ولي الأراضى الخلافة ، عزله عنها في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ، وولى عليها (الأخشيدي) وهو محمد بن طنج بن جف ، وذلك قبل أن يلى مصر في سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة فاستناب على دِمَشْقُ بدرا الأخشيدي ، فآترعها منه (محمد بن رائق) في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة ، واستخلف عليها (أبا الحسين أحمد بن علي بن مقاتل) في سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، ثم آترعها منه (الأخشيدي) المقدم ذكره بعد ذلك و بقيت معه حتى مات في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة ، فولىها بعده آبنه (أَنُوجُور) وهو صغير ، وقام بتدبير دولته كافور الأخشيدي الخادم ، ثم آترعها منه (سيف الدولة بن حمدان) صاحب حَلَبُ الآتي ذكره ، ثم آترعها منه (كافور الأخشيدي) المقدم ذكره وولى عليها بدرا الأخشيدي الذي كان بها أولاً ، فأقام بها سنة ؛ ثم وليها (أبو المظفر

(١) لعله سقط قبله "جيش بن نحارويه" فان ابن طنج كان نائباً عن جيش و هارون كما يؤخذ مما سياتى له في الكلام على حلب .

أبن طنج)؛ ثم لما مات أنوجور بن طنج، ملكها مع مصر أخوه (علي بن طنج) ثم (كافور) بعده، ثم (أحمد بن علي بن الأخشيد) بعده، وهو آخر من ملك منهم على ما تقدم في الكلام على ملوك مصر .



ثم كانت الدولة الفاطمية بمصر: فلما (جوهري) قائد المعز الفاطمي وخطب بها لمولاه المعز وأذن بجي على خير العمل في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وقطعت الخطبة العباسية منها، وأقام بها جعفر بن فلاح نائباً، ثم تقلبت القرامطة عليها في سنة ستين وثلاثمائة، ثم أقتلها منهم (المعز) وولى عليها ريان الخادم؛ ثم غلب عليها (افتكين) مولى معز الدولة بن بويه الديلمي، وقطع الخطبة منها للمعز الفاطمي، وخطب خليفة بغداد في سنة أربع وستين وثلاثمائة؛ ثم آتت بها (المعز الفاطمي) بعد ذلك وقبض عليه وأحضره معه إلى مصر؛ ثم بعد موت المعز وولاية ابنه العزيز تغلب عليها شخص اسمه (قسام) إلا أنه كان يخطب فيها للعزيز؛ ثم آتت بها منه (العزيز) وقرر فيها (بكتكين) في سنة أربعين وسبعين وثلاثمائة؛ ثم آتت بها منه (بكجور) مولى قرعويه صاحب حلب بأمر العزيز الفاطمي صاحب مصر في سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة؛ ثم آتت بها منه وقرر فيها (منيرا الخادم) في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة؛ ثم أستعمل الحاكم بن العزيز الفاطمي عليها (أبا محمد الأسود) في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، ثم آتت بها منه (أنوش تكين) الدزيري بأمر المستنصر الفاطمي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، ثم أمر بالخروج عن طاعته في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، فخرج عنها وفسد أمرها بذلك؛ ثم تغلب عليها (أسد بن أرتق) الخوارزمي أحد أمراء السلطان

(١) انضبط عن أبي الفداء، ونسبه إلى دزير بن رويم الديلمي .

(٢) أي أمر المستنصر أهل دمشق بالخروج عن طاعة الدزيري .

ملكشاه السلجوقي في سنة ثمان وستين وأربعمائة، وقطع الخطبة بها للمستنصر الفاطمي وخطب للفتدي العباسي، ومنع من الأذان بحى على خير العمل، ولم يخطب بعد ذلك بالشام لأحد من الفاطميين، ثم غلب عليها (نُش بن ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل بن سلجوق، وملكها في سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وتوفي؛ فلحقها بعده ابنه (دقاق) وأشرك معه في الخطبة أخاه رضوان صاحب حلب مقتدا لرضوان في الذكر في الخطبة بعد حرب جرت بينهما، وتوفي دقاق سنة تسع وتسعين وأربعمائة، فخطب طغتكين أتابك دولته لأبن دقاق، وهو طفل عمره سنة واحدة، ثم قطع الخطبة له وخطب لعمه بلشاش بن نُش، ثم قطع الخطبة لبلشاش وأعاد الخطبة للطفل، وهو آخر من خطب له بدمشق من بني سلجوق؛ ثم استقر (طغتكين) المقتم ذكره في ملك دمشق بنفسه، وبقي حتى توفي في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه (تاج الملوك توري) بعهد من أبيه، وتوفي سنة ست وعشرين وخمسمائة؛ وملك بعده ابنه (شمس الملوك إسماعيل) بعهد من أبيه .

ثم ملك بعده أخوه (شهاب الدين محمود بن توري) فبقي حتى قتل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وملك بعده ابنه (بجير الدين أرتق) وفي أيامه تغلب الفرنج على ناحية دمشق .

ثم آتَرعها منهم الملك العادل (نور الدين محمود بن زنكي) المعروف بنور الدين الشهيد وملكها في سنة تسع وأربعين وخمسمائة، واجتمع له ملك سائر الشام معها، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام حين وقعت بالزلازل كلمشق وحماة وحمص وحلب وشيزر وبلبك وغيرها؛ وتوفي فلك بعده ابنه (الملك الصالح إسماعيل) وعمره إحدى عشرة سنة، وبقي بها حتى آتَرعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) صاحب مصر في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها أخاه سيف الإسلام طغتكين بن أيوب؛

ثم استخلف عليها السلطان صلاح الدين بعد ذلك ابن أخيه عز الدين (فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب) في سنة ست وسبعين وخمسمائة ؛ ثم صرفه عنها وقدر فيها ابنه الملك الأفضل (نور الدين عليا) ؛ وهو الذي وُزِّر له الوزير ضياء الدين بن الأثير صاحب "المثل السائر" .

ثم أترعها منه أخوه الملك العزيز (عثمان ابن السلطان صلاح الدين) صاحب مصر بعد وفاة أبيه بمعاودة عمه العادل أبي بكر في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة ، والخليفة يومئذ ببغداد الناصر لدين الله . وكان يميل إلى التشيع ، فكتب إليه الأفضل على استحيشه على أخيه العزيز عثمان وعمه العادل أبي بكر ؛ من شعره :

مَوْلَايَ ! إِنِّي أَبَا بَكْرٍ وَصَاحِبُهُ * عُثْمَانٌ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانظُرْ إِلَى حَقِّ هَذَا الْأَسْمِ كَيْفَ لِيَقِي * مِنَ الْأَوَاخِرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأَوَّلِ !

فكتب إليه الناصر لدين الله في جوابه :

غَضَبُوا عَلَيَّ حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ بَيِّثُ رَبِّ نَاصِرٍ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ غَدًا عَلَيْكَ حِسَابُهُمْ * وَأَبَشِّرْ فَتَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

ولكنه لم يجاوز القول إلى الفعل ؛ ثم سلمها العزيز بعد ذلك لعمه (العادل أبي بكر) فقدر فيها ابنه الملك المعظم عيسى مضافة إلى ما بيده من الكرك والشوبك ، وكان يخطب فيها لأبيه العادل ، ثم لأخيه الكامل محمد صاحب مصر ، وبقى حتى توفي في سنة أربع وعشرين وستمائة ؛ وملك بعده ابنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) ، وهو صغير .

ثم أترعها منه الملك الناصر (محمد بن العادل أبي بكر) صاحب مصر واستخلف فيها أخاه الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل أبي بكر ، فبقى حتى توفي في سنة خمس وثلاثين وستمائة .

وملكها بعده أخوه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) بمهد منه [أنتزعها^(١) منه الملك الكامل بن العادل أبي بكر] في جمادى الأولى سنة خمس وثلاثين وستمائة وتوفي في السنة المذكورة .

فملك بعده الملك الجواد (يونس بن مودود) بن العادل أبي بكر .

ثم أنتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن العادل أبي بكر في سنة ست وثلاثين وستمائة ، ثم أقام فيها الملك المنيف فتح الدين عمر نائباً عنه .

ثم أنتزعها منه (الملك الصالح إسماعيل بن العادل أبي بكر) صاحب بعلبك في سنة سبع وثلاثين وستمائة .

ثم أنتزعها منه الملك الصالح (نجم الدين أيوب) بن الكامل محمد صاحب مصر وتسلمها له (معين الدين بن الشيخ) في سنة ثلاث وأربعين وستمائة وتوفي قبل أن يتسلمها فتسلمها له حسام الدين بن أبي علي في السنة المذكورة ، ولم تزل بيد نواب الصالح أيوب حتى مات في سنة سبع وأربعين وستمائة .

ثم ملكها بعد وفاته (الملك الناصر يوسف) بن العزيز محمد صاحب حلب في سنة ثمان وأربعين وستمائة ، فبقى بها إلى أن غلب عليها هولاكو في سنة ثمان وخمسين وستمائة ، وكان آخر أمر الناصر المذكور أنه لحق بهولاكو المذكور فأقام عنده مدة ثم قتله .



ثم كانت الدولة التركية فملكها منهم (الملك المظفر قطز) صاحب مصر حين غلبته التتار على عين جالوت ، ثم توالى عليها نواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى

(١) الزيادة عن أبي الفداء ليستقيم الكلام .

(٢) أي الملك الكامل .

(٣) أي نائباً عن العادل بن الكامل .

سلطنة (الناصر فرج) بن الظاهر برقوق في زماننا على ما تقدم ذكره في الكلام على ملوك الديار المصرية ؛ ولم أقف على أسماء نوابها لطول المدة وقلة اعتناء المؤرخين بذكر أسمائهم .



وأما حلب فقد تقدم أن منزل الجند في ابتداء الإسلام كان يفسرين ، ثم طرأت عليها حلب بعد ذلك وأضعفتها . ولعل ابتداء أمرها كان في ابتداء الدولة الطولونية ، وقد كان أحمد بن طولون آستولى عليها حين آستيلائه على دِمَشْق وصارت في ملكه تبعاً للديار المصرية كدِمَشْق . وكان بها نوابه ثم نواب ابنه نِخارويه ، ثم نواب جيش ابن نِخارويه ، ثم هارون بن نِخارويه في نيابة طنج بن جف عن هارون وجيش المذكورين ؛ ثم كانت مع دِمَشْق في نيابة أحمد بن كيغلج ، ثم في نيابة الأخشيدي محمد ابن طنج بن جف قبل أن يلى مصر ، ثم في نيابة بدر الأخشيدي على ما تقدم في الكلام على مملكة دِمَشْق .

ثم آتزعها من بدر الأخشيدي (سيف الدولة بن حمدون) التغلبيّ الربيعي ، وملكها في سنة ثلاث وثلثمائة ، وبقي بها حتى توفي في سنة ست وخمسين وثلثمائة ؛ وملكها بعده ابنه (سعد الدولة أبو المعالي شريف) .

ثم آتزعها منه (قرعويه) غلام أبيه في سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ، ثم غلب عليها (بكجور) غلام قرعويه المذكور بعد ذلك وأقلعها منه .

ثم آتزعها منه (سعد الدولة) المقدم ذكره ، ثم تقلد بها أبو علي بن مروان من الخليفة الفاطميّ يومئذ بمصر في سنة ثمانين وثلثمائة ولم يدخلها ، وبقيت بيد سعد الدولة المذكور حتى توفي بالفالج في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة .

ثم ملك بعده ابنه (أبو الفضل) مكانه .

ثم أترعها منه (أبو نصر بن لؤلؤ) وخطب بها للحاكم الفاطمي، ثم أمره الحاكم بتسليمها إلى توابه بها فتسلموها منه وأستقرت بأيديهم حتى آتته إلى نائب من توابه اسمه (عزيز الملك) فبقي بها بقية أيام الحاكم وبعض أيام أبنة الظاهر، ثم وليها عن الظاهر رجل يقال له (أبن شعبان) ثم تغلب عليها (صالح بن مرداس) أمير بني كلاب في سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ثم قتل في أيام الظاهر الفاطمي فلعلها بعده (شبل الدولة نصر بن صالح) .

ثم أترعها منه (أنوش تكين الدزيري) بأمر المستنصر العلوي في شعبان سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وبقي حتى توفي في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وملكها بعده (معز الدولة شمال بن صالح بن مرداس) ثم ملك قلعتها بعد ذلك في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، ثم تسلمها منه مكي الدولة (الحسن بن علي بن ملهم) في سنة تسع وأربعين وأربعمائة بصلح وقع بينه وبين الفاطميين على ذلك .

ثم أترعها منه (محمود بن شبل الدولة) بن صالح المتقدم ذكره، وملك قلعتها في سنة أربعين وخمسين وأربعمائة .

ثم أترعها منه (معز الدولة شمال بن صالح) في ربيع الأول سنة أربعين وخمسين وأربعمائة، وبقي بها حتى توفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (عطية بن صالح) في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه ابن أخيه (محمود بن شبل الدولة) المتقدم ذكره في رمضان سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وبقي بها حتى توفي في ذي الحجة سنة ثمان وستين وأربعمائة .

وملكها بعده ابنه (نصر بن محمود) ثم قتله التركمان .

وملكها بعده أخوه (سابق بن محمود) .

ثم أترعها منه شرف الدولة (مسلم بن قريش) صاحب الموصل، وقتل في صفر سنة سبع وسبعين وأربعمائة .

وملكها بعده أخوه (إبراهيم بن قريش) .

ثم أترعها منه (نُتْش بن ألب أرسلان) السلجوقي صاحب دِمَشْق في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه (السلطان ملكشاه السلجوقي) وسلمها إلى قسم الدولة آقستقر، ثم أستعادها (نُتْش بن ألب أرسلان) المقدم ذكره بعد موت ملكشاه وأستضافها إلى دِمَشْق، وأبسط ملكه حتى ملك بعد ذلك أُنْزَرِيْجَان، وبقي حتى قتل في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملكها بعده آبنه (رَضَوَان) في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وبقي حتى توفي في سنة سبع وخمسمائة .

وملكها بعده آبنه (سلطان شاه بن رَضَوَان) .

ثم أترعها منه (إيلغازي بن أرتُق) صاحب ماردين وسلمها إلى ولده حسام الدين تيمرتاش، ثم غلب عليها (سليمان بن أرتُق) وعصى بها على آبيه فأترعها أبوه منه وسلمها إلى آبن أخيه (سليمان بن عبدالجبار بن أرتُق) في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة .

ثم أترعها منه عمه (بلك بن بهرام بن أرتُق) ، وبقي بها حتى قتل في سنة سبع عشرة وخمسمائة، وملكها بعده آبن عمه (تيمرتاش بن إيلغازي) في ربيع الأول من السنة المذكورة ، ثم حاصرها الفرينج، وهي في يده فخلصها منهم آقستقر البرُستقي صاحب الموصل، وملكها مع ماردين في السنة المذكورة ، وبقي حتى قتلته الباطنية في سنة عشرين وخمسمائة .

وملكها بعده أبنيه (عز الدين مسعود) وأستخلف بها أميرا من أمرائه اسمه قايماز، ثم أستخلف عليها بعده رجلا اسمه كيفلف .

ثم أترعها منه (سليمان بن عبد الجبار) بن أرتق المقدم ذكره .

ثم أترعها منه (عماد الدين زنكي)؛ صاحب الموصِل في الحزم سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، وملك معها حماة ومُحَصَّ وبَلْبَك، وبقى حتى قتله غلمائه في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين وخمسمائة .

ثم ملك بعده أبنيه الملك العادل (نور الدين محمود) وبقى إلى أن توفى .

وملك بعده أبنيه (الصالح إسماعيل) فبقى بها بعد ملك السلطان صلاح الدين يوسف ابن أيوب دِمَشَقَّ حتى توفى بها في سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وملكها بعده بوصية منه ابن عمه (عز الدين مسعود) بن مودود بن زنكي بن مودود في السنة المذكورة .

ثم أترعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقزر فيها أبنيه الظاهر غياث الدين غازي .

ثم أترعها منه و سلمها لأخيه (العادل أبي بكر بن أيوب) في السنة المذكورة، ثم أعاد إليها أبنيه الظاهر غازي المقدم ذكره في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، فبقى بها حتى توفى في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة .

وملكها بعده أبنيه (الملك العزيز محمد) فبقى بها حتى توفى في ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وستمائة .

ثم ملكها بعده أبنيه الملك (الناصر يوسف) وعمره سبع سنين ولم تزل بيده حتى استولت عليها التتار في سنة ثمان وخمسين وستمائة .



ثم كانت الدولة التركية . فكان أول من ملكها من ملوك الترك (المظفر قطز) حين كسر التار على عين جالوت على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة دمشق ؛ ثم توالى عليها ثواب ملوك الترك من لدن المظفر قطز وإلى زماننا في سلطنة الناصر فرج بن الظاهر برقوق على ما تقدم ذكره في الكلام على مملكة الديار المصرية .



وأما حماة . فقد تقدم في الكلام على قواعد الشام أن الذكر في القديم إنما كان لمخص ، وإنما تنبّهت حماة في الذكر في الدولة الأتابكية : عماد الدين زنكي . وذلك أن حماة كانت تبغا لغيرها من الممالك ، تارة تضاف إلى دمشق ، وتارة إلى حلب . فكانت مع دمشق بيد (طغتكين) أتابك دولة رضوان بن نئش السلجوقي في سنة تسع وخمسمائة .

ثم آتزعها منه السلطان (محمد بن ملكشاه السلجوقي) في السنة المذكورة ، وسلمها للأُمير (فخرخان بن قراجا) .

ثم ملكها (توري بن طغتكين) وقرر بها أبنه سونج فقيت بيده حتى آتزعها منه عماد الدين زنكي في سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة .

ثم آتزعها منه بعد ذلك (تاج الملوك إسماعيل بن توري) بن طغتكين السلجوقي في سنة سبع وعشرين وخمسمائة .

ثم ملكها (العادل نور الدين محمود بن زنكي) مع دمشق وحلب وغيرها في سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ؛ ثم صارت بعده مع غيرها من البلاد الشامية إلى أبنه (الصالح إسماعيل) فقيت بيده حتى آتزعها منه السلطان (صلاح الدين يوسف

أبن أيوب) في سنة سبعين وخمسمائة، وقرر فيها خاله شهاب الدين الحارثي، ثم قرر فيها أخاه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب في سنة أربع وسبعين وخمسمائة، فبقيت بيده حتى توفى في سنة سبع وثمانين وخمسمائة .

فوليا بعده أبنه الملك المنصور (ناصر الدين محمد) فبقي بها حتى أترعها منه أخوه (الملك المظفر محمود) في سنة ست وعشرين وستمائة، فبقي بها حتى توفى في سنة ثلاث وأربعين وستمائة .

ووليا بعده أبنه (الملك المنصور محمد) فبقي حتى غلب عليها هولاكو ملك التار مع ديمق وحلب وغيرهما، فقرّر بها المظفر قطز صاحب مصر بعد هزيمة التار، فبقي بها حتى توفى في سنة ثلاث وثمانين وستمائة .

فوليا بعده أبنه (المظفر شادي) عن المنصور قلاوون صاحب مصر بعهد منه، وبقي بها حتى توفى في سنة ثمان وتسعين وستمائة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون في سلطنته الثانية .

فولئ الملك الناصر مكانه (قراستقر) أحد أمرائه نائباً عليها، وكان العادل كتباً بعد خلعه من السلطنة قد استقر نائباً بصرخد فتقله الملك الناصر محمد بن قلاوون إليها بعد هزيمة غازان ملك التار، وجعله نائباً بها في سنة اثنتين وسبعمائة، ومات بعد ذلك .

فولئ الملك الناصر مكانه في نيابتها (قبجق) أحد أمرائه ثم صرفه عنها .

وولئ مكانه (أستدرم الكرجي) ثم صرفه عنها بعد عوده من الكرك .

وولئ فيها الملك المؤيد (عماد الدين إسماعيل) بن الأفضل عليّ، بن المظفر عمر سلطنة على عادة من تقدمه فيها من الملوك الأيوبية، وكتب له بذلك عهداً عنه، فبقي بها إلى أن توفى في سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة .

فولى السلطان الملك الناصر مكانه ابنه (الملك الأفضل محمد) وكتب له بذلك عهداً أيضاً، فبقى بها حتى أزاله قُوصُون أمالك العساكر فى سلطنة المنصور أبى بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة .

وولى مكانه الأمير (طغر دمى) نائباً بها، وأستقرت نيابة إلى الآن، يتوالى عليها نواب ملوك مصر نائباً بعد نائب إلى زماننا كغيرها من الممالك الشامية، وأتقطعت مملكة بنى أيوب من الشام بذلك .



وأما أطرابُلسُ، فكان قد تغلب عليها قاضيا أبو على بن عمار وملكها وطالت مدته فيها .

ثم أقرعها منه (المستنصر الفاطمى) خليفة مصر مع غيرها من السواحل الشامية، فبقيت بيده حتى غلب عليها القُومص فلُكها فى سنة ثلاث وخمسمائة، فبقيت فى أيدى الفرنج من حينئذ إلى أن فتحها "الملك المنصور قلاوون" أحد ملوك الديار المصرية فى سنة ثمان وثمانين وستمائة بعد أن مضى عليها فى يد الفرنج مائة وخمس وثمانون سنة وأُخِز قَتَحُها من مضى من ملوك بنى أيوب فمن بعدهم . ومن حين فتحها جعلت نيابة، وتوالى عليها نواب ملوك مصر من لدنه إلى زماننا .



وأما صَفَدَ، فقد تقدّم فى الكلام على قواعد الممالك الشامية أنها كانت فى القديم قرية وأن الفرنج الدّموية باتها وأستحدثت حصنها فى سنة خمس وسبعين وأربعمائة . ثم فتحها (الظاهر بيبرس) بعد ذلك فى رابع عشر شوال سنة أربع وستين وستمائة، وقرر بها الأمير كيخسرى الملائى نائباً، وتوالى عليها بعد ذلك نواب ملوك مصر من لدن الظاهر بيبرس وإلى زماننا فى سلطنة الملك الناصر فرج بن الظاهر برقوق .



وأما الكرك، فقد تقدم أن قلعتها كانت ديراً لربان، وكانت بيد الفرنج، وأن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة أربع وثمانين وخمسمائة فتحها، وقدر فيها أخاه (الملك العادل أبا بكر بن أيوب) فبقيت بيده إلى أن مات السلطان صلاح الدين، فقدر فيها أبنه (الملك المعظم عيسى) فبقيت في يده إلى أن استضاف إليها دِمَشْقُ، وتوفي في سنة أربع وعشرين وستمائة .

وملكها بعده أبنه (الملك الناصر صلاح الدين داود) في سنة ست وعشرين وستمائة، وبقي إلى سنة سبع وأربعين وستمائة، فاستخلف عليها أبنه (الملك المعظم عيسى) بعد أن أخذ منه غالب بلاده وفر بنفسه .

ثم آتبع (الصالح نجم الدين أيوب) الكرك من المعظم عيسى بن الناصر داود في السنة المذكورة، وأقام بها بدر الدين الصوابي نائباً عنه، وبقي الناصر داود بعد ذلك مُسَرِّداً في البلاد إلى أن مات في سنة خمس وخمسين وستمائة، وكان من أهل العلم والورع، وله شعر رائع، منه :

أَلَا لَيْتَ أُمِّي أَيْمٌ طُولَ دَهْرَهَا * وَلَمْ يَقْضِهَا رَبِّي أَوَّلَ وَلَا بَعْلٍ !
وَبَا لَيْتَهَا لَمَّا قَضَاهَا لَسِيدٌ * لَيْبَ أَرْبِ طَيْبِ الْفَرَجِ وَالْأَصْلِ ،
قَضَاهَا مِنَ اللَّائِي خُلِقْنَ عَوَاقِرًا * وَلَا بُشِّرْتُ يَوْمًا بِأُنْثَى وَلَا فَعْلٍ
وَبَا لَيْتَهَا لَمَّا غَدَتْ بِي حَامِلًا * أَصِيبَ مِنِّي أَحْتَقَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمْلِ
وَبَا لَيْتَنِي لَمَّا وُلِدْتُ وَأَصْبَحْتُ * تُسَدُّ إِلَى الشَّدَقِيَّاتِ بِالرَّحْلِ ،
لَحِقْتُ بِأَسْلَافِي فَكُنْتُ صَحِيفَهُمْ * وَلَمْ أَرِ فِي الْإِسْلَامِ مَا فِيهِ مِنْ نُكُلٍ

وكان الملك المنيث فتح الدين عمر بن العادل أبي بكر بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب معتقلاً بالشوبك، فأخرجه الصوابي نائب الملك الصالح وملكه الكرك فبقى بها حتى قبض عليه الملك الظاهر بيبرس وقتله في سنة إحدى وسبعين وستائة، وهو آخر من ملكها من بني أيوب .

قلت : وأما غير هذه الممالك المحصنة وبعلبك فإنما كانت في الغالب تبعاً لغيرها حتى إن حصص وبعلبك حين استولت التار على الشام في آخر الدولة الأيوبية كانتا مضافتين إلى دمشق .

وأعلم أن غالب أطراف البلاد الشامية ومضافاتها كانت بأيدي ملوك متفرقة من قديم الزمان وبعضها حدثت أنفراداً ، ثم تنقلت بها الأحوال حتى استولى على كثير منها أهل الكفر، وصارت بأيديهم إلى أن قبض الله تعالى لها من فتحها ، ثم استعاد أهل الكفر منها ما استعادوا، ثم فتح ثانياً على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى . فمن ذلك القدس - كانت بيد نئش بن ألب أرسلان السلجوقي - صاحب دمشق المتقدم ذكره . كان قد أقطعها للأمير أرتق جد ملوك مازدين الآن . فلما توفي أرتق المذكور صار القدس لولديه اليفنازي وسقمان ، وبقى بيديهما إلى أن آتتعه منهما (المستنصر الفاطمي) في سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ، وبقى بيده إلى أن ملكه الفرنج منه في سنة أربعين وتسعين وأربعمائة ، بعد أن بذلوا السيف في المسلمين نحو سبعة أيام وقتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد على تسعين ألف نفس ، وبقى بيديهم حتى فتحه السلطان (صلاح الدين يوسف بن أيوب) في سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، ثم استعاده الفرنج من الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب بمهادنة جرت بينهم في سنة ست وعشرين وستائة .

ثم آتتعه منهم (الملك الناصر داود) صاحب الكرك في سنة سبع وثلاثين وستائة .

ثم سابه (الصالح إسماعيل) صاحب دِمَشْقَ (والناصر داود) صاحب الكرك المتقدم ذكره للفرنج بعد ذلك ليكونوا عوناً لما على الصالح نجم الدين أيوب صاحب مصر في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتحه الصالح (نجم الدين أيوب) صاحب مصر وأقتله من أيديهم في سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، فأستمر بأيدي المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك بلاد السواحل الشامية كانت بأيدي أناس متفرقة .

فأما أَطْرُلُسُ وَصَفْدُ ، فقد تقدّم الكلام عليهما في الكلام على ملوك الممالك الشامية . وأما غيرها من بلاد السواحل وما والاها ، فإن غالبها كان بيد الفاطميين خلفاء مصر إلى أن ضعفت دولتهم في أيام المستنصر أحد خلفائهم ، فقصدت الفرنج هذه السواحل من كل جهة وأستولوا على بلادها شيئاً فشيئاً .

فأستولوا على عَمَّا وَجَبِلَ في سنة تسع وتسعين وأربعمائة ، وعلى صَيْدَا في سنة أربع وخمسمائة ، وأستشروا فسادهم حتى ملكوا يَرُوتَ وَعَسْقَلَانَ وَصُورَ وَأَنْطَرُسُوسَ وَالْمَرْقَبَ وَأَرْسُوفَ وَاللَّاذِقِيَّةَ وَلُذَّا وَالرَّمْلَةَ وَيَافَا وَنَابْلُسَ وَغَزَّةَ وَبَيْتَ لَحْمَ وَبَيْتَ جَبْرِيلَ ، وغير ذلك من بلاد السواحل وما جاورها ، فبقيت في أيديهم حتى فتحها السلطان "صلاح الدين يوسف بن أيوب" فيما بين الثلاث والثمانين والخمسمائة إلى الثمان والثمانين والخمسمائة .

ثم عقد المهدنة بينه وبين الفرنج في سنة ثمان وثمانين على أن تكون يَافَا وَأَرْسُوفَ وَعَمَّا وَقَيْسَارِيَّةَ وأعمالها بيد الفرنج ، وأن تكون لُدُّ والرملة مناصفة بينهم وبين المسلمين . ثم أستولوا على يَرُوتَ في سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، ثم وقعت المهدنة بعد ذلك بين الفرنج وبين العادل أبي بكر بن أيوب في سلطته في سنة إحدى وستمائة على أن تستقر بيد الفرنج يَافَا وتترك لهم مناصفة لُدُّ والرملة .

ثم استعاد الفرنج عكا في سنة أربع عشرة وستمائة في أيام العادل أبي بكر المذكور .
ثم استولوا على صيدا وما معها في أيام آية الكامل محمد في سنة ست وعشرين
وستمائة قبل تسليمه القدس لهم .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل صاحب دمشق صفد والشقيف على أن يعاونوه على
الصالح أيوب صاحب مصر في سنة ثمان وثلاثين وستمائة .

ثم سلمهم الصالح إسماعيل المذكور والناصر داود صاحب الكرك عسقلان وطبرية
حين سلمهم القدس في سنة إحدى وأربعين وستمائة .

ثم فتح "الصالح أيوب" صاحب مصر غزة واستولى عليها في سنة اثنتين وأربعين
وستمائة .

ثم فتح (الظاهر بيبرس) في سنة اثنتين وستين وستمائة قيسارية وأرسوف، وصفد
وبافا في سنة أربع وستين وستمائة . وفتح صهيون في سنة ست وستين وستمائة ،
وأطرابلس في سنة ثمان وثمانين .

ثم فتح أبنته (الأشرف خليل) عكا في سنة تسعين وستمائة، وتتابعت فتوحه ففتح
صيدا ويروت وعثيث في السنة المذكورة . وافتوحه تكاملت بلاد السواحل
بأجمعها . ولما فُتحت هُدِمت جميعها خوفا أن يملكها الفرنج ثانية وبقيت بأيدي
المسلمين إلى الآن .

ومن ذلك أنطاكية - التي هي قاعدة العواصم - فلما كانت بيد باغي سيان بن محمد
أبن ألب أرسلان السلجوقي إلى أن غلب عليها الفرنج في سنة إحدى وتسعين
وأربعائة، وقتلوا باغي سيان المذكور، وقتل فيها ما يزيد على مائة ألف نفس بعد
حصار تسعة أشهر، وملكوا معها كفر طاب، وصهيون، والشفر، وبكاس، وسرمين

وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ حَلَبَ ، وَبَالْعَوَا حَتَّى جَاوَزُوا الْفَرَاتَ إِلَى بِلَادِ الْحَزِيرَةِ ؛
وَمَلَكُوا الرُّهَا وَسَرُوجَ وَغَيْرَهُمَا مِنْ بِلَادِهَا حَتَّى فَتَحَ السُّلْطَانُ صَاحِبُ الدِّينِ يُوسُفُ
ابْنَ أَيُّوبَ الشُّغْرَ وَبَكَّاسَ وَسَرُومِينَ وَغَيْرَهَا فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ .

ثُمَّ اسْتَعَادَتْهَا الْفَرَنْجُ بَعْدَ فَتْحِهِ ؛ ثُمَّ فَتَحَ أَنْطَاكِيَّةَ "الظَاهِرُ بَيْرِسُ" فِي سَنَةِ سِتٍّ
وَسِتِينَ وَسَمِائَةٍ ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْآنَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - بَاقِي بِلَادِ الثَّنُورِ وَالْعَوَاصِمِ كَأَيَّاسَ وَأُذَنَةَ وَالْمَصْبِيَةِ وَطَرَسُوسَ
وَبَرَّاسَ وَهَسْنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَسَيْسَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الثَّنُورِ . فَإِنَّ الْأَرْمَنَ وَثَبُّوا عَلَيْهَا
قَبْلَ الْأَرْبَعِائَةِ وَاسْتَوْلَوْا عَلَى نَوَاحِيهَا وَمَنَعُوا مَا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ مِنَ الْإِثَاوَةِ لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَاسْتَضَافُوا إِلَى ذَلِكَ قَلْعَةَ الرُّومِ وَمَا قَارِبَهَا ، فَبَقِيَتْ فِي أَيْدِيهِمْ حَتَّى فَتَحَ الظَّاهِرُ
بَيْرِسُ بَرَّاسَ وَهَسْنَى وَالدَّرْبَسَاكَ وَغَيْرَهَا ، وَانْتَرَعَهَا مِنَ الْأَرْمَنِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ
وَسِتِينَ وَسَمِائَةٍ .

وَفَتَحَ الْأَشْرَفُ "خَلِيلُ بْنُ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ" قَلْعَةَ الرُّومِ ، وَانْتَرَعَهَا مِنْ يَدِ خَلِيفَتِهِمْ
فِي سَنَةِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ وَسَمِائَةٍ ، وَسَمَّاها قَلْعَةَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْحَلِيقَةِ .

وَفَتَحَ "الْناصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ" فِي سُلْطَتِهِ الثَّالِثَةِ أَيَّاسَ^(١) ، وَمَا وَالِهَا فِي سَنَةِ ثَمَانٍ
وَتَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وَفَتَحَ "الْأَشْرَفُ شُعْبَانُ بْنُ حُسَيْنَ" ابْنَ الْناصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ سَيْسَ وَسَائِرَ بِلَادِ
الْأَرْمَنِ عَلَى يَدِ قَشْتَمَرِ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبِ حَلَبَ .

وَمِنْ ذَلِكَ - قِلَاعُ الدَّعْوَةِ ، الَّتِي هِيَ الْآنَ مِنْ أَعْمَالِ طَرَابُلُسَ : وَهِيَ مِصْيَافُ
وَالْعَلِيقَةِ وَالْمِثْقَةِ وَالْكَهْفِ وَالْقُدْمُوسَ وَالْخَوَاصِي ، فَإِنَّهَا كَانَتْ بِأَيْدِي الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ

(١) ضبطها صاحب "القاموس" كضبطه ونص على مد الهجمة صاحب "التقويم" .

المعروفين الآن بالدواوية، قبل دخولهم في طاعة ملوك الديار المصرية، فبقيت بأيديهم حتى أُنزِعَها منهم الملك "الظاهر بيبرس" في سنة ثمان وستين وستمائة، وأُنزِعَ منهم العليقة في سنة تسع وستين .

ثم أُنزِعَت منهم باقى القلاع في سنة إحدى وسبعين ودخلوا تحت طاعة ملوك مصر من حينئذ، وصاروا شيعَةً لهم .
وهذا آخر ما يحتمله الكتاب مما يحتاج إلى معرفته .

الطَّرَف الثالث

(من الفصل الثانى، من الباب الثالث، من المقالة الثانية في ذكر أحوال المملكة الشامية ؛ وفيه مقصدان)

المقصد الأول

(في ترتيب نياباتها على ما هي مستقرة عليه)
قد تقدم أن الممالك المعتبرة بالبلاد الشامية ست ممالك في ست قواعد، وكلُّ مملكة منها قد صارت نيابةً سلطنة مضاهية للملكة المستقلة .

النيابة الأولى

(نيابة دمشق، وفيها جملتان^(١))

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها في المعاملات ونحوها)

أما الأثمان المتعامل بها فيها، فعلى ما تقدم في الكلام على معاملات الديار المصرية من المعاملة بالدنانير المصرية ونحوها وزناً، والدنانير الافرنجية صَداً، والدرهم النقرة وزناً

(١) قد عرفت ثلاث جمل فتنه .

لا تختلف التقود في ذلك، إلا أن الصَّنَجَةَ في أوزان الذهب بالديار المصرية تختلف الصنجة الشامية في ذلك، فتتقص الصنجة الشامية عن المصرية كل مائة مثقال مثقال وربع مثقال، وتتقص صنجة الدراهم الشامية عن الصنجة المصرية كل مائة درهم درهم، والمعاملة فيها بفلوس صِغَار، وكان يُتَعامَل بها في الديار المصرية في الزمن الأول قبل ضرب الفلوس الجُدُد، حساباً عن كل درهم أربعة وستون فلساً، وكل أربعة فلوس منها يُعَبَّر عنها عددهم بحبة، ثم راجت الفلوس الجُدُد عندهم بعد سنة ثنتين وثمانمائة. إلا أن كل^(١) بدرهم بخلاف ما تقدم في الديار المصرية من أن كل أربعة وعشرين فلساً منها بدرهم.

وأما رطلها الذي يعتبر به موزوناتها فستائة درهم بدرهمهم المتقدم تقديره، وأواقيها اثنتا عشرة أوقية، كل أوقية خمسون درهماً.

وأما كيلها الذي يعتبر به مكيلاها فبالفرارة، وهي اثنا عشر كيلاً، كل كيل ستة أمداد، يتقص قليلاً عن رُبُع الوَية المصرية، ونسبة الإردب من الفرارة أن كل غِرَّارة ومد ونصف ثلاثة أرادب بالكيل المصري تحويراً على الدمشقي^(٢). ثم قال: لكن كيل دِمَشْق ورطلها هو المعتبر وإليه المرجع.

وأما قياس قماشها فبذراع يزيد على ذراع القماش بالقاهرة بنصف سُدس ذراع وهو قيراطان.

وأما قياس أرض النور بها وما في معناها، فإنه يعتبر بذراع العمل المتقدم الذكر في الديار المصرية.

(١) يباض في الأصل بِدَرَكَلَة.

(٢) لم يقدم لنا ما يعود عليه الضمير ولعله صاحب "المسالك".

وأما سعرها فقال في "مسالك الأبصار" : سعر اللحم بها أرخص من مصر والدجاج والإوز أغلى من مصر، وكذلك السكر، ولم يتعرض لغير ذلك . ولا خفاء في أن الفاكهة فيها أرخص من مصر بالتقدر الكبير ، والقمح والشعير والبقلاء نحو من سعر مصر ، وذلك كله عند اعتدال الأسعار . أما حالة الغلاء فيختلف الحال بحسبه .

الجملة الثانية

(في ترتيب مملكتها ، وهو ضربان)

الضرب الأول

(في ترتيب حاضرتها)

أما جُيُوشُها ، فعلى ما تقدم في الديار المصرية في اجتماعها من الترك والجرس والروم والروس والأص ، وغير ذلك من الأجناس المضاهية للترك في الزي ، ويزيد بها التُّركُجان المتميزون عن صفة الترك وزيهم ، وجنلها ينقسمون إلى ما تقدم في الديار المصرية : من الأمراء المقدمين والطلبخانات والعشرات ، ومن بين المقدمين والطلبخانات : كأمرء السبعين والخمسين ، وما بين العشرات والطلبخانات كالعشرينات ونحوهم ، وكذلك مقدمو الحلقة وجنلها ، ولا وجود فيها للمالِك السُلطانية لأنهم لا يكونون إلا بحضرة السلطان . وقد أخبرني من له خبرة بحال مملكتها أن الأمراء المقدمين بها كانوا في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون عشرة غير النائب بها ، وربما قصصوا الآن عن ذلك ، وأن أمراء الطلبخانات بها كانوا إذ ذاك أربعين وأنهم الآن نيف وخمسون ، وأن أمراء العشرات كانوا بها ألفين ومائة وخمسين بما فيهم من البحرية .

وأما إقطاعاتها - فقال في "مسالك الأبصار" : إن إقطاعاتها لا تقارب إقطاعات مصر ، بل تكون على الثلثين منها ، إلا في أكابر الأمراء المقربين بحضرة السلطان ، فإن إقطاعاتهم خارجة عن العادة فلا يعتد بها . قال : ولا أعرف بالشام ما يقارب ذلك إلا ماهولنائب دِمَشَق .

وأما بيوتاتها السلطانية - فقال في "مسالك الأبصار" : بها حِزَانَةٌ تخرج منها الإنعامات والخلع ، وخزائن سلاح ، وزرَدَخَانَاهُ ، وبيوت تشتمل على حاشية سلطانية مَخَصَّرة ، حتى لو جهز السلطان إليها جريدة وجد بها من كل الوظائف القائمة بدولته . قال : وكل أمير أمر فيها أو في غيرها من الشام أو ربّ وظيفة وتلى وظيفة من عادة متوليها لبس خَلْعَةٍ أو خدم أحد خدمة في مهم من المهمات أو أمر من الأمور يستوجب خَلْعَةٍ أو إنعاما ولم يخلع عليه من مصر كان من دِمَشَق خَلْعَتُهُ وإنعامه ، ومنها تخرج أعلام الإمرة وطلائعهن وشعار الطبلخاناه . وفي خزائن السلاح بها تُصَلّ المجانيق والسلاح ، ويحمل إلى جميع الشام وتعمربه البلاد والقلاع ، ومن قلعها تجزّد الرجال وأرباب الصنائع إلى جميع قلاع الشام ، وتندب في التجاريد والمهمات .

قلت : أما باقي البيوت كالفرّاش خاناه والإصطبلات السلطانية وما شاكلها ، فلا وجود لها فيها مما ينسب إلى السلطان ، بل يكون ذلك للنائب قائما مقام السلطان لأنه في الحقيقة السلطان الحاضر ؛ وكان بها مطابخ السكّر السلطانية فاضيفت إلى من يتحدث في الأغوار من النائب أو غيره من الأمراء الأكابر .

الضرب الثاني

(في بيان أرباب الوظائف بِدَمْشَقَ على تباين مراتبهم ، و وظائفها
المعتبرة على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف)

وهي مضاهية لوظائف أرباب السيوف بالحضرة السلطانية في كثير منها ،
وهي عدة وظائف .

(منها) نيابة السلطنة بها - وهي أجل نيايات المملكة الشامية وأرضها في الرتبة ،
ونائبها يضاهي النائب الكافل بالحضرة السلطانية في الرتبة والألقاب والمكاتب ، ويعبر
عنه في المكتبات السلطانية وظيفتها " بكافل السلطنة الشريفة بالشام المحروس " .
ويكتب له من الأبواب السلطانية تقليد شريف من ديوان الإنشاء الشريف ،
وهو قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنيابته ، ويكتب عنه
التواقيع الكريمة ، ويكتب عنه المرسلات بتعيين إقطاعات الجند ، وتجهز إلى الأبواب
الشريفة فيشملها الخط الشريف السلطاني . ويترتب حكم المرسلات المصرية والمناشير
على حكمها كما سيأتي في الكلام على المناشير في موضعها إن شاء الله تعالى ، وهو يكتب
على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد ، ومعه يكون
نظر البيارستان النوري بدمشق كما يكون نظر البيارستان المنصوري بالقاهرة مع
أتابك الساكر ، وكذلك يكون معه نظر الجامع الأموي بها .

(ومنها) نيابة القلعة بها - وهي نيابة مفردة عن نيابة السلطنة ، ليس لنائب السلطنة
عليها حديث ، وولايتها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف يكتب من ديوان

الإنشاء الشريف . قال في "التخفيف" : وكان عادة نائبيها في الأيام المتقدمة مقدّم ألف ، ثم استقرت بعد ذلك طبلخاناه ، وهي على ذلك إلى الآن . ومن شأنه حفظ القلعة وصونها ، ولا يسلم مفتاحها لأحد إلا لمن يتولاها مكانه أو لمن يأمره السلطان بتسليمه له . ولنائبها أجناد بحرية مقيمون في القلعة لخدمته ، ولا يحضر هو ولا أحد منهم دار النيابة بالمدينة ، ولا يركبون في الغالب . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أن بالقلعة طبلًا مرتبًا لاستعلام أوقات الليل إذا أذن للعشاء الآخرة ضرب عليه عند مضي كل أربع درج ضربة واحدة إلى أن يتقضى ثلث الليل الأول . فإذا دخل الثلث الثاني ضرب عليه عند مضي كل أربع درج ضربتين إلى أن تنقضاء الثلث الثاني . فإذا دخل الثلث الثالث ضرب عليه عند مضي كل أربع درج ثلاث ضربات إلى أن يؤذن للصبح . قال : وهكذا شأن سائر القلاع بالممالك الشامية .

(ومنها) المجموعية - وكان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون فيما يقال ثلاثة محجّاب ، أحدهم حاجب المحجّاب ، ويمرعه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بأمير - حاجب ، وعادته أن يكون مقدّم ألف من الزمن القديم وهلمّ جرأ ، وهو الرتبة الثانية من النائب ، ومن شأنه الجلوس بدار العدل ، ولا يقف كما يقف حاجب المحجّاب بين يدي السلطان بالديار المصرية ، وإذا تخرج النائب عن دمشق في مهمّ أو غيره ، كان هو نائب النّية عنه . وإذا برز مرسوم السلطان بالقبض على نائب السلطنة بها ، كان هو الذي يقبض عليه ويفعل فيه ما يؤمر به من سجن أو غيره ، ويقوم بأمر البلد إلى أن يُقام نائب آخر . والحاجبان الآخران طبلخانتان أو طبلخاناه وعشرة ، وربما كانوا أربعة : حاجب المحجّاب وثلاث طبلخانات أو طبلخانتين وعشرون أو عشرة أو غير ذلك ؛ ورتبتهم في المواكب أن يكون حاجب المحجّاب والذي يليه في الرتبة ميمنة والثاني ميسرة . ثم صاروا في الأيام الظاهرية برقوق خمسة أو ستة .

ولم تجر العادة بأن يكتب لأحد منهم مرسوم شريف من الأبواب الشريفة عند ولايته ، ولا مدخل للنائب بها في كتابة ما يقع لأحد منهم .

(ومنها) شد المهيمات - وهي رتبة جليلة ، وموضوعها التحدث في أمور الاحتياجات السلطانية ، وتارة لنائب السلطنة بدمشق ، وتارة لحاجب الجباب ، وتارة لبعض الأمراء من المقدمين والطلبانات بحسب ما يقتضيه رأى السلطان .
(ومنها) نقابة القلعة بها - وهي إمرة عشرة بمرسوم شريف ، يكتب له من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نقابة النقباء - وهما نقيبان : نقيب للبحنة ونقيب لليسرة .
(ومنها) الحزبندارية - وموضوعها التحدث على الخلع والتشريف السلطانية بالقامة وعادتها أربعة طواشية خضيان بعضهم أعلى رتبة من بعض ، أحدهم في رتبة أمير طبلخاناه أو أمير عشرين ، والثاني دونه ، والثالث دونه ، والرابع دونه ، وكل منهم له توقيع كريم من نائب السلطنة بدمشق على قدر رتبته .
(ومنها) نقابة الجيش - وفيها ثلاثة نقر ، أكبرهم يعبر عنه بنقيب النقباء ، تارة يكون أمير طبلخاناه ، وفي غالب الأوقات أمير عشرة ، ودونهُ أسنان من جند الحلقة .
ويكتب لكل منهم توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) شد العواوين - وموضوعها التحدث في استخراج الأموال السلطانية رفيقا للوزير كما في الديار المصرية ، وكانت في الأيام المتقدمة إمرة طبلخاناه ، ثم استقرت إمرة عشرة . وهي الآن جندي من أجناد الحلقة ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شد الأوقاف - وموضوعها التحدث على أوقاف المسلمين بدمشق ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما كانت طبلخاناه ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شد الحاص - وعادته طبلخاناه أو عشرة أيضا .

(ومنها) شد الزكاة - وموضوعها التحدث على متجر الكارم ونحوه ، وكانت في الزمن المتقدم إمرة عشرة ، وهي الآن جندي ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شد العشر - وموضوعها التحدث في واصل الفرج ، وكانت إمرة عشرة ، وهي الآن جندي ، ويكتب لتوليها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) شد دار الطعم - وهي بمثابة الوكالة بالديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وعادتها إمرة عشرة أو مقدم حلقه أو جندي ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحدث في أمر الشرطة كما في سائر الولايات ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما وليها جندي ، ويكتب بها توقيع كريم عن النائب .

(ومنها) المهمندارية - وموضوعها تلقي الرسل الواردين ، في أمور أخرى كما في الديار المصرية . وقد أخبرني بعض أهل المملكة أنه كان بها في الأيام الناصرية ابن قلاوون في نيابة الأمير تتركز مهمندار واحد مقدم ألف . ثم استقرت في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" نفرين ، وهي على ذلك إلى زماننا ، وهما الآن أمير عشرة ، وجندي ، ويكتب لكل منهما توقيع كريم عن النائب على قدر رتبته .

(ومنها) أمير اخورية البريد - وموضوعها التحدث على خيول البريد بدمشق ونواحيها . وأخبرني بعض أهل هذه المملكة أنه لم يزل بها أمير عشرة من الأيام الناصرية ابن قلاوون وإلى الآن .

(ومنها) تقديم البريد - وموضوعها التحدث على جماعة البريدي بدمشق . وأخبرني بعض أهل المملكة أنها كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون منحصرة

في واحد من جملة البريدية، ثم أستقر فيها الآن أشان إما إمرة عشرة وإمرة خمسة، أو إمرة خمسة وجندى، أو نحو ذلك؛ ويكتب لكل منها توقيع كريم عن النائب على قدر مرتبته .

(ومنها) سُود صغار متعددة، يوئى بها أجناد بتوقيع لهم عن النائب : كشد دار البَطِيخ والفاكهة ، وشد المسابك من الحديد والنحاس والزجاج وغير ذلك ، وشد المواريث الحشرية ونحو ذلك . وكان لمطابخ السكر شد مفرد يوئى بتوقيع كريم عن النائب، ثم أستقر ذلك مضافا لمن يتحدث على الأغوار من النائب أو غيره .

قلت : أما سائر أبواب الوظائف من الأمراء المستقر مثلهم بالحضرة السلطانية : كراس نوبة، وأمير مجلس ، وأمير سلاح ، وأمير اخور ، وأمير جندار ، وأستادار المباشرة، وأستادار الصحبة ، وشاذ الشراب خاناه، والجاشكير، ومقدم المالك ونحوهم . فلا وجود لهم هناك . وإنما يكون للنائب مثلهم من أجناده كغيره من سائر الأمراء .

الصف الثاني

(الوظائف الديوانية ؛ وهي عشر وظائف)

(منها) الوِزَارَة - وهي تارة تلو رتبة صاحبها بأن يكون جليل القدر، كما إذا كان قد تقدمت له ولاية وزارة بالديار المصرية أو نحو ذلك فيصرح له بالوزارة ، وتارة تقصر رتبته عن ذلك فيطلق عليه ناظر المملكة الشامية ، ولا يُسمَّع له من ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية باسم الوزارة ، وإن كان الجارى على السنة العامة لإطلاق لفظ الوزير عليه . وكيفما كان فإنما يوليه السلطان من الأبواب الشريفة . إن كان وزيرا كتب له تقليد، وإن كان ناظرا للملكة كتب له مرسوم . قلت : وقُلْ أن

يلها أرباب السيوف، فإن وقع ذلك آحتاج معه إلى ناظر مملكة كما يكون ناظر الدولة مع الوزير ربّ السيف بالديار المصرية .

(ومنها) كتابة السرّ - ويعبر عن متوليا في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بصاحب ديوان الإنشاء بالشام المحروس ، ولا يقال فيه : صاحب دواوين الإنشاء كما في الديار المصرية . على أنها تضاهي كتابة السر بالديار المصرية في الرياسة ورفعة القدر . وموضوعها على نحو ما تقدّم في الديار المصرية . وكيفما كانت فإنما يؤتى من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ، ويحتزّز السلطان فيها على أن يكون كاتب السر من خاصته الموثوق بهم ليطالعه بخفيات أمور المملكة وما يحدث بها مما لعل النائب قد يُخفيه عن السلطان . وبديوانه تُكتب الدست وتُكتب الدرّج كما بالديار المصرية ، ويقال إنه كان عدّة تُكتب الدست في الأيام الناصرية ابن قلاوون نفرين وتُكتب الدرّج جماعة يسيرة ، ثم زاد الأمر كما في الديار المصرية . وولاياتُ تُكتب الدست وتُكتب الدرّج بتواقيع كريمة عن النائب دون الأبواب الشريفة .

وأخبرني بعض أهل دمشق المارفين بأحوال المملكة أن كاتب السر في الزمان المتقدم لم يكن يحضّر دار العدل مع النائب ، وإنما كان يحضر تُكتب الدست فقط فيوقعون بما يحتاج إليه في المجلس وينصرفون إلى كاتب السر فيخبرونه بما آتفق . وكاتب السر يجتمع بالنائب في أوقات مخصوصة فيما يتعلق بالأمور السلطانية فقط . وكان كاتب السر ربما دأب عليه الموقعون فيما يقع بدار العدل فيلحقه بعض الخلل . فلما ولي كتابة السر القاضي ... (١) ... سعى السعي العظيم حتى أذن له في الحضور بدار العدل والتوقيع فيه ، واستمر ذلك إلى الآن .

(ومنها) نظر الجيش - وموضوعه التحدث في الإقطاعات : إما في كتابة مربعات تُكتب بما يعينه النائب من الإقطاعات المتوفرة عن أربابها بالموت ونحوها وتُكَلِّمها بخطوط ديوانه ، ويجهزها النائب إلى الأبواب الشريفة ليشملها الخط الشريفة السلطاني ، وتعمل إلى ديوان الجيوش بالديار المصرية فتجعل شاهداً محمداً فيه ، وتكتب منه مربعة ، بمقتضاها يخرج المنشور على نظيرها كما تقدمت الإشارة إليه . وإما في إثبات المناشير الشريفة التي تصدر إليه من الأبواب السلطانية بديوانه حفظاً لحسابات المقطعين . وليس بالشام كتابة مناشير أصلاً ، بل ذلك مختص بالأبواب السلطانية ، فإن كان فيه كتابة الدست وقّع بدار العدل في حملة الموقعين وإلا فلا . وإذا كان موقعا جلس مجلس ناظر الجيش وإن كان متأخرا في القدمة عن غيره من الموقعين ، وولاية هذا الناظر من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف . وبديوانه عدة مباشرين من صاحب ديوان وكُتاب وشهود ، ولآيتم عن النائب بتوقيع كريمة . وناظر الجيش هو الذي يحكم في المحاكمات الديوانية كما يحكم فيها مستوفى الميراث بالديار المصرية .

(ومنها) نظر المهمات الشريفة - وهي وظيفة جلييلة يكون متوليا من أرباب الأقاليم رفقا لشاذ المهمات المتقدم ذكره من أرباب السيوف : من النائب أو حاجب الجباب أو غيرها . وهي تارة تضاف إلى الوزارة ، وتارة تُفرد عنها بحسب ما يراه السلطان ، وولايتها من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف . وبهذا الديوان عدة مباشرين من كُتاب وشهود ، فيولهم النائب بتوقيع كريمة .

(ومنها) نظر الخياص - وموضوعه هناك التحدث فيما يتعلق بالمستأجرات السلطانية وغيرها من الأغوار وما يجري مجراها ، وربما أضيف نظرها للوزير .

(ومنها) نظر انحرانة، وسبر عنها بالخرانة العالية . ومتولها يكون رفيقا للخازندارية من الطواشيبة المتقدم ذكرهم . فيكون متحدثا في أمر التشاريف والخلع وما معها، وهي وظيفة جليلة يولها النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيارستان الثوري - وقد صار النظر عليه معدوقا بالنائب، يفوض التحدث فيه إلى من يختاره من أرباب الأفلام .

(ومنها) نظر الجامع الأموي - وفي الغالب يكون مع قاضي القضاة الشافعي . (ومنها) نظر خزانة السلاح - وموضوعها كما في الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيوت - وموضوعها على ما تقدم في الديار المصرية، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وأخبرني بعض الدمشقيين أن هذه الوظيفة اسم على غير معنى لا حقيقة لها ولا مباشرة، لعدم البيوت السلطانية هناك .

(ومنها) نظريت المال - وحكمها كما في الديار المصرية . (ومنها) نظردوان الأسرى - وهو التحدث في الأوقاف التي تُعدى بها الأسرى . (ومنها) نظر الأسواق - وموضوعها كما تقدم في الديار المصرية من التحدث على سوق الرقيق والخليل ونحوها، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر مراكز البريد - ومتولها يكون رفيقا لأُمير اخور البريد المتقدم ذكره، وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الحوطات - وهو على نحو من استيفاء المرتجع بالديار المصرية في تحصيل الأموال السلطانية .

أما الحكم في المحاكمات الديوانية، فيختص بناظر الجيش كما تقدم ذكره .

(ومنها) نظر المسابك - ومتولى يكون رفيقا لشاذ المسابك المتقدم ذكره في أرباب السيوف، وولايته عن النائب بتوقيع كريم . قلت : ويضم إلى كل نظر من هذه الأنظار مباشرُون : من شهود وغيرهم ، يكتب لدوى الصوب منهم تواقع كرمة عن النائب بوظائفهم ، في أنظار أخرى لا يسع استيفائها : كنظر المواريث الحشرية وغيرها . وما أهمل من الأنظار بها نظر مطابخ السكر كما أهمل شدّها لإضاقتها إلى المتحدث في الأغوار على ما تقدم ذكره في الكلام على وظائف أرباب السيوف .

الصنف الثالث

(من الوظائف يمدشَق الوظائف الدينية؛ وهي عدة وظائف أيضا)

(منها) قضاء القضاة - وبها أربع قضاة من المذاهب الأربعة على الترتيب المتقدم في الديار المصرية . فاعلام الشافعي وهو المتحدث على المواضع الحكيمة والأوقاف وأكثر الوظائف؛ ويختص بتولية التواب في النواحي والأعمال بجميع أعمال دِمَشَق حتى في غزّة، ويليه في الرتبة الحنفى، ثم المالكي، ثم الحنبلي. وكان استقرار القضاة الأربعة بها بعد حدوث ذلك بالديار المصرية، لكن لم تستقر الأربعة دفعة واحدة كما وقع في الديار المصرية في الدولة الظاهرية ببيرس، بل على التدرج . وأقدمهم فيها الشافعي؛ وولاية الأربعة من الأبواب الشريفة بتواقع شريفة .

(ومنها) قضاء العسكر - وموضوعه كما تقدم في الديار المصرية، وبها قاضيا عسكر شافعي، وحنفي، وليس بها مالكي، ولا حنبلي؛ وولايتهما من الأبواب الشريفة السلطانية بتواقع شريفة .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وهي على ما تقدم في الديار المصرية أيضا، وبها مفتيان شافعي وحنفي؛ كما في قضاء العسكر، وولايتهما عن النائب بتواقع كرمة .

(ومنها) وكالة بيت المال - وموضوعها ما تقدم في الديار المصرية ، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف ووكالته مشبوة على الحكم مُتَقَدَّة ^(١١) . ولكن لاجلوس له بدار العدل كما يجلس وكيل بيت المال بالديار المصرية ، إلا أن يكون كاتب دست فيجلس بواسطتها في جملة الموقعين لا بالوكالة .

(ومنها) نقابة الأشراف - والأمير فيها كما في الديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . وقد تقدم في الكلام عليها في الديار المصرية أنه كان من حقها أن تُورَد في جملة وظائف أرباب السيوف إذ يكتب في توقيع متوليا "الأميرى" وإن كان متعما ، وإنما التغليب العرفي أقضى ذكرها في جملة وظائف أرباب الأقاليم .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - وموضوعها كما في الديار المصرية : من التحدث على جميع الخواص والفقراء بدمشق وأعمالها ، والعادة أن يكون متوليا شيخ الخانقاه الشمينصانية بدمشق ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) الحسبة - وهي كما تقدم في الديار المصرية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم . ولا يجلس متوليا بدار العدل كما يجلس محتسب القاهرة بدار العدل في الديار المصرية ، وإليه ولاية تواب الحسبة بجميع أعمال دمشق .

(ومنها) الخطابات المدوقة بنظر النائب - فيولى فيها بتواقيع كريمة حتى إنه ربما كتب عنه التواقيع بخطابة الجاسع الأموى ، وإن كان الغالب أنها لا تولى إلا من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، وقد صارت مضافة لقاضى القضاة الشافعى .

(ومنها) التداريس - وتختلف باختلاف حال من يتولاها في الرقعة وغيرها ، وولايتها عن النائب بتواقيع كريمة غالبا والله أعلم .

(١) الأولى ثابتة ، وقد جارى في التعبير العرفى العامى .

الصنف الرابع

(من الوظائف يَدْمَشْقَ وظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رياسة الطب ، ورياسة الكحالين ، ورياسة الجرائحية - وكلها على نحو ما تقدم في الديار المصرية ؛ وولاية كل منها بتوقيع كريم عن النائب . أما مهتارية البيوت وما في معناها ، فهناك تختص بالنائب لقيامه مقام السلطان واختصاص البيوت به .

الصنف الخامس

(وظائف زعماء أهل الذمة بها)

وفيها بطرك النصارى اليعاقبة ، وبطرك النصارى المملكانية ، ورئيس اليهود القرائين والربانيين ، ورئيس السامرة ، ولكنه مقيم بمدينة نابلس التي هي مدينتهم المعظمة عندهم ، وإلى طورها يحجهم ، وله نائب مقيم يَدْمَشْقَ . قلت : وربما كتب عن السلطان من الأبواب الشريفة بتواقيع ومراسيم بالحلل^(١) على ما تصدر ولايته عن النائب ، وربما كتب به عنه ابتداء .

الجملة الثالثة

(في ترتيب النيابة بها)

وتوافق ترتيب السلطنة في الديار المصرية في بعض الأمور ، وتخالفها في بعض . وكان عادة النائب بها في المواعيد أن يركب في العسكر من الأمراء ومقدمي الحلقة وأجنادها في كل يوم اثنين وخميس ، ويخرجون إلى سوق الخيل تحت القلعة فيسيرون

(١) المراد بثبت ما يصدر عن النائب كما تحديه البقية .

خيولهم ، وتعرض عليهم خيول المتأداة وغيرها من آلات السلاح ونحوها ، وينادى
 بينهم على العقار من الدور والضّياح وغيرها ، ولا يتعدون سوق الخيل إلى غيره .
 أما الآن فإنهم قد رفضوا التسيير بسوق الخيل ، وصار النائب يخرج بالأسكر إما إلى
 ميدان ابن أتابك ، وإما إلى قبة يلغا : قبل دِمَشق ، وإما إلى المزة غرب دِمَشق ،
 وإما إلى القابون شمال دِمَشق على حسب ما يختاره ، فيسيرون هناك بدلا من
 تسييرهم بسوق الخيل ، ولا يسيرون بسوق الخيل إلا في يوم مهم من حضور رُسل
 من بعض الملوك الغرباء ونحو ذلك . فإذا فرغوا من التسيير عند ارتفاع النهار ، عاد
 النائب في موكله حتى يأتي باب الحديد من أبواب القلعة . ويقف الأمراء على
 ترتيب منازلهم ، وينادى بينهم على العقار والدور وغيرها ، وكذلك الخيول والسلاح .
 ثم يسير النائب إلى دار النيابة ، فإن كان في الموكب ستماط تقدم الأمراء في خدمته ،
 ويترجل ماله من سوق الخيل ، ثم الأمراء على القرب من دار النيابة على ترتيب
 منازلهم حتى يكون رجل المقدمين على باب دار النيابة ، ويبقى النائب راكبا وحده
 حتى ينتهي إلى قاعة عظيمة معدة للجلوس في المواكب بمثابة الإيوان الذي يجلس
 فيه السلطان بقلة الجبل بالديار المصرية ، ويصعد بها كرسي من خشب مغشّى
 بغشاء من الحرير الأطلس الأصفر ، وعليه سيف نجماء ، مسند إلى صدره ، فيجلس
 النائب بصدر القاعة على مقعد مختص به ، لا يشاركه أحد في الجلوس عليه ، وخلفه
 بشتيخ منصوب وراء ظهره كمادة الأمراء ، ويكون الكرسي المذكور على شماله
 على نحو ثلاثة أذرع منه ، ويجلس قاضي القضاة الشافعي عن يمين النائب على نحو
 ثلاثة أذرع منه ، مسندا ظهره إلى جدار صدر القاعة ، ويجلس قاضي القضاة الحنفي
 عن يمينه ، وقاضي القضاة المالكي عن يمين الحنفي ، وقاضي القضاة الحنبلي عن يمين
 المالكي ، وقاضي العسكر الشافعي عن يمين قاضي القضاة الحنبلي ، وقاضي العسكر

الحنفى عن يمين قاضى العسكر الشافعى، صفًا مساويا للنائب فى صدر القاعة؛ ويجلس كاتب السر من جهة يسار النائب ملاصقا لمقعده الذى هو جالس عليه، جاعلا يمينه إلى جدار صدر القاعة وظهره إلى جهة الكرسيّ بانحراف قليل لمواجهة النائب؛ وتُكَلَّبُ الدست بالميسرة تحته بالتدريج على حسب التقدمة صفًا ممتدًا من كاتب السر إلى جهة باب القاعة؛ ويجلس الوزير مقابل كاتب السر من الجانب الآخر على سمت يمين قاضى القضاة الحنبلى؛ ويجلس ناظر الجيش تحته، وتُكَلَّبُ الدست باليمين تحت ناظر الجيش على الترتيب بالتقدمة أيضا، آخذًا من الوزير إلى جهة باب القاعة، فيصير كاتب السر والوزير ومن يسامتهما صفين متقابلين؛ ويجلس أتابك العساكر من الأمراء فى رأس الميمنة خلف الوزير على بُعد، وبقية الأمراء المقدمين تحته على الترتيب بحسب التقدمة، وأمراء الطبلخاناة باليمين تحتهم كذلك حتى يصيروا صفًا آخر كصف الوزير ومن معه؛ ويجلس المقدمون من أمراء الميسرة خلف كاتب السر ومن معه وتحتهم الطبلخاناة على الترتيب المتقدم صفًا آخر متقابلا لصف الميمنة، بحيث يكون أوله خارجا عن يسار الكرسيّ. ويكون بين النائب ورأس الميمنة نحو خمسة أذرع، وبينه وبين رأس الميسرة نحو عشرة أذرع، وتقف طائفة من أمراء العشرات والخمسات ومقدمى الحلقة باليمين صفًا مستقيما خلف الأتابك والأمراء الجلوس فى صفه على ترتيب منازلهم، ويقف مماليك النائب عن يسار الكرسيّ صفا آخذًا من خلف أول مقدمى الميسرة بانحراف فيه إلى خلف، وطائفة من مقدمى الحلقة خلف الأمراء الجالسين فى الفرجة الواقعة بينهم وبين مماليك النائب؛ ويجلس حاحب العُجَاب أمام النائب فى آخر صفى الموقعين الممتدين من كاتب السر والوزير بميلة إلى صف الميمنة؛ ويقف بقية الحجاب خلفه، وتُقبَّاء الجيش خلفهم. وترفع القصص فيتناولها قباء الجيش ويوصلونها إلى

حاجب الحجاب فيتناولها ويقوم فيوصلها إلى كاتب السر فيفزعها على الموقعين ، ويتندى هو بالقراءة فيقرأ ما بيده من القصص ويوقع عليها بما يرسم به النائب ، ثم يقرأ الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر صفه . فإذا فرغ ذلك الصف من القراءة ، قرأ من هو أول الصف الذى فى جانب الوزير ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه إلى آخر الصف . فإذا انتهت القراءة ، قام القضاة ومن فى صفهم وكاتب السر والوزير وناظر الجيش وسائر أرباب الأقاليم فينصرفون . فإذا انقضى المجلس وأنصرف القضاة ومن معهم ، مد السباط ؛ ويجلس النائب على رأس السباط والأمراء ومقدمو الحلقة على ترتيب منازلهم فيما يكون ، ثم يرفع السباط ويتحول النائب إلى طرف الإيوان فيجلس فيه ، ويجلس قدامه كاتب السر وناظر الجيش وتأتى المحاكمات فيفصلها ، ويقرأ عليه كاتب السر ما يرفع فى ذلك المجلس من القصص ؛ ويتكلم مع ناظر الجيش فيما يتعلق بأمر الجيش والإقطاعات ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف كاتب السر وناظر الجيش .

قال فى "مسالك الأبصار" : وتزيد عساكر الشام على غيرها ركوب يوم السبت . قلت : وهو ركوب مجزى ليس فيه دار عدل ولا سباط . على أنه ربما أهمل حضور دار العدل ومد السباط فى يومى الاثنين والخميس أيضا كما فى الديار المصرية .

المقصود الثانى

(فى ترتيب ماهو خارج عن حاضرة دمشق ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو خارج عن حضرتهما من النابات والولايات)

قد تقدم أن لدمشق أربع صفقات : غربية (وهى الساحلية) . وقبيلية . وشمالية . وشرقية . ففى الصفقة الأولى وهى الغربية نيابتان ونمىس ولايات .

فأما النياتان :

فالأولى - (نيابة غزوة) أو مقدمة العسكر بها على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .
ومعاملتها بالنائير والدرهم النقرة، وصنحتها في الذهب والفضة كصنحة الديار
المصرية . وكان بها فلوس كل ثمانين منها بدرهم، ويعبر عن كل أربعة منها بحبة،
ثم راجت بها الفلوس الجُدُد في أوائل الدولة الناصرية "فرج بن برقوق" ولكن كل
سنة ثلاثين قلّسا منها بدرهم، ورطلها سبعمائة وعشرون درهما بالدرهم المصري،
وأوقية أثنا عشرة أوقية، كل أوقية ستون درهما . ومكيلاتها معتبرة بالفرارة . وكل
غرارة من غزارها ثلاثة أرادب بالمصري؛ وقياس قماشها بالذراع المصري؛ وأرضها
معتبرة بالفدان الإسلامي والفدان الرومي على ما تقدم في دمشق؛ وجيوشها مجمعة
من الترك ومن في معناتهم ومن العرب والتركمان؛ وبها من الوظائف النيابة؛ ثم تارة
يصرح لئانها بنباية السلطنة . وبكل حال فنائبها أو مقدم العسكر لا يكون
إلا مقدم ألف؛ وبها أمراء الطبغخانه والعشرات والخمسات ومن في معناتهم؛ وفيها
من وظائف أرباب السيوف المجوية، وحاجبها أمير طبغخانه، وولاية المدينة
وولاية البر، وشدة الدواوين، والمهندارية، وتقابة النقباء وغير ذلك .

وبها من الوظائف الديوانية كاتب درج، وناظر جيش، وناظر مال . وولايتهم
من الأبواب السلطانية؛

ومن الوظائف الدينية قاض شافعي، وولايته من قبال قاضي دمشق
إذا كانت غزوة تقدمه عسكر وإلا فهي من الأبواب السلطانية، وقاض حنفي
قد استحدث، وولايته من الأبواب السلطانية؛ وبها المحتسب، ووكيل بيت المال
ومن في معناتهم، وكلهم نواب لأرباب هذه الوظائف بدمشق كما في القاضي الشافعي،
وليس بها قضاء عسكر ولا إفتاء دار عدل .

الثانية - (نيابة القدس) - وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة وأن النيابة استحدثت فيها في سنة سبع وسبعين وسبعائة، ونيابتها إمرة طبلطاناه، وقد جرت العادة أن يضاف إليها نظر القدس ومقام الخليل عليه السلام؛ ومعاملتها بالذهب والفضة والفلوس على ما تقدم في معاملة دِمَشْقَ، ورطلها ^(١) وكلها معتبر بالغرارة، وغرارتها ^(٢) وقياس قماشها بذراع ^(٣)؛ وبها من الوظائف غير النيابة ولاية قلعة القدس، واليها جندي، وكذلك ولاية المدينة، وكانت توليتها أولاً من جهة نائب السلطنة بدِمَشْقَ، ثم أخبرني بعض أهل المملكة الشامية أن ولاية والى القلعة وولاية البلد صارتا إلى نائب القدس من حين استقر نيابة، وكذلك ولاية بلد الخليل عليه السلام. وبها قاض شافعي ومحتسب ناظران عن قاضي دِمَشْقَ ومحتسبها، وكذلك جميع الوظائف بها نيابات عن أرباب الوظائف بدِمَشْقَ .
وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية الرملة) - وكانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون من الولايات الصغار بها جندي، ثم استقر بها في دولة الظاهر برقوق كاشف أمير طباطبانا، ثم حدثت مكاتبته عن الأبواب السلطانية بعد ذلك .

الثانية - (ولاية لُدّ) - وقد كانت في الأيام الناصرية ابن قلاوون ولاية صغيرة بها جندي، ثم أضيفت إلى الرملة حين استقر بها الكاشف المقدم ذكره .

الثالثة - (ولاية قاقون) - وكان بها في الأيام الناصرية جندي، ثم أضيفت إلى كاشف الرملة عند استقراره .

الرابعة - (ولاية بلد الخليل عليه السلام) - وكان في الأيام الناصرية بها جندي، ثم أضيفت إلى القدس حين استقر النائب به .

(١) يابض بالأصل في هذه المواضع ولعلها مثل الذي تقدم في غرة لتقارب الأسماء .

الخامسة - (ولاية نابلس) - وهي باقية على حالها في الأفراد بالولاية ، ووالها تارة يكون أمير طبلخاناه ، وتارة أمير عشرين ، وتارة أمير عشرة .
وأما الصفقة الثانية وهي القبلية ، فهي نيابتان وثمان^(١) ولايات .
فأما النيابتان :

فالأولى منهما (نيابة قلعة صَرْخَدَ) - قال في " التعريف " : قد يجعل فيها من يَحْطُ عَنْ رتبة السلطنة أو تكون نيابة معظمة ، وذكر نحوه في " مسالك الأبصار " وكأنه يشير إلى ما كانت عليه في زمانه ، فإنه من جملة مَنْ كان نائباً بها العادل كتبغا بعد خلعهِ من السلطنة ، ثم انتقل منها إلى نيابة حماة . وأعلم أن صَرْخَدَ المذكورة قلعة لها وَاِلٍ خاص . قال في " التنقيف " : وهي من القلاع التي يستقل نائب الشام بالتولية فيها .

الثانية - (نيابة عَجْلُون) - وقد أشار في " التنقيف " إلى أنها نيابة حيث قال : وعَجْلُونُ إن كانت نيابة فإن نائب الشام يستقل بالتولية فيها ، ولم تجرله عادة بمكاتبه من الأبواب الشرهة .

وأما الولايات :

فالأولى - (ولاية بَيْسَانَ) - ووالها جُنْدَى .

الثانية - (ولاية بَايَاسَ) - ووالها جُنْدَى تارة ، وتارة إمرة عشرة .

الثالثة - (ولاية قلعة الصَّيْبَةِ) - وكانت ولاية صغيرة وبها جندي ثم أضيفت إلى بَايَاسَ .

الرابعة - (ولاية الشَّعْرَا) - وكانت في الأيام الناصرية مضافة إلى بَايَاسَ ، وهي الآن ولاية مفردة ، ووالها جُنْدَى .

(١) أي أن جلت الصلت ولاية مفردة وإلا فسيئة .

الخامسة - (ولاية أَدْرَعَات) - قال في "التعريف" : وبها مقر ولاية الحاكم على جميع الصفقة ؛ ثم الحاكم على جميع الصفقة تارة يكون طبلخاناه وتكون ولايته عن نائب الشام ، وتارة يكون مقدم ألف فتكون ولايته من الأبواب السلطانية . أخبرني بعض كتّاب دَسْت دِمَشَق أنه إن كان مقدم ألف ، سُمّي كاشف الكُشَاف وإن كان طبلخاناه سُمّي والى الولاية وهو الغالب .

السادسة - (ولاية حُسْبَان والصَّلَت) - من البقاء . أخبرني القاضي ناصر الدين ابن أبي الطيب كاتب السر بِدِمَشَق أنها إن جمعا لوال واحد كان أمير طبلخاناه أو أمير عشرة ، وإن أفرد كل منهما لوال كان جُنْدِيَا .

السابعة - (ولاية بُصْرَى) - ووالها جُنْدَى أيضا .

الصفقة الثالثة الشمالية . وفيها نيابة واحدة وثلاث ولايات .

فأما النيابة (فنيابة بَلْبَك) - وقد كانت في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون إمرة عشرة ، ثم صارت الآن إمرة طبلخاناه ، وبكل حال فنائب الشام هو الذي يستقل بولايتها ، وربما وليت من الأبواب السلطانية . قال في "التعريف" : ولها ولاية خاصة يعنى غير ولاية المدينة ؛ وقد كانت في الدولة الأيوبية مفردة في الغالب بملك بمفردها .

وأما الولايات :

فالأولى - منها (ولاية البِقَاعِ البَلْبَكِي) - قال في "التعريف" : وهاتان الولايتان الآن منفصلتان عن بَلْبَك ، وهما مجموعتان لوال واحد جليل مفرد بذاته ؛ وهما على ما ذكره من جمعهما لوال واحد إلى الآن ، إلا أنه تارة يليهما مقدم حَقَّة وتارة جندى .

(١) أى ولاية "البقاع البلبيكي" و"البقاع العززي" فكان المناسب أن يذكر البقاع العززي أيضا كما سبق له ذكرهما في الأعمال وعقبهما بعبارة التعريف هذه فخبه .

الثانية - (ولاية يَروَتَ) - ولايتها الآن إمرة طبلخاناه .
 الثالثة - (ولاية صَيِّداً) - قال في "مسالك الأبصار" : وهي ولاية جلييلة ؛
 وهي على ما ذكره إلى زماننا، تارة يليها أمير طبلخاناه، وتارة أمير عشرة .
 الصفقة الرابعة الشرقية . وبها ثلاث نيابات وأربع ولايات .
 فأما النيابات :

فالأولى - (نيابة حِمَصَ) - وهي نيابة جلييلة، وقد كانت في الأيام الناصرية فما
 بعدها مقدمة ألف . قال في "التتقيف" : ثم استقرت طبلخاناه بعد ذلك . قال :
 ونائب قلعتها من الممالك السلطانية . وقد تقدم أن الدُّكُر في الزمن القديم كان لها دون
 حماة، وقد كانت في الدولة الأيوبية مملكة منفردة تارة، وتضاف إلى غيرها أخرى .
 الثانية - (نيابة مِصْيَاف) - وقد تقدم أنها كانت أولاً من مضافات أطرابلس
 في حملة قِلَاع الدعوة ، ثم أضيفت بعد ذلك إلى دِمَشْقَ ، واستقرت على ذلك إلى
 الآن . ونيابتها تارة تكون إمرة طبلخاناه، وتارة تكون إمرة عشرة ، وبكل حال
 فتوليها من الأبواب السلطانية . ونائبها لا يكتب له إلا في المهمات دون خلاص
 الحقوق أيضاً .

الثالثة - (ولاية صَيِّداً) ^(١) - والفالب في نيابتها أن تكون مقدمة ألف، وأشار
 في "التتقيف" إلى أنها قد تكون طبلخاناه . قال في "التعريف" : وقلعتها
 بحرية وخيالة وكشافة وطوائف من المستخدمين .

(١) تقدمت في "الصفقة الثالثة التالية" . على أنه لم يتكلم على الولايات الأربع التي ذكرها في ترجمة
 هذه الصفقة ، وقد ذكر في التعريف الجملة التي نقلها عنه في الكلام على الرحلة التي تقدمها من الصفقة الرابعة
 وجعل ولاياتها أربعة ولاية حمص ، وولاية سلية ، وولاية قارا ، وولاية تدمر . وبالجملة فهذا الموضع يحتاج
 إلى تحرير .

الضرب الثاني

(من انخارج عن حاضرة دمشق العُربانُ ، والإمرة بها في بطون من العرب)

البطن الأولى

(آل ربيعة من طَيِّ من كَهْلَانَ من القَحْطَانِيَّة)

وهم بنو ربيعة بن حازم ، بن عليّ ، بن مفرج ، بن دَعْفَل ، بن جراح ، وقد تقدّم نسبه مستوفٍ مع ذكر الاختلاف فيه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتبُ في المقالة الأولى . قال في "العبر" : وكانت الرئاسة عليهم في زمن الفاطميين : خلفاء مصر لبني جراح ، وكان كبيرهم مفرج بن دَعْفَل بن جراح ، وكان من إقطاعه الرملة . ومن ولده حَسَّان وعليّ ومحمود وحرار ، وولى حَسَّان بعده فعظم أمره وعلا صِيتُهُ ، وهو الذي مدحه الرِّياشِيُّ الشاعر في شعره . قال الحمدانيّ : وكان مبدأ ربيعة أنه نَسَأ في أيام الأتابك زَنْكِي صاحب المَوْصِل ، وكان أميرَ عرب الشام أيام طُغْتَكِين السُّلْجُوقِيّ صاحب دِشْق ووفد على السلطان نور الدين محمود بن زَنْكِي صاحب الشام فأكرمه وشاد بذكره . قال : وكان له أربعة أولاد ، وهم فَضْل ، ومراء ، وثابت ، ودَعْفَل . ووقع في كلام المسيحيّ أنه كان له ولد اسمه بدر . قال الحمدانيّ : وفي آل ربيعة جماعة كثيرة أعيانٌ لهم مكانة وأبهةٌ ، أول من رأيتُ منهم مَاتِع بن حديثة وغنام بن الطاهر ، على أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب . قال : ثم حضر بعد ذلك منهم إلى الأبواب السلطانية في دولة المعز أَيْبَك وإلى أيام المنصور قلاوون زامل ابن عليّ بن حديثة ، وأخوه أبو بكر بن عليّ ، وأحمد بن حجي وأولاده وإخوته ، وعيسى ابن مُهَنَّا وأولاده وأخوه ، وكلهم رؤساءُ أكابر وسادات العرب ووجوهها ، ولم عند السلاطين حُرمة كبيرة وصِيتٌ عظيم ، إلى روق في بيوتهم ومنازلهم .

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ : لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ * مثلُ النُّجُومِ الَّتِي يَتَبَرَّى بِهَا السَّارِي
ثم قال : إلا أنهم مع بُعْدِ صَيِّتِهِمْ قَلِيلٌ عَدَدُهُمْ . قال في "مسالك الأبصار" :
لكنهم كما قيل :

تَمِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا * قَلْتُ لَهَا : إِنَّ الْكَرَامَ قَلِيلٌ
وَمَاضِرُنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا * عَزِيزُ وَجَارِ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلٌ

ولم يزل لهم عند الملوك المكانة العلية والدرجة الرفيعة، يُحِلُّونَهُمْ فوق كيوان،
ويُنَوِّعونَ لهم أجناس الإحسان . قال الحمداوي : وَقَدْ فَجَّحَ بَنُ حِيَّةَ عَلَى الْمُعْزَايِكِ
فَانْزَلَهُ بِدَارِ الضِّيَافَةِ وَأَقَامَ أَيَّامًا، فَكَانَ مَقْدَارُ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ عَيْنٍ وَقِشَاقٍ وَإِقَامَةٍ - لَهُ
وَلَمْ يَمَعِ - سِتَّةٌ وَثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . قال : وَأَجْتَمَعَ أَيَّامَ "الظاهر بيبرس" جَمَاعَةٌ
مِنْ آلِ رُبَيْعَةٍ وَغَيْرِهِمْ فَخَصَلَ لَهُمْ مِنَ الضِّيَافَةِ خَاصَّةً فِي الْمُدَّةِ الْيَسِيرَةِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا
الْمَقْدَارِ ، وَمَا يَلَمُّ مَا صُرِفَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ بَيْوتِ الْأَمْوَالِ وَالْخَزَائِنِ وَالنِّلَّالِ لِلْعَرَبِ
مَخَاصِئٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى .

وَأَعْلَمُ أَنَّ آلَ رُبَيْعَةٍ قَدْ أَتَهَسَّمُوا إِلَى ثَلَاثَةِ أَنْفَازٍ، هُمُ الْمَشْهُورُونَ مِنْهُمْ وَمَنْ عَدَاهُمْ
أَنْبَاءُ لَهُمْ وَدَاخِلُونَ فِي عَدَدِهِمْ ، وَلِكُلِّ مِنَ الثَّلَاثَةِ أَمِيرٌ مَخْصَصٌ بِهِ .

الْفَتْحُ الْأَوَّلُ - (أَلْ فَضْلُ) - وَهُوَ فَضْلُ بَنِ رُبَيْعَةٍ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ ؛ وَهُمْ رَأْسُ
الْكُلِّ وَأَعْلَاهُمْ دَرَجَةٌ وَأَرْفَعُهُمْ مَكَانَةٌ . قال في "مسالك الأبصار" : وَدِيَارُهُمْ مِنْ
حِصْنٍ إِلَى قَلْعَةٍ جَبْعِيٍّ ، إِلَى الرَّجْبَةِ ، آخِذِينَ عَلَى شِقِّ الْفَرَاتِ وَأَطْرَافِ الْعِرَاقِ حَتَّى
يَنْتَهَى حَتْمُ قِبْلَةٍ بَشَرِيٍّ إِلَى الْوَشْمِ ، آخِذِينَ يَسَارًا إِلَى الْبَصْرَةِ ؛ وَلَهُمْ مِيَاهُ كَثِيرَةٌ
وَمَنَاهِلٌ مُورُودَةٌ :

وَلَهَا مَنَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَاءٍ * وَعَلَى كُلِّ بَعْنَةٍ آثَارُ

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : قلا عن محمود بن عرام ، من بنى ثابت بن ربيعة : أن آل فضل تشعبوا شعباً كثيرة ، منهم آل عيسى ، وآل فرج ، وآل سميطة ، وآل مسلم ، وآل علي . قال : وأما من ينضاف إليهم ويدخل فيهم ، فرعب ، والحريث ، وبنو كلب ، وبعض بنى كلاب ، وآل بشار ، وخالد حصص ، وطائفة من سنيس وسعيدة ، وطائفة من بربر وخالد الحجاز ، وبنو عقيل من كدر ، وبنو رميم ، وبنو حن ، وقران ، والسراجون . ويأتيهم من البرية من عريه غالب ، وآل أجود ، والبطنين ، وساعدة ؛ ومن بنى خالد آل جناح ، والصبيات من مياس ، والجبور ، والدغم ، والفرسة ، وآل منيعة ، وآل بيوت ، والعامرة ، والعلجات من خالد ، وآل يزيد من عابد ، والدوامر ، إلى غير هؤلاء ممن يخالفهم في بعض الأحيان . قال المقرئ الشهابي بن فضل الله : علي أنى لا أعلم في وقتنا من لا يؤثر محبتهم ويظهر محبتهم . وسياق ذكر قبائل أكثر هذه العربان التي تنضاف إليهم في مواضعها إن شاء الله تعالى .

قال في "مسالك الأبصار" : وأسعد بيت في وقتنا آل عيسى ، وقد صاروا بيتاً : بيت مهنا بن عيسى ، وبيت فضل بن عيسى ، وبيت حارث بن عيسى ، وأولاد محمد ابن عيسى ، وأولاد حديثة بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى . قال : وهؤلاء آل عيسى في وقتنا هم ملوك البر فيما بعد وأقرب ، وسادات الناس ولا تصلح إلا عليهم العرب . وأما الإمارة عليهم فقد جرت العادة أن يكون لهم أمير كبير منهم يولى من الأبواب السلطانية ، ويكتب له تقليد شريف بذلك ، ويلبس تشرىفاً أطلس أسوة التواب إن كان حاضراً ، أو يجهز إليه إن كان غائباً ، ويكون لكل طائفة منهم كبير قائم مقام أمير عليهم ، وتصدر إليه المكاتبات من الأبواب الشريفة إلا أنه لا يكتب له تقليد ولا مرسوم . قال في "مسالك الأبصار" : ولم يصرح لأحد منهم بإمرة على العرب

بتقليد من السلطان إلا من أيام العادل أبي بكر : أثنى السلطان صلاح الدين يوسف
 ابن أيوب ، أمر منهم حديثه يعني ابن عتبة بن فضل بن ربيعة ، والذي ذكره
 قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في تاريخه أن الإمرة عليهم في أيام العادل
 أبي بكر بن أيوب كانت لعيسى بن محمد بن ربيعة ، ثم كان بعده مائع بن حديثه
 ابن عتبة بن فضل ، وتوفي سنة ثلاثين وستمائة ، وولي عليهم بعده أبنته مهنا ، وحضر
 مع المظفر قطز قتال هولاكو ملك التتار وأتزع سلمية من المنصور بن المظفر
 صاحب حماة وأقطعها له ، ثم ولي الظاهر بيبرس عند مسيره إلى دمشق لتشجيع
 الخليفة المستعصم إلى بغداد عيسى بن مهنا بن مائع ووفر له الإقطاعات على حفظ
 السابلة وبقى حتى توفي سنة أربع وثمانين وستمائة ، فولى المنصور قلاوون مكانه أبنته
 مهنا بن عيسى ، ثم سافر الأشرف " خليل بن قلاوون " إلى الشام فوفد عليه مهنا
 ابن عيسى في جماعة من قومه فقبض عليهم ، وبعث بهم إلى قلعة الجبل بصراً فأعتقلوا
 بها وبقوا في السجن حتى أفرج عنهم العادل كتباً جلوسه على التخت سنة
 أربع وتسعين وستمائة ورجع إلى إمارته ، ثم كان له في أيام الناصر بن قلاوون نصرة
 وأستقامة تارة وتارة ، وميل إلى التتر بالعراق ، ولم يحضر شيئاً من وقائع غازان ، ووفد
 أخوه فضل بن عيسى على السلطان الملك الناصر سنة اثنتي عشرة وسبعائة فوله
 مكانه وبقى مهنا مشرداً ، ثم لحق سنة ست عشرة بمجدابندا ملك التتار بالعراق فأكرمه
 وأقطعه بالعراق وهلك خدابندا في تلك السنة فرجع مهنا إلى الشام ، وبعث أبنته
 محمداً وموسى وأخاه محمد بن عيسى إلى الملك الناصر ، فأكرمهم وأحسن إليهم ، ورد
 مهنا إلى إمارته وإقطاعه ، ثم رجع إلى موالاة التتر فطرد السلطان الملك الناصر آل
 فضيل بأجمعهم من الشام وجعل مكانهم آل علي ، وولي منهم على أحياء العرب محمد

(١) في الأصل هنا غيبة ، والذي في الجزء الأول (ص ٣٢٥) عتبة ، فلينبه .

أبن أبي بكر بن عليّ، وصرف إقطاع مهنا وأولاده إليه وإلى أولاده، وأقام الحاسب عليّ ذلك مدة . ثم وفد مهنا عليّ السلطان الملك الناصر حجة الأفضل بن المؤيد صاحب حماة فرضى عنه السلطان وأعاد إمرته إليه ورجع إلى أهله ، قوف سنة أربع وثلاثين وسبعائة ؛ وولّى مكانه أخوه سليمان فبقى حتى توفّي سنة أربع وأربعين وسبعائة عقب موت الملك الناصر ؛ وولّى مكانه أخوه سيف بن فضل فبقى حتى عزله السلطان الملك الكامل "شعبان بن قلاوون" سنة ست وأربعين ، وولّى مكانه أحمد بن مهنا بن عيسى فبقى حتى توفّي في سنة سبع وأربعين وسبعائة في سلطنة الناصر "حسن بن محمد بن قلاوون" المرة الأولى ؛ وولّى مكانه أخوه قياض فبقى حتى مات سنة ستين وسبعائة ، وولّى مكانه أخوه جبار من جهة الناصر حسن في سلطته الثانية . ثم حصلت منه نفرة في سنة خمس وستين وسبعائة وأقام عليّ ذلك سنتين إلى أن تكلم بسببه مع السلطان نائب حماة يومئذ فأعيد إلى إمارته ؛ ثم حصل منه نفرة ثانية سنة سبعين في الدولة الأشرفية "شعبان بن حسين" فولّى مكانه آبن عمه زامل آبن موسى بن عيسى فكانت بينهم حروب ، قتل في بعضها قشتمر المنصوريّ نائب حلب فصرفه الأشرف وولّى مكانه آبن عمه معيقل بن فضل بن عيسى ، ثم بعث معيقل في سنة إحدى وسبعين يستأمن لجبار المتقدم ذكره من السلطان الملك الأشرف فأمّنه ، ووَقَد جبار عليّ السلطان في سنة خمس وسبعين فرضى عنه وأعادته إلى إمارته فبقى حتى توفّي سنة سبع وسبعين ، فولّى مكانه أخوه قنارة ، وبقى حتى مات سنة إحدى وثمانين ، فولّى مكانه معيقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى آبن عيسى المتقدم ذكرهما شريكين في الإمارة ؛ ثم عزّلا في ستينهما وولّى مكانهما

(١) ذكر في البرين هذا والذي قبله منظر الدين موسى ووفاته في ٤٢ وذكر أن سليمان توفّي في ٤٣

وبعد شرف الدين عيسى بن فضل ووفاته في ٤٤ .

محمد بن جبار بن مَهَنَّا وهو نُعَيْر ، ثم وقعت منه نُفْرَةٌ في الدولة الظاهرية بقوق ، فولى مكانه بعض آل زامل ، ثم أعيد نُعَيْر المذكور إلى إمرته وهو باق على ذلك إلى الآن ، وهو محمد بن جبار بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن ماته بن حديث بن عقبة^(١) ابن فضل بن ربيعة .

وقد ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "مسالك الأبصار" : أمراء آل فضل في زمانه ، فذكر أن أمير آل عيسى وسائر آل فَضْلٍ أحمد بن مهنا وأمير بيت فضل ابن عيسى سيف بن فضل ، وأمير بيت حارث بن عيسى قناة بن حارث . ثم قال : أما أولاد محمد بن عيسى ، وأولاد حديث بن عيسى ، وآل هبة بن عيسى فاتباع .

وذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في "التتيف" : أنهم صاروا بيتين : وهما بيت مهنا بن عيسى وفضل بن عيسى . وذكر من أكابرهم عَسَاف بن مهنا وأخاه عتقا ، وزامل بن موسى بن مهنا ، ومحمد بن جبار وهو نُعَيْر قبل الإمرة ، وعواد ابن سليمان بن مهنا ، وعلى بن سليمان بن مهنا ، وأما بنو فضل بن عيسى فذكر منهم فضل بن عيسى ، ومُعَيْقَل بن فضل ، وقال : كان قبلهما سيف وأبو بكر . ثم قال : ومن لم يكتب أولاد فَيَاض وبقية أولاد جبار ورقية بن عمر بن موسى ونحوهم .

الفخذ الثاني - (من آل ربيعة آل مرا) - نسبة إلى مرا بن ربيعة ، وهو أخو فضل المتقدم ذكره . قال في "التعريف" : ومنازلهم حَوْرَان . وقال في "مسالك الأبصار" : ديارهم من بلاد الحِثْيُور والحَوْلَان إلى الزرقاء والضليل إلى بَصْرَى ، ومُشْرِقًا إلى الحَزَّة المعروفة بحَزَّة كشت قريبًا من مَكَّة المعظمة إلى شُعْبَاء إلى نِيران مَزِيد إلى المَضْب المعروف بهضب الرائق ، وربما طاب لهم البر وأمتد بهم المَرعى أوان خَضِب الشتاء فتوسعوا في الأرض وأطالوا عدد الأيام والليالي حتى تعود مَكَّة

المعظمة وراء ظهورهم، ويكاد سهيل يصير شامهم، ويصيرون مستقبلين بوجوههم الشام . وقد تشعب آل مرا أيضا شُعباً كثيرة، وهم آل أحمد بن حمى وفيهم الإمرة، وآل مسخر، وآل نهي، وآل بكرة، وآل شماء .

ومن ينضاف إليهم ويدخل في إمرة أمراءهم حارثه، والخاص، ولأم، وسعيدة، ومُدْبُج، وقرير، وبنو محضر، وزبيد حوران: وهم زبيد صرخد، وبنو غني، وبنو عر قال، وبأبيهم من عرب البرية آل ظفير، والمفارقة، وآل سلطان، وآل غزني، وآل برجس، والحرسان، وآل المغيرة، وآل أبي فضيل، والزرزاق، وبنو حسين الشرفاء، ومطين، وخنم، وعدوان، وعزة . قال: وآل مرا أبطال مناجيد، ورجال صناديد، وأقوال قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، لا يَعدُ منهم عَتَرَةُ الْعَبَسِيِّ، ولا عَرَابَةُ الْأَوْسِيِّ، إلا أن الحظ يحفظ بني عمهم [بأكثر] مما يحفظهم، ولم تزل بينهم نُوب الحُرب، ولم في أكثرها الغلب . قال الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود الحلبي رحمه الله: كنت في نوبة حِمَص في واقعة التار جالسا على سطح باب الإصطبل السلطاني بدمشق إذ أقبل آل مرا زهاء أربعة آلاف فارس شاكين في السلاح على الخيل المسومة، والخياد المطهمة، وعليهم الكرغندات الحمر الأطلس المعدني، والديباغ الرومي، وعلى رؤوسهم البيض، مقلدين بالسيف، وبأيديهم الرماح كأنهم صُقُور على صُقُور، وأمامهم العبيد تمل على الركائب، ويرقصون بتراقص المهارى، وبأيديهم الجناثب، التي إليها عيون الملوك صُورًا، ووراعهم الظلمات والحول، ومعهم مغنية لم تعرف بالحضرية طائفة السُّمعة، سافرة من المودج وهي تغني :

وَكُنَّا حَبِينَا كُلَّ بَيْضَاءِ شَحْمَةٍ * لَبَالِي لَاقِينَا جُدَامًا وَحَمِيرًا
وَلَمَّا لَقِينَا عُصْبَةَ تَغْلِيَّةٍ * يَقُودُونَ جُرْدًا لِلْنِّسَةِ صُمْرًا
فَلَمَّا قَرَعْنَا النَّعْجَ بِالنَّعْجِ بَعْضُهُ * بَبَعْضِ أَبْتِ عِيدَانِهِ أَنْ تَكْثُرَا
سَقْيَانَهُمْ كَأَسَا سَقُونَا بِمِثْلِهِ * وَلِكِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا

وكان الأمر كذلك، فإن الكسرة أولاً كانت على المسلمين ثم كانت لهم الكرة على النار، فسبحان منطق الأكسنة ومُصَرَّف الأقدار .

الفخذ الثالث - من آل ربيعة (آل علي) - وهم فرقة من آل فضل المقدم ذكرهم ينتسبون إلى علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم مرج دِمَشَقْ وُغُوطُنْها، بين إخوانهم آل فضل وبنى عمهم آل مرا، ومنتاهم إلى الحوف والجبانة، إلى السكة، إلى البرادع . قال في "التعريف" : وإنما تزلوا غُوطَةَ دِمَشَقْ حيث صارت الإمرة إلى عيسى بن مهناً وبقي جار الفرات في تلابيب النار . قال في "مسالك الأبصار" : وهم أهل بيت عظيم الشأن مشهور السادات ، إلى أموال حجة ونعم ضخمة ومكانة في الدول عليّة . وأما الإمرة عليهم فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أنه كان أميرهم في زمانه رَمْلَةَ بن حجاز بن محمد بن أبي بكر بن علي بن حديثة بن عقبة بن فضل بن ربيعة . ثم قال : وقد كان جده أميراً ثم أبوه . قلد الملك الأشرف "خليل بن قلاوون" جده محمد بن أبي بكر إمرة آل فضل، حين أسس مهنا بن عيسى . ثم تقلدها من الملك الناصر أخيه أيضاً حين طرد مهنا وسائر إخوانه وأهله . قال : ولما أُمِّرَ رَمْلَةُ كانَ حَلَّتَ السِّنُّ لحسنه أعمامه بنو محمد بن أبي بكر، وقدموا على السلطان بتقاديرهم وتزاموا على الأمراء، وخواصّ السلطان، وذوى الوظائف فلم يُحْضِرْهم السلطان إلى عنده ولا أدنى أحداً منهم، فرجعوا بعد معاينة الحين، بُحْبُوحِ حَتِينٍ؛ ثم لم يزالوا يترصدون به الدوائر وينصبون له الجبال والله تعالى يقيه سيئات ما مكروا حتى صار سيد قومه ؛ وفرَّقَ دهره، والمُسَوَّدَ في عشيرته، المبيّضَ لوجوه الأيام بسيرته . وله إخوة ميامينُ كبار، هم أمراء آل فضل وآل مرا . وقد ذكر القاضي تقي الدين بن ناظر الجيش في "التثقيف" : أن الأمير عليهم في زمانه في الدولة الظاهرية برقوق كان عيسى بن زيد بن حجاز .

البطن الثانية

جرم (يفتح الجيم وسكون الراء المهمله) . قال الحمداني : وأسمه ثعلبة وجرم أسم أمه ، وقد تقدم ذكر نسبه في الكلام على ما يحتاج إليه الكاتب في المقالة الأولى . قال في "مسالك الأبصار" : وهم ببلاد غزّة والدأروم مما على الساحل إلى الجبل وبلد الخليل عليه السلام . قال الحمداني : وجرم المذكورة شمجان ، وقران ، وجيان . قال : والمشهور منهم الآن جذيمة ، ويقال إن لهم نسبا في قريش ، وزعم بعضهم أنها ترجع إلى مخزوم . وقال آخرون : بل من جذيمة بن مالك بن حنبل ابن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . ثم قال : وجذيمة هذه هم آل عويجة ، وآل أحمد ، وآل محمود ، وكلهم في إمارة شاور بن ستان ثم في بنيه ، وكان لستان المذكور أخوان فيهما سودد : وهما غانم وخضر . ومن جذيمة جامع (٤) الرازيين وبنو أسلم ، ويقال إن أسلم من جذام لا من جذيمة ولكنها أختلطت بها ، ومن جذيمة أيضا شبل ، ورضيعة جرم ونيفور ، والقذرة ، والأحامدة ، والرفعة وكور جرم ، وموقع . وكان كبيرهم مالك الموقى ، وكان مقدما عند السلطان صلاح الدين بن أيوب وأخيه العادل ، ومنهم بنو غور ، ويقال إنهم من جرم بن جرم بن سبتس ، ومن هؤلاء العاجلة ، والصيان ، والعبادلة ، وبنو تمام ، وبنو جميل ، ومن بنو جميل بنو مقدم ، ومن بنو غور آل نادر ، ومن بنو غوث بنو بها ، وبنو خولة ، وبنو هرماس ، وبنو عيسى ، وبنو سهيل . وأرضهم الدأروم ، وكانوا سفراء بين الملوك ، وجاورهم قوم من زبيد يعرفون ببني فهيد ثم أختلطوا بهم . قال الحمداني : فهذه جرم الشام وحلفاؤهم ، ومن جاورهم ولاذ بهم .

وأما الإمرة عليهم . فقد ذكر في "التعريف" : أن الإمرة على عرب غزّة في زمانه كانت لفضل بن يحيى ، وعرب غزّة هم جرم المذكورون ، والمعروف أن

جرماً يكون لهم مقدم لا أسير . وعليه جرى التقاضى تقى الدين بن ناظر الجيش فى "التتيف" وذكر أن مقدمهم فى زمانه فى الدولة الظاهرية برقوق كان على ابن فضل .

البطن الثالثة

ثعلبة من طي أيضا . قال فى "مسالك الأبصار" : وديارهم مما على مصر إلى الخروبة . وقد تقدم فى سياقة الكلام على جرم أن ثعلبة هذه من بقايا ثعلبة المتقلين إلى مصر، وتقدم فى الكلام على عرب الديار المصرية أن ثعلبة الذى يُنسبون إليه ثعلبة ابن سلمان ، وأن سلمان بن بطون طي ، وأن ثعلبة المذكورين بطنان : وهما درما وزيق ابنا عوف بن ثعلبة وقيل ابنا ثعلبة لصلبه ، وأن اسم درما عمرو ، ودرما اسم أمه فغلب عليه ، وأن من درما الجواهره والحنابلة والصبيحيين . قال الحداني : وثعلبة الشام من درما آل غياث الجواهره ومن الحنابلة ومن بنى وهم من الصبيحيين ، ومن أحلافهم فوقه من النسيمين ومن العار والجمان ؛ وتقدم فى الكلام على ثعلبة مصر أيضا أن بكل من ثعلبة مصر والشام قوما من خندف وقيس ومُرَاد ويمين .

قلت : ولم يكن فى "التعريف" ولا "التتيف" لثعلبة المذكورين ذكر لعدم من يكاتب منهم إذ لم يكونوا فى معنى من تقدم .

البطن الرابعة

بنو مويدي (بفتح الميم وسكون الهاء والذال المهملة) قد تقدم فى الكلام على عرب الديار المصرية أنهم أخو نخم وهو جذام بن عدى بن عمرو بن سبيل من العرب العاربة ، إما من عمرو بن سبيل من القحطانية كما يقتضيه كلام "مسالك الأبصار"

وإما من عُدَّة من قُضَاعَة من حمير بن سبيل من القحطانية أيضا كما صرح به في "التعريف" . قال في "التعريف" : ومنازلهم البلقاء . وقال في "مسالك الأبصار" : منازلهم البلقاء إلى ما س إلى الصوان ، إلى عَمَ أغفر . قال الحمداني : ومن بني مَهْدَى المشابطة الذين منهم أولاد عسكر ، والعناترة ، والنترات ، واليعاقبة ، والمطارنة ، والعفير ، والرؤيم ، والقطاربة ، وأولاد الطائية وبنو دوس ، وآل يسار ، والمحاربة ، والسماعة ، والسجامة من بني طريف ، وبنو خالد والسلامان والقرانسية والدرالات والحالات والمساهرة والمعاورة ، وبنوعطا ، وبنو مياد وآل شبل ، وآل رويم ، وهم غير الرويم المتقدم ذكرهم ، والمحارقة وبنو عياض ، ومنهم طائفة حول الكرك يأتي ذكرهم في الكلام على عرب الكرك . قال الحمداني : ويجاورهم بالبقاء طائفة من حارثة ولهم نسب بقرى بني عُفَّة .

وأما الإحمر عليهم فقد ذكر في "التعريف" أن إمرتهم مقسومة في أربعة منهم ، لكل واحد منهم الربع ، ولم يسم أمراء زمانه منهم . وذكر في "التحقيق" مثل ذلك ، وسمى أمراءهم في زمانه . فقال : وهم بروب بن ذئب بن محفوظ العنسي ، وسعيد بن بحري بن حسن العنسي ، وزامل بن عبيد بن محفوظ العنسي ، ومحمد بن عباس بن قاسم بن راشد العسري .

البطن الحطامية

زُبَيْدٌ (بضم الزاي) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم فرق شتى . وذكر من بالشام وغيره ولم يتعرض لنسبهم في أي أحياء العرب . وذكر الجوهرى أن زُبَيْدًا آسم قبيلة ، ولم يزد على ذلك . قلت : والموجود في كتب التاريخ عد زُبَيْد من

بطون سعد العشيّة من مَدَجِّ بن كَهْلان بن سبيل من العرب العاربة، وهم عرب اليمن على ما تقدّم ذكره . وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن بالشام منهم فرقة بَصْرَخَدَ، وفرقة بَغُوطَة دِمَشَقَ . وذكر في "التعريف" : منهم زُبَيْدُ المَرَجِ وزُبَيْدُ حَوْرَانَ وزُبَيْدُ الأَحْلاف . وذكر مثله في "التثقيف" : ومقتضى الجمع بين كلامه في "المسالك" و "التعريف" : أن تكون زُبَيْدُ خمس فرق : زُبَيْدُ المَرَجِ ، وزُبَيْدُ البَغُوطَة ، وزُبَيْدُ صَرَخَدَ ، وزُبَيْدُ حَوْرَانَ ، وزُبَيْدُ الأَحْلافِ وليس كذلك ، بل زُبَيْدُ البَغُوطَة وزُبَيْدُ المَرَجِ واحدة ، فإن المراد غُوطَة دِمَشَقَ ومَرَجُهَا ، وهما متصلان والنازلون فيهما كالفرقة الواحدة ، وزُبَيْدُ صَرَخَدَ هي زُبَيْدُ حَوْرَانَ كما صرح به في موضع آخر من "مسالك الأبصار" : إذ صَرَخَدُ من جملة بلاد حَوْرَانَ . أما زُبَيْدُ الأَحْلافِ فديارهم بالقرب من الرّجّة بجوار آل فَضْل . قال الحمداي : والذين بَصْرَخَدَ منهم آل مَيَّاسَ ، وآل صِنْفِي ، وآل بَرَة ، وآل عَمْسَنَ ، وآل جَمَشَ ، وآل رِجاءَ . والذين بالمَرَجِ والبَغُوطَة آل رِجاءَ ، وآل بَدالَ ، والدوسَ ، والحريثَ ، وهم في عداد آل ربيعة المتقدّم ذكرهم وذكر معهم المشاركة جيرانهم . ثم قال : وإسرة زُبَيْدَ هؤلاء في نَوَقْلَ ، وليس للمشاركة إمرة ، ولكن لهم شيوخ منهم ؛ وأمر الفريقين إلى نَوَابِ الشَّامِ ليس لأحد من أمراء العرب عليهم إمرة ، وديارهم متصلة من المَرَجِ والبَغُوطَة إلى أُمِّ أَوْعَالِ إلى الدريشدان ؛ وعليهم الدُّرُكُ وحفظ الأطراف .



وأما العرب المستعربة ، (وهم بنو إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام ! على ما تقدّم بيانه في الكلام على عرب الديار المصرية) ، فالشهور بأعمال دِمَشَقَ منهم قبيلة واحدة ، وهم بنو خالد عَرَبُ جَمَضَ . قال الحمداي : وهم يدعون النسب إلى خالد

أَبْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَدْ أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالنِّسْبِ عَلَى اقْتِرَاضِ عَفِيهِ . قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : وَلَعَلَّهُمْ مِنْ ذَوِي قَرَابَتِهِ مِنْ مَخْزُومٍ ، وَكَفَاهُمْ ذَلِكَ نَحَارًا أَنْ يَكُونُوا مِنْ قُرَيْشٍ . وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ نَسَبِ مَخْزُومٍ فِي قُرَيْشٍ فِي الْكَلَامِ عَلَى بَنِي خَالِدٍ فِي جُمْلَةِ عَرَبِ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ فَأَغْنَى عَنْ إِعَادَتِهِ هُنَا .

قُلْتُ : وَمِنْ جُمْلَةِ مَنْ عَدَّهُ فِي "التَّعْرِيفِ" مِنْ عَرَبِ الشَّامِ غَرَبِيَّةٌ ، وَلَمْ يَتَحَذَّرْ لِي هَلْ هِيَ مِنَ الْعَرَبِ الْعَارِيَةِ أَوْ الْعَرَبِ الْمُسْتَعْرَبَةِ فَلِذَلِكَ ذَكَرْتُهَا بِمَفْرَدِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّهُمْ مُتَفَرِّقُونَ فِي الشَّامِ وَالْحِجَازِ وَبَنَدَادٍ ، وَفِي بَيْنِ الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ ، وَلَمْ يَذْكُرْ وَاحِدًا مِنْهُمَا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الشَّامِ ، بَلْ ذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ مَنَازِلَهُمْ بِالْبَرِّيَّةِ وَالْعِرَاقِ خَاصَّةً . وَقَالَ : هُمْ بَطُونٌ وَأَنْغَاذٌ ، وَلَمْ يَشَأْ مِنْهُمْ مَنْ وَقَدَّ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي زَمَانِنَا ، وَأَشَارَ فِي "التَّعْرِيفِ" إِلَى أَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ عَدَمُ الْعَايَةِ ، وَمِنْهُمْ أَحْلَافٌ لَأَلِّ فَضْلٍ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَهُمْ غَالِبٌ وَأَلُّ أَجُودٍ وَالْبَطْنِينَ ، وَسَأَذْكُرُهَا بِبَطُونِهَا وَمَنَازِلِهَا وَمِيَاهِهَا مِنَ الْبَرِّيَّةِ فِي جُمْلَةِ عَرَبِ الْحِجَازِ .

النِّبَاةُ الثَّانِيَّةُ

(مِنْ نِيَابَاتِ السُّلْطَنَةِ بِالْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ ، نِيَابَةُ حَلَبَ ، وَفِيهَا حَمْلَتَانِ)

الْجُمْلَةُ الْأُولَى

(فِي ذِكْرِ أَحْوَالِهَا فِي الْمَعَامَلَاتِ وَنَحْوِهَا)

أَمَّا الْأَثْمَانُ الْمُتَعَامَلُ بِهَا مِنَ الدَّنَانِيرِ وَالْدِرَاهِمِ وَالصَّنَجَةِ ، فَعُلِيَ مَا تَقَدَّمَ فِي دِمَشْقَ مِنْ غَيْرِ فَرْقٍ ، وَلَمْ تَرُجَّ الْفَلُوسُ الْجُدُودُ فِيهَا إِلَى الْآنَ ، وَإِنَّمَا يُتَعَامَلُ فِيهَا بِالْفَلُوسِ الْقَدِيمَةِ ، وَرِطْلُهَا سَبْعُمِائَةٍ وَعِشْرُونَ دِرْهَمًا ، وَأَوَاقِيُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ أَوْقِيَّةً ، كُلُّ أَوْقِيَّةٍ سِتُونَ دِرْهَمًا ، وَفِي أَعْمَالِهَا رِبْحًا زَادَ الرِّطْلُ عَلَى ذَلِكَ ، وَتَعْتَبَرُ مِكْيَلَاتُهَا بِالْمَكْشُوكِ

في حاضرتها وسائر أعمالها؛ والمكوك المتغير في حاضرتها سبع ويات بالكيل المصري،
وأما في نواحيها وبلادها، فيختلف اختلافا متباينا في الزيادة والنقص . قال
في "مسالك الأبصار" : والمعتدل منها أن يكون كل مكوكين ونصف غرارة^(١)،
وما بين ذلك كل ذلك تقريبا، ويقاس القماش بها بذراع يزيد على ذراع القماش
المصري سُدس ذراع ، وهو أربعة قراريط ؛ وتعتبر أرض دورها بذراع العمل
كما في الديار المصرية وأرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في دِمَشق ؛
ونحاج أرض الزراعة بها كما في دِمَشق ؛ وأسعارها على نحو سعر دِمَشق إلا في الفواكه
فإنها في دِمَشق أرخص لكثرتها بها .

المجلة الثانية

(في ترتيب مملكتها ؛ وهي على ضربين)

الضرب الاول

(ترتيب حاضرتها)

أما جيوشها فعلى ما تقدم في دِمَشق من آسعمال عسكرها على الترتيب والحركس
والروم والروس وغير ذلك من الأجناس المشابهة للترك، وأنقسامها إلى الأمراء
المقدمين والطلبغانات والعشرات ومن في معانهم من العشرينات والخمسات، وكذلك
أجناد الحلقة ومقدموها؛ وإقطاعاتها على نحو ما تقدم في دِمَشق في المقدار؛ وربما
زاد إقطاع الحلقة بها على إقطاع الحلقة بالديار المصرية بخلاف إقطاعات الأمراء
بها فإنها لا تساوي إقطاعات الأمراء بالديار المصرية .
وأما وظائفها فعلى أربعة أصناف .

(١) تقدم ذلك في (ص ١١٨) من هذا الجزء، فأنظره .

الصنف الأول

(وظائف أرباب السيوف؛ وهى عتة وظائف)

(منها) نيابة السلطنة - وهى نيابة جليلة فى الرتبة الثانية من نيابة دِمَشَقْ ، ويسرّ عنها فى ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنائب السلطنة الشريفة ، ولا يقال فيه كافل السلطنة كما يقال لنائب دِمَشَقْ ، ويكتب عن نائبها التواقيع الكريمة بأكثر وظائف حلب وأعمالها ، وكذلك يكتب عنه المربعات الجهشية بالديار المصرية ، والمناشير الإقطاعية على حكمها كما تقدم فى دمشق ، وكذلك يكتب على كل ما يتعلق بنيابته من المناشير والتواقيع والمراسيم الشريفة بالاعتماد ، ويزيد على نائب دِمَشَقْ بَسْرَحَتَيْنِ يسرحهما للصيد ، الأولى منهما يسرحها فى بلاد حلب من جانب الفُرات الغربى يتصيد فيها الفِزْلان ، يقم فيها نحو عشرة أيام ، والثانية وهى العظمى يعبرُ فيها الفُرات إلى بر الجزيرة شرق الفُرات ، وينتقل فى نواحيها مما هو داخل فى مملكة الديار المصرية وما حولها ، يتصيد فيها الفِزْلان وغيرها من سائر الوحوش ، ويقم فيها نحو شهر .

(ومنها) نيابة القلعة بحلب - وهى نيابة منفردة عن نيابة السلطنة بها ، وليس لنائب السلطنة على القلعة ولا على نائبها حكم كما تقدم فى قلعة دِمَشَقْ ، وعادة نائبها أن يكون أمير طباطباناها ، وتوليتهما من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف ، وفيها من الأجناد البحرية المعتبرين لحراستها نحو أربعين نفسا ، مقيمون بها لا يقطعون عنها بسفر ولا غيره ، يجلس منهم فى كل نوبة عتة فى الباب الثانى منها من حين فتح الباب فى أول النهار وإلى حين قفله فى آخر النهار ، وبها الحرس فى الليل ، وضرب الطبلية على مضى كل أربع درج كما تقدم فى قلعة دمشق .

(ومنها) الجُورِيَّة - والمادة أن يكون بها أربعة مُجَّاب. أحدهم مقدَّم ألف : وهو حاجب المُجَّاب، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة في المكتبات وغيرها بأمير حاجب بحلب كحاجب المُجَّاب بدمشق، وهو ثاني نائب السلطنة في الرتبة ولا يدخل أحد دار النيابة راكبا غير النائب وغيره، وهو نائب القية إذا خرج نائب لسلطنة في مهم أو متصيد أو غير ذلك؛ وإليه تَرُدُّ المراسم السلطانية بقبض نائب لسلطنة إذا أراد السلطان القبض عليه، ويكون هو المنتصدي لحال البلد إلى أن يُقام بها نائب؛ والثلاثة الباقون إما ثلاث طبليخانات، أو طبليخانان وعشرة، أو ما في معنى ذلك، وولاية حاجب المُجَّاب والحاجب الثاني من الأبواب الشريفة السلطانية بغير تقليد ولا مرسوم. ومن عداهما ولايته عن نائب حلب، وفيها آثنان واحد باليمنية وواحد بالميسرة، فالذي في المينة في الغالب يكون أمير عشرة وربما كان أمير خمسة، والذي بالميسرة جندي من أجناد الحلقة، وولايتهما عن النائب كل منهما بتوقيع كريم .

(ومنها) شد الأوقاف - وهي بها رتبة جليلة أعلى من شد الأوقاف بدمشق، وعادتها مقدمة ألف أو طبليخاناه، تُؤلَّى من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . كذا أخبرني بعض أهلها، ومتوليها يحتل على سائر أوقاف المملكة الحلبية .

(ومنها) المهمندارية - وموضوعها على ما تقدم في الديار المصرية ودمشق، وبها آثنان : فاحدهما تارة يكون أمير طبليخاناه وتارة يكون أمير عشرة، والآخر جندي حلقه، وولاية كل منهما بكل حال عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شد الدواوين - وموضوعها كما تقدم في الديار المصرية ودمشق، وعادته إمرة عشرة، وربما وليها جندي، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ مراكز البريد - وموضوعها كما تقدّم في دِمَشقَ، وعادتها إمرة عشرة، وربما كان مقدّم حلقة أو جندياً، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) ولاية المدينة - وموضوعها التحث في الشرطة كما تقدّم في الديار المصرية ودِمَشقَ، وعادتها إمرة عشرة، وربما وليها مقدّم حلقة ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) شدّ الأقواد - وموضوعها التحث على الأموال التي تُساق قوداً من المملكة في كل سنة ، وعادتها إمرة عشرة ، وربما وليها مقدّم حلقة ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

قلت : وسائر وظائف الأمراء أرباب السيوف المستقر متلهم بالحضرة السلطانية كراس نوبة وأمير مجلس ومن في معناها ممن يجرى هذا المجرى المختص بالنائب يكون له مثلها من أجناده لقيامه مقام السلطان هناك كما تقدّم في دِمَشق .

وأما الوظائف الديوانية بها لأرباب الأقلام .

(فنها) الوزارة - ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بنظر المملكة ليس إلا ، ولا يصرح له بأسم الوزارة بحال ، وإن كان الجارى على السنة العامة تلقيب متوليا بالوزير، ولم تجر العادة بأن يتولاها إلا أرباب الأقلام، وولايتها من الأبواب الشريفة السلطانية بتوقيع شريف، ولديوان هذا النظر عدة مباشرين أتباع لناظرها كصاحب الديوان والمستوفى والكتّاب والشهود وسائر فروع الوزارة، والنائب يولى كلاً من هؤلاء المباشرين بتوقيع كريمة .

(ومنها) كتابة السر - ويعبر عن متوليا في ديوان الإنشاء بالأبواب الشريفة بصاحب ديوان المكتبات بحلب ، ولا يُسمَح له بصاحب ديوان الإنشاء بحلب

كما في دِمَشقَ ؛ وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ؛ وبديوانه تُكَلَّب
الدست وُدَّاب الدَّرَج كما في دِمَشقَ والديار المصرية .

(ومنها) نظر الجيش - والحكم فيه كما تقدم في دِمَشقَ من كتابة المربعات بما
يُعيَّنه النائب من الإقطاعات وتجهيزها للأبواب الشريفة لتُشَمَّل بالخط الشريف
وتخلَّد شاهدا بدويان الجيوش بالديار المصرية ، وكذلك إثبات ما يصدر إليه من
المناشير من الأبواب الشريفة ؛ وولايته من الأبواب الشريفة .

(ومنها) نظر المال - وهو بمعنى الوزارة كما في دِمَشقَ إلا أنه لا يطلق على متوليه
وزير البتة ، وولايته من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ولديوانه تُكَلَّب أتباع
له : كصاحب الديوان والكُتَّاب والشهود وغيرهم ؛ وولاية كل منهم عن النائب
بتوقيع لهم كما في دِمَشقَ .

(ومنها) نظر الأوقاف - وحكمها التحدث على الأوقاف بمدينة حلبَ وأعمالها
كما في دِمَشقَ ؛ وولايتهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الجامع الكبير - ومتوليا يكون رفيقا للنائب في التحدث فيه ؛
وولايتهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر البيارستان - وقد تقدم في الكلام على مدينة حلبَ أن بها بيارستانين
أحدهما يعرف بالعتيق والآخر بالحديد ، ولكل منهما ناظر يُخَصُّصه ؛ وولاية كل منهما
عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) نظر الأقواد - ومتوليا يكون رفيقا لشاذ الأقواد المتقدم ذكره في أرباب
السيف ؛ وولايته عن النائب بتوقيع كريم .

الصف الثاني

(الوظائف الدينية)

(فنها) القضاء - وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة كما في دِمَشْق ، إلا أن استقرار الأربعة بها كان بعد استقرارها بِدِمَشْق ، وولاية كل منهم من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف . ويختص الشافعي منهم بعموم تولية التواب بالمدينة وجميع أعمالها ، ويقتصر من عداه على التولية في المدينة خاصة كما تقدم في دِمَشْق والديار المصرية .

(ومنها) قضاء العسكر - وبها قاضيا عسكرا: شافعي وحنفي كما في دِمَشْق ، وولايتها من الأبواب الشريفة ، ويكتب لكل منهما توقيع شريف .

(ومنها) إفتاء دار العدل - وبها آئنان أيضا: شافعي وحنفي كما في دِمَشْق ، وولاية كل منهما عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) وكالة بيت المال - وولايتها من الأبواب الشريفة بتوقيع شريف ، ووكالته عن السلطان بمصر مشبوبة فتتخذ بالملكة كما تقدم في دمشق .^(١)

(ومنها) نقابة الأشراف - والأمر فيها على ما تقدم في دِمَشْق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .

(ومنها) مشيخة الشيوخ - والحكم فيها كما في دِمَشْق ، وعادتها أن يكون متوليها هو شيخ الخاتمة المعروفة بالقديم ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، وربما كانت من الباب الشريف .

(ومنها) الحسبة - وهي على ما تقدم في دِمَشْق والديار المصرية ، وولايتها عن النائب بتوقيع كريم ، ومتوليها يولى نواب الحسبة بسائر الأعمال الخلية .

(ومنها) الخَطَّابة بالجامع الكبير - وولايتها عن النائب بتوقيع كريم .
 (ومنها) التداريس والتَّصَادِير المعدوقة بنظر النائب - وولايتها عنه بتوقيع كريمة
 على قدر مراتب أصحابها .

الصنف الثالث

(وظائف أرباب الصناعات)

(فمنها) رِياسة الطب ، ورياسة الكُفَّالين ، ورياسة الجراحية كما في دِمَشق
 والديار المصرية ؛ وولاية كل منهم بتوقيع كريم عن النائب . أما مِهتارِية البيوت
 وَمَن في معانهم ففقودون هناك لفقد البيوت السلطانية ، وإنما مِهتارِية البيوت
 بها للنائب خاصة لقيامه مقام السلطان بها كما في دِمَشق .

وأما ترتيب النيابة بها فعلى نحو ما تقدّم في دِمَشق ؛ وعادة النائب بها أن يركب
 في المواكب في يومى الاثنين والخميس من دار النيابة ، ويخرج من باب يقال له باب
 القُوس ، في وسط البلد على القرب من القلعة ، ويتر منهُ إلى سوق الخليل ، ويخرج من
 سور البلد من باب الثَّيرب ، ويتوجه إلى مكان يعرف بالمِيدان ويعرف بالقُبَّة أيضا
 على القرب من المدينة بطريق القرية المعروفة بِجَبْرِيل ، في جهة الجنوب عن المدينة ،
 ثم يعود من حيثُ ذهب ، وقد وقف الأمراء في آتظاره بسوق الخليل ، وآخر
 خيولهم إلى القلعة ورعوس خيولهم إلى الجهة التى يعود منها أمراء الخمسات ، ثم أمراء
 العشرات وَمَن في معانهم على ترتيب منازلهم ، ثم أمراء الطبلخانات ، ثم الأمراء
 المقتنمون . فإذا حاذئ النائب في عوده أمراء الخمسات والعشرات في طريقه ، سلم
 وهو سائر فيسألون عليه ، وهم وقوف في أمكنتهم لا يتحركون ولا يترحون عنها . فإذا
 حاذئ أمراء الطبلخانات ، سلم عليهم فيتقدّمون بخيولهم إليه نحو قصبتى قياس فيسلمون

عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم فيقفون فيها . فإذا حاذى الأمراء المتقدمين سلم عليهم فيعملون كما فعل أمراء الطليخانات من التقدم إليه والسلام عليه ثم يعودون إلى أمكنتهم ، ويمز النائب حتى يتهى إلى آخر سوق الخيل فيعطف رأس فرسه ويقف مستقبلاً للجهة التي عاد منها في الجنوب والعسكر ، واقفون على حالهم ، وينادى بينهم على العقارات من الأملاك والضياح وكذلك الخيول والسلاح قدر خمس درج ، ثم يتر إلى دار النيابة : فإن كان ذلك الموكب فيه ستماط ، سار في خدمته إلى دار النيابة من كان معه في ركوب الموكب من الأمراء الأكابر والأصاغر من الحجاب وغيرهم ، ويمز باب القلعة وقد نزل نائب القلعة إلى بابها فوقف فيه ممالك في خدمته من الأجناد البحرية المقيمين بالقلعة ، فإذا مر بهم النائب ، سلم على نائب القلعة فيسلم عليه ، ويطلع نائب القلعة إلى قلعته ، ويمز النائب في طريقه إلى دار النيابة ، ويكون ممالك النائب قد ترجلوا عن خيولهم ، ويترجل أمراء الخمسات والعشرات بعدهم . ثم يترجل الطليخانات على القرب من دار النيابة ، ثم الأمراء المتقدمون على باب دار النيابة ، كل منهم على قدر منزلته ، ويستمر النائب راجعاً حتى يأتى المقعد المذكور^(١) ، وهو مقعد مربع مرتفع عن الأرض عليه قبة مرتفعة ودرازين من خشب دائر ، وفيه دكة من خشب صغيرة في جانبه مرتفعة عن المقعد قدر ذراع ، تسع جالسا فقط معدة جلوس النائب ، فيترل النائب على باب من أبواب المقعد الثلاثة مخصوص به ، ويجلس حاجب الحجاب على مصطبة لطيفة أعلى السلم خارج الدرازين معدة جلوسه عن يمين النائب ، ويكون القضاة الأربعة وقاضيا العسكر ومفتيا دار العدل وكاتب السر وكتاب الدت وناظر الجيش قد حضروا قبل حضور النائب وحاجب الحجاب وطلعوا من سلم مخصوص بهم وأخذوا مجالسهم وجلسوا في انتظار النائب ، فإذا حضر قاموا

(١) أى في غير هذه النيابة .

وجلسوا بجلوسه ، ويكون جلوسهم بترتيب خاص يوافق دِمَشَقَ في بعض الأمور ويخالف في بعضها : فيجلس عن يسار النائب قاضي القضاة الشافعي ، و يليه قاضي القضاة الحنفي ، و يليه قاضي القضاة المالكي ، و يليه قاضي القضاة الحنبلي ، و يليه قاضي المسكر الشافعي ، و يليه قاضي المسكر الحنفي ، و يليه مفتي دار العدل الشافعي ، و يليه مفتي دار العدل الحنفي ، و يليه الوزير ، صفًا مستقيما ؛ و يجلس كاتب السر أمام النائب على القرب منه ، و يليه عن يمينه ناظر الجيش ، و يليه كُتَّاب الدِّست على ترتيب منازلهم حتى يسأوا في المقابلة الصف الذي فيه قضاة القضاة ومن معهم ، و يجلس باقي الموقعين بين الصفيين مقابل حاجب المُجَّاب حتى يصلوها فيصبرون كاللَّحْلَقَةِ المستديرة ، و يقف المُجَّاب الصغار أسفل السُّلَّم الذي يَصْعَدُ منه ، و حاجب المُجَّاب وُقَبَاءُ الجيش خلفهم ، والولاءة خلف نقباء الجيش . فإن كان الأمراء قد حضروا لأجل السَّباط ، جلس المقدمون والطلبلخانة على مصاطب معدة لهم على القرب من المقعد الذي يجلس فيه النائب ومن معه من أرباب الأقاليم المتقدم ذكرهم ، و تُرْفَعُ القِصَصُ فيتناولها نقباء الجيش ويناولونها المُجَّاب فيناولونها لحاجب المُجَّاب فيناولها لكتاب السر فيفرقها على الموقعين ويبقى بعضها معه ، فيقرأ ما معه ثم يقرأ من بعده على الترتيب إلى آخر الموقعين . فإذا آنقضت قراءة القصص قام من المجلس القضاة ومن في منامهم وكُتَّاب الدِّست فأنصرفوا . فإذا آنقضت المجلس ، فإن كان في الموكب سباط قام النائب والأمراء من أماكن جلوسهم فدخلوا إلى قاعة عظيمة قد وضع بصدرها كرسي سلطنة مغشى بالحرير الأطلس الأصفر وعليه نجماء مسندة إلى صدره كما تقم في دِمَشَقَ ، وقد مدَّ السباط السلطاني فيجلس النائب على رأس السباط والأمراء على ترتيب منازلهم في الإمرة والقُدْمة وياكلون ويرفع السباط ، ثم يقوم الأمراء فينصرفون ، و يقوم النائب ومعه كاتب السر وناظر الجيش

فيدخل إلى قاعة صغيرة فيها شباك مطل على دوار بإصطبل النائب، فيجلس في ذلك الشباك، ويجلس كاتب السر وناظر الجهش فيصرفان^(١).

قلت : ويخالف دمشق في أمور :

أحدها - أن كرسي السلطنة ليس بدار العدل حيث يجلس النائب والمتعممون كما في دمشق بل في مكان آخر.

الثاني - أن الأمراء لا يجلسون مع النائب بدار العدل كما في دمشق بل في مكان منفرد.

الثالث - أن النائب يجلس على دكة مرتفعة عن جلسائه بخلاف دمشق، فإنه يجلس مساويا لهم، وكأن المعنى فيه عدم جلوس الأمراء في مجلس النائب بحلب بخلاف دمشق.

الرابع - أن الوزير بحلب يجلس في آخر صف القضاة ومن في معناتهم تحت مفتي دار العدل، ويدمشق يجلس في رأس صف يقابل كاتب السر، وكأن المعنى فيه أن كاتب السر بحلب يجلس أمام النائب فلو جلس الوزير فوقه لخالف قاعدة جلوس كاتب السر، أو جلس تحته لكان قصفا في رتبته. ولا شك أنه يجلس فوقه القضاة ومن في معناتهم لرفعته رتبة الشرع.

الخامس - أن السباط بحلب لا يمد بدار العدل كما في دمشق بل في مكان آخر مخصوص.

السادس - أن النائب بحلب له موضع مخصوص يجلس فيه للعايدات ومد السباط، وفي دمشق يجلس على طرف الإيوان بدار العدل بعد رفع السباط منه.

(١) لعله ثم يصرفان.

الجملة الثانية

(في ترتيب ما هو خارج عن حاضرة حلب ؛ وهو ثلاثة أنواع)^(١)

النوع الأول

(ولاية الأمور من أرباب السيوف ؛ وهو ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(النواب ؛ وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو داخل في حدود البلاد الشامية ، وهي إحدى عشرة نيابة)

الأولى - (نيابة قلعة المسلمين المسماة في القديم بقلعة الروم) - وعادة نائبها أن يكون مقدم ألف يوثق من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .
الثانية - (نيابة الكفتا) - ونيايتها تارة تكون طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها من نائب حلب .

الثالثة - (نيابة كركر) - ونيايتها تارة طبلخاناه وتارة عشرة ؛ وتوليها من نائب حلب .

الرابعة - (نيابة بهسنى) - وقد ذكر في " التحقيق " ما يقتضى أن نيايتها طبلخاناه ، لكن أخبرني بعض مكاتب السربحلب أنها ربما كانت تقدم ألف . وقد ذكر في " التعريف " ما يقتضى ذلك فقال : ولنايتها مكانة جليلة ، وإن كان لا يلتحق بنائب الأيكة ؛ وبكل حال فتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة صيتاب) - وقد أوردتها في " التحقيق " في جملة أمراء العشرات وذكر أنه رأى بخط ابن الفشائى ما يقتضى أنها كانت طبلخاناه . وقد أخبرني

(١) لم يذكر الا نوعين فتنه .

بعض كُتّاب سر حلب أنها استقرت مقدمة ألف في أواخر الدولة الظاهرية بقوق،
واستقرت توليتها من الأبواب السلطانية .

السادسة - (نيابة الرّاوَدان) - وقد أوردتها في "التقيف" في جملة نيابات
العشرات . وقد أخبرني بعض كُتّاب السرحلب أنها استقر بها آخر جندي،
وتوليتها من نائب حلب .

السابعة - (نيابة الدربَساك) - وقد أوردتها في "التقيف" في جملة العشرات .
وأخبرني بعض كُتّاب سر حلب أنها ربما أضيفت لنائب بفراس الآتي ذكرها وأنها
الآن بيد آبن صاحب البازِ التركاني، وتوليتها من نائب حلب .

الثامنة - (نيابة بفراس) - وقد أوردتها في "التقيف" في جملة العشرات،
وولايتها من نائب حلب . وهي بيد أولاد داود الشيباني التركاني من تقادم السنين،
وولايتها من نائب حلب .

التاسعة - (نيابة القصير) - وقد أوردتها في "التقيف" في جملة العشرات .
وأخبرني بعض كُتّاب سر حلب أن بها الآن جندياً .

العاشر - (نيابة الشُغروبكاس) - وقد أوردتها في "التقيف" في جملة
العشرات، وقد أخبرت أنها استقر بها آخر جندي، وتوليتها من نائب حلب .

الحادية عشرة - (نيابة شيرد) - كانت في الزمن المتقدم امرأة عشرة مستقل نائب
حلب بتوليتها فلما تسلطت عليها العُربان بعد وقعة منطاش والناصرى استقرت
تقدمة بولاية من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الضرب الثاني

(النيابات الخارجة عن حدود البلاد الشامية، وهي قسمان)

القسم الأول

(بلاد التنوير والعواصم وما والاها، والمعتبر فيها ثمان نيابات)

الأولى - (نيابة مَلَطِيَّة) - ونيابتها طبلخاناه، وتوليها من الأبواب السلطانية.
الثانية - (نيابة دَبْرَكِي) - وقد ذكر في "التتيف" أنها تارة تكون طبلخاناه وتارة تكون عشرة، وبكل حال فولايتهما من نائب حلب .

الثالثة - (دَرَنْدَة) - ونيابتها في الغالب إمرة عشرة، وربما كانت طبلخاناه، وولايتهما في الحالتين من نائب حلب .

الرابعة - (نيابة الأَبْلُسْتَيْن) - ونيابتها تخدمه ألف من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الخامسة - (نيابة آيَاس) - وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السادسة - (نيابة طَرُوس) - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

السابعة - (نيابة أَدَنَة) - ونيابتها تخدمه ألف، وتوليها من الأبواب السلطانية بمرسوم شريف .

الثامنة - (نيابة سِرْفَنْدَكَار) - ونيابتها إمرة عشرة، ووقع في "التتيف" نقلا عن ابن النشائي ما يقتضي أنها كانت أولا طبلخاناه، وبكل حال فولايتهما من نائب حلب .

التاسعة - (نيابة سييس^(١)) - وقد تقدم أن فتحها قريب في الدولة الأشرفية "شعبان
 ابن حسين" ولم تزل نيابتها منذ فُتحت مقدمة ألف ، وكانت قد جعلت نيابة
 مستقلة عند الفتح ثم جعلت بعد ذلك مقدمة عسكر كَفَرَة إلا أن مقدم العسكر بها
 لا يُكاتب في خلاص الحقوق بخلاف مقدم العسكر بَفَرَة .

قلت : وبعد ذلك نيابات صفار يولّي بها نائب حلب أجنادا ، ولا مكتبة لها
 من الأبواب السلطانية : وهي نيابة قلعة باري كُوك ، ونيابة كاورا ، ونيابة كُولَاك ،
 ونيابة كُر زال ، ونيابة كُومي ، ونيابة تَلّ حَمُون ، ونيابة المارونيين ، ونيابة قلعة
 نَجْمَة ، ونيابة حيمص ، ونيابة قلعة لُؤْلُؤَة .

القسم الثاني

(ما هو في حدود بلاد الجزيرة شرق الفُرات ، والمعتبر فيها ثلاث نيابات)

الأولى - (نيابة الأييرة) - ونيابتها مقدمة ألف ، وتوليها من الأبواب السلطانية
 بمرسوم شريف .

الثانية - (نيابة قلعة جَعْبَر) - ونيابتها طبلخاناه ؛ وتوليها من الأبواب السلطانية
 بمرسوم شريف .

الثالثة - (نيابة الرها) - قال في "التحقيق" : وقد جرت العادة أن تكون نيابتها
 طبلخاناه ، ثم استقر بها في الدولة المنصورية في سنة ثمان وسبعين وسبعائة
 مقدم ألف .

(١) زادها على المختبر قتيبة .

الصنف الثاني

- (من أرباب السيوف بخارج حلب الولاية، وولاية جميعها من نائب حلب بتواقع كريمة ، والمشهور منها اثنتا عشرة ولاية)
- الأولى - (ولاية برحلب كما في دمشق) - إلا أن والى برحلب هو والى الولاية .
- الثانية - (ولاية كفر طاب) - ووالها جندي .
- الثالثة - (ولاية سمرين) - ووالها في الغالب جندي ، وربما كان أمير عشرة .
- الرابعة - (ولاية الجبول) - ووالها جندي .
- الخامسة - (ولاية جبل سمعان) - ووالها جندي ، وهو مقيم بمدينة حلب ، يحضر المواكب مع والى المدينة ووالى البر : لقرية منها .
- السادسة - (ولاية عزاز) - ووالها جندي ، وربما كان أمير عشرة .
- السابعة - (ولاية تلّ باشر) - وكان لها والٍ بمفردها جندي ، ثم أضيفت آخرها لعيتاب .
- الثامنة - (ولاية منبج) - ووالها جندي .
- التاسعة - (ولاية تيزين) - وهي تارة تفرد بوالٍ يكون جنديا ، وتارة تصاف إلى حارم ، ويقال والى حارم وتيزين .
- العاشرة - (ولاية الباب وبراغا) - ووالها جندي .
- الحادية عشرة - (ولاية دركوش) - ووالها جندي .
- الثانية عشرة - (ولاية أنطاكية) - ووالها تارة يكون جنديا وتارة أمير عشرة ، وأخبرني بعض كتّاب السرب بحلب أنها ربما أضيفت إلى نائب القصير .

قلت : ووراء ذلك ولايات آخر بلاد الأرمن ونحوها لم يتحررلى حائلها ، والظاهر أن ولاية جميعها أجناد .

النوع الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب العربان)

واعلم أنه قد تقدم في الكلام على آل فضل من عربان دمشق أن منازلهم ممتدة بأراضي الشام إلى الرحبة وجعبر في جانب القنات ، وتقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة نقلا عن المقر الشهابي ابن فضل الله في "التعريف" أن جعبر كانت في زمانه من مضافات دمشق ، وأن الواجب أن تكون من مضافات حلب ، فإنها أضيفت بعده إلى حلب ، وحينئذ فيكون في بلاد حلب بعض عرب آل فضل المتقدم ذكرهم هناك .

والمختص بأعمال حلب من العرب المشهورين قبيلتان .

القبيلة الأولى - (بنو كلاب) . قال في "مسالك الأبصار" : وهم عرب أطراف حلب والروم ، ولهم غزوات عظيمة معلومة وغارات لاسد ، ولا تزال تباع بنات الروم وأبنائهم من سباياهم ، ويتكلمون بالتركية ويركبون الأكاديش ، وهم عرب غزو ، ورجال حروب ، وأبطال جيوش ، وهم من أشد العرب بأسا ، وأكثرهم ناسا . قال : ولإفراط نكايتهم في الروم صُنفت السيرة المعروفة "بلهمة والبطال"^(١) منسوبة إليهم بما فيها من ملح الحديث ولمح الأبطال ، ولكنهم لا يدينون لأمر منهم يبيع كلتهم ، ولو أقتادوا لأمر واحد لم يبق لأحد من العرب بهم طاقة .

(١) هي السيرة المشهورة الآن "بذات الهمة" وقد طبعت أخيرا بالمطبعة "الحسينية" وانتشرت في أيدي العامة وهي في بابها لا بأس بها .

قال الحمداني : وكان بنو كلاب قد غلبوا على آل ربيعة ، وذلك أن الملك الكامل كان طلب من ماتع بن حديشة وغنام بن الطاهر جمالاً يحمل عليها غللاً إلى خلاط يقوتها بها ، فأحتج بنية جماله في البرية ، وكان بعض بني كلاب حاضراً فتكفل له بمحاجته من الجمال ووفى له بذلك ، فحقد بها الملك الكامل على ماتع بن حديشة وغنام بن الطاهر وأستوحشاً منه ثم أتياه عند أخذه أمده ، فوثقهما فخرجا خائفين منه إلى أن فتح دمشق فأتياه بأنواع التّقديم وتقرباً إليه بالخدمة . قال : وكانت بنو كلاب تخدم الملك الأشرف موسى وتصحبه لمتاحمة بلاد الروم .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان سلطاننا يعني الناصر محمد بن قلاوون لا يزال ملتفتاً إلى تألف بني كلاب هؤلاء ، وكان أحمد بن نصير المعروف بالتّرى قد عاث في البلاد والأطراف وأشتد في قطع الطريق ، فأمنه وخلع عليه وأقطعه فأقادت بنو كلاب للطاعة ، وكان الملك الناصر قد أمر عليهم سليمان بن مهنّا وجعل عليه حفظ جعبروما جاءها .

القبيلة الثانية - (آل بشار) - قال في "مسالك الأبصار" : وديارهم الجزيرة والأحص^(١) ببلاد حلب . قال : والأحلاف منهم حالم في عدم الاتقياد لأمر واحد حال بني كلاب . ولو اجتمعوا لما آمن بأسهم يقيم على تفرق كلمتهم ، وبسبب جماعتهم لا يزال آل فضل منهم على وجل ، وطالما باتوا وقلوبهم منهم ملائمة من الحذر ، وعيونهم وسى من السهر ، وبينهم دماء ، وهم وبنو ربيعة وبنو عجل جيران ، وديارهم من سنجار وما يلائنها إلى البصرة أو قريب الجزيرة العمورية إلى أطراف بغداد .

(١) هو بهذا الضبط موضع - أنظر معجم البلدان (ج ١ ص ١٤٩ - ١٥٣) .

النيابة الثالثة
(نيابة أطرابلس ، وفيها جلتان)

الجملة الأولى
(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فبالدينار والدرهم النقرة على ماسر في الديار المصرية ودمشق وحلب ؛ وصنجاتها كصنجة دمشق في الذهب والفضة ؛ وبها الفلوس العتيق (١) فلها بدرهم ؛ ورطلها ستمائة درهم كما في دمشق ، وأوقية اثنتا عشرة أوقية كل أوقية خمسون درهما . وتعتبر ميكلاتها بالملكوك كما في حلب ؛ ويقاس القماش بها بذراع كل عشرة أذرع منه إحدى عشرة ذراعا بالمصري ؛ وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في الديار المصرية وغيرها من البلاد الشامية ؛ وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في دمشق وغيرها من البلاد الشامية ؛ وخراجها على ما تقدم في دمشق وغيرها من بلاد الشام .

وأما جيوشها فمن الترك ومن في معانهم على ما تقدم في غيرها من الممالك الشامية ، وبها أمير واحد مقدّم ألف غير النائب ، وباقي أمرائها طبلخاناه وعشرات وخمسات ومن في معانهم من العشرينات وغيرها ؛ وبها من وظائف أرباب السيوف نيابة السلطنة : وهي نيابة جليلة ، نائبها من أكبر مقدى الألوف ، وهو في الرتبة الثانية من حلب كما في حماة ؛ وليس بها قلعة يكون لها نائب بل نائب السلطنة هو المتسلم لجمعها والمتصرف فيما لديها من أمر السكر وغيره .

ومنها المجوبية ، وبها ثلاثة محجّاب أكبرهم طبلخاناه وهو حاجب المحجّاب ، والحاجبان الآخران كل منهما أمير عشرة .

(١) يياض في الأصل .

ومنها المهتدارية، وشدة الدواوين، وشدة الخصاص، وشدة مراكز البريد، وشدة
المتنا، وتقابة القباء، وأمير أخورية، وشدة الأوقاف، وتقدمة البريدية، وأمير أخورية
البريد، وولاية المدينة، وتقدمة التركان وغير ذلك، وكلها يوليها النائب بها .

وبها من أرباب الوظائف الديوانية ناظر المملكة، وناظر الجيش، وصاحب
ديوان المكاتبات، وولاية الثلاثة من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة، وتُكَّاب
دست، وتُكَّاب درج، ولايتهم من نائبها .

وبها من الوظائف الدينية قضاء القضاة من المذاهب الأربعة، وقاضياً عسكرياً
شافعي وحنبلي، ومفتياً دار عدل كذلك، ومحتسب، ووكيل بيت المال . إلى غير
أولئك من أرباب الوظائف .

وأما ترتيب النيابة بها فإن النائب يركب في يومى الاثنين والخميس من دار
النيابة، ويخرج في موكره من الأمراء والأجناد حتى يأتى ساحل البحر، ثم يعود إلى
دار النيابة ومعه جميع الأمراء والأجناد، خلا الأمير المقدم فإنه لا يحضر معه إلى دار
النيابة . وإذا حضر النائب إلى دار النيابة جلس في دار العدل بصدر الإيوان
وليس بها كرسي سلطنة، ويجلس قاضيان: شافعي وحنبلي عن يمينه، ومالكى وحنبلي
عن يساره، ووكيل بيت المال تحت القاضي المالكي، ويجلس كاتب السر أمامه
على القرب من يساره وتُكَّاب الدست خلفه، وحاجب التجباب جالس أمام النائب
على القرب منه، ويأخذ التجباب الصنار القصص ويناولونها إلى حاجب التجباب
فيدفعها لكاتب السر، ويفصل المحاكمات، ثم ينفض المجلس ويمد السباط فياكون
وينصرفون كما في غيرها .

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(التواب، وهم على قسمين)

القسم الأول

النيابات بمضافات نفس أطرايئس، وبها خمس نيابات كلهم يكتبون عن الأبواب السلطانية في المهمات ونحوها، دون خلاص الحقوق . فإنه يختص بنائب السلطنة بها .

- الأولى - (نيابة حصن الأكراد) - ونيابته إمرة عشرة .
- الثانية - (نيابة حصن عكار) - ونيابته إمرة عشرة .
- الثالثة - (نيابة بلاطئس) - ونيابته إمرة عشرة .
- الرابعة - (نيابة صهيون) - ونيابته إمرة عشرة .
- الخامسة - (نيابة اللاذقية) - ونيابته إمرة عشرة .

القسم الثاني

(نيابات قلاع الدعوة، وهي ست نيابات خارجا عن مضاف

حيث أضيفت إلى دمشق)

- الأولى - (نيابة الرصافة) - وأصل نيابته إمرة عشرة .
- الثانية - (نيابة النخاوي) - وأصل نيابته إمرة عشرة .
- الثالثة - (نيابة القُدسوس) - وأصل نيابته إمرة عشرة .

- الرابعة - (نيابة الكهف) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 - الخامسة - (نيابة المنيقة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
 - السادسة - (نيابة القلعة) - وأصل نيابتها إمرة عشرة .
- قلت : وقد أخبرني بعض كتّاب المملكة أن هذه النيابات كلها استقر فيها أجناد؛ وبالجملية فإنما يؤلّ فيها نائب طرَابُلُس بكل حال .

الضرب الثاني

(الولاية)

- وبها ولايات ست ، وولاية جميعها أجناد، عن نائب طرَابُلُس .
- الأولى - ولاية أنطَرطوس .
- الثانية - ولاية جُبّة المُنظرة .
- الثالثة - ولاية الظنّين .
- الرابعة - ولاية بُشْرِيه .
- الخامسة - ولاية جَلّة .
- السادسة - ولاية أنفّة .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(في ذكر أحوالها ومعاملاتها)

أما معاملاتها فعلى ما تقمّ في غيرها من الممالك الشامية من المعاملة بالدنانير والدرهم، وصنّجتها كصنّجة دِمَشَقَ وحَلَبَ وطرَابُلُسَ، تنقص عن الصنّجة المصرية

كل مائة مثقال مثقال وربع ، وكل مائة درهم درهم وربع ، وورطلها سبعمائة وعشرون درهما بصنعتها ، ومكيلاتها معتبرة بالمشوك كما في حلب وبلادها ، ومكوكها مقدر كل مكوكين وربع مكوك غرارة بالمشقي ؛ وقياس قماشها بذراع ^(١) وقياس أرضها بذراع العمل المعروف .

الجملة الثانية

(في ترتيب نيابتها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يحضرها)

أما جيوشها فن الترك ومن في معانهم ، وبها عنة من أمراء الطبلخانة والعشرات والخمسات ومقدمي الحلقة وأجنادها ، وليس بها مقدم ألف . وقد تقدم في الكلام على قواعد الشام المستقرة أنها كانت بيد بقايا الملوك الأيوبية إلى آخر الدولة الناصرية "محمد بن قلاوون" في سلطته الأخيرة . قال في "مسالك الأبصار" : إن صاحبها كان مستقل فيها بإعطاء الإمرة والإقطاعات وتولية القضاة والوزراء وكتاب السرائر والوظائف بها ، وتكتب المناشير والتواقيع من جهته ولكنه لا يُمضي أمرا كبيرا في مثل إعطاء إمرة أو وظيفة كبيرة حتى يشاور صاحب مصر ، وهو لا يبيح إلا بأن الرأي مآثره ومن هذا ومثله ، وربما كتب له مرسوم شريف بالتصرف في مملكته . قال في "مسالك الأبصار" : ومع ذلك فصاحب مصر متصرف في ولاية صاحبها وعزله ، من شاء ولّاه ومن شاء عزله ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن خلع الأفضل ^(٢) محمد بن المؤيد المتقدم ذكره من سلطتها ، بعد موت

(١) يابض في الأصل .

(٢) أى وأسست نيابتها في ذلك الحين إلى ملوك آية "سيف الدين طغتمش" كذا في تاريخ أبي الفدا .

السلطان الملك الناصر وملك أبته أبي بكر؛ ونائبها من أكابر الأمراء المقدمين، ولكنه في الرتبة دون نائب طرَابُلسَ وإن كان مساويا له في المكتبة من الأبواب السلطانية؛ ويظهر ذلك في كتابة المظلمات الجار حيث يذكر نائب طرَابُلسَ قبله .
وبها من وظائف أرباب السيوف المحيية؛ وبها حاجبان : الكبير منهما طلبخانة والثاني عشرة؛ والمهندارية ، وبها آثان وهما جنديان ؛ وشذ مراكر البريد، وبه جندى؛ وأمير اخورية البريد ، ومتوليها جندى؛ وولاية المدينة، واليهما جندى؛ ونقابة المساكر، وبها آثان وهما جنديان أحدهما أكبر من الآخر . وجميع أرباب الوظائف يوليم النائب بها بتواقيع كريمة، وليس بها قلعة لها نائب .

وبها من الوظائف الدينية من أرباب الأقلام أربعة قضاء من المذاهب الأربعة، وولايتهم من الأبواب السلطانية بتواقيع شريفة، وقاضى عسكر حنفى، وليس بها قضاء عسكر من المذاهب الثلاثة الأخر ولا مفتو دار عدل؛ وبها وكيل بيت المال ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف ووكالة شرعية ؛ ومحاسب بولاية عن النائب بتوقيع كريم .

وبها من الوظائف الديوانية من أرباب الأقلام كاتب سر، ويصبر عنه في ديوان الإنشاء بصاحب ديوان المكاتبات بمحاة المحروسة ، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، وله أتباع من كُتَّاب الدست وكُتَّاب الدُرج وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة؛ وبها ناظر المملكة القائم مقام الوزير، وولايته من الأبواب السلطانية بتوقيع شريف، وله أتباع من كُتَّاب وشهود، وولايتهم عن النائب بتواقيع كريمة .
إلى غير ذلك من وظائف صغار يولياها النائب بتواقيع كريمة .

وترتيب الموكب بها أن النائب بها يركب من دار النيابة في يوم الخميس والاثنتين وصحبته العسكر من الأمراء وأجناد الحلقة، ويخرج إلى خارج المدينة من قبلها

ويسير في الموكب إلى ضيعة تسمى بقرين على القرب من حماة ، ثم يعود في موطنه حتى يقف بسوق الخليل بمكان خارج المدينة يعرف بالموقف ، وينادى بينهم على الخيل ، وربما نودى على بعض العقارات ، ثم تصيح الجاوشية ، وينصرف عن ذلك المكان ويدخل المدينة ، ويأتي دار النيابة ويدخل أول العسكر من داخل باب يعرف بباب العسرة^(١) ، ثم يترجل الناس على الترتيب على قدر منازلهم حتى لا يبقى راكب سوى النائب بمفرده ، ولا يزال راكبا حتى يترجل شباك بدار النيابة معد للحكم فيجلس فيه ويجلس عنده داخل الشباك القضاة الأربعة : الشافعي والحنفي عن يمينه ، والمالكي عن يساره والحنبلي يليه ، ويجلس الأمراء على قدر منازلهم ، وكاتب السر وناظر الجيش أمام النائب خارج الشباك ، ويقف هناك الحاجبان والمهمندار وقيب القباء ، وترفع القصص فيقرأها كاتب السرعة ويرسم فيها بما يراه ، ثم يقوم من مجلسه ذلك وينصرف القضاة ويدخل إلى قبة معدة جلوسه ومعه كاتب السر وناظر الجيش والأمراء فيفصل بقية أموره مما يتعلق بالجيش وغيره ، ثم يد السباط بعد ذلك فياكلون وينصرفون .

الضرب الثاني

(ماهو خارج عن حاضرتها)

وليس بخارجها نيابات ، بل يقتصر فيه على ثلاث ولايات ، ولأنها أجناد يوليهم النائب بها .

الأولى - ولاية برها كما في دمشق وحلب .

الثانية - ولاية بارين .

الثالثة - ولاية المعرة . وليس بها عرب ولا تركمان تنسب إليها .

(١) في الضوم "باب العزة" .

النيابة الخامسة (نيابة صَفَد، وفيها جملتان)

الجملة الأولى (فيما هو بحاضرتها)

أما معاملاتها فكما في دِمَشَق وغيرها من البلاد الشامية؛ وصنجاتها كصنجاتها ورطلها ...^(١) وأواقيہ اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ...^(١) وتعتبر ميكلاتها ...^(١) وتقاس أرض دورها بذراع العمل كما في غيرها، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من البلاد الشامية .
وأما جيوشها ووظائفها الديوانية ووظائفها الدينية، فكما في طَرَابُلُس . وأما ترتيب النيابة بها ...^(١) ...

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

وليس بأعمالها نيابة بل لها ولايات، يليها أجناد من قبل نائب صَفَد، وهي إحدى عشرة ولاية .

الأولى - ولاية بَرّها كما في غيرها من الممالك المتقدمة .

الثانية - ولاية الناصرة .

الثالثة - ولاية طَبَرِيَّة .

الرابعة - ولاية بِنِينَ وهَوْنين .

الخامسة - ولاية عَثَلِيَّة .

(١) يابض في الأصل في المواضع الأربعة .

- السادسة - ولاية عكا .
- السابعة - ولاية صور .
- الثامنة - ولاية الشاغور .
- التاسعة - ولاية الإقليم .
- العاشرة - ولاية الشقيف .
- الحادية عشرة - ولاية جينين .

النيابة السادسة

(نيابة الكرك ، وفيها جملتان)

الجملة الأولى

(فيها هو بمحاضرتها)

أما ما ملاتها فكما في غيرها : من المعاملة بالدنانير والدرهم ، وصنعتها ^(١) ورطلها ^(٢) وأوقيه اثنتا عشرة أوقية كل أوقية ^(٣) ويقاس قماشها بزراع ^(٤) وتقاس أرض دورها بزراع العمل كما في غيرها ، وتعتبر أرض زراعتها بالفدان الإسلامي والفدان الرومي كما في غيرها من بلاد الشام ، وكذلك نحران أرضها .

وأما جيوشها فعلى ما تقدم في غيرها من المالك من اجتماعها من الترك ومن في معانهم ، وبها من الأمراء الطلحانات والعشرات والخمسات ومن في معانهم ، وليس بها مقدم ألف غير النائب كما تقدم المجبوبة والمهندارية وتقدمة البريد ، وولاية القلعة ؛ وبها من الوظائف الديوانية ناظر المال وناظر الجيش وكتب درج ؛ وولاية هؤلاء الثلاثة من الأبواب السلطانية .

(١) ياض في الأصل .

وأما ترتيب الموكب بها .^(١)

الجملة الثانية

(فيها هو خارج عن حاضرتها، وهو على ضرين)

الضرب الأول

(الولايات، وفيها أربع ولايات)

الأولى - ولاية برها كما في غيرها .

الثانية - ولاية الشوبك .

الثالثة - ولاية زغر .

الرابعة - ولاية معان .

الضرب الثاني

(العرب)

وعرب الكرك فيما ذكره في "مسالك الأبصار" : بنو عتبة، وعُقبَة من جُدّام .

قال في "مسالك الأبصار" : وكان آخر أمرائهم شعل بن عتبة (٩) وكان سلطاننا

(١) يبايع بالأمل بقدرة أسطر .

الملك الناصر محمد بن قلاوون قد أقبل عليه إقبالا أحله فوق السما كين وألحقه
بأمراء آل فضل وأمراء آل مرا ، وأقطعه الإقطاعات الجليلة ، وألبسه التشريف
الكبير، وأجرل له الحياء، وعمر له ولأهله البيت وأنجياه. وكذلك ممن ينسب إلى عرب
الكرّك بنو زهير عربُ الشؤبك، وآل عجبون، والمطويون، والصونيون وغيرهم .

الفصل الثالث

من الباب الثالث من المقالة الثانية
(في الملكة المجازية ، وفي سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في فضل المجاز وخواصه وعجائبه)

أما فضله ففى "صحیح مسلم" من حديث جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنه
أن النبى صلى الله عليه وسلم ! قال : " غَلَطَ القلوب والجفَاء فى المشرق . والإيمانُ
فى أهل الجَحَاز " .

قلت : وفى ذلك دليل صريح لفضل المجاز نفسه ، وذلك أن هواء كل بلد
يؤثر فى أهله بحسب ما يقتضيه الهواء ، ولذلك تجد لأهل كل بلد صفات وأحوالا
تخصهم ، وقد أخبر صلى الله عليه وسلم عن أهل المجاز بالرقّة كما أخبر عن أهل
المشرق بالغلظة والجفَاء ، وناهيك بفضل المجاز وشرفه أن به مهبط الوحى ومتبع
الرسالة ، وبه مكة والمدينة اللتين هما أشرف بلاد الله تعالى وأجل بقاع الأرض ،
ولكل منهما فضل يخصه بآتى الكلام عليه عند ذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وأما خواصه فيختص من جهة الشرع بأمرين :

أحدهما - أنه لا يستوطنه مشرك من ذمى ولا معاهد، وإن دخله لم يمكن من الإقامة في موضع منه أكثر من ثلاثة أيام ثم يُصَرَّف إلى غيره ، فإن أقام بموضع أكثر من ثلاثة أيام ، عُرِّبَ إن لم يكن له عُذر . قال أصحابنا الشافعية : ولو عقد الإمام عقداً لكافر على الإقامة بالمجاز على مسمى بطل العقد ووجب المسمى .

الثاني - أنه لا تُدفن فيه موتاهم وإن دفن أحد منهم فيه قتل إلى غيره .

· وأما عجائبه فمنها مقام إبراهيم عليه السلام ، وهو الحجر الذي كان يقوم عليه لبناء البيت فأثرت فيه قدماه وصار أثرهما فيه ظاهراً كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ وهو باق على ذلك أمام البيت من جهة الباب إلى الآن .

(ومنها) ما ذكره في "الروض المعمار" من أن أثر قدم إسماعيل عليه السلام بمسجد بنى في حَجَرٍ فيه أثر عَقِبِهِ حين رَفَسَ إِبْلِيسَ برجله عند اعتراضه له في ذهابه مع أبيه للذبح .

(ومنها) حصي الحمار، وهو أنه في كل سنة يَرْمِي الحُجَّاج عند الحِمَارَات الثلاث في أيام مِنَى ما تَحْصُلُ منه التَّلَأُّلُ العظيمة على طول المَدَى، ومع ذلك لم يكن موجوداً بنى منها إلا الشيء القليل على تطاول السنين ، يقال إن مهماً تُقْبَلُ منها رفع والباقي منها ما لم يتقبل .

الطرف الثاني

(في ذكر حدوده، وأبتداء عمارته، وتسميته حجازاً)

أما حدوده فأعلم أن المجاز عبارة عن مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها على خلاف في بعض ذلك، يأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى ، وهو يحلته قطعة من جزيرة العرب، وهي ما بين بحر القلزم وبحر الهند وبحر فارس والقرات وبعض بادية الشام .

قال المدائني: جزيرة العرب خمسة أقسام: يَمَامَةُ، وَتَجْدٌ، وَالْحِجَازُ، وَالْعَرُوصُ،
وَالْيَمَنُ. وزاد ابن حوقل في أقسامها بادية العراق وبادية الجزيرة فيما بين دَجَلَةَ
وَالْفَرَاتِ وبادية الشام، وفيها خلاف يطول ذكره.

قال النووي في "تهذيب الأسماء واللغات": وسميت جزيرة العرب جزيرة
لأنجزار الماء عنها حيث لم يمتد عليها وإن كان مطيفا بها. والحجاز عندهم عبارة عن
جبل السَّراة - بالسَّين والراء المهملتين - على ما أورده في "الروض المعطار"؛ وَصُيِّطَ
في "تقويم البُلْدَانِ" في الكلام على البلقاء من الشام بالشين المعجمة، وهو جبل
يُقْبِلُ من اليمن حتى يتصل ببادية الشام، وهو أعظم جبال العرب. وحدته من الجنوب
يَمَامَةُ: وهي ما بينه وبين بحر الهند في غربي بلاد اليمن؛ وحدته من الشرق بلاد اليَمَنِ
وهي بينه وبين فارس؛ وحدته من الشمال تَجْدٌ، وهو ما بينه وبين العراق؛ وحدته من
الغرب بحر القَزْمِ وما في جنوبيه من بادية الشام.

الطرف الثالث

(في ابتداء عمارته وتسميته حجازا)

أما ابتداء عمارته فإنه لما أنبت أولاد سام بن نوح عليه السلام وهم العرب
في أقطار هذه الجزيرة حين قسم نوح الأرض بين بنيهِ، نزل الحجازَ منهم من العرب
البادية طَسَمٌ وَجَدِيْسٌ [ومترلم] اليَمَامَةُ ومترلة جرم على القرب من مكة فكان ذلك
أول عمارة الحجاز بعد الطوفان؛ ثم بادت هذه العرب وهلكوا عن آخريهم، ودرست
أخبارهم وأتقطعت آثارهم. وعمر الحجاز بعدهم جُرْمُ الثانية، وهم بنو جُرْمِ بن
قَصْطَافِ بن عَابِرِ بن شَالِحِ بن أَرْغَشَدَ بن سام بن نوح عليه السلام. ولما أسكن
إبراهيم الخليل عليه السلام ولده إسماعيل بمكة كما أخبر تعالى عنه بقوله: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي

أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيٍّ وَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ) كانت جرهمُ الثانية نازلين بالقرب من مكة فاتصلوا بإسماعيل عليه السلام، وتزوج منهم وكثروا ولدته وتناسلوا فعمروا الحجاز إلى الآن .

وأما تسميته حجازا، فقال الأصمعي : سمي بذلك لأنه حمزين تَجِدُ وَتَهَامَةُ ولا امتداده بينهما على ما تهتم . وقال ابن الكلبي : سمي بذلك لما احتجز به من الجبال . قلت : وويم في "الروض المعطار" فقال : سمي حجازا لأنه حمزين القَوْر والثام، وقيل لأنه حمزين تَجِدُ والسَّراة ، وما أعلم ما الذي أوقفه في ذلك .

الطَّرَف الرابع

(في ذكر مياهه وعيونه وجباله المشهورة)

أما مياهه وعيونه، فقال المتكلمون في المسالك والممالك : ليس بالحجاز بل بجزيرة العرب جملةً نهرٌ يجري فيه مَرَكَبٌ، وإنما فيه العيون الكثيرة المنفجرة من الجبال المعتصدة بالسيول والأمطار، الممتدة من وَادٍ إلى وَادٍ، وعليها قُرَاهِمٌ وحدائقهم وبساتينهم مما لا يحصى ذلك كثرةً، كما في الطائف و بطن مَرٍّ، وبطن نَحْلٍ، وعُسْفان وبَدْرٍ وغير ذلك .

وأما جباله المشهورة، فأعلم أن جميع أرض الحجاز جبال وأوديةٌ ليس فيها بسيط من الأرض، وجباله أكثر من أن تدخل تحت العدة أو يأخذها الحصر، وقد ذكر الأزرقي في "تاريخ مكة" أن لمكة^(١) اثني عشر ألف جبل لكل جبل منها اسم يخصه ولكن قد شهرت جبال مكة والمدينة واليَبُوع .

(١) لعله الحجاز .

فمن جبال مكة المشهورة (جبل أبي قيس) وهو الجبل الذى فى جنوبى مكة ممتدا على شرقها . قال الأزرقي : وهو أول جبل وُضع بالأرض ولذلك كان أقرب الجبال إلى البيت .

(ومنها) جبل قَيْقَاع^(١) - بقاف مفتوحة وياء مثناة تحت ساكنة ونون مضمومة وقاف ثانية مفتوحة بعدها ألف وعين مهمل - وهو الجبل الذى غربى مكة، سمي بذلك لمكان سلاح يُتَّج منه ، والقمقة صوت السلاح ، كما سمي جِيَاد جِيَادا لمكان خيله منها .

(ومنها) جبل حِرَاء - بحاء مهمل مكسورة وراء مهمل مفتوحة بعدها ألف - وهو جبل يُشرف على مكة من شرقها يرى البيت من أعلاه، وفيه الغار الذى كان يتعبد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وفيه جاءه جبريل عليه السلام فى أول النبوة .

(ومنها) جبل ثَوْر - بفتح التاء المثناة وسكون الواو وراء مهمل فى الآخر - وهو جبل مشرف على مكة من جنوبها، وفيه الغار الذى أخفى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين ومعه أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

(ومنها) جبل تَبِير^(٢) - بفتح التاء المثناة فوق وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة تحت وراء مهمل فى الآخر - وهو جبل مشرف يرى من منى والمزدلفة .

الطَّرَفُ الْخَامِسُ

(فى زُرُوعه وفواكهه ورياحينه ومواشيه ووحوشه وطبوره)

أما زُرُوعه ففيه من الحبوب المزدرة البر والشعير والذرة والشلت، وجميعها تُزْرَع على المطر، وربما زُرِع بعضها على ماء العيون، والشعير والذرة أكثر الحبوب

(١) صوابه قَيْقَاع . أنظر معجم البلدان ومعجم ياقوت . (٢) صوابه تَبِير . انظر المطبوع .

وجودا، ويَزْرَع فيه على العيون الطِّخُّ : الأخضر والأصفر، والقثاء، والباذِجَان،
والدُّبَاء، والملوخيا، والهندبَاء، والفُجْل، والكُرَّاث، والبَصَل، والثُّومُ .

وأما فواكهه ففيه الرُّطْبُ، والعِنْبُ، والمَوْزُ، والتُّفَّاحُ، والسَّفْرَجُلُ، والأَلْمُونُ
وغير ذلك .

وأما رياحيته ففيه التامر حنّاء، ويسمى عندهم القَاغِيَّة : بالقاء وغين معجمة وياه
مشاة تحت وهاء في الآخر .

وأما مواشيه ففيه الإِبِلُ، والضَّأْنُ، والمعزُ بكثرة، والبقر بقلّة . وبه من الخيل
ما يفوق الوصف حسنه، ويُعجز البرق إدراكه .

وأما وحوشه ففيه النِّزْلَانُ، وحُرُّ الوحش، والدُّثَّاب، والضَّبَاع، والثعالب،
والأرانب وغيرها .

وأما طيوره ففيه الحمام، والدجاج، والحدّاء، والرَّحَم .

الطرف السادس

(في قواعده وأعماله ؛ وفيه ثلاث قواعد)

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وفيها جلتان)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

وقد ذكر العلماء رحمهم الله لها ستة عشر اسما . " مَكَّة " بفتح الميم وتشديد
الكاف المفتوحة وهاء في الآخر . كما نطق به القرءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي
كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَغْنِ مَكَّة ﴾ ؛ سميت بذلك لقلة ماها أخذنا من

قولهم أمتك الفصيلُ ضَرَعُ أمه إذا أمتصه ، وقيل لأنها تمكُ الذنوب بمعنى أنها تنهَبُ بها ، ويقال لها أيضا (بَكَّة) بإبدال الميم باء موحدة . وبه تطلق القرعان أيضا في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةٍ ﴾ قال اللبث : سميت بذلك لأنها تبكُ أعناق الجبابرة أى تدقها والبكُ الدق ؛ وقيل بالميم الحرم كله وبَكَّةُ المسجد خاصة ، حكاه الماوردي عن الزهرى وزيد بن أسلم ؛ وقيل بالباء اسم لموضع الطواف ، سمى بذلك لأزدحام الناس فيه والبكُ الأزدحام . ومن أمتائها أيضا (أمُ القرى) و (البلد الأمين) و (أمُ رُحْم) بضم الراء وإسكان الحاء المهملتين لأن الناس يتراحمون فيها ويتوادعون ؛ و (صَلَاح) مبنى على الكسر كقَطَامٍ ونحوه ؛ و (البأسَة) لأنها تَبْسُ الظالم أى تحطمه ؛ و (النَّاسَة) بالنون لأنها تُنْسُ الملحد فيها أى تطرده ؛ و (النَّسَاسَة) لذلك أيضا ؛ و (الحاطِطَة) لأنها تحطِمُ الظالم كما تحطمُ ؛ و (الرَّاس) و (كُوَيْ) بضم الكاف وفتح المثناة ؛ و (القُدْس) و (القادس) و (المقدَّسة) . قال النووي : وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى ، ولذلك كثرت أسماء الله تعالى وأسماء رسوله صلى الله عليه وسلم ! وقد تقدم أنها من جملة الحجاز . وحكى ابن حوقل عن بعض العلماء أنها من تِهَامَة ورجحه في "تقويم البلدان" . وموقعها في الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال في "كتاب الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وثلاث عشرة دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال في "القانون" : طولها سبع وستون درجة فقط ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وقال في "رسم المعمور" : طولها سبع وستون درجة ، وعرضها إحدى وعشرون . وقال كوشيا وطولها سبع وستون درجة وعشر دقائق ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة . وقال ابن سعيد : طولها سبع وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهى مدينة فى بطن وادٍ والجبال

مَحْفَةً بِهَا ، فَأَبُو قُبَيْسٍ مَشَرَفَ عَلَيْهَا مِنْ شَرْقِيَّهَا وَأَجْبَادٌ بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ مَشَرَفٌ عَلَيْهَا مِنْ غَرْبِيَّهَا . قَالَ الْجَوْهَرِيُّ : سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَوْضِعِ خَيْلِ تُبَّعٍ مِنْهُ . قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَسَعَتْهَا مِنَ الشَّمَالِ إِلَى الْجَنُوبِ نَحْوَ مِيلَيْنِ ، وَمِنْ أَسْفَلِ أَجْبَادٍ إِلَى ظَهْرِ جَبَلٍ قُعَيْقَمَانَ مِثْلَ ذَلِكَ . قَالَ الْكَلْبِيُّ : وَلَمْ يَكُنْ بِهَا مَنَازِلُ مَبْنِيَّةٌ فِي بَدَنِ الْأَمْرِ ، وَكَانَتْ جُرْهُمُ وَالْعَمَالِقَةُ حِينَ وَلَّيْتَهُمْ عَلَى الْحَرَمِ يَنْتَجِعُونَ جِبَالَهَا وَأَوْدِيَّتَهَا يَتَزَلُّونَ بِهَا ، ثُمَّ جَاءَتْ قَرِيشٌ بَعْدَهُمْ فَنَشَاوُوا عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ صَارَتْ الرِّيَاسَةُ فِي قَرِيشٍ لَقُصَيٍّ بْنِ كَلَابٍ فَبْنَى بِهَا دَارَ النَّدْوَةِ ، يَحْكُمُ فِيهَا بَيْنَ قَرِيشٍ ، ثُمَّ صَارَتْ لِمَشَاوَرَتِهِمْ وَعَقْدِ الْأُلُويَةِ فِي حُرُوبِهِمْ ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ فِي الْبِنَاءِ : فَبَنَوْا دُورًا وَسَكَنُوهَا ، وَتَزَادَ الْبِنَاءُ فِيهَا حَتَّى صَارَتْ إِلَى مَا صَارَتْ . وَبَنَاؤُهَا بِالْحِجْرِ وَعَلَيْهَا سُورٌ قَدِيمٌ قَدْ هُلِمَ أَكْثَرُهُ وَبَقِيَ أَثَرُهُ وَالْمَسْجِدُ فِي وَسْطِهَا . وَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ فِي "تَارِيخِ مَكَّةَ" أَنَّ الْكَعْبَةَ كَانَتْ قَبْلَ أَنْ تُدْعَى الْأَرْضُ رَابِيَةً حِمْرَاءَ مَشْرِفَةً عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، وَلَمَّا أَهْطَ اللَّهُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَاءَ إِلَى مَكَّةَ ، اسْتَوْحَشَ فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ قُبَّةً مِنَ الْجَنَّةِ مِنْ دُرَّةٍ بَيَضَاءَ لَهَا بَابَانِ فَوَضَعَتْ مَكَانَ الْبَيْتِ فَكَانَ يَتَأَنَسُّ بِهَا ، وَجَعَلَ حَوْلَهَا مَلَائِكَةً يَحْفَظُونَهَا مِنْ أَنْ يَقَعَ بِبَصَرِ الشَّيَاطِينِ عَلَيْهَا . قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَكَانَ الْحِجْرُ الْأَسْوَدُ كَرْسِيًّا يَجْلِسُ عَلَيْهِ . قَالَ : وَطُولُهُ ذِرَاعٌ . وَالَّذِي ذَكَرَهُ الْمَآوَرِدِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَمَّا قَالُوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾ لَأَذُوا بِالْعَرْشِ خَوْفًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَنَاطَفُوا حَوْلَهُ سَبْعًا فَرَضَى عَنْهُمْ وَقَالَ : أَتَبُؤُوا فِي الْأَرْضِ بَيْتًا يَعُودُ بِهِ مَنْ تَحْطِطُ عَلَيْهِ مِنْ بَنِي آدَمَ فَبَنَوْا هَذَا الْبَيْتَ ، وَهُوَ أَوَّلُ بِنَائِهِ ، ثُمَّ بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ قَالَ فِي "الرَّوْضِ الْمَعْطَارِ" : وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَقْفًا . قَالَ : ثُمَّ أَهْنَمَتْ الْكَعْبَةَ فَبَنَاهَا الْعَمَالِقَةُ ، ثُمَّ أَهْنَمَتْ فَبَنَاهَا جُرْهُمُ ، ثُمَّ أَهْنَمَتْ فَبَنَاهَا قُصَيُّ بْنُ كَلَابٍ وَسَقَفَهَا بِخَشَبِ

النَّوْمُ وجريد النخل، وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا، ثم استهدمت وكانت فوق القامة فأرادت قُرَيْشٌ تمليتها فهدمتها وبنتها، والتي صلى الله عليه وسلم عمره خمس وعشرون سنة، وشهد بناءها معهم، وكان بابها بالأرض فقال أبو حذيفة ابن المغيرة: يا قوم أرفعوا باب الكعبة حتى لا يدخل إلا مسلم ففعلوا ذلك وسقفوها بخشب سفينة ألقاها البحر إلى جدة .

قال في "الروض المطار": وكان طولها ثمانى عشرة ذراعا، ثم أحترق البيت حين حوَّصر ابن الزبير بمكة وتأثرت حجارته بالنار، فهدمه ابن الزبير وأدخل فيه ستة أذرع من الحجر، وقيل سبعة، وجعل له بابين ملصقين بالأرض: شرقيا وغربيا يُدْخَلُ من أحدهما ويُخْرَجُ من الآخر، وجعل على بابها صفائح الذهب، وجعل مفاتيحه من ذهب . قال في "الروض المطار": وبلغ بها في العلو سبعا وعشرين ذراعا . فلما قتل ابن الزبير كتب عبد الملك بن مروان إلى الجماجم يأمره بإعادته على ما كان عليه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من بناء قريش فهدم جانب الحجر وأعاده إلى ذلك، وسد الباب الغربي ورفع الشرقى عن الأرض إلى حده الذى هو عليه الآن، وكان عبد الملك بن مروان بعد ذلك يقول: "وَدِدْتُ أَنَّى كُنْتُ حَمَلْتُ ابْنَ الزَّيْرِ مِنْ بِنَاءِ الْكَعْبَةِ مَا تَحْمَلُ" .

ثم جدد المتوكل رُحَامَ الكعبة فأزرها بفضة وألبس سائر حيطانها وسقفها الذهب، وهو على ذلك إلى الآن . وهو مبنى بالحجر الأسود مستطيل البناء على التربع، في ارتفاع خمسة وعشرين ذراعا . وله أربعة أركان .

الأول - ركن الحجر الأسود . وهو ما بين الشرق والجنوب، ومنه يتبدأ الطواف .

(١) عبارة ياقوت "ورفضوا بابها غثافة السيل وأن لا يدخل فيها إلا من أحيوا" .

الثاني - الشامي . وهو ما بين الشرق والشمال ، سمي بذلك لمسامته بعض بلاد الشام ، وداخله باب المَطْلَع إلى سطح الكعبة .

الثالث - الغربي . وهو ما بين الشمال والغرب ، سمي بذلك لمسامته بلاد المغرب ، ولو سمي بالمصري لكان جديرا به لمسامته بلاد مصر .

الرابع - اليماني . وهو ما بين الغرب والجنوب ، سمي بذلك لمسامته بلاد اليمن ولذلك خفت الباء في آخره نسبة إلى اليمن . وقال ابن قتيبة : سمي بذلك لأنه بناء رجل من اليمن يقال له **أَبْنُ أَبِي سَالَمٍ** ، وقد يُطْلَق عليه وعلى ركن الحجر الأسود **اليمانيان** ، وعلى الشامي والغربي **الشاميان** تظليا .

ثم بين ركن الحجر الأسود وبين الركن الشامي أربعة وعشرون ذراعا ، وبالقرب من الركن الأسود في هذا الجدار باب الكعبة على أربعة أذرع وشيء من الأرض يُرْقَى إليه بدرج من خشب توضع عند فتح الباب ، والمُتَقَرَّم بين الركن الأسود والباب الشرقي ، وبالقرب من الركن الشامي منه مصلى آدم عليه السلام .

وهذا الجدار مقسوم ثلاث جهات .

الأولى - من الركن الأسود إلى باب الكعبة . وهي في جهة القبلة لأهل البصرة ، والأهواز ، وفارس ، وأصبهان ، وكرمان ، وميستان ، وشمال بلاد الصين وما على سمت ذلك .

الثانية - من الباب إلى مصلى آدم عليه السلام . وهي جهة القبلة لأهل الكوفة ، وبغداد ، وحلوان ، والقادسية ، وهمدان ، والري ، ونيسابور ، ومرو ، وخوارزم ، وبخارا ، ونسا ، وفرغانة ، والشاش ، وخراسان ، وما على سمت ذلك .

الثالثة - من مصلى آدم عليه السلام إلى الركن الشامي . وهي جهة القبلة لأهل الرها ، والموصل ، ومطبة ، وشمشاط ، والحيرة ، وسنجار ، وديار بكر ، وأرمينية إلى باب الأبواب ، وما على سمت ذلك .

وبين الركن الشمالى والركن الغربى أحدٌ وعشرون ذراعا ، وبأعلى هذا الجدار الميزابُ فى الوسط منه وخارجه الحجرُ (بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم) مستديرا به على سمت الركنين ، يفصل بينه وبين البيت فُرْجتان .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى - من الركن الشمالى إلى دَوْرِ الميزاب . وهى جهة القبلة لِدِمَشْقَ ، وَحَمَّاءَ ، وَسَلَيمَةَ ، وَحَلَبَ ، وَمَنبِجَ ، وَمِيفَارِيقِينَ ، وماسامت ذلك .

الثانية - وسط الجدار من الميزاب وما إلى جانبه . وهى جهة القبلة للدينة النبوية (على ساكنها أفضل الصلاة والسلام) وجانب الشام الغربى ، وَغَزَّةَ ، وَالرَّمْلَةَ ، وَبَيْتَ الْمُقَدِّسِ ، وَفِلَسْطِينَ ، وَعَكَّا ، وَصَيْدَا .

الثالثة - ما على هذه الجهة إلى الركن الغربى . وهى جهة القبلة لِمَصْرَ بأسرها من أَسْوَانَ إلى دِمَياطَ ، والإسكَنْدَرِيَّةَ ، وَبَرْقَةَ ، وكذلك طَرَّائِلسُ الغرب ، وَصِقْلِيَّةَ ، وسواحل الغرب ، وَالْأَنْدَلُسَ وما على سمت ذلك . وبين الركن الغربى والركن الشمالى فى هذا الجدار الباب المسدود مُجَاهَ الباب المفتوح .
وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات أيضا .

الأولى - من الركن الغربى إلى ثلث الجدار . وهى جهة القبلة لأهل الشَّمال من بلاد البُجَاوَةِ ، وَالثُّوْبَةِ ، وَأَوْسَطَ الغرب من جَنُوبِ الواحات إلى بلاد الجريد إلى البحر المحيط وما على سمت : ذلك من عِيذابَ ، وسواكن ، وجنوب أَسْوَانَ ، وَجُبَّةَ ، ونحو ذلك .

الثانية - من ثلث الجدار إلى دَوْرِ الباب المسدود . وهى جهة القبلة لأهل الجنوب من بلاد البُجَاوَةِ وَدَهْلَكَ وَسَوَاكِنِ وَالثُّوْبَةِ وَالتُّشْكُورِ ، وما وراء ذلك وعلى سمتة .

الثالثة - من دون الباب المسدود إلى الركن اليماني . وهي جهة القبلة لأهل الحَبَشَةِ ، والزَّنَج ، والرَّيْلَج ، وأكثر بلاد السودان وما والاها من البلاد أو كانت على سمتها .

وبين الركن اليماني وركن الحجر الأسود عشرون ذراعاً ، أقص من مقابله بذراع ، وبالقرب من ركن الحجر الأسود من هذا الجدار مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة .

وهذا الجدار مقسوم بثلاث جهات .

الأولى - الركن اليماني إلى سبعة أذرع من الجدار . وهي جهة القبلة لتَدْمُر ، وحَضْرَمَوْت ، وَعَدَن ، وصَنْعَاء ، وَعَمَّان ، وصَعْدَةَ ، والشَّحْر ، وسَبَا ، وزَيْدَ وما والاها أو كان على سمتها .

الثانية - من حدّ الجهة المتقدمة إلى دون مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة . وهي جهة القبلة لجنوب بلاد الصَّيْن ، والسَّنَد ، والتَّهَام ، والبحرين ، وما سامت ذلك .

الثالثة - من مصلى النبي صلى الله عليه وسلم ! قبل الهجرة إلى ركن الحجر الأسود . وهي جهة القبلة لأهل واسط ، وبلاد الصَّيْن ، والمِند ، والمَرَجَان ، وكَابُل ، والقَنْدَهَار ، والمعَبَر ، وما والاها من البلاد أو كان على سمتها .

وقابل الجدار الشرق من البيت مما يلي ركن الحجر الأسود زَمَزَمُ وسِقَايَةُ العِبَّاس ، ويقابله مما يلي الركن الشامي مَقَامُ إبراهيم عليه السلام . وقد تقدم الكلام عليه في عجائب الحجاز فيما مرّ ، ويسمى ما بين الكعبة وزَمَزَمَ والمقام الحطيم (بالحاء والطاء المهملتين) . قال في "الروض المعطار" : سمي بذلك لأنه كان من لم يجد من الأعراب

نوبا من ثياب أهل مكة يطوف فيه رمى ثيابه هناك وطاف عريانا . وخارج المسجد الصفا والمروة اللذان يقع السعى بينهما .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(الحرم ومشاعر الحج الخارجة عن مكة)

أما الحرم فهو ما يطيف بمكة مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه ونحو ذلك ، وقد تقدم أن الله تعالى جعل ملائكة يحرسون القبة التي أنزلها الله تعالى إلى آدم من الجنة ووضعت له مكان الكعبة وجعلت الملائكة حرسا لما كي لا يقع عليها بصر الشياطين ، فكانت مواقف الملائكة هي حدود الحرم . قال ابن حوقل : وليس بمكة والحرم شجر يثمر إلا شجر البادية ، أما خارج الحرم ففيه عيون وثمار .

وأعلم أن مقادير جهات الحرم تتفاوت في القرب والبعد عن مكة ، وعلى حدوده أعلام منصوبة في كل جهة تكل عليه . قال في "الروض المعطار" : قال الزبير : وأول من وضع علامات الحرم ونصب العمد عليه عدنان بن أد ، خوفا من أن تدرس معالم الحرم أو تنغير . قال : وحده من التميم على طريق سرف إلى ممر الظهران خمسة أميال ، وذكر في موضع آخر أنها ستة أميال ؛ وحده من طريق جدة عشرة أميال ؛ ومن طريق اليمن ستة أميال ، ودوره سبعة وثلاثة وثلاثون ميلا . ثم محدود هذا الحرم أما كن مشهورة ، يخرج إليها من مكة من أراد أن يهل بعمره فيحرم منها .

أحدها - (التنعيم) - بالف ولام لازمتين وفتح التاء المثناة فوق وسكون النون وكسر العين المهملة وسكون الياء المثناة تحت وميم في الآخر - وهو موضع على حد الحرم على طريق السالك من بطن مَرٍّ وللى مكة . قال في "الروض المعطار" : سُمِّيَ التنعيم لأن الجبل الذي عن يمينه اسمه نُعَيْم والذي عن يساره اسمه ناعِمٌ والوادي الذي هو فيه اسمه نَعْمَانُ ، ومنه أعتمرت عائشة رضي الله عنها مع عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهناك مسجد يُعرف بمسجد عائشة إلى الآن .

الثاني - (الحديبية) - بضم الحاء وفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وكسر الباء الموحدة وفتح الياء المشددة وفي آخرها تاء - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعي تخفيف الياء الثانية . قال في "تقويم البلدان" : وهو موضع بعضه في الحِلِّ وبعضه في الحَرَم ، وفيه صَدُّ المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيت ، وهي أبعد أطراف الحرم عن البيت ، وهي على مسيرة يوم ، وهي في مثل زاوية الحرم . وذكر في "الروض المعطار" أن الحديبية اسم لثرف في ذلك المكان ، ومنعِبُ الشافعي أن العمرة منه أفضل من التنعيم .

الثالث - (الجعرانة) - بكسر الجيم والعين المهملة وفتح الراء المهملة المشددة بعدها ألف ونون مفتوحة وهاء في الآخر - ونقل في "الروض المعطار" عن الأصمعي - سكون العين وتخفيف الراء . قال : وهو مكان بين مكة والطائف ولكنه إلى مكة أقرب ، ومنه أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة في وجهته تلك ، ومنعِبُ الشافعي أن العمرة منه أفضل من الحديبية .
وأما مَآعِر الحج الخارجة عن مكة فتلاثة .

(١) أي مرجعه من غزاة حنين وقسم فيها غنائم هوازن . أنظر "معجم البلدان" .

أحدها - مَنَى بكسر الميم وفتح النون وألف مقصورة - سميت بذلك لما مَنَى فيها من الدماء أى يراق . قال فى "المشترك" : وبينها وبين مكة ثلاثة أميال - وهى تشبه القرية مبنية على ضفتى الوادى . وبها مسجد الخيف - بفتح الخاء المعجمة وسكون الاء المثناة تحت وفى آخره فاء وهو مسجد عظيم منسج الأرجاء بنى سقف .

الثانى - (الْمُزْدَلِفَةُ) - بهم الميم وسكون الزاى المعجمة وفتح الدال المهملة وكسر اللام وفتح الفاء وآخرها هاء - وهى وضع على يسرة الذهاب من مَنَى إلى عرفة . قال النووى : سميت بذلك من التزلف والأزدلاف وهو التقرب ، لأن الحجاج إذا أفاضوا من عَرَافَاتِ أَزْدَلَفُوا إليها أى تقربوا ومَضَوْا إليها ، وتسمى جمعاً أيضاً بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهالة - لأنه يجمع بها بين المغرب والعشاء وبها مسجد منسج . قال فى "الروض المطار" : طوله ثلاثة وستون ذراعاً ، وعرضه خمسون ذراعاً ، وأرتفاع جداره عشرة أذرع .

الثالث - (عَرَفَةُ) - بفتح العين والراء المهملتين والفاء هاء فى الآخر - ويقال فيه أيضاً عَرَافَاتٌ على الجمع ، وبه جاء القراءان فى قوله تعالى : (فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ) وهو موقف الحج ، وسمى عَرَافَاتٍ لتعارف آدم عليه السلام وحواء به . قال كعب الأحمار : أهبط آدم عليه السلام بالهند ، وحواء بِرَقَّةً ، وإبليس بِجُدَّةً ، والحیة بِأَصْبَهَانَ ، وأمر الله تعالى آدم بحج البيت لحج ، فكان حيث وضع قدمه تنفجر الأنهار وتنبى المساجد . فلما وصل إلى عرفة ، وجد بها حواء فتعارفا بها .

الضرب الثانى

(قُراها ومَحَالِفُهَا)

وَأَعْلَمُ أَنَّ أَكْثَرَ جِبَالِ مَكَّةَ وَأَوْدِيَّتِهَا مَسْكُونَةٌ مَعْمُورَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بِهَا قَرْيَةٌ مَقَرَّةٌ إِلَّا حَيْثُ الْمَاءُ وَالْعِيُونُ الْجَارِيَةُ وَالْحِدَائِقُ الْمُحْدَقَةُ ، وَالْمَشْهُورُ مِنْ ذَلِكَ عَشْرَةٌ أَمَا كُنْ .

الأول - (جُدَّة) - بضم الجيم وتشديد الدال المهملة ثم هاء - وهي قُرُصَةُ مكة على ساحل بحر القلزم ، وموقعها في أول الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة ، وهي في القُرب عن مكة بميلة إلى الشمال . قال في "الأطوال" : طولها ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . ووافقته على ذلك في "القانون" . وقال في "رسم المعمور" : طولها خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها على ما تقدم . وهي مينا عظيمة محل حط وإقلاع ، إليها تنتهى المراكب من مصر واليمن وغيرها ، وعنها تصدر من مكة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من مكة على مرحلتين . وقال الإدريسي : بينهما أربعون ميلاً ، وهي ميقات من قطع البحر من جهة عِدَابَ إليها .

الثاني - (بَطْنُ نَخْلٍ) - وضبطه معروف ، ويقال فيه أيضاً وادى نَخْلَةٌ على التوحيد ونخلة بإسقاط لفظ وادى . قال الجوهري : وبه كانت العُزَّى التي هي أحد صواغيت قُرَيْش ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم إليها خالد بن الوليد فهدمها ، وهي الآن بيد هُدَيْل ، وهي قُرَى مجتمعة ذات عيون وحدائق ومزدرع . أخبرني بعض أهل الحجاز أن بها نحو أربعة عشر نهراً على كل نهر قرية ، وغالب فواكه مكة وقطانيتها وبقولها منها ، ومنها يصب الماء إلى بطن مَرِّ الآتي ذكره .

الثالث - (الطائِف) - بالفتح ولام لازمتين فطاء مهملة مشددة مفتوحة بعدها ألف وياء مشاة تحت مكسورة ثم فاء - وهو بلد شرقي بطن نخل المتقدم ذكرها ، وبطن نخل بينه وبين مكة . قيل سميت الطائف لأنبأ في طوفان نوح انقطعت من الشام وحملها الماء وطافت بالأرض حتى أرست في هذا الموضع . وقال في "الروض المعطار" : أسمها القديم وَجْ يعني بواو مفتوحة وجيم مشددة - سميت برجل من العمالة ، ثم سكنها قَيْف فبنوا عليها حائطاً مطبقاً بها فسميت الطائف .

قال : وهى إحدى القريتين المذكورتين فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ . قال فى "تقويم البلدان" : وهى من المجاز تقرىبا ، وموقعها فى أوائل الإقليم الثانى . وقال ابن سعيد : طولها ثمان وستون درجة وإحدى وثلاثون دقيقة ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وأربعون دقيقة ، وهو بلد خصيب كثير الفواكه المختلفة مما يشابه فواكه الشام وغيرها ، وهى طيبة الهواء إلا أنها شديدة البرد حتى إنه ربما جمد الماء بها لشدة بردها .

الرابع - (بَطْنُ مَرَّة) - بفتح الباء الموحدة وسكون الطاء المهملات ونون بعدها ثم ميم مفتوحة وراء مهملات مشددة - وهو واد من أودية المجاز فى الشمال عن مكة على مرحلة منها على طريق مُجَجَّاج مصر والشام . قال فى "الأطوال" : طولها سبع وستون درجة وعرضها إحدى وعشرون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى بقعة بها عدة عيون ومياه تجري ونخيل كثير ، والنخل والمزدرع متصل من وادى نخلة إليها . وذكر غيره أن بها نحو أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية ، ومنها تُجَمَّلُ الفواكه والبقولات إلى مكة كما تحمل من نخلة والطائف . وهى بيد بنى حسن أمراء مكة .

الخامس - (المَهْدَة) - بالفاء ولام ثم هاء ودال مهملات مفتوحتين وهاء ساكنة فى الآخر - وهو واد على القرب من بطن مَرَّة ، على مرحلة ونصف من مكة ، به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ، وهى بيد بنى جابر .

السادس - (عُسْفَانُ) - بضم العين وسكون السين المهملتين وفتح الفاء ثم ألف ونون - وهو واد معروف على طريق مُجَجَّاج مصر ، على ثلاث مراحل من مكة ، كان بها حدائق ومياه تنصب إليها من الهده المذكورة ، وهى الآن خراب ليس بها عمارة .

السابع - (الْبَرْزَةُ) - بألف ولام ثم باء موحدة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وزاى معجمة مفتوحة وهاء فى الآخر - وهى واد بالقرب من عُسْفَانَ على مرحلتين من مكة ؛ به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية ؛ وهى الآن بيد بنى سلول وبنى مَعْبِد بضم الميم وفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة المفتوحة .

الثامن - (خُلَيْصٌ) - بضم الخاء المعجمة وفتح اللام وإسكان الياء المثناة تحت والصاد المهملة - وهو واد على طريق مُجَجَّاج مصر على أربع مراحل من مكة ؛ به نحو تسعة أنهر على كل نهر قرية .

التاسع - (وادى كُلَيْة) - بضم الكاف وفتح اللام وتشديد الياء المثناة تحت المفتوحة وهاء فى الآخر - وهو واد بالقرب من خُلَيْص به نحو سبعة أنهر على كل نهر قرية ، وكان بيد سُليم ، وقد خرب من مدة قريبة بعد الثمانين والسبعائة .

العاشر - (مَرُّ الظُّهْرَانِ) - بفتح الميم وتشديد الراء المهملة ثم ألف ولام وظاء معجمة مفتوحة وهاء ساكنة وراء مهملة مفتوحة بعدها ألف ونون - وهو موضع بينه وبين مكة نحو ستة عشر ميلا ، وهو الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ! عند صلحه مع قريش ، كان به ضياع كثيرة وهو الآن خراب . قال فى "الروض المعمار" : وبه حصن كبير ، كان يسكنه شُكْر بن الحسن بن على بن جعفر الحنفى يعنى أمير مكة الآتى ذكره فى جملة أمرائها .

الطرف السابع

(في ذكر ملوك مكة ، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

اعلم أن مكة بعد الطوفان كان ملوكها في عاد . وكان بها منهم معاوية بن بكر بن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان مع معاوية بن بكر (وهو عاد) الآخرة فيما يقال) يعرب ثم غلبهم الهالقة عليها . فلما غلب ابن قحطان بن عابر بن شالخ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح عادا على اليمن وفوق ملك اليمن في إخوته ، استولى على الحجاز وأخرج الهالقة منه وولى أخاه جرهم بن قحطان على الحجاز ، فبقي به حتى مات . فملك بعده ابنه عبد ياليل . ثم ملك من بعده ابنه جرهم ، ثم ملك بعده ابنه عبد المدان ، ثم ملك بعده ابنه بقليل ، ثم ملك بعده ابنه عبد المسيح ، ثم ملك بعده ابنه مضاض ، ثم ملك بعده ابنه الحرث ، ثم ملك بعده مضاض بن عمرو بن مضاض .

قال ابن سعيد : وجرهم هذه هم الذين بعث إليهم إسماعيل عليه السلام وتزوج فيهم ، وكانت قبلهم جرهم أخرى مع عاد . قال في " الروض المطار " : وفي ذلك يقول عمرو بن الحرث بن مضاض ، وهو التاسع من ملوك جرهم المتقدم ذكرهم :
وصاهرنا من أكرم الناس والدا * فابناؤه منا ونحن الأصاهر !

قال صاحب حاة في " تاريخه " : وقد اختلف المؤرخون في أمر الملك على الحجاز بين جرهم وبين إسماعيل ، فبعضهم يقول : كان الملك في جرهم ، ومفاتيح الكعبة وسداتها في يد ولد إسماعيل ، وبعضهم يقول : إن قيادار بن إسماعيل توجه أخواه من جرهم وعقدوا له الملك عليهم بالحجاز .

وأما سِدَانَةُ الْبَيْتِ ومفاتيحه فكانت مع بنى إِسْمَاعِيلَ بلا خلاف حتى أَتَتْهُ ذَلِكَ إِلَى نَائِيَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، فَصَارَتْ السِّدَانَةُ بَعْدَهُمْ بِحُرْمٍ ، وَبَدَلَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلَ عَمْرِو بْنِ الْحَرِثِ :

وَكُنَّا وَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَائِيَةٍ * نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ وَالْأَمْرُ ظَاهِرٌ !
وَذَكَرَ فِي " الرُّوضِ الْمَطَارِ " : أَنَّهُ كَانَ مَعَ جُرْهُمَ بِمَكَّةَ قَطُورًا ، وَجُرْهُمَ وَقَطُورًا إِخْوَانٌ ، وَكَانَ مَتَزِلُ جُرْهُمَ أَعْلَى مَكَّةَ بَقْعِيَّةً مَا نَ فِيهَا حَازَ ، وَنَتَزِلُ قَطُورًا أَسْفَلَ مَكَّةَ بِأَجْيَادٍ فَمَا حَازَ ، وَأَتَتْهُ رِيَاةُ قَطُورًا فِي زَمَنِ مُضَاضِ بْنِ عَبْدِ الْمَسِيحِ الْمُتَقَدِّمِ ذَكَرَهُ إِلَى السَّمِيدِ ، وَكَانَ مُضَاضٌ يُعَشِّرُ مَنْ دَخَلَ مَكَّةَ مِنْ أَعْلَاهَا ، وَالسَّمِيدُ عَشْرَ مَنْ دَخَلَ مِنْ أَسْفَلِهَا ، ثُمَّ بَغَى بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَتَنَافَسُوا الْمَلِكَ وَأَقْتَلَوْا فَفُتِلَ السَّمِيدُ ، وَأَسْتَقْلَ مُضَاضٌ بِالْأَمْرِ ، وَبَقِيَ جُرْهُمُ وَلَاةَ الْبَيْتِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ سَنَةٍ فَآكَلُوا مَالَ الْكَبَةِ الَّتِي يَهْدَى إِلَيْهَا وَاسْتَقْلُوا حَرَمَهَا ، وَبَلَغَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَكَانًا يَزْنِي فِيهِ (١) الْكَبَةِ فَزْنَى فِيهَا ، وَلَمْ يَتَنَاهَوْا حَتَّى يُقَالَ إِنَّ إِسَافَ ابْنَ سَهْلٍ زْنَى بِبَنَاتِلَةَ بِنْتِ عَمْرِو بْنِ ذُوَيْبٍ فِي جَوْفِ الْكَبَةِ فَمَسَحَا بِحَجَرَيْنِ ، وَنَضَبَ مَاءً زَمَزَمَ لِكَثْرَةِ الْبَغْيِ وَدَرَسَتْ مَعَالِمُهَا ، ثُمَّ جَاءَ عَمْرِو بْنُ لُحْيٍ فَغَيَّرَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَدَّلَهُ وَبَعَثَ الْعَرَبَ عَلَى عِبَادَةِ التَّمَانِيلِ ، وَعُمُرُ ثَلَاثَةِ سَنَةٍ وَنَحْسَا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَبَلَغَ مِنَ الْوَلَدِ وَوَلَدِ الْوَلَدِ أَلْفَيْنِ .

ثُمَّ صَارَتْ سِدَانَةُ الْبَيْتِ وَمِفَاتِيحُهُ إِلَى تُخْرَاعَةَ بْنِ الْأَزْدِ مِنْ بَنِي كَهْلَانَ بْنِ سَبَّاحٍ مِنَ الْعَرَبِ الْعَرَابَةِ ، وَكَانَتْ مَنَازِلُهُمْ مِنْ حِينَ تَفَرَّقَ عَرَبُ الْيَمَنِ بِسَبَبِ سَيْلِ الْعَرِمِ بِبَطْنِ مَرَّةٍ عَلَى الْقَرَبِ مِنْ مَكَّةَ ، وَصَارَتْ لَهُمُ الرِّيَاةُ بِسِدَانَةِ الْبَيْتِ ، وَبَقِيَ السِّدَانَةُ بِيَدِهِمْ

(١) فِي " السَّبَائِكِ " وَ" الْعَرَبِ " بِدُونِ أَلْفٍ .

(٢) يَأْيُضُ بِالْأَصْلِ ، وَلَيْلُ أَهْلِهِ " دَخَلَ " كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ .

إلى أن آتته إلى أبي غنشان: سليمان بن عمرو الخزازي في زمن بهرام جور بن يزيد
من ملوك الفرس؛ ورئيس قريش يومئذ قصى بن كلاب، فأجتمع قصى مع أبي غنشان
على شرايب بالطائف، فلما سكر أبو غنشان أشتري قصى سدانة البيت منه بزر نمر
وتسلم مفاتيحه وأشهد عليه بذلك، وأرسل ابنه عبد الدار بها إلى البيت فرفع صوته
وقال: يامعشر قريش! هذه المفاتيح: مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل، قد رثها الله عليكم
من غير عار ولا ظلم. فلما سمعها أبو غنشان ندب حيث لا ينفعه الندم، ويقال ^(١) "أخسر
من صفقة أبي غنشان" وأكثر الشعراء القول في ذلك حتى قال بعضهم:

بَاعَتْ خُرَاعَةُ بَيْتِ اللَّهِ إِذْ سَكِرَتْ * بِزِقِ نَحْرٍ، فَبُيِّنَتْ صَفْقَةُ الْبَادِي
بَاعَتْ سِدَاتَهَا بِالْزَّرِّ وَأَنْصَرَفَتْ * عَنِ الْمَقَامِ وَظِلِّ الْبَيْتِ وَالنَّادِي

ولما وقع ذلك عدت خراعة على قصى فظهر عليهم وأجلاهم عن مكة؛ وكان بمكة
عرب يجيئون الحجيج إلى الموقف، وكان لهم بذلك رياسة فأجلاهم قصى عن مكة
أيضا وأنفرد بالرياسة. قال السكري في "الأوائل": وكان أول من نال الملك من
ولد النضر بن كنانة.

ولما تم لقصى ذلك بنى دار الندوة بمكة، فكانت قريش تقضى فيها أمورها
فلا تُنكح ولا تساور في أمر حرب ولا غيره إلا فيها؛ ولم تزل الرياسة فيه وفي بنيه
بعد ذلك. فولد له من الولد عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى.

ثم انتقلت الرياسة العظمى بعد ذلك لبني عبد مناف، وكان له من الولد هاشم
وعبد شمس والمطلب ونوفل؛ وكان هاشم أرفعهم قدرا وأعظمهم شانا، وإليه انتهت
سيادة قومه؛ وكانت إليه الرقادة وسقاية الحجيج بمكة؛ وكانت قريش تجارا،
وكانت تجارتهم لا تعدو مكة وما حولها فخرج هاشم إلى الشام حتى تزل بقيصر

ملك الروم فسأله كاتبة أمان لتجار قريش ، فكتب له كتابا لكل من مر عليه ، فخرج هاشم فكلما مر بجي من العرب أخذ من أشرافهم أمانا لقومه حتى قدم مكة ، فانهم بأعظم شيء أتوا به قط بركة ، فخرجوا بتجارة عظيمة وخرج معهم حتى أوردتهم الشام ، وخرج أخوه المطلب إلى اليمن فأخذ لهم أمانا من ملكه ، وخرج أخوها عبد شمس إلى ملك الحبشة فأخذ لهم أمانا كذلك ، وخرج أخوهم نوفل إلى كسرى ملك الفرس فأخذ لهم منه أمانا . وكانت قريش يرحلون في الشتاء للشام وفي الصيف لليمن ، وآتست معاشهم بسبب ذلك ، وكثرت أموالهم حتى آمن الله عليهم بذلك بقوله : ﴿ لِيُثْلِفَ قُرَيْشٌ إِثْلَافَهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ والإثلاف الأمان .

ثم ولد لهاشم عبد المطلب وبقيت الرياسة فيه ، وكانت بئر زمزم قد أنظمت ونصب ماؤها فخفراها عبد المطلب ، حتى أكمل الله تعالى نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ! .

وأما سيدانة البيت ومفاتيحه ، بقيت بيد بني عبد الدار بن قصي المتقدم ذكره من حين تسلمها عبد الدار عند أخذها من أبي غبشان الخزاعي حتى صارت لبني شيبه من بني عبد الدار ، وآنهت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن طلحة بن عبد الدار . فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح ، أغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وأبى أن يدفع المفتاح إليه ، وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه ، فلو على بن أبي طالب يده وأخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الكعبة فصلّى ركعتين ، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى

عثمان ويعتذر إليه ، فقال عثمان : أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق ؟ فقال له علي :
لقد أنزل الله تعالى في شأنك قرءانا وقرأ عليه الآية ، فقال عثمان : أشهد أن لا إله
إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبره أن السدانة في أولاد عثمان أبداً ، فهي باقية فيهم إلى الآن .

الضرب الثاني

(ملوكها في الإسلام ، وهم علي طباقات)

الطبقة الثالثة^(١)

(عمال النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين)

هاجر منها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قبل وفاته ، وبعج حجة الوداع في السنة
العاشرة من الهجرة ، وتوفي سنة إحدى عشرة من الهجرة وعلي مكة عثمان بن أسيد ،
وتوالت عليها عمال الخلفاء بعده إلى آخر أيام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم
الله وجهه .

الطبقة الرابعة

(عمال بني أمية من لدن معاوية رضي الله عنه إلى أنقرضهم)

ثم وثى عليها معاوية بن أبي سفيان في خلافته في سنة اثنتين وأربعين من الهجرة
خالد بن العاص بن هشام) ثم أضيفت إلى عمال المدينة إلى أيام الوليد بن عبد الملك
فكان من وليها منهم (الوليد بن عتبة) ثم (عمرو بن سعيد الأشدق) ثم (الوليد بن عتبة)

(١) هكذا في الأصل بهذا العنوان وصوابه الأول والذي يظهر أن هذا من النسخ فإن المقام لا يحتمل
السطر . ومن جهة أخرى لم يترك في الأصل بياض حتى كان يجبل أن المؤلف ترك الكلام عليه للود إليه
لحق ما هنا "الطبقة الأولى" وما بعدها "الطبقة الثانية" وهكذا حتى تتسلسل الطبقات .

ثانياً؛ ثم (مُصْعَبُ بْنُ الزَّيْرِ) من جهة أخيه عبد الله بن الزبير لما بُويع له بالخلافة؛
ثم (جَابِرُ بْنُ الْأَسَدِ) ثم (طَلْعَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ) ثم (طَارِقُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ)
ثم (الْحُجَّاجُ بْنُ يَوْسُفَ الثَّقَفِيِّ) ثم (أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ) ثم (هشام بن إسماعيل المخزومي)
ثم (عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ) .

ثم أفردها الوليد بن عبد الملك عن المدينة وولى عليها (خالد بن عبد الله القسري)
بعد عمر بن عبد العزيز ؛ ثم وليها (عبد العزيز بن خالد بن أُسَيْدٍ) أيام سليمان
أبن عبد الملك ؛ ثم عزله يزيد سنة ثلاث ومائة وأضافها مع المدينة إلى (عبد الرحمن
أبن الضحاك) ، ثم عزله عن مكة والمدينة لثلاث سنين من ولايته وولى مكانه
(عبد الواحد النضري) ، ثم عزله هشام بن عبد الملك في خلافته وولى مكانه
على مكة والمدينة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل) ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة
وولى مكانه على مكة والطائف دون المدينة (محمد بن هشام المخزومي) ؛ ثم ولى
الوليد بن يزيد في خلافته خالد (يوسف بن محمد الثقفى) على مكة مع سائر أعمال
الحجاز ؛ ثم ولى مروان على مكة وبرا الحجاز (عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز)
ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولى مكانه على مكة والحجاز (عبد الواحد)
ثم توالى عليها عمال بني أمية إلى أن أقرضت دولتهم .

الطبقة الخامسة

(عمال بني العباس)

وأولهم أبو العباس السفاح، فولى عليها وعلى المدينة وسائر الحجاز عمه (داود) ثم توفى
سنة ثلاث وثلاثين ومائة ؛ فولى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله بن عبد
الدار الحارثي) .

ثم وثى السَّقَّاحُ على ذلك سنة ثلاث وأربعين ومائة (السريُّ بن عبد الله ابن الحارث بن العباس) .

ثم عزله أبوجعفر المنصور سنة ست وأربعين ومائة ووثى مكانه عمه (عبد الصمد ابن علي) ثم عزله عنها سنة تسع وأربعين ومائة ووثى مكانه (محمد بن إبراهيم الإمام) ثم عزله ووثى مكانه (إبراهيم ابن أخيه) ثم وثى على مكة وسائر الحجاز واليمامة (جعفر بن سليمان) ؛ ثم توالى عليها العمال إلى أن وثى الرشيد في خلافته على مكة واليمن (حمادا اليزيدي^(١)) سنة أربع وثمانين ومائة .

ثم وليها في زمان الأمين (داود بن عيسى) .

ثم وليها (محمد بن عيسى) ثم عزله المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وولى مكانه ابنه (المتنصر) بن المتوكل .

ثم وليها (علي بن عيسى بن جعفر بن المنصور) ثم عزله المتوكل سنة سبع وثلاثين ومائتين ووثى مكانه (عبد الله بن محمد بن داود بن عيسى بن موسى) ثم عزله المتوكل سنة ثنتين وأربعين ومائتين ووثى مكانه (عبد الصمد بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام) ثم توالى عليها العمال من قبل خلفاء بني العباس إلى أن غلب عليها السلتيانيون الآتي ذكرهم آنفا .

الطبقة السادسة

(السلتيانيون من بني الحسن)

نسبة إلى سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط .

وكان سليمان هذا في أيام المأمون بالمدينة وحدثت الرئاسة فيها لبنيه بعد أيام ،

وكان كبيرهم آخر المائة الثالثة محمد بن سليمان الرضوي .

(١) في الكامل لابن الأثير "البربري" .

قال البيهقي : خلع طاعة العباسيين وخطب لنفسه بالإمامة في سنة إحدى وثلاثمائة في خلافة المقتدر، ثم أعترضه أبو طاهر القرمطي في سنة ثلثي عشرة وثلاثمائة، فأقطع جميع العراق بسبب ذلك .

ثم أنفذ المقتدر الحجيج من العراق في سنة سبع عشرة وثلاثمائة فوافاهم القرمطي بمكة فنههم، وخطب لعبيد الله المهدي صاحب إفريقية وقلع الحجر الأسود وباب الكعبة وحملهما إلى الأحساء، وتعطل الحج من العراق إلى أن ولي الخلافة القاهرة في سنة عشرين وثلاثمائة فحج بالناس أميره في تلك السنة .

ثم أقطع الحج من العراق بعدها إلى أن صولحت القرامطة على مال يؤديه الحجيج إليهم، فحجوا في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وخطب بمكة للرازي بن المقتدر، وفي سنة تسع وعشرين لأخيه المتقي من بعده .

ثم أقطع الحج من العراق بسبب القرامطة إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة، فخرج ركب العراق بمهادنة القرامطة في خلافة المستكني، ثم خطب بمكة لمعز الدولة ابن بويه مع المقتدر في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ثم تعطل الحج بسبب القرامطة، ثم برز أمر المنصور الفاطمي صاحب إفريقية لأحمد بن أبي سعيد أمير القرامطة بعد موت أبي طاهر بإعادة الحجر الأسود إلى مكانه فأعاده في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، وفي سنة ثنتين وأربعين وثلاثمائة حاول أمير الركب المصري الخطبة لابن الأخشيد صاحب مصر فلم يتأت له ذلك وخطب لابن بويه، وآنصلت وفود الحج من يومئذ .

وفي سنة ثلاث وخمسين خطب للقرمطي بمكة مع المطيع .

وفي سنة ست وخمسين وثلاثمائة خطب بمكة لاختيار بن معز الدولة بعد موت أبيه .

ثم في سنة ستين وثلاثمائة جهز المعز الفاطمي عسكرا من إفريقية لإقامة الخطبة له بمكة وعاضدهم بنو الحسين أهل المدينة فتمتعهم بنو الحسن أهل مكة من ذلك وأستولوا على مكة .

فلما ملك مصر المعز كان الحسن بن جعفر بن الحسن بن سليمان بالمدينة فبادر فملك مكة ودعا للمعز وكتب له المعز بالولاية ؛ ثم مات الحسن فولى مكانه أخوه عيسى .

ثم ولى بعده أبو الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم ؛ ثم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود سنة أربع وثمانين وثلاثمائة ؛ ثم جاءت عساكر عضد الدولة بن بويه ففقر الحسن وترك مكة . ولما مات المعز وولى ابنه العزيز ، بعث إلى مكة أميرا علويا فخطب له بالحرمين وأستمزت الخطبة بمكة للعلويين إلى سنة سبع وستين وثلاثمائة .

وفي سنة ثمان وستين خطب لعضد الدولة بن بويه ؛ ثم عادت الخطبة بمكة إلى الخلفاء الفاطميين بمصر ؛ ثم كتب الحاكم سنة ثنتين وأربعين وأربعمائة إلى عماله بالبراءة من أبي بكر وعمر رضى الله عنهما فأنكر ذلك أبو الفتوح أمير مكة وحمله ذلك على أن أستبد بالأمر في مكة وخطب لنفسه وتلقب بالراشد بالله ، وقطع الحاكم الميرة عن الحرمين فرجع أبو الفتوح إلى طاعته فأعاده إلى إمارته بمكة .

وفي سنة ثنتي عشرة وأربعمائة خطب بمكة للظاهر بن الحاكم ؛ ثم خطب بمكة سنة سبع وعشرين وأربعمائة للسننصر بن الظاهر ؛ ثم توفي أبو الفتوح أمير مكة المتقدم ذكره سنة ثلاثين وأربعمائة لست وأربعين سنة من إمارته .

وولى بعده إمارة مكة ابنه شكر وملك معها المدينة وأستضافها لمكة ، وجمع بين الحرمين كله ^(١) ثلاثا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة . قال ابن حزم : وكانت وفاته عن غير ولد وأقرضت بموته دولة بنى سليمان بمكة .

الطبقة السابعة

(المواشم)

نسبة إلى أبي هاشم : محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام
أبن موسى الجَوْن بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط .

كان رئيسُ المواشم لما مات شكر آخرُ أمراء السليمانيين (محمد بن جعفر) بن أبي
هاشم المذكور فاستولى على إمارة مكة في سنة أربع وخمسين وأربعمائة بعد موت
شكر، وخطب للمستنصر الفاطمي صاحب مصر، ثم خطب لابي العباس في سنة
ثمان وخمسين وأربعمائة فقطعت ميرة مصر عن مكة فمَدَّ له أهله على ذلك فأعاد
الخطبة للمستنصر الفاطمي، ثم استماله القائم العباسي وبذل له الأموال فخطب له
سنة ثنتين وستين بالموسم فقط، وكتب للمستنصر بمصر يعتذر إليه، ثم بعث إليه
السلطان ألب أرسلان السلجوقي بأموال كثيرة في سنة ثلاث وستين فخطب له بنفسه .
ثم جمع محمد بن جعفر المتقدم ذكره وزحف إلى المدينة فأخرج منها بنى الحسين
وملكها وجمع بين الحرمين .

ثم مات القائم وأقطع ما كان يصل إلى أمير مكة منه فقطع الخطبة للعباسيين .
ثم أرسل المقتدى بالله العباسي بحال فأعاد الخطبة للعباسيين فاستمرت الخطبة
لهم إلى أن مات السلطان ملكشاه السلجوقي سنة ست وثمانين وأربعمائة فأقطعت
الخطبة بمكة للعباسيين وبطل الحاج من العراق، ومات المقتدى وبويع أبنه
المستظهر، ومات المستنصر الميمني بمصر وبويع أبنه المستعلي فخطب له بمكة .

(١) لعله تحس كما يؤخذ من تاريخ أبي الفدا .

ثم مات محمد بن جعفر أمير مكة المتقدم ذكره سنة سبع وثمانين وأربعمائة لثلاث وثلاثين سنة من إمارته ؛ وولى بعده ابنه (قاسم) فكثُر اضطرابه ؛ ثم توفي سنة ثمان عشرة وخمسمائة لثلاثين سنة من إمارته .

وولى بعده ابنه أبو قُليَّة فأَفْتَحَ بالخطبة العباسية وحَسَّنَ الثناء عليه ؛ ثم مات سنة سبع وعشرين وخمسمائة لعشر سنين من إمارته وولى بعده ابنه قاسم والخطبة مستمرة للعباسيين .

ثم صنع المقتنى بابا للكعبة وأرسله إليها في سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة وحمل الباب العتيق إليه فَأَتَخَذَهُ تابوتا يدفن فيه ، وأتصلت الخطبة لبني العباس إلى سنة خمس وخمسين ، وبويع المستنجد فحُذِيَاب له كما كان يُحْطَبُ لأبيه المقتنى .

ثم قتل قاسم بن أبي قُليَّة سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وولى بعده ابنه (عيسى) في أيام العاضد : آخر خلفاء الفاطميين بمصر ، وتوفي المستنجد وبعث المستنصفي بالركب العراقى وأَقْرَضَتْ دولة الفاطميين بمصر ، وولها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فحُطِبَ له بالحرمين الشريفين .

والذى ذكره السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن عيسى عم قاسم سَيرَ الحَاجَّ في سنة ست وخمسين وخمسمائة وقام مكان ابن أخيه قاسم المذكور ، ثم عاد قاسم فملك مكة ، ثم هرب وعاد عمه عيسى فملكها وهرب قاسم إلى جبل أبي قُبَيْس فوقع عن فرسه فأمسكه عيسى وقتله .

ثم مات المستنصفي وبويع ابنه الناصر وحُطِبَ له بالحرمين ، وحجت أمه وعادت فانتهت إليه من أحوال عيسى بن قاسم أمير مكة ما عزله به ؛ وولّى مكانه أخاه (مكثُر بن قاسم) وكان جليل القدر ، وهو الذى بنى القلعة على جبل أبي قُبَيْس ، ومات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ، وبموته أَقْرَضَتْ دولة الهواشم بمكة .

وذكر السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" أن أمير حاج العراق في سنة إحدى وسبعين وخمسمائة توجه من عند الخليفة بعزله ، بخرى بينهما حرب انتهى الأمر فيها إلى أن هزم مكثر المذكور ، وأقيم أخوه داود مكانه . وما زالت الإمرة فيه تارة ، وفي أخيه مكثر تارة حتى مات داود في سنة تسع وثمانين وخمسمائة . وقال : إنه داود بن عيسى بن محمد بن أبي هاشم .

الطبقة الثامنة

(بنو قتادة)

نسبة إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن موسى بن عيسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن حسن بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وكان السبب في ولايته مكة أنها لما كانت مع المواسم كان بنو حسن مقيمين بنهر العفصية من وادي ينبع ، فجمع قتادة قومه بنى مطاعن وأسالف بنى أحمد وبنى إبراهيم وتأمر عليهم وملك ينبع ، ثم ملك الصفراء ، وسار إلى مكة فأنزرها من المواسم المتقدم ذكرهم وملكها ، وخطب للناصر لدين الله العباسي : خليفة بغداد ، وتماظم أمره حتى ملك مع مكة والينبج أطراف اليمن وبعض أعمال المدينة وبلاد نجد ، ولم يفد على أحد من الخلفاء ولا من الملوك ، وتوفي سنة سبع عشرة وستمائة ، وولي مكانه أبنة الحسن فامتعض لذلك أخوه راجح بن قتادة ، ثم قدم الملك المسعود أقسر بن الكامل صاحب اليمن سنة عشرين وستمائة من اليمن إلى مكة وملك مكة وقتل جماعة من الأشراف ونصب رايته وأزال راية أمير الركب الذي من جهة الخليفة ، فكتب الخليفة من بغداد إلى أبيه الكامل يعاتبه في ذلك ، فكتب الكامل

إلى ابنه أقسر برثُ يا أقسر من ظهر العادل إن لم أقطع يمينك ! فقد نبذت وراء
ظهرك دنياك ودينك ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ! وذهب حسن
ابن قتادة إلى بغداد صريحا فأتى بها سنة ثنتين وعشرين وسقائة ، ومات أقسر بمكة
سنة ست وعشرين ودفن بالمعل ، وبقى على مكة قائده نغر الدين بن الشيخ ، وقصد
راجح بن قتادة مكة مع عساكر عمر بن رسول فلكها من يد نغر الدين بن الشيخ
سنة تسع وعشرين وسقائة .

ثم جاءت عساكر مصر سنة ثنتين وثلاثين مع الأمير جبريل فلكوا مكة وهرب
راجح إلى اليمن ، ثم عاد ومعه عمر بن رسول صاحب اليمن بنفسه فهربت عساكر
مصر ، وملك راجح مكة وخطب للمعمر بن رسول بعد الخليفة المستنصر .

ثم غلب على مكة سنة سبع وأربعين وسقائة أبو سعد الحسن بن علي بن قتادة
ولحق راجح باليمن ، وسار بجواز بن حسن بن قتادة سنة إحدى وخمسين وسقائة إلى
الناصر بن العزيز بن الظاهر بن أيوب يدمشق مستجيبا على أبي سعد أن يقطع
ذكر صاحب اليمن ، فجهز له عسكرا وسار إلى مكة فقتل أبا سعد في الحرم وملك
مكة ، ثم وصل راجح من اليمن إلى مكة وهو شيخ كبير السن وأخرج منها جماز بن
حسن فلقح باليمن .

ثم دار أمر مكة بين أبي نعي محمد بن أبي سعد علي بن قتادة وبين غالب بن راجح
ابن قتادة ، ثم استبد أبو نعي بإمرة مكة ونفى قبيلة أبيه أبي سعد إلى اليمن ،
ولما هلك أبو نعي قام بأمر مكة من بعده أبناء رميثة وحميضة ونازعهما أخوهما
عطيفة وأبو النيث فأعتقلاهما ، ووافق ذلك وصول بريس الجاشنكير كافل الملكة
المصرية في الأيام الناصرية فأطلق عطيفة وأبا النيث وولاهما ، وأمسك رميثة
وحميضة وبعث بهما إلى مصر ، ثم رد السلطان رميثة وحميضة إلى إمارتهما بمكة

مع عسكره وبعثاً إليه بعطيفة وأبي الفيث، وبقي التنازع بينهم، وهم يتعاقبون في إمرة مكة مرة بعد أخرى وهلك أبو الفيث في بعض حروبهم ببطن مَرَّة.

ثم تنازع حمضة ورميثة وسار رميثة إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر سنة خمس عشرة وسبعائة فأمته بساكر وجَّه بها إلى مكة وأصطلحوا.

ثم خلفهم عطيفة سنة ثمان عشرة وسبعائة ووصل إلى السلطان فأمته بالعساكر فملك مكة وقبض على رميثة فسجن ثم أطلق سنة عشرين وأقام بمصر، وبقي حمضة مشرداً إلى أن أسأمن السلطان فأمته، ثم وثب بحمضة بمالك كانوا معه وقتلوه، وأطلق رميثة من السجن وأستقر شريكاً لأخيه عطيفة في إمارتها.

ثم مات عطيفة وأقام أخوه رميثة بعده مستقلاً بإمارة مكة إلى أن كبر وهَرِمَ .
وإلى ذلك أشار في "الترغيف" بقوله : وأول إمرة في رميثة وهو آخر من بقي من بيته، وعليه كان النص من أبيه دون البقية مع تداولهم لها، وكان أبناء بقية وعجلان قد أقسموا معه إمارة مكة برضاه، ثم أراد الرجوع فلم يوافقاه عليه وأستمر معه في الولاية.
ولما مات رميثة تنازع ولداه : بقية وعجلان، ونخرج بقية وبقي عجلان بمكة، ثم غلبه عليها بقية، ثم اجتمعا بمصر سنة ست وخمسين وسبعائة فولى السلطان عجلان، وفز بقية إلى المحجاز فأقام هناك منازعاً لعجلان من غير ولاية . وعجلان هو المستبد بهما مع سلوك سيرة العدل والإنصاف والتجافي عن أموال الرعية والتعزز للجاورين إلى أن توفي سنة سبع وسبعين وسبعائة .

وولى بعده ابنه أحمد، وكان قد فوض إليه الأمر في حياته وقاسمه في أمره، فقام أحمد بأمر مكة جارياً على سنن أبيه في العدل وحسن السيرة، ومات في رمضان سنة ثمان وثمانين وسبعائة في الدولة الظاهرية برقوق .

(١) عبارة الترغيف "وهي الآن في رتبة وهو الخ."

فَوُتِّي مكانه أبْنُه محمد، وكان صغيراً في كَفَّالَة عمه كَيْش بن عَجْلان فَبَقِيَ حَتَّى وَثَبَ عليه فِدَاوَى عند ملاقة المحمل فقتله ؛ ودخل أمير الركب إلى مكة فَوُتِّي عَنان ابن مُفَاس بن رَمِيْثَة مكانه .

ثم لحق عليّ بن عَجْلان بالأبواب السلطانية بمصر فولاه الظاهر برقوق سنة تسع وثمانين وسبعمائة شريكاً لِعَنان، وسار مع أمير الركب إلى مكة فهرب عَنانُ ودخل عليّ بن عَجْلان مكة فاستقل بإمارتها ؛ ثم وفد عليّ بن عَجْلان على السلطان بمصر سنة أربع وتسعين فأفرده بالإمارة وأُنزل عَنان بن مُفَاس عنده وأحسن إليه، ثم أعقله بعد ذلك وبقي عليّ بن عَجْلان في إمارة مكة حَتَّى قُتِل بِبَطْن مَرٍّ في سنة سبع وتسعين وسبعمائة .

فَوُتِّي السلطان ابن أخيه حَسَن بن أحمد مكانه وأستبد بإمارة مكة وهو بها إلى هذا العهد . وهو حسن، بن أحمد، بن عَجْلان، بن رَمِيْثَة، بن أبي نَمِيّ محمد، بن أبي سعد عليّ، بن أبي عَزِيز قُتَادَة، بن إدريس، بن مطاعن، بن عبد الكريم، بن موسى، ابن عيسى، بن سليمان، بن عبد الله، بن أبي الكرام، بن موسى الجَوْن، بن عبد الله، ابن حسن، بن الحسن السَّبُط، بن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ الله عنه .

الطرف السابع

(في ترتيب مكة المشرفة، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(فيما هو بمحاضرتها)

أما معاملاتها فعلى ما تحتم في الديار المصرية والبلاد الشامية من المعاملة بالدنانير والدرهم الثَّقَرَة ؛ وَصَنَجَتِهَا في ذلك كَصَنَجَة الديار المصرية، ويعبر عن الدرهم الثَّقَرَة فيها بالكامل، نسبة إلى الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب صاحب مصر،

وعندهم درهم آخر من فضة خالصة، مربع الشكل، وزنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، يعبرون عنه بالمسعودي نسبة إلى الملك المسعود صاحب اليمن، وهو في المعاملة بثلاثي درهم كامل^(١)،

ولم يكن بها في الزمن المتقدم فلوس يتعامل بها ثم راجت الفلوس الجُدُّ بها في أيام الموسم فيما قبل الدولة الظاهرية برفوق. ثم راجت في سائر الأوقات آخرًا، إلا أن كل درهم بها ثمانية وأربعون قلًّا على الضَّعْف من الديار المصرية، حيث كلُّ درهم فيها أربعة وعشرون فلسًا، ويعبر عن كل خمسة قراريط من الدرهم الكامل فيها بجائز، وعن الربع والسدس منه بجائزين، وتعتبر أوزانها باليمن: وهو مائتان وستون درهما، وأواقه عشرة، كل أوقية عشرة دراهم، ويكلمها بالغرارة، وكل غرارة من غرائرها^(٢) وقياس قماشها بالذراع المصري، وأسعارها في الغالب مرتفعة عن سعر مصر والشام. وأما إمرتها فلها إمرة أعرايية يمشي أميرها في إمرته على قاعدة أمراء العرب دون عادة الملوك في المواكب وغيرها، وأتباعه عرب، وأكثرهم من بني الحسن أشراف مكة، ويعبر عن أكابرهم بالقواد، وهم بمثابة الأمراء للولك، وربما استخدم المسالك الترك ومن في معانهم.

وأكثر متحصّله مما يؤخذ من التجار الواردين إلى مكة من الهند واليمن وغيرها. وأما تجهيز ركب الحجيج إليها ففي كل سنة يجهز إليها المحمّل من الديار المصرية بكسوة البيت مع أمير الركب ويكسى البيت بالكسوة المجهزة مع المحمّل، ويأخذ سدنة البيت الكسوة التي كانت على البيت، فهادئون بها الملوك وأشراف الناس، وداخل البيت كسوة أخرى من حرير مقفوش لا تحتاج إلى التغير إلا في السنين المتطاولة لعدم وصول الشمس ولس الأيدي إليها.

(١) يياض في الأصل.

ومن عادة أمير مكة أنه إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج للملاقاة، فإذا وافاه
 ترجل عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمحمل فقلب خُفَّ يده اليمنى وقبَّله خدمة
 لصاحب مصر . وقد روى ابن النجار في تاريخ المدينة النبوية من طريق الحافظ
 أبي نعيم إلى حسين بن مُصعب أنه أدرك كسوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن
 تصل إلى مكة فتتشر على الرضراض في مؤخر المسجد، ثم يُخرجُ بها إلى مكة . وذلك
 في سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين ومائة .
 وأعلم أن كسوة الكعبة لها حالان :

الحال الأول - ما كان الأمر عليه في الجاهلية . قد روى الأزرق في "أخبار
 مكة" : بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ! "نهى
 عن سَبِّ أسعد الجُمَري وهو تُبَعُّ" وكان أول من كسا الكعبة . وذَكَرَ ابن إسحاق
 عن غير واحد من أهل العلم أن أول من كسا الكعبة كُسوةً كاملة تُبَعُّ وهو أسعدُ
 أَرَى في منامه أن يكسوها فكساها الأنطاع . ثم أرى أن أكسها فكساها الوصائل
 ثيابُ حَبَرَةٍ من عَصَبِ اليمَنِ، وعن ابن جرير نحوه .

وعن ابن أبي مليكة أنه قال : بلغني أن الكعبة كانت تكسى في الجاهلية كُسى
 شَتَّى . كانت البُذُنُ تُجَلَّلُ الجَبَر والبُرد والأَكسية وغير ذلك من عَصَبِ اليمَنِ، وكان
 يُهْدَى للكعبة هدايا من كُسى شَتَّى سوى جَلالِ البُذُنِ : حَبَرٌ وَتَزَوَانَاطٌ فَكسى منه
 الكعبة، ويعمل ما بقى في خزانة الكعبة . فإذا بَلَى منها شيء أخلف عليها مكانه ثوب
 آخر، ولا يُتَرَعُّ مما عليها شيء .

وعن عبد الجبار بن الورد قال : سمعت ابن أبي مليكة يقول : كانت قريش
 في الجاهلية تَرافِدُ في كسوة الكعبة، فيضربون ذلك على القبائل بقدر أحتالها، من عهد
 قُصَيِّ بن كلاب حتى نَسَا أبو ربيعة بنُ المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وكان

يختلف إلى اليمن يتجبر فيها فأثرى في المال، فقال لقريش : أنا أكسو الكعبة وحدي سنةً وجميع قُريش سنة، فكان يفعل ذلك حتى مات : يأتي بالحريرِ الجندية من الهند فيكسو الكعبة ، فسمته قريش العذل لأنه عدل فعله بفعل قريش .

وروى الواقدي عن التَّوَّارِ بنت مالك أم زيد بن ثابت رضي الله عنه أنها قالت : رأيت قبل أن يلد زيد بن ثابت على الكعبة مطَّارِفَ نخزٍ أخضر وأصفر ، وكرَّارٍ وأكسية الأعراب وشقاق شعر .

وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى إنما كانت تكسى يوم عاشوراء إذا ذهب آخرُ الحلاج ، حتى كان بنو هاشم فكانوا يعلِّقون القصيص يوم التروية من السياج لأن يرى الناس ذلك عليها بهاءً وجمالاً ، فإذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الإزار .

وعن عطاء بن يسار عن عُمر بن الحكم قال : نذرت أمي بدنةً تتحررها عند البيت وجللتها شُفتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشُفتين ، والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر ، فنظرتُ إلى البيت يومئذ وعليه كُسي شئ من وصائل وأنطاع وكرَّارٍ ونخزٍ ومكارٍ عراقية ، كل هذا قد رأيته عليه .

قلت : حاصل الأمر أن الذي كُسيته الكعبة الأنطاع وحِبرَاتُ اليمن والبرودُ والكرَّارُ والأثماطُ والمارقُ ومطَّارِفُ النخزِ الأخضر والأصفر والأكسية وشقاق الشعر والوبر وغير ذلك .

الحال الثانية - ما كان الأمر عليه في صدر الإسلام وهلم جرا إلى زماننا .

أما في صدر الإسلام فقد روى الواقدي عن إبراهيم بن أبي حبيبة عن أبيه أن البيت كان في الجاهلية يكسى الأنطاع فكساه النبي صلى الله عليه وسلم الثيابَ اليمنيةَ ، ثم كساه عمرُ وعثمان رضي الله عنهما القبايطي . وعن ابن أبي نجيح أن عمر

أَبْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَسَا الْكَعْبَةَ الْقَبَاطِيَّ - مِنْ بَيْتِ الْمَالِ ، كَانَ يَكْتُبُ فِيهَا إِلَى مِصْرَ ، ثُمَّ عُثْمَانُ مِنْ بَعْدِهِ . فَلَمَّا كَانَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ كَسَاهَا كَسَوَتَيْنِ : كِسْوَةَ ثَمَرِ الْقَبَاطِيَّ وَكِسْوَةَ دِيبَاجٍ ، وَكَانَتْ تَكْسَى الْبِيَّاجِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، وَتَكْسَى الْقَبَاطِيَّ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ .

وَرَوَى الْأَزْرَقِيُّ عَنْ نَافِعٍ قَالَ : كَلَّفَ أَبُو عُمَرَ يَكْسُو بُذْنَهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَحْرِمَ الْقَبَاطِيَّ وَالْحَبَرَ ، وَفِي رِوَايَةِ الْأَعْمَاطِ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةِ أَلْبَسَهَا إِيَّاهَا وَإِذَا كَانَ يَوْمُ النُّحْرِ نَزَعَهَا عَنْهَا ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ الْجَحْجَحِيِّ فَنَاطَهَا عَلَى الْكَعْبَةِ . وَرَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَنْذِرُونَ كِسْوَةَ الْكَعْبَةِ وَيُهْدُونَ إِلَيْهَا الْبُذْنَ عَلَيْهَا الْحَبْرَاتُ ، فَيَبْعُثُ بِالْحَبْرَاتِ إِلَى الْبَيْتِ كِسْوَةَ . فَلَمَّا كَانَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ كَسَاهَا الدِّيَّاجَ الْخُسْرَوَانِيَّ ، فَلَمَّا كَانَ أَبُو الزَّيْرِ اتَّبَعَهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَكَانَ يَبْعُثُ إِلَى أَخِيهِ مُضْعَبِ بْنِ الزَّيْرِ يَبْعُثُ بِالْكِسْوَةِ كُلِّ سَنَةٍ وَكَانَتْ تَكْسَى يَوْمَ عَاشُورَاءَ .

قَالَ الْأَزْرَقِيُّ : وَقَدْ قِيلَ إِنَّ ابْنَ الزَّيْرِ أَوَّلَ مَنْ كَسَاهُ الدِّيَّاجَ . قَالَ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فِي كِتَابِهِ " الْأَوَائِلُ " : وَهُوَ الصَّحِيحُ .

وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ كَلَّفَ يَبْعُثُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِالْبِيَّاجِ مِنَ الشَّامِ فَيُفْتَرِّجُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ فَيُنْشَرُ يَوْمًا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَسَاطِينِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا ، ثُمَّ يَطْوَى وَيَبْعُثُ بِهِ إِلَى مَكَّةَ . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ أَوَّلَ مَنْ كَسَا الْكَعْبَةَ الدِّيَّاجَ . قَالَ الْمَسَاوِدِيُّ : وَكَسَاهُ أَبُو أُمَيَّةٍ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِمُ الْحُلَّالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَى أَهْلِ نَجْرَانَ فِي جَزِيرَتِهِمْ ، وَالدِّيَّاجِ مِنْ فَوْقِهَا .

قَالَ الْأَزْرَقِيُّ : وَلَمَّا جِئَ الْمَهْدِيُّ فِي سَنَةِ سِتِّينَ وَمِائَتَيْنِ^(١) ، رُفِعَ إِلَيْهِ أَنَّ ثِيَابَ الْكَعْبَةِ قَدْ أَتَقَلَّتْهَا وَيَخَافُ عَلَى جُذْرَانِهَا مِنْ ثِقَلِ الْكِسْوَةِ ، فَخَرَّجَهَا حَتَّى لَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ

الكسوة، ثم أفرغ عليها ثلاث كُئى : قباطى ونزوديساج . ولما غلب حسينُ
أبن حسن الطالبى على مكة فى سنة مائتين، وجد ثيابها قد ثقلت عليها أيضا فجزدها
فى أول يوم من المحرم وكساها كسوتين من قَزْ رقيق إحداها صفراء والأخرى بيضاء
مكتوب بينهما .

”بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار.“
”أمر أبو السرايا الأصغر بن الأصغر راعية آل محمد صلوات الله عليه وسلامه بعمل“
”هذه الكسوة لبيت الله الحرام“ .

وذكر الأزرق عن جده أن الكعبة كانت تكئى فى كل سنة كسوة ديباج يعنى
أحمر وكسوة قباطى . فأما الديباج فتكساه يوم التروية ، فيعلق القميص ويدلى
ولا يخطأ ، وإذا صدر الناس من منى خيط القميص وترك الإزار حتى يذهب الحاج
لثلاث يخزقوه . فإذا كان يوم عاشوراء علق عليها الإزار يوصل بالقميص ، وكأن المراد
بالإزار ما تدركه الأيدي فى الطواف وبالقميص ما فوق ذلك إلى أعلى الكعبة ،
فلا تزال هذه الكسوة الديباج عليها حتى يوم سبع وعشرين من شهر رمضان
فتكئى القباطى القطن .

فلما كانت خلافة المأمون رفع إليه أن الديباج يئلى ويتفروق قبل أن يبلغ الفطر،
فسال المأمون صاحب بريد مكة فى أى الكسوة الكعبة أحسن ؟ فقال له :
فى البياض ، فأمر بكسوة من ديباج أبيض ، علمت سنة ست ومائتين ويُمَث بها إلى
الكعبة ، فصارت الكعبة تكئى ثلاث كئى : تكئى الديباج الأحمر يوم التروية ،
وتكئى القباطى يوم هلال رجب ، وتكئى الديباج الأبيض يوم سبع وعشرين من
شهر رمضان للفطر .

ثم رفع إلى المأمون أيضا أن إزار الديباج الأبيض يتخزق ويّيل في أيام الحج من مسّ الحاج قبل أن يُحاط عليها إزار الديباج الأحمر في عاشوراء ، فزادها إزار ديباج أبيض تُكشاه يوم التَّروِيَةِ ، فيستر به ما تخزق من الإزار الذي كسبته .

ثم رفع إلى المتوكل في سنة أربعين ومائتين أن إزار الديباج الأحمر يّيل قبل هلال رجب من مسّ الناس ومسحهم بالكعبة ، فزادها إزارين مع الإزار الأول ، فأذال قيصها الديباج الأحمر وأسبله حتى بلغ الأرض ، ثم جعل الإزار فوقه ، في كل شهرين إزار ، ثم نظر الحجة فإذا الإزار الثاني لا يحتاج إليه ، فوضع في تابوت الكعبة وكتبوا إلى المتوكل أن إزارا واحدا مع مأذيل من قيصها ، فصاريث بإزار واحد فكسبى بعد ثلاثة أشهر ، فيكون الذيل ثلاثة أشهر .

ثم في سنة ثلاث وأربعين ومائتين أمر المتوكل بإذالة القميص القباطي حتى بلغ الشاذروان الذي تحت الكسوة . قال الماوردي : ثم كسا المتوكل أساطينه الديباج .

وقد حكى المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" أن الفاطميين خلفاء مصر في إمارة أبي الحسن جعفر من السليمانيين على مكة في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة كسوا الكعبة البيضاء .

قلت : ثم رفع الأمر في خلفاء بني العباس ببغداد إلى شعاهم من السواد ، فالبسوا الكعبة الديباج الأسود ، ثم جرى ملوك مصر عند استيلائهم على الحجاز على لباسها السواد .

والذي جرى عليه الحال في زماننا إلى آخر الدولة الفاطمية برقوق وأوائل الدولة الناصرية ولده أن الكعبة تُكسّى الديباج الأسود كسوة مسبلة من أعلى

الكعبة إلى أسفلها مرقوما بأعلىها طراز رقم بالبياض من أصل النسيج مكتوب فيه ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ۖ ﴾ الآيات ، وعلى الباب برقع من نسبة ذلك مرقوم فيه بالبياض ... (١) ... ثم في سنة ... (١) ... وثمانمائة في الدولة الناصرية فرج بن برقوق غير الطراز من لون البياض إلى لون الصُفرة ، فصار الرقم في السواد بحرر أصفر مقصَّب بالذهب ، ولا يخفى أنه أنفس من الأول والثاني أبيض منه لشدة مضادة ما بين البياض والسواد ، ثم جعل بعض جوانب الكسوة ديباجا أسود على العادة ، وبعضها كخا أسود بجامات مرقوم فيها بالبياض " لا إله إلا الله محمد رسول الله " . ثم جعل بعد ذلك برقع البيت من حرر أسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب فزاد نفاسة وعلا قيمة . ثم في سنة أربع عشرة وثمانمائة جعل واجهة الباب من الكسوة كخا أزرق بجامات مكتوب فيها ... (٢) ... والله العالم ما كان وما يكون .

قلت : وحاصل ما تقدم أن الذي أشتملت عليه أصناف الكسوة في الإسلام الثياب البمانية ، والقباطي المصرية ، والحبر والأنماط والحلل التجرانية ، والديباج الأبيض ، والديباج الأحمر ، والديباج الأخضر ، والديباج الأصفر ، والديباج الأسود ، والديباج الأزرق .

وأما تجريد الكعبة من ثيابها ، فقد ذكر الأزرق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت يترع كسوة البيت في كل سنة فيقسمها على الحاج . وعن ابن أبي مليكة أنه قال : كانت على الكعبة كسوة كثيرة من كسوة أهل الجاهلية : من الأنماط والأكسية والكرار والأنماط ، فكانت ركاماً بعضها فوق بعض .

(١) في الأصل بياض بهذا المقدار .

(٢) له وإن كان أبيض من لشدة الخ تأمل .

(٣) في الأصل بياض بهذا المقدار .

فلما كسبت في الإسلام من بيت المال، كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء إلى أن كانت أيام معاوية فكتب إليه شيعة بن عثمان المجبيُّ يرغب إليه في تخفيفها من كسب الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم لتجاستهم، فكتب إليه معاوية أنَّ جَرَدَهَا، وبعث إليه بكسوة من ديباج وقباطى وجِبرَة، فجَرَدَهَا شيعةً حتى لم يبق عليها شيء، وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية، وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة؛ وكان ابن عباس حاضرا في المسجد وهم يجردونها فلم ينكر ذلك ولا كرهه .

وروى أن عائشة رضى الله عنها أنكرت على شيعة ذلك ، وقالت له :بِهَا وَأَجْعَلُ مِنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وكذلك ابن عباس .

وروى الواقدي عن أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت : إذا زعت عن الكعبة ثيابها فلا يضرها من لبسها من الناس من حائض أو جنب . وقد تقدّم أن المهدي جردها حين حج في سنة ستين ومائتين؛ وحسب الطالب جردها في سنة مائتين .

قلت :والذى أستقر عليه الحال في زماننا أنها لأتليس في كل سنة غير كسوة واحدة على ما تقدم بيانه، وذلك أن الكسوة تعمل بمصر على النمط المتقدم، ثم تحمل صحبة الركب إلى مكة فيقطع ذيل الكسوة القديمة على قدر قامة من جدار الكعبة ويظهر من الجدار ما كان تحته، ويبقى أعلاها معلقا حتى يكون يوم فتدخل الكسوة المتينة وتعلق الجديدة مكانها ، ويكسب المقام من نسبة كسوة الكعبة، ويأخذ بنو شيعة الحجة الكسوة المتينة فيهدونها للجبّاج ولأهل الآفاق . وقد زاد رُفدُهم فيها من حين حصلت المغالة في كسوة الكعبة وبرقعها على ما تقدم .

”اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيلا، وتكريما ومهابة“ .

(١) سواه ومائة - أظن تاريخ خلافة المهدي .

(٢) يباشر في الأصل .

وأعلم أن جدار الكعبة كان عزيز الرؤية حين كنت الكسوة تراكم عليها ولا يبرز عنها شيءٌ، حتى إن الأزرق حكى عن جده أنه تبجح برؤية جدارها حين جردت في سنة ثلاث وستين ومائتين، وأنه رأى جدار الباب المسدود الذي كان عمله ابن الزبير في ظهرها وسده الحجاج، وشبه لون جدارها بالعنبر الأشهب.

الجملة الثانية

(فيما هو خارج عن حاضرتها)

أكثر من هو بباديتها وأوديتها القريبة منها بنو الحسن الأشرف . وقد ذكر في "التعريف" من عرب المجاز لأم، وخالد، والمتفق، والمعيد، وزاد في "مسالك الأبصار": ذكر زبيد، وبنو عمرو، والمضاربة، والمساعد، والزرار، وآل عيسى، وآل دهم، وآل جناح، والجبور . ثم قال: وديارهم يتلو بعضها بعضا . قال الحمداني: وشرق مكة حلجة، وبنو هزرمنازلم يشة .

ومنهم من ختم بنو منبه، وبنو فصيلة، ومعاوية، وآل مهدى، وبنو نصر، وبنو حاتم، والموركة، وآل زياد، وآل الصغافير، والشمابولوس . ثم قال: ومنازلهم غير متباعدة .

أما العربان بالرب المصرى إلى مكة، فمن ركة الحجاج إلى عقبة آيلة للعائد من عرب الشرقية، ومن العقبة إلى الدأماء دون عيوت القصب لى عقبة، ومن الدأماء إلى أكدي ليلي، ومن أكدي إلى آخر الوعرات بلهية، ومن آخر الوعرات إلى نهاية بدر وإلى نهاية الصفراء، وتقب على لى حسن أصحاب البنيح، وليم من أقاربهم من بنى حسن أصحاب بدر إلى رملة عالج في طرف قاع البزوة، ومن

الصفراء إلى الجحفة و رابع لُزَيْدٌ، ومن الجحفة على قَدِيد وما حولها إلى الثَّيَّةِ المعروفة بعقبة السَّوِيقِ لِسُلَيْمٍ، ومن الثَّيَّةِ على خُلَيْص إلى الثَّيَّةِ المشرفة على عُسْفَانَ إلى القَجَّ المسَمَّى بالمحاطب لبني جابر، وهم في طاعة صاحب مكة، ومن المحاطب إلى مكة المعظمة لصاحب مكة وبنى الحسن .

القاعدة الثانية

(المدينة الشريفة النبوية، على ساكنها أشرف الخلق عهد أفضل
الصلاة والسلام والتحية والإكرام، وفيها ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في حاضرتها)

المدينة ضبَّطُهَا معروف، وهو أسم غلب عليها، وبه نطق القرءان الكريم في قوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ . وقوله : ﴿ وَبَيْنَ حَوْلكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ أَفْقُونَ وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ﴾ . وأسمها القديم يَثْرِبُ وبه نطق القرءان في قوله تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ .

قال الزجاجي : وهو يَثْرِبُ، بن قانية، بن مهلائيل، بن إرم، بن عييل، بن عوص، ابن إرم، بن سام، بن نوح، هو الذي بناها، وورد ذكره في الحديث أيضا . قال الشيخ عماد الدين بن كثير في " تفسيره " وحديث النبي عن تسميتها بذلك ضعيف ؛ وسمَّها الله تعالى الدار بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . وسمَّها النبي صلى الله عليه وسلم طَيِّبَةً (فتح الطاء المهملة وسكون الياء وفتح الباء الموحدة بسدها هاء) وطَّابَةٌ بإبدال الياء بعد الطاء بآلف . قال النووي : وهما من الطيب وهو الرائحة الحسنة، وقيل من الطيب خلاف الردي، وقيل من الطيب بمعنى

الطاهر ، وقيل من طيب العيش . وزاد السبيل في أسمائها الجارية بالحلم والباء
الموحدة ، والمحبة ، والمحبة ، والقاسمة ، والمحجورة ، والعذراء ، والمرحومة ؛ وكانت
تدعى في الجاهلية غلبة لأن اليهود غلبوا عليها المالحق ، والأوس والخزرج غلبوا عليها
اليهود . قال صاحب حماة : وهى من الجحاز ، وقيل من نجد ، وموقعها قريب من
وسط الإقليم الثانى من الأقاليم السبعة . قال فى كتاب "الأطوال" : وطولها خمس
وستون درجة وثلاث ، وعرضها إحدى وعشرون درجة . وقال فى "القانون" :
طولها سبع وستون درجة ونصف ، وعرضها إحدى وعشرون درجة وثلاث .
وقال ابن سعيد : طولها خمس وستون درجة وثلاث ، وعرضها خمس وعشرون
درجة وإحدى وثلاثون دقيقة . وقال فى "رسم المعمور" : طولها خمس وستون
درجة وعشرون دقيقة ، وعرضها خمس وعشرون درجة .

وقد ذكر صاحب "المنهاج الدائم" بمولد أبى القاسم " أن أول من بناها بُعِثَ
الأول ، وذكر أنه مَرَّ بمكانها وهى يومئذ متزلة بها أدين ماء ، فأخبره أربعمائة عالم من
علماء أهل الكتاب لم علم يرجعون إليه أن هذا موضع مُهاجرٍ نبيٍّ يخرج فى آخر
الزمان من مكة اسمه محمد ! وهو إمامُ الحق ، فأمن بالنبي صلى الله عليه وسلم !
وبنى المدينة ، وأنزلهم بها وأعطى كلّا منهم مالا يكفيه وكتب كتابا فيه :

"أما بعد يا محمد فإني آمنتُ بك وبرَبِّك ، وبكل ما جاء من ربك"
"من شرائع الإسلام والإيمان ، وإني قلتُ ذلك فإن أدركك فيها"
"ونعمت ، وإن لم أدركك فاشفعْ لى يوم القيامة ، ولا تنسَنى فإني من"
"أمتك الأولين ، وتابعتك قبل مجيئك ، وقبل أن يرسلك الله ، وأنا على"
"ملة أبيك إبراهيم !"

وختم الكتاب ونقش عليه : (اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) .

وكتب عنوانه .

”إلى محمد بن عبد الله خاتم المرسلين ، ورسول رب العالمين ، صلى الله
”عليه وسلم ! من تبع الأول حمير ، أمانة الله في يد من وقع إليه أن يدفعه “
”إلى صاحبه “

ودفع الكتاب إلى رئيس العلماء المذكورين ، وتداوله بنوه بعده إلى أن هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم ! إلى المدينة فلقاه به بعض أولاد ذلك العالم بين مكة
والمدينة ، وتاريخ الكتاب يومئذ ألف سنة بغير زيادة ولا نقص . وقيل في بنائها غير
ذلك ، وهي مدينة متوسطة في مستو من الأرض ، والغالب على أرضها السباح ،
وفي شمالها جبل أحد ، وفي جنوبها جبل عير ، وكان عليها سور قديم وبخارجها
خندق محفور ، وهو الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب .

وفي سنة ست وثلاثين ومائتين بنى عليها إسماعيل بن محمد الجعدي سوراً منيعاً ،
وجتده عضد الدولة بن بويه الديلمي في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة ، وهو باق عليها
إلى الآن ؛ ولها أربعة أبواب : باب في الشرق يُخرج منه إلى البقيع ؛ وباب في الغرب
يُخرج منه إلى العقيق وقبائ ، وبين يدي هذا الباب جداول ماء جارية ، وبوسطها
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! وهو مسجد متسع إلا أنه لم يبلغ في القسار مبلغ
مسجد مكة .

قال ابن قتيبة في ”كتاب المعارف“ : وكان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم !
مبني بالآلئ وسقفه الجريد وعمده النخل ، ولم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر ،

ثم غيّر عثمان وزاد فيه عثمان زيادة كبيرة، وبنى جداره بالحجارة المقوشة وبالقصّة، وجعل عمده من حجارة مقوشة، ووسعه المهدي سنة ستين ومائة؛ وزاد فيه المأمون زيادة كبيرة في سنة اثنتين ومائتين؛ ولم تزل الملوك تتداوله بالعِمارة إلى زماننا .

وبه الحجرة الشريفة التي بها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما . بحجرتيه الشريفة دائرٌ عليه مقصورةٌ مرفوعةٌ إلى نحو السقف، عليه ستر من حرير أسود، وخارج المقصورة بين القبر والمنبر الروضة التي أخبر صلى الله عليه وسلم ! أنها روضةٌ من رياض الجنة .

وقد ذكر أهل الأثر : أن المنبر كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ! ثلاث درجات بالمقعد، وأرتفاعه ذراعان وثلاث أصابع، وعرضه ذراع راجح، وأرتفاع صدره وهو الذي يستند إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ذراع، وأرتفاع رقنائه اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم ! بيديه الكريمتين إذا جلس شبراً وأصبعان، وفيه خمسة أعواد من جوانبه الثلاثة؛ وبقي على ذلك إلى أيام معاوية فكتب إلى مروان : عامله على المدينة أن أرفعه عن الأرض فزاد من أسفله ست درجات ورفعها عليها فصار له تسع درجات بالمجلس . قيل : وصار طوله أربعة أذرع وشبراً .

ولما حج المهدي بن المنصور العباسي سنة إحدى وستين ومائة، أراد أن يعيده إلى ما كان عليه فأشار عليه الإمام مالك بتركه خشبة التهاق فتركه؛ ويقال : إن المنبر الذي صنعه معاوية ورفع منبر النبي صلى الله عليه وسلم عليه، تهاق على طول الزمان، وجدده بعض خلفاء بني العباس وأتخذ من بقايا أعواد منبر النبي صلى الله عليه وسلم أمشاطاً للتبرك، ثم أحرق هذا المنبر لما أحرق المسجد في مستهل رمضان سنة أربع وثمانين وستمائة أيام المستعصم بالله، وشغل المستعصم عن عمارته بقتال

التار ، فعمل المظفر صاحب اليمن المتبر ، وبعث به إلى المدينة سنة ست وخمسين وستمائة ، فنصب في موضع متبر النبي صلى الله عليه وسلم ! فبقى إلى سنة ست وستين وستمائة ، فأرسل الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر المتبر الموجود الآن فأزيل ذلك ووضع هذا وطوله أربعة أذرع ، ومن رأسه إلى عتبه سبعة أذرع تزيد قليلا ، ودرجاته سبع بالمقعد والأمر على ذلك إلى الآن .

الجملة الثانية

(في نواحيها وأعمالها ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(حياها ومرافقها)

وأعلم أن للدينة الشريفة حيا ، حماه النبي صلى الله عليه وسلم وحرمه كما حرم إبراهيم عليه السلام مكة . قال في "الروض المطار" : حياها اثنا عشر ميلا ؛ وخارج بابها الشرق البقيع المتقدم ذكره ، وهو مدفن أكثر أمواتها ، وهو باباء الموحدة في أوله ، ويسمى بقيع الترقيد بفتح التين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح القاف ودال مهملة في الآخر . قال "الأصمعي" : سمي بذلك لأنه قطع مابه من شجر الترقيد يوم مات عثمان رضى الله عنه . وبه قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم ! من مارية القبطية ، وقبر الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ وإلى جانبه قبر العباس : عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقبر عثمان بن عفان رضى الله عنه في قبعة دونهما ، وقبر مالك بن أنس إمام المذهب المعروف ؛ وحول المدينة حدائق النخل الأنيقة ؛ وعمرها من أطيب الثمر وأحسنه ، وغالب قوت أهلها منه .

الضرب الثاني

(في محاليفها وقرأها ، والمشهور منها ثمانية أما كن)

الأول - (قَبَاءُ) - بضم القاف وفتح الباء الموحدة وألف في الآخر - ويروي بالمد والقصر والمد أشهر . قال في "الروض المعطار" : ومن العرب من يذكره فيصرفه ، ومنهم من يؤنثه فلا يصرفه . قال : وسميت قَبَاءُ بئر كانت بدار توبة بن الحسن ابن السائب بن أبي لبابة يقال لها قَبَاءُ ، وهي قرية غربي المدينة على ميلين منها ، وبها مسجد التقوى الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله : ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ . وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي قَبَاءُ كل يوم سبت راكباً وماشيئاً ومُصَلِّاً بها مشهور .

الثاني - (خير) - بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة تحت وفتح الباء الموحدة وراء مهملة في الآخر - قال الزجاجي : سميت بخَيْرِ بن قانية وهو أول من نزلها ، وهي بلدة بالقرب من المدينة الشريفة . قال ابن سعيد : طولها أربع وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، وعرضها سبع وعشرون درجة وعشرون دقيقة . وهي بلدة عامرة أهله ذات نخيل وحدائق ومياه تجري . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بنى عترة من اليهود ، والخَيْرُ في لغة اليهود الحصن ، وهي في جهة الشمال والشرق عن المدينة على نحو ست مراحل وقيل أربع مراحل . قال الإدريسي : وهي ذات نخيل وزرع ، وكانت في صدر الإسلام دارا لبنى قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ، وبها كان السَّمُوعِل بن عدياً الشاعر المشهور .

الثالث - (فَدَكٌ) - بفتح الفاء والداال المهملة وكاف في الآخر - قال الزجاجي : سميت بفَدَك بن حام ، وقيل : سميت بفَدَك بن حام ، وهو أول من نزلها . قال

في "الروض المطار": و بينها وبين المدينة يومان، وحَصَّنَهَا يقال له الشمروخ على القرب من خير، وكان أهلها قد صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم! على النصف من ثمارها في سنة أربع من الهجرة، ولم يُوجِفَ عليها المسلمون بخيل ولا رِكَّاب فكانت له صلى الله عليه وسلم خالصة؛ وكان معاوية بن أبي سفيان قد وهبها لمروان بن الحكم، ثم أرتجعها منه لمؤجدة وجدها عليه. فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة، ردها إلى ما كانت عليه في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تُقَلُّ في أيام إمرته عشرة آلاف دينار، يتجافى عنها.

الرابع - (الصَّفراء) - مؤت أصفر - وهو واد على ست مراحل من المدينة كثير المزارع والمياه والحدائق. أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة وعشرين نهرا على كل نهر قرية، ووعوئونه تصب فضلها إلى يَبْع، وهو بيد بن حسن الشرفاء.

الخامس - (وَدَّان) - بفتح الواو وتشديد الدال المفتوحة وألف ثم نون - وهو واد به قرى خراب لا تحصى كثرة.

السادس - (الْقَرْع) - بضم الفاء وسكون الراء المهملَة وبالعين المهملَة - وهو واد في جنوبي المدينة على أربعة أيام منها يشتمل على عدة قرى أهلة، أخبرني بعض أهل الحجاز أن به أربعة عشر نهرا على كل نهر قرية، وماؤها يصب في رابغ حيث يُحْرَمُ مُجَّاج مصر، وعليها طريق المُشَاة من مكة إلى المدينة. قال في "الروض المطار": ويقال إنها أول قرية مارَتْ إسماعيل عليه السلام التمر بمكة، وهي الآن بيد بن حرب.

السابع - (الجَار) - قال في "اللباب": بفتح الجيم وألف وراء مهملَة - وهي قَرْصَة المدينة الشريفة على ثلاث مراحل منها. قال ابن حوقل: و بينها وبين ساحل الجَحْفَة نحو ثلاث مراحل، منه عن أَيْلَة على نحو عشرين مرحلة.

الثامن - (وَادَى الْقَرْيَ) - بضم القاف وفتح الراء المهملة وألف في الآخر جمع قرية . قال في "الروض المبطار" : وهي مذبنة كثيرة النخيل والبساتين والعيون ، وبها ناس من ولد جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه ، وهم الغالبون عليها ، وتُعرف بالوَادِيَيْنِ ، والذي أخبرني به بعض أهل المجاز أنه كان بها عيون كثيرة عليها عدة قُرَى غُربت لأختلاف العرب ، وهي الآن نراب لا عاصرها ولو عمرت أغنت أهل المجاز عن الميرة من غيرها .

قلت : و بالغ الإدريسي في "نزهة المشتاق" فعده من غاليها تيماء ودومة الجندل ، ومَدِينٌ ، والتحقيق خلاف ذلك .

فأما تيماء بفتح التاء المشناة من فوق وسكون الياء المشناة من تحت وميم ثم ألف في الآخر فقد عنها في "تقويم البلدان" : من بادية الشام تقريبا . قال في "العزى" : وهي حاضرة طي وبها الحصن المعروف بالأبلق المنسوب إلى السَّمُول بن عَادِيَا . قال في "تقويم البلدان" : وهي الآن أعمر من تَبُوكَ ، وبها نخيل قائمة .

وأما دومة الجندل فقال في "تقويم البلدان" : هو موضع فاصل بين الشام والعراق على سبع مراحل من دِمَشَقَ ، وبينه وبين المدينة الشريفة ثلاث عشرة مرحلة .

وأما مَدِينٌ فقد تقدم ذكرها في الكلام على كُور مصر القديمة . ووقع الكلام عليها هناك وإن كان الحق أنها من ساحل المجاز .

الجملة الثالثة

(في ذكر ملوك المدينة وأمرائها، وهم على ضربين)

الضرب الأول

(من قبل الإسلام، وهم ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(التبابعة)

قد تقدم في الكلام على بنائها نقلا عن صاحب "التهنئة الدائم" : أن تبعاً الأول هو الذي بناها وأسكنها جماعة من علماء أهل الكلب، وكتب كتاباً وأودعه عندهم ليوصله من أدركه من أبنائهم إليه، وبقي الكلب عندهم يتوارثونه حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فتلقتاه من صار إليه الكلب منهم وأوصل الكلب إليه . وحينئذ فيكون أول من ملكها التبابعة .

الطبقة الثانية

(المعلقة من ملوك الشام)

قال السهلي : وأول من نزلها منهم يثرب، بن عجيل، بن مهلائيل، بن عوص، ابن غنلق، بن لاوذ، بن إدم، بن سام، بن نوح عليه السلام فسميت به . قال في "الروض المعطار" : وكانت هذه الأمة من العالقي يقال لها جاسم، وكانوا قد استولوا على مكة وسائر الجحاز، وكانت قاعدة ملكهم يثرب، وكان آخر ملوكهم الأرقم بن أبي الأرقم .

(١) أى إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم فرياً .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني إسرائيل ومن أنضم إليهم من الأوس والخزرج)

قال في "الروض المعمار": لما ظهر موسى عليه السلام على فرعون، بعث بكتاً من بني إسرائيل إلى الحجاز وأمرهم أن لا يستبقوا^(١) منها أحداً بلغ الحلم، فقتلهم حتى انتهوا إلى ملكهم الأرقم بتياء فقتلوه وأبقوا له أبناً صغيراً ليرى موسى عليه السلام فيه رايه . فلما رجعوا به إلى الشام وجدوا موسى عليه السلام قد توفى ، فقال لهم الناس : عصيتكم وخالفتم أمر نبيكم، وحالوا بينهم وبين الشام ، فقال بعضهم لبعض : خير من بلدكم البلد الذي خرجتم منه ، فعادوا إلى الحجاز فقتلوه ، فكان ذلك أول سكنى اليهود الحجاز ، فنزل جمهورهم بمكان يقال له يثرب يجتمع السبيل واتخذوا الآطام والمنازل ، وتزل معهم جماعة من أحياء العرب من بلي وجُهمنة .

وكانت يثرب أم قرى المدينة وهي ما بين طرف قباء إلى الجرف ، ثم لما كان من سبيل العرم باليمن ما كان ، فتفرق أهل مارب ، فأتى الأوس والخزرج يثرب لليهود فغار بهم ، وكان آخر الأمر أن عقدوا بينهم وبينهم جواراً وأشتركوا وتحالفوا ، فلم يزالوا على ذلك زماناً طويلاً ، فصارت للأوس والخزرج ثروة ومال وعز جانبهم تخافهم اليهود ، فقطعوا الحلف ، وخافهم الأوس والخزرج فبعثوا إلى من لهم بالشام فاعانهم حتى أذلوا اليهود وغلّبهم عليها ، وبقيت بأيديهم حتى جاء الإسلام وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم إليها وهم رؤساؤها وحكامها .

(١) أي من الباقي والأوضح منهم .

(٢) في المسجم "أبنا شاباً جليلاً" وهو الأنسب .

الضرب الثاني

(من في زمن الإسلام ، وهم أربع طبقات)

الطبقة الأولى

(من كان بها في صدر الإسلام)

كان بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن توفى في سنة إحدى عشرة من الهجرة . ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى أن توفى سنة اثنتي عشرة من الهجرة . ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة ثلاث وعشرين . ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أن قتل في سنة خمس وثلاثين . ثم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى أن قتل سنة أربعين . ثم الحسن بن علي بن أبي طالب إلى أن سلم الأمر لمعاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة النبوية .

الطبقة الثانية

(عمال الخلفاء من بني أمية)

وولي عليها معاوية سنة اثنتين وأربعين من الهجرة (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وأربعين وولي مكانه (سعيد بن العاص) . ثم عزله سنة أربع وخمسين ورد إليها (مروان بن الحكم) . ثم عزله سنة تسع وخمسين وولي مكانه (الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان) .

ثم عزله يزيد بن معاوية عن المدينة والحجاز وولي مكانه (عمرو بن سعيد الأشدق) ثم عزله سنة إحدى وستين وأجاد (الوليد بن عتبة) .

ثم استعمل ابن الزبير عند غلبته على المدينة أخاه (مُصعباً) سنة خمس وستين؛ ثم نقله إلى البصرة وولى مكانه (جابر بن الأسود) بن عوف الزهري؛ ثم ولى مكانه (طلحة بن عبد الله) بن عوف .

ثم غلب عبد الملك بن مروان على الخلافة فبعث على المدينة (طارق بن عمرو) فغلب عليها طلحة بن عبد الله وأترعها منه . ثم أنفرد عبد الملك بالخلافة وولى على المدينة والحجاز واليمن واليمامة (الحجاج بن يوسف) وعزل طارقاً عن المدينة وجعله من جُنْدِه . ثم ولى عليها سنة سبع وسبعين (أبان بن عثمان) . ثم عزله في سنة اثنتين وثمانين وولى مكانه (هشام بن إسماعيل المخزومي) .

ثم كانت خلافة الوليد بن عبد الملك فعزل هشام بن إسماعيل وولى مكانه (عثمان ابن حيان) .

ثم تولى عليها (أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم) أيام سليمان بن عبد الملك . ثم استعمل عليها عمر بن عبد العزيز في خلافته (عبد العزيز بن أرطاة) . ثم عزله يزيد بن عبد الملك سنة ثلاث ومائة وولى مكانه (عبد الرحمن بن الضحاك) وأضاف إليه مكة؛ ثم عزله ثلاث سنين من ولايته وولى مكانه على مكة والمدينة (عبد الواحد النضرى) .

ثم عزله هشام بن عبد الملك وولى عليها وعلى مكة (إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي) . ثم عزله هشام سنة أربع عشرة ومائة وولى مكانه بالمدينة خاصة (خالد ابن عبد الملك بن الحرث بن الحكم) . ثم عزله سنة ثمان عشرة ومائة وولى مكانه (محمد بن هشام بن إسماعيل) .

ثم ولى الوليد بن يزيد في خلافته خاله (يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي) على المدينة وسائر الحجاز في سنة أربع وعشرين ومائة . ثم عزله يزيد في خلافته في سنة

ست وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز بن عمرو بن عثمان) . ثم ولى مروان^(١) على المدينة وسائر الحجاز . ثم عزله في سنة سبع وعشرين ومائة وولّى مكانه (عبد العزيز ابن عمر بن عبد العزيز) . ثم عزله في سنة تسع وعشرين ومائة وولّى مكانه على المدينة وسائر الحجاز (عبد الواحد) .

الطبقة الثالثة

(عُملها في زمن خلفاء بني العباس)

ولّى السّفاح الخلافة ولى على المدينة والحجاز واليمن واليمامة عمه (داود) . ثم توفى داود سنة ثلاث وثلاثين ومائة فولّى مكانه في جميع ذلك (زياد بن عبد الله ابن عبد المّدان الحارثي) . ثم ولى سنة ثلاث وأربعين ومائة على المدينة (محمد بن خالد ابن عبد الله القسري) . ثم آتاه في أمر فعزله وولّى مكانه (رياح بن عثمان المزني) فقتله أصحاب محمد المهدي ؛ فولّى مكانه (عبيد الله بن الربيع الحارثي) .

ثم عزله المنصور سنة ست وأربعين ومائة وولّى مكانه على المدينة (جعفر بن سليمان) . ثم عزله في سنة خمسين ومائة وولّى مكانه (الحسن بن زيد بن الحسن) . ثم عزله المنصور في سنة خمس وخمسين ومائة وولّى مكانه عمه (عبد الصمد بن علي) .

ثم عزله المهدي في خلافته سنة تسع وخمسين ومائة وولّى مكانه (محمد بن عبد الله الكثيري) . ثم عزله وولّى مكانه (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن صفوان^(٢)) . ثم عزله وولّى مكانه (زفر بن عاصم) . ثم تولى على المدينة والحجاز (جعفر ابن سليمان) . ثم كان بها (محمد بن عيسى) بعد مدة ،

(١) لم يذكر من ولاة ولعل الصواب ثم ولاة مروان | أي آخره | على المدينة الخ وأنظر الكلام على مكة

فيما سبق . (٢) في الكامل "محمد بن عبد الله الخ" .

وعزله المتوكل ووئى مكانه (المستنصر بن المتوكل) . وتوالى عليها عمال بنى العباس إلى عشر السنين والمائة .

الطبقة الرابعة

(أمراء الأشراف من بنى حسين الذين منهم الأمراء المستقزون فى إمارتها إلى الآن)

كانت الرياسة بالمدينة آخرأ لبنى الحسن بن على .

وكان منهم أبو جعفر عبد الله ، بن الحسين الأصغر ، بن على زين العابدين ، ابن الحسين السبط ، بن على ، بن أبى طالب رضى الله عنه .

وكان من جملة ولده جعفر حجة الله ، ومن ولده الحسن ، ومن ولد الحسن يحيى الفقيه النسابة ، كانت له وجاهة عظيمة ونفوذ ظاهر ، وتوفى سنة ست وسبعين ومائتين ، ومن ولده أبو القاسم طاهر بن يحيى ، ساد أهل عصره وبنى دارا بالمعيق ونزلها ، وتوفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة .

وكان من ولده الحسن بن طاهر رحل إلى الأخشيذ بمصر ، وهو يومئذ ملكها ، فأقام عنده وأقطعته الأخشيذ مأبلاً فى كل سنة مائة ألف دينار وأستقر بمصر ، وكان له من الولد طاهر بن الحسن ، وتوفى سنة تسع وعشرين وثلثمائة ، وخلف أبنه محمدا الملقب بمسلم ، وكان صديقاً لكافور الأخشيذى صاحب مصر ، ولم يكن فى زمنه بمصر أوجه منه . ولما آختل أمر الأخشيذية دعا مسلم هذا للعز صاحب إفريقية يومئذ . ولما قدم المعز إلى الديار المصرية بعد فتح جوهر القائد لها ، تلقاه مسلم بالجمال بأطراف برقة من جهة الديار المصرية ، فأكرمه وأركبه معدلاً له وأختص به ، ثم توفى سنة ست وستين وثلثمائة فصلى عليه المعز ، وكانت له جنازة عظيمة .

وكان من ولد مسلم هذا طاهر أبو الحسين ففتح طاهر بالمدينة الشريفة فقدمه بنو الحسين على أنفسهم وأستقل بإمارتها سنين ، وكان يلقب بالملج ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ؛ وولى بعده أبنه (الحسين بن طاهر) وكتبه أبو محمد . قال العتيبي : وكان موجودا في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وغلبه على إمارتها بنوع أبيه أبي أحمد القاسم بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى بن الحسن بن جعفر حجة الله وأستقلوا بها . وكان لأبي أحمد القاسم من الولد داود ويكنى أبا هاشم . وقال العتيبي : الذي ولى بعد طاهر بن مسلم صهره وأبن عمه داود بن القاسم بن عبيد الله بن طاهر ، وكانه أبا علي .

وقال ابن سعيد : ملك أبو الفتح الحسن بن جعفر من بني سليمان إمرة مكة والمدينة سنة تسعين وثلاثمائة بأمر الحاكم العبيدي وأزال إمرة بني الحسين منها ، وحاول الحاكم نقل الجسد الشريف النبوي إلى مصر ليلا فهاجت بهم ريح عظيمة أظلم منها الحق ، وكادت تقتلع المباني من أصلها ، فرتهم أبو الفتح عن ذلك وعاد إلى مكة ورجع أمراء المدينة إليها .

وكان لداود بن القاسم من الولد مهنا وهاني والحسن . قال العتيبي : ولى هاني ومهنا وكان الحسن زاهدا .

وذكر الشريف الخوافي النسابة هنا أميرا آخر منهم وهو أبو عمارة مذة كان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة . قال : وخلف الحسن بن داود أبنه هاشما وولى المدينة سنة ثمان وعشرين وأربعمائة من قبل المستنصر .

قال : وخلف مهنا بن داود عبيد الله والحسين وعمارة فولى بعده أبنه عبيد الله وكان بالمدينة سنة ثمان وأربعمائة وقتله موالى الهاشميين بالبصرة ، ثم ولى الحسين وبعده أبنه مهنا بن الحسين .

قال الشريف الخزافي : وكان لمهنا بن الحسين من الولد الحسين وعبد الله وقاسم
 فولى الحسين المدينة وقتل عبد الله في وقعة نخلة . وذكر صاحب حماة من أمرائها
 منصور بن عمار الحسفي وأنه مات في سنة خمس وتسعين وأربعمائة وقام ولده
 مقامه ولم يسمه ؛ ثم قال وهم من ولد مهنا . [وذكر منهم أيضا القاسم بن مهنا ^(١)]
 حضر مع صلاح الدين بن أيوب فتح أنطاكية سنة أربع وثمانين وخمسمائة .
 وذكر ابن سعيد عن بعض مؤرخي الحجاز أنه عدّ من جملة ملوكها قاسم بن مهنا
 وأنه ولّاه المستضيء فأقام نحسا وعشرين سنة ومات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة
 وولى أبنه سالم بن قاسم .

قال السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : وكان مع السلطان ^(٢)
 صلاح الدين يوسف بن أيوب في فتوحاته يترك به ويتيمن بصحبته ويرجع إلى
 قوله . ويقي إلى أن حضر إلى مصر للشكوى من قتادة فمات في الطريق قبل وصوله
 إلى المدينة . وولى بعده أبنه شيعة وقتل سنة سبع وأربعين وستمائة ، وولى أبنه عيسى
 مكانه . ثم قبض عليه أخوه جَمَّاز سنة تسع وأربعين وستمائة وملك مكانه ، وهو
 الذي ذكر المقر الشهابي بن فضل الله في "التعريف" : أن الإمرة في بيته إلى زمانه .
 قال ابن سعيد : وفي سنة إحدى وخمسين وستمائة ، كان بالمدينة أبو الحسين بن
 شيعة بن سالم . وقال : غيره كان بالمدينة سنة ثلاث وخمسين وستمائة .

وولى أخوه جَمَّاز فطال عمره وعمرى ومات سنة أربع وأخمس بعد السبعائة .

وولى بعده أبنه منصور بن جَمَّاز ، ثم وفد أخوه مقبل بن جَمَّاز على الظاهر بيبرس
 بمصر ، فأشرك بينهما في الإمرة والإقطاع ، ثم غاب منصور عن المدينة وأستخلف أبنه

(١) أي الملكى بآبى ظنية ، والزيادة عن ابن خلدون ليستقيم الكلام . (٢) أي قاسم الملكى بآبى ظنية .

(٣) أي سالم بن قاسم .

كيشة فهجم عليه مقبل وملكها من يده ولحق كَيْشَةُ بأحياء العرب فاستجانبهم وبهم المدينة على عمه مقبل فقتله سنة تسع وسبعائة، ورجع منصور إلى إمارته، وبقي ماجدُ ابن مقبل يستجيشُ العرب على عمه منصور بالمدينة ويخالفه إلى المدينة كلما نرج منها، ثم زحف ماجدُ سنة سبع عشرة وسبعائة، وملكها من يد عمه منصور، فاستصرخ منصور بالملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، فأنجده بالعساكر وحاصروا ماجدا بالمدينة فقرعها وملكها منصور، ثم يحفظ عليه السلطان الملك الناصر فعزله، وولّى أخاه وديّ بن جَمَازَ أَيْامًا، ثم أعاد منصور إلى ولايته، ثم هلك منصور سنة خمس وعشرين وسبعائة، فولّى ابنه كيشة مكانه فقتله عسكر ابن عمه وديّ وعاد وديّ إلى الإمارة، ثم توفي وديّ، فولّى طُفَيْلُ بن منصور بن جَمَازَ وأقرّده بإمرتها، وهو الذى ذكر المقر الشهابى فى "التعريف" : أنه كان أميرها فى زمانه، وبقي إلى سنة إحدى وخمسين وسبعائة فوقع النهب فى الركب، فقبض عليه الأمير طاز أمير الركب، وولّى مكانه سيفًا من عقب جَمَازَ، ثم وَلّى بعده فضل من عقب جَمَازَ أيضًا، ثم وَلّى بعد فضل مَاتِع من عقب جَمَازَ، ثم وَلّى جَمَازَ بن منصور، ثم قتل بسدّ العداوية أيام الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون، وأتفق أمراء الركب على تولية ابنه هبة إلى حين يرد عليهم من السلطان ما يعتمدونه، ثم ورد أمر السلطان بتولية هبة من عقب وديّ فعزل ولى وولى مكانه، ثم وَلّى بعده عطية بن منصور بن جَمَازَ، فأقام سنين، ثم عزل ولى هبة بن جَمَازَ، ثم عزل وأعيد عطية، ثم توفي عطية وهبة وولى جَمَازَ بن هبة بن جَمَازَ، ثم عزل ولى نُصَيْر بن منصور بن جَمَازَ، ثم قتل، فوثب جَمَازَ بن هبة على إمارة المدينة وأستولى عليها، فعزله السلطان، وولّى ثابت بن نُصَيْر، وهو بها إلى الآن فى سنة تسع وتسعين وسبعائة . وهو ثابت،

أبن جحاز، بن هبة، بن جحاز، بن منصور، بن جحاز، بن شيعة، بن سالم، بن قاسم،
 آبن جحاز، بن قاسم، بن مهنا، بن الحسين، بن مهنا، بن داود، بن القاسم،
 آبن عبيد الله، بن طاهر، بن يحيى، بن الحسن، بن جعفر حجة الله، بن عبد الله،
 آبن الحسين الأصغر، بن عليّ زين العابدين، بن الحسين السبط، بن عليّ بن أبي
 طالب كرم الله وجهه .

وامرئها الآن متداولة بين بنى عطية وبين بنى جحاز، وهم جميعا على مذهب
 الإمامية الرافضة يقولون بإمامة الأئمة عشر إماما وغير ذلك من معتقدات الإمامية،
 وأمرأ مكة الزيدية أخف في هذا الباب شأنا منهم .

الجملة الثالثة

(في ترتيب المدينة النبوية)

أما معاملاتها فعلى ما تقدم في الديار المصرية من المعاملة بالدنانير والدرهم، والأمر
 في الفلوس على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر وزنها في المبيعات بالمتن وهو مائتان وستون درهما
 على ما تقدم في مكة؛ ويعتبر كيلها بالمد، وقياس قماشها بالذراع الشامي؛ وأسعارها
 نحو أسعار مكة، بل ربما كانت مكة أرخص سعرا منها لقربها من ساحل البحر بمجدة .
 وأما إمارتها فإمارة أعرابية كما في مكة من غير فرق .

وأما وفود الحجيج عليها، فقد جرت العادة أن كل من قصد السبق في العود إلى
 الديار المصرية من الجند وغيرهم يزور النبي صلى الله عليه وسلم ! عند ذهاب الركب
 إلى مكة ثم يعود بعد الحج إلى مصر من غير تعريض على المدينة، وباقي الحجيج وأمير
 الركب لا يأتونها للزيارة إلا بعد انقضاء الحج .

وأعلم أن كسوة الحجرة الشريفة ليست مما يجتد في كل سنة ككافى كسوة الكعبة، بل ككسأ بليت كسوة جتدت أخرى، ويقع ذلك في كل نحو سبع سنين أو أوقار بها، وذلك أنها مصونة عن الشمس، بخلاف كسوة الكعبة فإنها بارزة للشمس فيسرع بلاءها .

وقد حكى ابن النجار في " تاريخ المدينة " أن أول من كسا الحجرة الشريفة الثياب الحسين بن أبي الهيثماء صهر الصالح طلائع بن رزيك وزير العاضد، والعاضد آخر الخلفاء الفاطميين، عمل لها ستارة من الدبيق الأبيض عليها الطرز والجامات المرقومة بالإبريسم الأصفر والأحمر، مكتوب عليها سورة يس بأمرها، والخليفة العباسي يومئذ المستضيء بأمر الله .

ولما جهزها إلى المدينة، أمتنع قاسم بن مهنا أمير المدينة يومئذ من تعليقها حتى يأذن فيه المستضيء فنقد الحسين بن أبي الهيثماء قاصدا إلى بغداد في استئذانه في ذلك فأذن فيه، فعلفت الستارة على الحجرة الشريفة نحو سنتين . ثم بعث المستضيء ستارة من الإبريسم البنفسجي عليها الطرز والجامات البيض المرقومة، وعلى دور جاماتها مرقوم " أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي " وعلى طرازها أسم الإمام المستضيء بالله، فعلقت الأولى وقعدت إلى مشهد أمير المؤمنين على بن أبي طالب كرم الله وجهه بالكوفة، وعلقت ستارة المستضيء مكانها . ثم عمل الناصر لدين الله في خلافة ستارة أخرى من الإبريسم الأسود فعلقت فوق تلك . ثم عملت أم الخليفة الناصر بعد مجيها ستارة على شكل ستارة آبتها المتقدمة المذكورة فعلقت فوق الستارتين السابق ذكرهما .

قال ابن النجار : ولم يزل الخلفاء في كل سنة يرسلون ثوبا من الحرير الأسود عليه علم ذهب يكمنى به المنبر . قال : ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها سنورا

على أبواب الحرم ، ولم يزل الأمر على ذلك إلى حين اقتراس الخلافة من بغداد ، فتولى ملوك الديار المصرية ذلك كما تولوا كسوة الكعبة على ما تقدم ذكره .

قلت : والسائرة الآن من حرير أسود عليها طرز مرقوم بحرير أبيض ، وآخر من عملها في العشر الأول من الثمانمائة السلطان الملك الظاهر برقوق .

وقد ذكر ابن النجار في " تاريخ المدينة " أيضا أن الناصر لدين الله العباسي كان يُرسل في كل سنة أربعة آلاف دينار للصدقة وألفا وخمسمائة ذراع قطن لتكفين من يموت من الفقراء ، خارجا عما يجهزه للعارة ، وما يُعده من القناديل والشرج والشمع والتند والغالية المركبة والعود : لأجل تخير المسجد .

وذكر عن يوسف بن مسلم أن زيت قناديل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ! كان يُحمل من الشام حتى أقطع في ولاية جعفر بن سليمان الأخيرة على المدينة فجعله على سوق المدينة . ثم لما ولي داود بن عيسى في سنة ثمان وسبعين ومائة ، أخرجه من بيت المال ، ثم ذكر أنه كان في زمانه في خلافة الناصر لدين الله يصل الزيت من مصر من أوقاف بها سبعة وعشرين قنطارا ، كل قنطار مائة وثلاثون رطلا بالمصري ، ومائة وستون شمة ما بين كبيرة وصغيرة ، وعلبة فيها مائة مثقال ند .

الباب الرابع

من المقالة الثانية

(في الممالك والبلدان المحيطة بمملكة الديار المصرية ؛ وفيه أربعة فصول)

الفصل الأول

(في الممالك والبلدان الشرقية عنها . وما يخروط في سلكها من شمال
أو جنوب ؛ وفيه أربعة مقاصد)

المقصد الأول

(في الممالك الصائرة إلى بيت جنكرخان ؛ وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في التعريف باسم جنكرخان ومصير الملك إليه ، وما كان له
من الأولاد ، وتقسيمه الملك فيهم)

أما اسمه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني
أن اسمه في الأصل ترجمين ، وأنه لما عظم شأنه سمي جنكرخان . وقد ذكر
في "مسالك الأبصار" عن بعضهم : أن الصواب في النطق به جنكصخان بالصاد
بدل الزاي .

وأما نسبه فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أيضا أنه جنكرخان ، بن يسوكي . بن
بهادر ، بن تومان ، بن برتيل خان ، بن تومتيه ، بن بادستقر ، بن تيدوان ديوم ، بن بغا ،
ابن بودنجي ، بن ألانقوا ، وألانقوا هذه امرأة من قبيلة من التتر تسمى قبات من
أعظم قبائلهم شهرة ، كانت متروجة بزواج أولدها ولدين اسم أحدهما بكتوت ، والآخر

بلكتوت ، ومن عقبها الطائفة المعروفة في قبائل التتر بالدلوكة إلى الآن ، ثم مات زوج ألانقوا أبو هذين الاثنين وبقيت ألانقوا أيمًا فحملت فأُنكر عليها الحمل ، وحملت إلى ولي أمرهم حينئذ فسالها من حملت ؟ فقالت : إني كنت جالسة وفرجى مكشوف ، فنزل نور ودخل في فرجى ثلاث مرات فحملت منه هذا الحمل ، وأنا حامل بثلاثة ذكور ، كل مرة من دخول ذلك النور بذكر ، فأْمهلونى حتى أضع . فإن وضعت ثلاثة ذكور فأعلموا صدق ، وإلا فدونكم وما ترون ، فأْمهلوها حتى ولدت فأتت بثلاثة ذكور ، فسمت أحدهم يوقن قوناغى^(١) ، والثانى بوسن ساغى ، والثالث بودنجير . وهو جد جنكرخان . وأولاد هذه الثلاثة يعرفون بين التتر بالنورانين نسبة إلى النور الذى زعمت أنه دخل فرجها فحملت منه . قال في "مسالك الأبصار" : "وهذه أكذوبة قبيحة ، وأحدوث غير صحيحة ، وإن صحت عن المرأة فلعلمها كانت قد سمعت بقصة مريم البتول عليها السلام : فأختالت لسلامة نفسها بالتشبه بشأها" . وأما مصير الملك إليه فقد اختلف فيه على مذهبين .

أحدهما - ما حكاه في "مسالك الأبصار" عن صاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوى : أنه كان يملك الترك ملك من عظماء الملوك يدعى أربكخان ، فتردد إليه جنكرخان في حال صغره وخدمه ، فتوسم فيه النجابة فقرّبه وأدناه وزاده في الارتقاء على أقاربه . ففسدوه فوشوا به إلى الملك حتى غيروه عليه فأضمر له المكاييد ، وكان بالقرب من أربكخان ملكهم صغيران يُخدّمانه فأطلعا على ما أضمره الملك لجنكرخان وعرفاه ما أضمره الملك له وسدّراه ، وكان جنكرخان قد لَفَّ لفيفا عظيما فجمع لفيفه من قبائل التتر وقصد ذلك الملك في جيوشه ، وكان من أعظم القبائل المحيية لدعوته قبيلتان : إحداهما تدعى إديرات والأخرى فيقورات . مع قبيلة قيات المقدم ذكرها ،

(١) وجد في العبر (ج ٥ ص ٥٢٥) فرق في الأسماء . ولم نعلم الصواب لمجمعتها فلينبه .

بجزد العساكر لأزبك خان و جرت الحرب بينهما فقتل أزبك خان وملك جنكرخان و قرب كلاً من الصغيرين وجعل كلاً منهما ترخانا، وكتب لهما بفراغهما من جميع المؤن والكلف إلى سبعة أبطن من أولادهما .

والثاني - ماحكاه السلطان عماد الدين صاحب حماة في "تاريخه" : عن محمد بن أحمد بن علي المنشي : كاتب إنشاء السلطان جلال الدين محمد بن خوارزم شاه : أن مملكة الصين كانت منقسمة من قديم الزمان إلى ستة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر، يتولى أمر كل جزء منها خان نيابة عن خاتهم الأعظم بطمناج قاعدة الصين . إلى أن كان خاتهم الأكبر في زمان السلطان خوارزم شاه يسمى الطرخان، وكان من جملة الخانات الستة الذين ينوبون عنه شخص يسمى دوشي خان ، وكان متزوجاً بعمة جنكرخان فمات دوشي خان زوج عمة جنكرخان ، فحضر جنكرخان إلى عمته معزياً ، وكان يجاور دوشي خان خات من الخانات الستة يسمى أحدهما كشلوخان والآخر قلان ، فأرسلت زوجة دوشي خان إليهما بنى زوجها إليهما وتلاطفانهما في استقرار جنكرخان ابن أخيها مكانه في الخانية على أن يكونا معاضدين له ، فأجابها إلى ذلك . فاستقر جنكرخان في الخانية مكان دوشي خان زوج عمته ، فبلغ ذلك الحسن الأعظم الطرخان فأنكر ذلك على كشلوخان وقلان المذكورين ، فانصل ذلك بهما فاجتمعا هما وجنكرخان وخلصوا طاعة الطرخان ، ثم مات أحد الخاتين وخلف أبنا اسمه كشلوخان فغلب جنكرخان على ملكه ، ثم مات الخات الآخر وأستقل جنكرخان بالملك ، ثم غلب على خوارزم شاه ، ثم على ابنه جلال الدين وأستقل بما وراء النهر .

وأما أولاد جنكرخان فقد ذكر في "مسالك الأبصار" : عن صاحب علاء الدين الجويني المتقدم ذكره أنه كان له عدة أولاد ذكور وإناث من الخواتين والسراري ، وكان أعظم نسائه أو بولي ، من تيكى ، ومن رسم المخل تعظيم الولد بنسب والدته ، وكان له من هذه أربعة أولاد معدين للأولاد الخطيرة ، هم تخت ملكة بمنزلة أربع قوائم ، وهم توشى وجفظاى ، وهو أصغرهم ، وأوكداى ، وأوتكين نويان ، وأنه جعل موضعه نقطة دائرة ملكه وبنيه حوله كحيط الدائرة ، فجعل أبنه أوكداى ولى عهده ورثته لما يتعلق بالعقل والرأى والتدبير والولاية والعزل واختيار الرجال والأعمال وعرض الجيوش وتجهيزها ، وكان موضعه فى حياة أبيه حدود ايمك وقرباق . فلما جلس بعد أبيه على تخت الملك ، أنتقل إلى الموضع الأصلي بين الخطا وبلاد الايفور ، وأعطى ذلك الموضع لولده كيوك . وجعل لأبنه أوتكين حدود بلاد الخطا ، وعين لأبنه الكبير توشى حدود قياتى (؟) إلى أقصى سفسين (؟) وبلغار ، ورثته على الصيد والقتل ، وجعل لأبنه جفظاى حدود بلاد الايفور إلى سمرقند وبخارا ، ورثته لتنفيذ الثابتات والأمور والمقابلات وما أشبه ذلك . قال ابن عطاء ملك : وكانت أولاده وأحفاده تزيد على عشرة آلاف .

وذكر عن الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن جنكرخان أولد أربعة أولاد ، وهم جو جى : وهو أكبرهم ، وكداى ، وطولى ، وأوكداى ، قتل جو جى فى حياة أبيه وخلف أولادا . قال ابن الحكيم الطيارى : وهم باتو ويقال : باطو ، وأورده ، وبركه ، وتولى ، وحتى . قال الشيخ شمس الدين المذكور : والمشهور باتو وبركه ، وأوصى بأن يكون تختة لولده الصغير أوكداى وأن تكون مملكة ما وراء النهر وما معه لولده الآخر كداى ، وجعل لأبنه جو جى دشت القبياق وما معه وأضاف إليه إيران وتبريز وهمدان

ومراغة، ولم يحصل لطول شيء. فلما مات جنكرخان أسفل أوكداى تحت أبيه،
 وأسفل جوجى بدشت التقياق وما معه، وأسفل باتو بن جوجى فيما جملة جده
 جنكرخان لأبيه جوجى من إيران وتبريز وما مع ذلك، ولم يتمكن كداى من مملكة
 ماوراء النهر، ثم مات أوكداى مالك التخت وملك بعده ولده كيوك، وكان جبارا
 قوى النفس فحكم على بنى أبيه قهرهم وأتزع ما يسد باتو بن جوجى من إيران
 وسائر مامعها، وأقام بها أميرا اسمه الجركاى. ثم جرى بينهم اختلاف كان آخر
 الأمر فيه أن أسك الجركاى وقتل وحمل إلى باتو بن جوجى وطبخه وأكله، فبلغ
 ذلك كيوك صاحب التخت فشق عليه وجمع ستمائة ألف فارس، وجمع باتو لقاته
 وسار كل منهما لمحاربة الآخر حتى كان بينهما عشرة أيام مات كيوك فكتب
 خواتينه إلى باتو يعلمونه بموته ويسألونه في أن يكون عوضه على تحت جنكرخان،
 فلم يرض ذلك وميزله منكونان بن تولى بن جوجى بن جنكرخان، وجهز معه إخوته
 قبلاى خان وهولاكو: ولدا تولى، ووجه معهم باتو أخاه بركة بن جوجى في مائة ألف
 فارس للجلسة على التخت ثم يعود، فتوجه بركة بمنكونان فأجلسه على التخت،
 ثم عاد فتر في طريقه بيخارا، فأجتمع فيها بالشيخ شمس الدين البانرزى من أصحاب
 شيخ الطريقة نجم الدين كيزى وسادته فحسن موقع كلامه منه فأسلم على يده، وهو
 أول من أسلم من بيت جنكرخان، وأشار البانرزى على بركة بموالة المستعصم خليفة
 بنى العباس ببغداد يومئذ، فكتبه وهاداه وترددت الرسل والمكاتبات بينهما. ثم إن
 منكونان بعد استقلاله تحت جده جنكرخان ملك أولاد جفطاي مملكة ماوراء النهر
 تنفيذا لما كان جنكرخان أوصى به لأبيهم جفطاي كما تقدم ومات دونه، وعلت كلمة
 منكونان صاحب التخت ووصلت إليه كتب أهل قزوین وبلاد الجبال يشكون
 من سوء مجاورة الملاحدة: وهم الإسماعيلية فجهز إليهم منكونان أخاه مكوقان^(١) لقتال

(١) لهه هولاكو كما يؤخذ من بقية الكلام.

الملاحدة وأخذ قلاعهم ، وأن يضم إلى ذلك بلاد الخليفة المستعصم فبلغ ذلك بركة
 ابن جوجى فشق عليه لصدافته مع الخليفة ، وكلم أخاه باتو فى ذلك فكتب باتو
 إلى هولاكو يمتعه من التعرض لممالك الخليفة ، فوافاه الكلب قبل أن يعبر نهر
 جيحون ، فأقام هناك ستين حتى مات باتو وتسلمن أخوه بركة بعده فكتب هولاكو
 إلى أخيه منكوتان يستأذنه فى إفاذ ما كان عزم عليه من أخذ ممالك الخليفة
 وحسن له ذلك فلم يأذله فيه فأصر هولاكو على عزمه فأوقع بالملاحدة وقتل جماعة
 أنهمهم بمالأة بركة ، وأشدت فى البلاد وقصد دشت القبجاق بلاد بركة فدهمه بركة
 بساكره فكانت الدائرة على هولاكو فكر راجعا ودخل بلاد الخليفة وقبض عليه
 وقتله وملك بلاده . وكان أمر الله قدرا مقدورا !

الجملة الثانية

(فى عقيدة جنكرخان وأتباعه فى الديانة إلى أن أسلم من أسلم منهم وما جرت

• عليه عادتهم فى الآداب وحالم فى طاعة ملوكهم)

أما عقيدتهم فقد قال صاحب علاء الدين بن عطاء ملك الجوينى : إن الظاهر
 من عموم مذاهبهم الإدانة بوحدانية الله تعالى ، وأنه خلق السموات والأرض ،
 وأنه يُنجي ويُميت ، ويعطي ويفقر ، ويعطي ويمنع ، وأنه على كل شىء قدير ، وأن منهم
 من دان باليهودية ، ومنهم من دان بالنصرانية ، ومنهم من أطرح الجميع ، ومنهم من
 تفرط بالأصنام . قال : ومن عادة بنى جنكرخان أن كل من آتعل منهم مذهباً لم ينكره
 الآخر عليه ، ثم الذى كان عليه جنكرخان فى التدبىر وجرى عليه أعقابا بعده الجرى
 على منهاج ياسة التى قررها ، وهى قوانين نحتها من عقله وقررها من ذهنه ، رتب فيها
 أحكاما وحدد فيها حدودا ربما وافق القليل منها الشريعة المحمدية ، وأكثرها مخالف

لذلك سماها الياسة الكبرى، وقد أكتبتها وأمر أن تجعل في خزانته تُتوارث عنه في أعقابها وأن يتعلمها صغار أهل بيته .

منها أن من زنى قتل ، ومن أعان أحد خصمين على الآخر قتل ، ومن بال في الماء قتل، ومن أعطى بضاعة نخسر ثم أعطى ثانيا نخسر ثم أعطى ثالثا نخسر قتل، ومن وقع حله أو قوسه فز عليه غيره ولم ينزل لمساعدته قتل، ومن وجد أسيرا أو هاربا أو عبدا ولم يرده قتل، ومن أطعم أسير قوم أو سفاه أو كساه بغير إذنهم قتل، إلى غير ذلك من الأمور التي رتبها مدام داثون به إلى الآن، وربما دان به من تخلى بحيلة الإسلام من ملوكهم . ومن معتقدهم في ذبح الحيوان أن تُلف قوائمه ويشق جوفه ويدخل أحدهم يده إلى قلبه فيمرسه بيده حتى يموت أو يخرج قلبه . ومن ذبح ذبحة المسلمين ذبح .

وأما عاداتهم في الأدب فكان من طريق جنكخان أن يعظم رؤساء كل ملة ويتخذ تعظيمهم وسيلة إلى الله تعالى، ومن حال الترف في الجملة إسقاط المؤن والكلف عن العلويين وعن الفقهاء والفقراء والزهاد والمؤذنين والأطباء وأرباب العلوم على اختلافهم ومن جرى هذا المجرى .

ومن آدابهم المستعملة أن لا يأكل أحد من يد أحد طعاما حتى يأكل المَطْعَمُ منه ولو كان المَطْعَمُ أميرا ولا يأكل أسيرا، ولا يختص أحد بالأكل وحده بل يطعم كل من وقع بصره عليه، ولا يمتاز أمير بالشَّع من الزاد دون أصحابه بل يقسمونه بالسوية، ولا يخطو أحد مَوْقَد نار ولا طبقا رآه، ومن اجتاز بقوم يأكلون فله أن يجلس إليهم ويأكل معهم من غير إذن. وأن لا يُدْخِل أحد يده في الماء بل يأخذ منه ملء فيه

(١) في الخطط للقرنيزي (ص ٢٢٠ ج ٢) ما نصه "ولا يتخطى أحد نارا ولا مائدة ولا انطلق الذي يترك عليه".

(١) ويسفل يديه ووجهه، ولا يبول أحدٌ على الرماد . ويقال إنهم كانوا لا يرون غسل ثيابهم البتة، ولا يميزون بين طاهر ونجس .

ومن طرائقهم أنهم لا يتعصبون لمذهب ، وأن لا يتعزّضوا لمال ميت أصلا، ولو ترك مِلء الأرض، ولا يدخلونه خزانة السلطان .

ومن عاداتهم أنهم لا يُعْخَمُونَ الألفاظ، ولا يعظمون في الألقاب حتى يقال في مراسيم السلطان "القان بكذا" من غير مزيد ألقاب .

وأما حالهم في طاعة ملكهم فإنهم من أعظم الأمم طاعة لسلطينهم، لا المال ولا الجاه بل ذلك دأب لهم حتى إنه إذا كان أمير في غاية من القوة والعظمة وبينه وبين السلطان كما بين المشرق والمغرب متى أذنب ذنبا يوجب عقوبة وبعث السلطان إليه من أخس أصحابه مَنْ يأخذه بما يجب عليه ألقي نفسه بين يدي الرسول ذليلا ليأخذه بموجب ذنبه، ولو كان فيه القتل .

ومن طريق أمرائهم أنه لا يتردد أمير إلى باب أمير آخر، ولا يتغير عن موضعه المعين له . فإن فعل ذلك عوقب أو قتل، وإذا عرضوا آلات الحرب على أمرائهم وقفا في العرض حتى بالخيط والإبرة، ورعاياهم قائمون بما يُزَمون به من جهة السلطان طيبة به نفوسهم، وإن غالب أحد من الرجال قام النساء بما عليهم .

(١) عبارة المخطوط "وأزيمهم أن لا يدخل أحد منهم يده في الماء . ولكنه يتناول الماء بشئ . يقره به" .

المهجع الثاني^(١)

(في ذكر ممالك بني جنكشان على التفصيل، وهي مملكتان)

المملكة الأولى

(مملكة أيران)

بفتح الهمزة وسكون الياء المثناة تحت والراء المهملة وألف ثم نون . وهي مملكة
الفرس، وتعرف بأيران بن آشور بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أول من ملكها
وأضيفت إليه وعرفت به . قال في "التعريف" : وهي مملكة الأكاسرة .
ثم قال : وهي من الفرات إلى نهر جيحون حيث بلخ، ومن البحر الفارسي وما صاقبه
من البحر الهندي إلى البحر المسمى بالقززم بحر طبرستان، وهي المملكة الصائرة إلى
بيت هولوكو . قال : وقد دخل فيها مملكة الحياطة، وهي مملكة مازندران وما يليها
إلى آخر كيلان، وطبرستان واقعة بين مازندران وكيلان، ومازندران الآخذة شرقاً،
وكيلان الآخذة غرباً .

وقال في "مسالك الأبصار" : هذه المملكة طولاً من نهر جيحون المحيط بآخر
خراسان إلى القرآت القاطع بينها وبين الشام، وعرضها من كرمان المتصل بالبحر
الفارسي المنقسم من البحر الهندي، إلى نهاية ما كان يبدقياً الملوك السلجوقية بالروم
على نهاية حدود العلأيا وأنطاليا من البحر الرومي . قال : ويقصّل في الجانب الشمالي
بين هذه المملكة وبين بلاد القبجاق النهر المجاور لباب الحديد المسمى باللغة التركية
دقريقو، وبحر طبرستان المسمى بحر الخزر . ثم قال : وأخبرني الفاضل نظام الدين
أبو الفضل يحيى بن الحكيم الطيارى أن هذه المملكة تكاد تكون مربعة، فيكون

(١) لعله المقصد الثاني فإن التقسيم كان بالمقاصد .

(٢) ضبطه ياقوت بالكسر .

طولها بالسير المعتاد أربعة أشهر ، وعرضها أربعة أشهر . وهي من أجل ممالك الأرض ، وأوسطها في الطول والعرض ، متوسطة في الطول والعرض . وإذا أنصفت كانت هي قلب الدنيا على الحقيقة ، ذات أقاليم كثيرة ومدن كبيرة ، مشتملة على رساتيق وأعمال وخطط وجهات ، وهي ممتدة من بلاد الشام وماعلى سمتها إلى بلاد السند والهند وما والاها .

ولها جانبان : جنوبي وشمال .

الجانب الأول

(الجنوبي)

ويشتمل على ستة أقاليم :

الإقليم الأول

(الجزيرة الفراتية)

وهي أقرب أقطار هذه المملكة لمملكة الديار المصرية والشامية لمجاورتها بلاد الشام . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طَرَف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة . فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات إلى مَلْطِيَّة ، إلى شِمَاط ، إلى قلعة الروم ، إلى البيرة ، إلى قُبالة مَنبِج ، إلى السِّن ، إلى الرِّقَّة ، إلى قَرْيَسِيَّا ، إلى الرَّجَّة ، إلى هَيْت ، إلى الأتبار . ثم يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ويعطف الحد من الأتبار إلى تَكْرِيْت ، وهي على نهر دِجْلَة ، إلى بَالِس ، إلى الحَدِيثَةِ على دجلة إلى المَوْصِل . ثم يعطف من الموصل إلى جزيرة ابن عُمر ، إلى آمِد . ثم يصير الحد غربيا ممتدا بعد أن يتجاوز آمِد على حدود إرمينية ، إلى حدود بلاد الروم ، إلى الفُرات عند مَلْطِيَّة من حيث وقع الابتداء . قال : فعلى هذا يكون بعض إرمينية وبعض الروم غربي الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض

إزمينية شمالها . قال في "تقويم البلدان" : وتشتمل الجزيرة على ديار ربيعة وديار مضر (يعنى بالصاد المعجمة) وبعض ديار بكر ، وهم القبائل الذين كانوا يتزلونها في القديم على ما تقدم ذكره في الكلام على أحوال العرب في المقالة الأولى .

قال في "مسالك الأبصار" : وقد كانت هذه الجزيرة مجموعها مملكة جليبة باقية بذاتها في الدولة الأتابكية يعنى دولة الأتابك زنكى صاحب الموصل والد نور الدين الشهيد صاحب دمشق ، وقاعدتها (الموصل) . قال في "الباب" : بفتح الميم وسكون الواو وكسر الصاد المهملة ولام في الآخر - وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثلاثون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . وهى على دجلة من الجانب الغربى ، ويقابلها من الجانب الشرقى مدينة نينوى التى بعث يونس عليه السلام إلى أهلها . وهى الآن خراب . وفى جنوبى الموصل مصب الزاب الأصفر فى دجلة . وهى فى مستوى من الأرض ؛ ولها سوران قد خرب بعضهما ، وسورها أكبر من سور دمشق . قال المؤيد صاحب حماة : والعاصر منها فى زماننا نحو ثلثها ، ولها قلعة قد صارت فى جملة الخراب . قال قاضى القضاة ولّى الدين بن خلدون : وهى قاعدة ملك قديم يُعرف قديما بمملكة الجرامقة ، وكانت قد صارت إلى عماد الدين زنكى : والد نور الدين الشهيد . ثم اتفق بها الحال إلى أن دخلت فى مملكة التتر من بنى هولاكو . قال ابن خرداذبه فى كتابه فى المسالك والممالك : ومن أقام بها سنة ثم ... ^(١) ... عقله وجده قد قص ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكرها فى "التتقيف" وذكر أنه كان بها الأمير أردبغا قبل أن يحصل عليها من يرم خواجا ثم أبو القان أويس .

(١) يياض فى الأصل . وأنظر معجم البلدان فإنه يؤخذ منه أن من أقام بها سنة تين فى بدنه فضل قوة .

ثم بها عتة مُدُن وقلاع مشهورة .

(منها) مَارِدِينَ . قال في "اللباب" : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الراء والدادال المهملتين ثم ياء مثناة من تحتها ونون - وهي قلعة بديار ربيعة من هذه الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي على جبل عال ، من الأرض إلى ذروتها نحو فرسخين . قال ابن حوقل : وهي قلعة منيعة لا يستطيع فتحها عنوة ، ويحبلها جواهر الزجاج ، وبه حيات تغرق غيرها بسرعة القتل .

وأعلم أن ماردین هذه بيد ملوكها من بني أرتق ، لها بيدهم الأمد الطويل ، لم تزل أيديهم عنها مذ ملكوها . قال القاضي ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" : وأول من ملكها منهم ياقوق بن أرتق بعد السبع والأربعائة ، تملكها من يد مغل كان ملك شاه ابن ألب أرسلان السلجوق أقطعها له ، ثم ملكها بعد ياقوق المذكور أخوه علي ، ثم عمه سقان ، ثم أخوه إيلغازي ، ثم ابنه حسام الدين تيمرتاش ، ثم ابنه قطب الدين ألي ، ثم ابنه نظام الدين إيلغازي ، ثم ابنه حسام الدين بولق أرسلان ، ثم أخوه ناصر الدين أرتق أرسلان بن إيلغازي ، ثم ابنه نجم الدين غازي ، ثم أخوه قرا أرسلان ، ثم ابنه شمس الدين داود ، ثم أخوه نجم الدين غازي ، وتلقب بالمنصور . وهو أول من تلقب بالقب السلطنة منهم ، ثم ابنه شمس الدين صالح وتلقب بالصالح ، ثم ابنه أحمد وتلقب بالمنصور ، ثم ابنه محمود وتلقب بالصالح ، ثم ابنه نخر الدين داود ، وتلقب بالمظفر ، ثم ابنه نور الدين عيسى ، وتلقب بالظاهر ، وهو القائم بملكها إلى الآن ، وهو الظاهر عيسى ، بن المظفر داود ، بن الصالح [محمود] ، بن المنصور أحمد ، بن الصالح ^(١) صالح ، بن المنصور غازي ، بن المظفر قرا أرسلان ، بن المنصور أرتق أرسلان [ابن بولق أرسلان] بن إيلغازي ، بن ألي ، بن تيمرتاش ، بن إيلغازي ، بن أرتق .

(١) الزيادة عن تاريخ ابن خلدون (ص ٢٢٠ ج ٥) .

ولما ملك هولاء كوفداد وأعمالها كانت القائم بملك ماردين يومئذ المظفر
قرا أرسلان فأعطاه الطاعة وخطب له في جميع أعماله ، وتبعه على ذلك من بعده
من ملوكها إلى حين موت القان أبى سعيد من بقايا الملوك الهولاء كوفية ، فقطع
الخطبة لصاحب بغداد وما معها وخطب لنفسه . والأمر على ذلك إلى الآن ،
وملوكها مؤادون للملك الديار المصرية والمكاتبات بينهم متواصلة .

(ومنها) حصن كيفا . قال في "تقويم البلدان" : بحاء وصاد مهملتين ثم نون
ثم كاف وياء مشناة من تحت وفاء وألف - وهى مدينة من الجزيرة المذكورة من
الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وستون درجة وثلاثون دقيقة ،
والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : وهى من
ديار بكر . قال في "المشترك" : وهى على دجلة بين جزيرة ابن عمر وبين مابا قارقين .
قال في "اللباب" : والنسبة إليها حصكفى - بفتح الحاء وسكون الصاد وفتح
الكاف وفاء ثم ياء النسب . قال في "التعريف" : وملكها من بقايا الملوك الأيوبية
ومن ينظر إليه ملوك مصر بين الإجلال ، لمكان ولائهم القديم لهم ، واستمرار الوداد
الآن . قال في "التثقيف" : وأخبرنى المقر السيفى منجك كافل الممالك الشريفة
أن الملك الناصر محمد بن قلاوون كان يعظم سلفه فإنه كان أستاذ قلاوون والده .
قال في "التعريف" : وكان آخر وقت منهم الملك الصالح قصد الأبواب السلطانية .
فلما أتى دمشق عقبه الأخبار بأن أخاه قد ساور سريره ، وقصد بسلطته
سلطانه . ففكر راجعا ولم يعقب ، فلما لبث الأخبار أن جاءت بأنه حين صعد قلعه ،
وكر نحو سريره رجعت ، وثب عليه أخوه المتوئب فقتله وسفك دمه ، ثم أظهر عليه
ندمه . وكتب إلى السلطان فأجيب بأجوبة دالة على عدم القبول لأعذاره والسرائر
مكدره ، والخواطر بعضها من بعض متفره . وذكر في "التثقيف" أن الذى أنصح له

آخر في رمضان سنة ست وسبعين وسبعائة أن صاحبها الملك الصالح سيف الدين أبو بكر، ابن الملك العادل شهاب الدين غازي، ابن الملك العادل مجد الدين محمد، ابن الملك الكامل سيف الدين أبي بكر، ابن الملك الموحد تقي الدين عبد الله، ابن الملك المعظم سيف الدين توران شاه، ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب، ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد، بن العادل أبي بكر بن أيوب . ثم قال : وما يبعد أن الصالح المذكور هو ابن عم العادل مجد الدين محمد، وأن العادل غازي لاحقيقة له . ثم قال : وهو غلط لأن المستقر إلى آخر سنة ثنتين وستين وسبعائة وما بعدها بمدة هو العادل مجد الدين، وكتبتُ إليه في هذه المدة بهذا الاسم واللقب، ولم يبلغنا أنه استقر بعده سوى ولده، ثم نقل أنه الصالح ونقل الناقل أنه ابن العادل وهو صحيح لكنه قال : إن اسمه شهاب الدين غازي بن العادل مجد الدين وفيه بعد : كون الولد يلقب بلقب والده الملوكي . انتهى كلامه .

قلت : والذي أخبرني به بعض قُصّاد صاحبها في سنة تسع وتسعين وسبعائة أن الملك القائم بها يومئذ اسمه سليمان بن داود، وذكر لي لقبه الملوكي فنسبته، وذكر أنه يقول الشعر، وأحضر معه بيتاً مفرداً من نظمته وهو :

وَجَارِيَةٍ تُعِيرُ الْبَدْرَ نُورًا * وَلَوْلَا نُورُهَا عَادَ الظُّلَامُ !

فنظمت له أبياتاً وبشت بها إليه محبة قاصده أولها :

سَلِمَانُ الزَّيْمَانِ يَحْضِنُ كَيْفَا * لَهُ فِي الْمُلْكِ أَنْارُ كِرَامٍ
زَكَ أَصْلًا فَطَابَ الْقَرَعُ مِنْهُ * وَطَابَ النَّصْنُ إِذْ طَابَ الْكِجَامُ
بَنُو أَيُّوبَ أَهْبَأُوا مِنْهُ ذُنُورًا * وَنِعَمَ الذَّنْخُ وَالْقَيْلُ الْمُهَامُ

وأثبت البيت الذي قاله في آخر هذه .

(ومنها) حَرَّانُ . قال في "المسترك" : بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وفي آخرها نون بعد الألف - وهي مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة المذكورة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ثلاث وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة ونخسون دقيقة . وكانت حَرَّانُ مدينةً عظيمةً أما اليوم فخراب . قال ابن حوقل : وهي مدينة الصابئين ، وبها سَدَتُهُمُ السبعة عشر ، وبها تَلٌّ عليه مصلٌّ للصَّابِئِينَ يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام ، وهي قليلة الماء والشجر . قال في "العزيزي" : والجبل منها في سَمْتِ الجنوب والشرق على فرسخين ، وترتبتها حراء ، وشرب أهلها من قناة تجرى من العيون خارج المدينة ومن الآبار ، وحاكها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي في المكاتبات إن شاء الله تعالى .

(ومنها) شِمَشَاط . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانية ثم أَلَفَ فطاء مهمله - وهي بلدة من ديار مُضَرَ ، وقيل من ديار بكر من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "رسم المعمور" حيث الطول اثنتان وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونخس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي بلدة الثغور الجزيرية بين آمد وبين خَرَتْ رَتْ . وقال ابن حوقل : هي بخر الجزيرة ، وبها حاكُمُ يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حِيزَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهمله وسكون المشاة من تحتها وفتح الزاي المعجمة وألف ونون - وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أن طولها خمس وستون درجة ، وعرضا سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كثيرة

الأشجار خصوصا شجر البُنْدُق . قال : وهي بين جبال ، ولها مياه سارحة ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وذكر في "التتقيف" أنه كان اسمه في زمانه عز الدين ، ثم استقر بعده أبنته أسد الدين .

(ومنها) رَأْسُ عَيْن . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الراء المهملة ثم سين وعين مفتوحة مهملتان ومثناة تحت ونون في الآخر - وتسمى عين وردة أيضا ، وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة في مستو من الأرض . قال ابن حوقل : يخرج منها فوق ثلثمائة عين كلها صافية ، ويصير من هذه الأعين نهر الخابور ، وهم السمعاني فجعلها منبع دجلة . قال في "العريزي" : وهي أول مدُن ديار ربيعة من جهة ديار مُصَرَّ ، وذكر السمعاني أنها من ديار بكر ، وأنكره ابن الأثير وقال : ليست من ديار بكر [بل هي] من الجزيرة . قال في "اللباب" : وهي على يمين من حرَّان والنسبة إليها رَسَعِيٌّ ، وإليها ينسب الرَسَعِيُّ المُفَسِّر .

(ومنها) مَيَّافَارِقِينَ . قال في "اللباب" : بفتح الميم وتشديد المثناة من تحتها وسكون الألفين بينهما فاء مفتوحة وبعدهما راء مهملة ثم قاف وياء آخر الحروف ونون . وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" : حيث الطول خمس وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي قاعدة ديار بكر . وقال ابن حوقل : هي بين الجزيرة وبين إرمينية . قال في "اللباب" : وعليها سورٌ مجرٍ دائرٌ ، وهي دون حماة في القدر ، وهي في ذيل جبل ، في شماليها وهي في ذيله . قال في "اللباب" : والمياه والبساتين محدقة بها ، ولها نهر صغير تلي شوط فرس منها ، من عين تسمى عين حَبُوصَ بين الغرب والشمال ، تنحرق دُورَها

وتسقى بساكنها ، وبينها وبين الموصِل على حِصْن كَيْفَا نحو ستة أيام وعلى مَارِدِينَ نحو ثمانية أيام ، والنسبة إليها قَارِيقٌ . قال في " اللباب " : أسقطوا بعضها لكثرة حروفها ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قَرْقِيسِيَا . قال في "تقويم البلدان" : المشهور بفتح القاف الأول وكسر الثانية وبينهما راء مهملة ساكنة ثم ياء آخر الحروف ساكنة ثم سين مهملة ثم ياء ثانية وألف - وهي مدينة من ديار مُضَرَ من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول أربع وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في " اللباب " : وهي على الْفُرَات والخابور ، على القرب من الرِّقَّة . قال في " العزيزي " : وهي شرق الفرات والخابور الخارج من رأس عين فيصب في الفرات على القرب منها . قال : وهي مدينة الرِّبَاء صاحبة جذيمة الأبرش ، يعني التي قتله . قال في " اللباب " : وبها مات جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ الصَّحَابِيُّ رضي الله عنه . قال : والنسبة إليها قَرْقِيسِيَانِي وقد تحذف النون وتجعل الياء عوضها .

(ومنها) مَاكِسِيْنُ . قال في " اللباب " : بفتح الميم وسكون الألف وكسر الكاف والسين المهملة وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " اللباب " : وهي على الخابور . قال في " العزيزي " : وبينها وبين قَرْقِيسِيَا سبعة فراسخ ، وبينها وبين سِنْجَارِ اثْنَانِ وعشرون فرسخا .

(ومنها) نَصِيصِيْنُ . قال في " اللباب " : بفتح النون وكسر الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها ثم ياء موحدة وياء ثانية ونون - وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة من الإقليم الرابع . قال ابن سعيد : وهي قاعدة ديار ربيعة . قال :

وهي مخصصة بالورد الأبيض لا يوجد فيها وردة حمراء ، وفي شمالها جبل عظيم يقال إنه الجودي الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام ، منه يتل نهرها حتى يمر على سورها وعليه بساتينها ، ونهرها يسمى الهرماس ، وبها عقارب قتالة .

(ومنها) جزيرة ابن عمر - وضبطها معروف - وهي مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : حيث الطول ست وستون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في " تقويم البلدان " : وهي مدينة صغيرة على دجلة من غربها ذات بساتين كثيرة . وقال في " المشترك " : هي في شمال الموصل ودجلة محيطة بها مثل الهلال ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) سنجار . قال في " اللباب " : بكسر السين المهملة وسكون النون وفتح الجيم وألف وراء مهلة - وهي مدينة من ديار ربيعة من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " تقويم البلدان " : والقياس أنها حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن سعيد : وهي في جنوبي نصيبين - وهي من أحسن المدن وجبلها من أخصب الجبال . قال ابن حوقل : وهي في وسط برية ديار ربيعة بالقرب من الجبل والجبل في عاليها ، وليس بالجزيرة بلد فيه نخيل سواها . وهي في جهة الغرب عن الموصل على ثلاث مراحل عنها ؛ وهي على قدر المعرة من البلاد الشامية ؛ ولها قلعة وبساتين كثيرة ؛ وشربها من الفتي ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) تل أعقر - وضبط التل معروف ، وأعقر بفتح الهمزة وسكون العين المهملة وفتح الفاء وراء مهلة في الآخر - وهي من الجزيرة من الإقليم الرابع من

الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وتل أعفر قلعة بين سينجار وبين الموصل . وذكر في "تقويم البلدان" عن بعض أهلها أنها غربي الموصل فيما بينها وبين سينجار ، وربما تكون إلى سينجار أقرب . وذكر في "العزى" أن بينها وبين سينجار خمسة فراسخ ، ولها أشجار كثيرة ؛ وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) الحديثة . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم مثناة من تحت وطاء مثلثة وهاء في الآخر وهى مدينة من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال في "المشترك" : وهى فى وسط الفرات والماء محيط بها ، وتعرف بحديثة النورة . وهى غير حديثة الموصل : بلدة صغيرة إلا أن لها ذكرا فى القديم . قال فى "المشترك" : وهى على فراسخ من الأنبار ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) عانة . قال فى "اللباب" : بفتح العين المهملة وألف ونون وهاء فى الآخر - وهى بلدة من بلاد الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول ست وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . وهى بلدة صغيرة على جزيرة فى وسط الفرات . قال فى "اللباب" : وهى تقارب الحديثة . وقال ابن حوقل : يطوف بها خليج من الفرات . قال ابن سعيد : ونجرها مذكور فى الأشعار ، وأستشهد بقول بعض الشعراء :

* وَمِنْ عَانَةٍ أَمْ مِنْ مَرَّاشِفِكَ الْحَمَرُ ؟ *

وكثيرا ما تُقَرَّن في الذِكر مع الحديثة لقربها فيقال عانهُ والحديثة ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) آمِدُ . قال في "اللباب" : بمَد الألف وكسر الميم وفي آخرها دال مهملة . وهي مدينة من ديار بكر ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة أَرْلِيَّة على الدجلة . قال ابن حوقل : وعليها سورٌ في غاية الحصانة . قال في "العزيزي" : وسورها من الحجارة السود التي لا يعمل فيها الحديد ، ولا تضرها النار ، وهو مشتمل عليها وعلى عيون ماء ، ولها بساتين ومزارع كثيرة . قال ابن حوقل : وهي كثيرة الخصب . (ومنها) سِعرْتُ . قال في "تقويم البلدان" : قُلا عن صالح : بكسر السين والعين وسكون الراء المهملات وفي آخرها مثناة من فوق ، وقيل إسْعَرْد بكسر الهمزة وسكون السين وكسر العين وسكون الراء المهملات ودال مهملة في الآخر . وهي مدينة من ديار ربيعة ، من الجزيرة ، من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مبنية على جبل تحيط بها الوطاة ، على القرب من شَطِّ دجلة من جهة الشمال والشرق ، وهي في المقدار أكبر من المَعَرَّة ، وبها الأشجار الكثيرة من التين والزمان والكروم ، جميع ذلك عِدِّي لا يُسْقَى ، وشرب أهلها من بئار قريبة من وجه الأرض ، وهي عن مَيَّافَرِقَيْن على مسيرة يوم ونصف في جهة الجنوب ، وعن آمِد على مسيرة أربعة أيام في جهة الشمال منها ، وعن المَوْصِل على خمسة أيام في جهة الشرق والشمال عنها .

(ومنها) تِكْرِيتُ . قال في "اللباب" : بكسر المثناة من فوق وسكون الكاف وكسر الراء المهملة ثم ياء مثناة من تحت في آخرها تاء مثناة من فوق . وهي مدينة

(١) ضبطها المجد بالفتح وكذا ياقوت وقال : وكسرها العامة .

من الجزيرة من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الفانوس" : حيث الطول تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأثننا عشرة دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مدُن الجزيرة مما على العراق على غربي دجلة في بر الموصِل . قال في "اللباب" : وسُميت تِكْرِيتُ تِكْرِيتَ بنت وائل أخت بكر بن وائل .

أما قلعتها فبناها سابور بن أردشير بن بابك ، وهي الآن خراب . قال ابن سعيد : وفي جنوبها وشرقها النهر الإصحافي ، حفره إصحاق بن إبراهيم صاحب شُرطة المتوكل ، وهو أقل حدود سواد العراق ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) بَرْقِيدُ - بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح القاف وكسر العين المهملة وسكون المثناة من تحتها ودال مهملة في الآخر . قال في "العريزي" : وهي [مدينة] لها سور وأسواق كثيرة .

(ومنها) العَادِيَّة - بكسر العين المهملة وفتح الميم وبعدها ألف ثم دال مهملة مكسورة وياء مثناة تحت مشددة مفتوحة وهاء في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة عامرة على ثلاث مراحل من الموصِل في الشرق والشمال ، وهي على جبل من الصخر ، وتحتها مياه جارية وبساتين ، وهي في جهة الشمال عن إربل ، بناها عماد الدين زنكي صاحب الموصِل فنسبت إليه ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة كُشَاف . قال في "تقويم البلدان" : بضم الكاف والشين المعجمة ثم ألف وفاء في الآخر - وهي قلعة عامرة بين الزَّابِ والشَّطْ ، قرية من مصبه في الشط [وهي في الشرق] والجنوب عن الموصِل . قلت : وقد ذكرها في "تقويم البلدان" أولاً

في جملة بلاد الجزيرة ووصفها بهذا الوصف ولم يضبطها ، ثم ذكرها في بلاد الجبل المعروفة بعراق العجم بهذا الوصف أيضا وضبطها على ما تقدم ، والظاهر أنها من بلاد الجزيرة ؛ وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) قلعة فنك . قال في "تقويم البلدان" : نقلنا عن أبي المجد في "كتاب التمييز" : بفتح الفاء والنون - وهي قلعة حصينة فوق جزيرة ابن عمر .

(ومنها) الشوش . قال في "المشترك" : بضم الشين المعجمة وسكون الواو ثم شين ثانية . قال : وهي قلعة مشهورة من أعمال الموصل في الجبال شرق دجلة ، وإليها ينسب حب الرمان الشوشي .

(ومنها) عقر الحميدية . قال في "المشترك" : بفتح العين المهملة وسكون القاف ثم راء مهملة - وهي قلعة حصينة مشهورة ، والحميدية قبيلة من الأكراد بتلك البلاد .

(ومنها) الحناخ . قال في "مزيل الأرتياب" : بفتح الهاء وتشديد التاء المثناة من فوقها وفتحها وبعد الألف خاء معجمة . قال في "تقويم البلدان" : وهي قلعة حصينة .

(ومنها) حاني . قال في "اللباب" : على وزن داعي ، يعني بفتح الحاء المهملة وبعدها ألف ثم نون مكسورة وياء مثناة تحت في الآخر . قال : هذا ما تُعرف به الآن ، ولكن السمعاني قد قال فيها حنا ، بفتح الحاء المهملة والنون ؛ وهي مدينة من ديار بكر من الجزيرة [من الإقليم الرابع] من الأقاليم السبعة ، وبها حاكم يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية معدود في الأكراد .

وأعلم أن هذه الجزيرة مجاورة لمملكة الديار المصرية من حيث اتصالها بالبلاد الشامية من الجهة الشرقية ، وقد تقدم أن بعض بلادها داخلية في أعمال حلب

من ممالك الديار المصرية كالرها وقلعة جعبر وما والاها، والمسافة ما بين حلب والرها معلومة؛ ومن الرها إلى حران يوم واحد؛ ومن حران إلى رأس عين ثلاثة أيام، ومن رأس عين إلى نصيبين ثلاث مراحل؛ ومن نصيبين إلى الموصل أربع مراحل. وقد تقدم أن الموصل هي قاعدة الجزيرة في القديم، ومن الموصل إلى تكريت سبعة أيام، وقد تقدم أن تكريت هي آخر مدن الجزيرة مما يلي العراق، ومن الموصل أيضا إلى آمد أربعة أيام؛ ومن آمد إلى شمشاط ثلاثة أيام.

الإقليم الثاني (العراق)

قال في "اللباب": بكسر العين وفتح الراء المهملة ثم ألف وقاف. قال الجوهري: وهو يذكر ويؤث. قال أبو المجد إسماعيل الموصلي في كتابه المسعى "بالتميز والفصل": وإنما سمي عراقا لأنه سفلى عن نجد ودنا من البحر، أخذنا من عراق القرية، وهو الخزر الذي في أسفلها، ويعرف بعراق العرب لأن العرب كانت تنزله بقربه من بلادهم. قال في "تقويم البلدان": ويحيط به من جهة الغرب الجزيرة والبادية؛ ومن الجنوب البادية وبحر فارس وحدود خوزستان؛ ومن الشرق حدود بلاد ألبال إلى حلوان؛ ومن الشمال من حلوان إلى الجزيرة من حيث وقع الابتداء.

قال: والعراق على ضفتي دجلة مثل ما بلاد مصر على ضفتي النيل، ويمر دجلة من الشمال بجيلة إلى الغرب، إلى الجنوب بجيلة إلى الشرق، وأمتداد العراق طولا وشمالا وجنوبا من الحديثة على دجلة إلى عبادة على مصب دجلة في بحر فارس، وأمتداده غربا وشرقا من القادسية إلى حلوان. فالحدثة في وسط الحد الشمالي

بمسلة إلى الغرب، والقادسية في وسط الحد الغربي بمسلة إلى الجنوب، وعبادان في وسط الحد الجنوبي بمسلة إلى الشرق، وحلوان في وسط الحد الشرقي بمسلة إلى الشمال، ووسط العراق الذي من القادسية إلى حلوان هو أعرض ما في العراق .
وأما رأس العراق الذي عند عبادان، فيدق عن ذلك . ثم قال : والذي يستدير على العراق - يعني والعراق على شماله - إذا ابتدأ من تكريت من بلاد الجزيرة المتقدمة، يمر منها إلى حدود شهرزور، وهي بين الشرق والشمال عن العراق، ثم إلى السَّيْرَوَان، وهي في الشرق، إلى حدود جُبَّا، وهي في الشرق والجنوب، ثم إلى البحر يعني بحر فارس، وهو في الجنوب عن العراق . وفي هذا الحد من تكريت إلى البحر تقويس، ثم من البحر إلى البصرة، وهي في الجنوب عن العراق، ثم من البصرة إلى البادية على سواد البصرة، ثم إلى بطائح البصرة، ثم إلى واسط، ثم إلى سواد الكوفة وبتائها، ثم على ظهر الفرات إلى الأنبار، ثم من الأنبار إلى تكريت حيث وقع الابتداء .

(١)
ثم للذن قواعد ومدن .

القاعدة الأولى

(بابل)

يفتح الباء الموحدة ثم ألف وباء موحدة ثانية مكسورة ولام في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقدم أبنية العراق، وإليها ينسب إقليم بابل لقدمها، وكانت ملوك الكنعانيين

(١) لعل الصواب "ثم للفرات قواعد ومدن" .

وغيرهم يقيمون بها . قال في "تقويم البلدان" : وبها آثار أبنية أحسبها أن تكون في قديم الأيام مصرا عظيما، ويقال إنها من بناء الضحّاك : أحد ملوك الفرس الذي ملك الأقاليم السبعة . قال : وفيها أُلقي إبراهيم الخليل عليه السلام في النار؛ وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز أن بها هَارُوتَ وَمَارُوتَ الْمَلَكَيْنِ اللّٰذِينَ يَمْلِكَانِ النَّاسَ السَّحَرُ، ويقال إنهما بها في يَثْرَ وإن البثر ظاهرة بها إلى الآن . قال صاحب حماة : وهي اليوم مدينة خراب، وقد صار في موضعها قرية صغيرة .

القاعدة الثانية

(المدائن)

جمع مدينة وضبطها معروف . قال في "تقويم البلدان" : وأسمها بالفارسية طَيْسَفُونُ - بفتح الطاء المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح السين المهملة وضم الفاء وبعدها واو ونون - ثم قال : وكل ذلك سماعا وقد تبدل الفاء باء . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "تقويم البلدان" : وهي على دجلة من شرقها تحت بغداد على مرحلة منها . قال في "العزيزي" : والمدائن في جنوبى بغداد، وكان بالمدينة الكبرى منها إيوانٌ كسرى في شرق دجلة ارتفاعه ثمانون ذراعا . ونقل في "تقويم البلدان" عن بعض الثقات في سَعته من ركنه إلى ركنه خمسة وتسعون ذراعا . وكانت هي قاعدة ملوك الفرس ، فلما وَلِدَ النبي صلى الله عليه وسلم ، أنشئ هذا الإيوان ثم خرب هو وسائر المدائن في الإسلام .

القاعدة الثالثة (بَنَدَاذ)

قال في "الباب": بفتح الباء الموحدة وسكون الفين المعجمة وفتح الدال المهملة وفي آخرها ذال معجمة . وموقعها في آخر الإقليم الثالث . قال في "القانون": حيث الطول سبعون درجة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة ونحو عشر وثمانين دقيقة . قال في "تقويم البلدان": وسميت بَنَدَاذ بهذا الاسم لأن كسرى أُهْدِيَ إليه خِصِي من المشرق فأقطعته بَنَدَاذ ، وكان له صنم يعبد به المشرق يقال له الْبَغْ فقال ذلك الخصى بن داود يعني أعطاني الصنم ، وكان عبد الله بن المبارك يكره أن يقال لها بَنَدَاذ بالذال المعجمة في آخرها ، فإن بنى شيطان وداود عطية فعناه عطية الشيطان وهو شرك . قال : وإنما يقال بَنَدَاذ بالذالين المهملتين . وقد قال بعضهم : إن بنى بالفارسية الْبُسْتَان وداود بإهمال الأولى وإعجام الثانية أسم رجل ومعناه بستان داود؛ ويقال فيها أيضا بَنَدَان بإبدال الدال الأخيرة نونا، ومَعْدَان بإبدال الباء الأولى ميما . وكان المنصور يسميها مدينة السلام لأن دجلة كان يقال لها وادي السلام . وبَنَدَاذ على جانبي دجلة من الشرق والغرب، والجانب الغربي منها يسمى الْكَرْخَ، وبه كان سكنى أبي جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس، والجانب الشرقي منها بناء المهدي بن المنصور المتقدم ذكره وسكنه بسكره فسمى عسكر المهدي ، ثم بنى فيه الرشيد بن المهدي قصرا سماه الرِّصَافَةَ فأطلق على الجانب كله الرِّصَافَةَ ، ويسمى جانب الطاق أيضا نسبة إلى رأس الطاق ، وهو موضع السوق الأعظم منها . وبهذا الجانب محلة تسمى (الْحَرِيم) يعني حريم دار الخلافة . قال في "المشترك": بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين ثم مثناة من تحتها ساكنة وفي آخره ميم . قال : وهي قريب من ثلث الجانب الشرقي، وعليه سور ابتدأه من دجلة وأتھاؤه إليها أيضا

كهيشة الهلال أو كنصف دائرة، وله أبواب أولها باب الغربية، وهو على دجلة، ثم يليه باب سوق النمر، وهو باب شاقق ولكنه أغلق في خلافة الناصر لدين الله، ثم استمر غلقه، ثم باب البدرية، ثم باب التوبى. وفيه العتبة التي كانت تقبلها الملوك والرسل، ثم باب العامة، ويقال له أيضا باب عمورية. ثم يمتد السور نحو ميل لا باب فيه إلا باب بستان تحت المنطرة التي تحر تحتها الضحايا، ثم باب المراتب بينه وبين دجلة نحو رميتهم.

وهذا الحرم محال وأسواق ودور كثيرة للرعية وهو كأكبر مدينة تكون. قال: وبين دور الرعية التي داخل هذا السور وبين دجلة سور آخر، وداخل السور الثاني دور الخلافة لا يدخلها شيء من دور العامة. قال في "مسالك الأبصار": وبين الجسنيين جسران منصوبان على دجلة شرقا بغرب على سفن وزوارق أوقفت في الماء ومدت بينها السلاسل الحديد المكعبة بالمكعبات الثقيل، وفوقها الخشب الممدود، وعليها التراب يمر عليها أهل كل جانب إلى الآخر بالجر والجمال والحمول، وعلى ضفتي دجلة قصور الخلافة والمدارس والأبنية العلية بالشبابيك والطاقات المطلة على دجلة، وبنائها بالآجر.

ومن بيوتها ماهو مفروش بالآجر أيضا ملصق بالقيرو وهو الزفت، ولهم الصنائع المعجبة في الترويق بالآجر، وبها وجوه الخير من الجوامع والمساجد والمدارس والخانات والربط والبيارسنات والصدقات الجارية ووجوه المونة، وناهيك أنها كانت دار الخلافة ومقر ملوك الأرض. ومنها قلائد الأعناق، وترايبها إلى القبل وإتخذ الأحداق.

قال في "مسالك الأبصار": قال الحكيم نظام الدين بن الطياري: وأوقافها جارية في مجاريها، لم تعترضها أيدي العدوان في دولة هؤلاء ولا فيما بعدها، بل

كل وقف مستمرٌ بيد متوليهِ، ومن له الولاية عليه، وإنما قصص الأوقاف من سوءِ ولاةِ أمورها لا من سواها . وبها البساتين الموقَّعة، والحدائق المحقَّقة، وبها ثمر النخل المفضلة على ما سواها من الرطب والتمر، وبها أنواع الرياحين والخضراوات والغلال، وسعرها متوسط في الغالب لا يكاد يرخُص . قال المقرئ الشهابي بن فضل الله : سألت الصدر مجد الدين بن الدورى عن السبب في قلة الغلال ببلاد العراق مع أمتداد سوادها، فقال : قلة الزرع مع ما استهلكه القتل زمن هولاكو وحيزه^(١) للعراق وما جاوره من البلاد .

قلت : وبغداد وإن كانت أم الممالك ودار الخلافة، فقد أغفل ملوك التتر الآلتفات إليها، وصرفوا عنايتهم إلى تيريز والسُّلطانية وصيروها قاعدتين لهذه المملكة على ما سأتى ذكره في الكلام على إقليم أذربيجان فيما بعد إن شاء الله تعالى

القاعدة الرابعة

(سُرمَن رَأَى)

من السرور والرؤية، ثم خففها الناس فقالوا سَأَمَرًا . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وسكون الألف وفتح الميم وفي آخرها راء مهملة مشددة - وهي مدينة واقعة في الإقليم الرابع . قال في "القانون" حيث الطول ثمان وستون درجة ونمسين وأربعون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال في "العزيزى" : وهي على شاطئ الدجلة من الشرق . قال ابن سعيد : بناها المُعْتَصِمُ، وأضاف إليها الواثقُ المدينةَ المَهارُونِيَّةَ، والمتوكلُ المدينةَ الجعفرِيَّةَ فعظم قدرها . قال في "اللباب" : ثم خربت عن قريب من عمارتها . قال في "العزيزى" : ولم يبق فيها عامر سوى مقدار يسير كالقَرْيَةِ .

(١) بمعنى حوزة وإملاكه، لأنه قلها القيرى في مصباحه .

وأما المُنْدَن التي بالعراق :

(فمنها) هَيْتٌ . قال في "المشترك" : بكسر الميم وسكون المثناة تحت وناه
مثناة من فوق في الآخر . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة .
قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض
ثلاث وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "العريزي" : وهي من
حدود العراق . قال ابن سعيد : وإليها ينتهي حد الجزيرة . قال في "تقويم
البلدان" : وهي على شمالي الفرات ، وهم في "العريزي" : فجعلها غربي
الفرات . قال في "المشترك" : وهي من أعمال بغداد . قال في "اللباب" : وهي
فوق الأنبار . قال صاحب "التهذيب" : وتُسمّى هيت لكونها في هوة من الأرض .
قال في "اللباب" : وبها قبر عبد الله بن المبارك رحمه الله ، وبها حاكم يكتب
عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حَيْرَةٌ . قال في "اللباب" : بكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت
وراء مهملته وهاء في الآخر . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون"
حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون
درجة وخمس وخمسون دقيقة . [والحيرة مدينة جاهلية كثيرة الأنهار ، وهي عن
الكوفة على نحو فرسخ . وقال في "العريزي" : مدينة قديمة على ثلاثة أميال من
الكوفة ، وكانت منازل آل النعمان بن المنذر ، وبها تصير المنذر بن أمريّ الفيس وبنو
بها الكائنات العظيمة . والحيرة على موضع يقال له النَّجْفُ ، زعم الأوائل أن بحر
فارس كان يتصل به ، وبينهما اليوم مسافة بعيدة . قال في "اللباب" : والحيرة
مدينة قديمة عند الكوفة ، وبها الخوَرَق . قال في "الترتيب" : إن بُعِثَ لما سار من
اليمن إلى خُرَاسان وأنهى إلى موضعها ليلا فتصير وزل وأمر ببنائها فسميت الحيرة .

(ومنها) الأبتار . قال في "المشترك" : يفتح الهمزة وسكون النون ثم ياء موحدة مفتوحة وراء مهملة بعد الألف - وهي من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . طولها تسع وستون درجة وثلاثون دقيقة ، وعرضها ثمان وثلاثون درجة ونحس عشرة دقيقة . قال في "المشترك" : والأبتار عن بغداد^(١) على عشر فواصخ منها . قال في "المشترك" : وهي من نواحي بغداد على شاطئ الفرات . قال ابن حوقل : وهي أول بلاد العراق ، وبها كان مقام السفاح : أول خلفاء بني العباس حتى مات ، ويقال إن أول ما نقلت الكتابة العربية إلى مكة من الأبتار على ما تقدم في المقالة الأولى في الكلام على الخط .

(ومنها) الكوفة . قال في "الباب" : يضم الكاف وسكون الواو ثم فاء وهاء - وهي مدينة إسلامية بُنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ونحسون دقيقة ، وهي على ذراع^(٢) من الفرات خارج منه جهة الجنوب والمغرب . قال في "الترتيب" : وسميت كوفة لاستدارتها ، أخذنا من قول العرب رأيت كوفانا إذا رأوا رملة مستديرة ، وقيل لأجتماع الناس ، أخذنا من قولهم تكوِّف الرمل إذا ركب بعضه بعضا . وهي واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثمان وستون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال في "العزري" : وهي قدر نصف بغداد ، وعلى القرب منها مشهد أمير المؤمنين على كرم الله وجهه حيث دُفن ، يقصده الناس من أقطار الأرض .

(١) وقع في الأصل سقط من النسخ في أثناء الكلام على الحيرة والأبتار . وقد أستوفينا من تناسخ توهم البلدان ، وأثبتناه بين دائرتين مربعين هكذا [] .

(٢) في مصمم البلدان "شعبة" وهي المراد بالذراع .

(ومنها) البَصْرَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون الصاد وفتح
الراء المهملة - وهي مدينة إسلامية بنيت في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه أيضا ، واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول
أربع وستون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة ، وسميت بالبَصْرَة أخذًا من
البَصْرَة ، وهي الحجارة السود ، وفي جنوبها وغربها البرية ، وليس في بريتها ماء ، يزرع
على المطر . قال في "المشترك" : وبالبصرة محلة يقال لها المِرْبَدُ - بكسر الميم وسكون
الراء المهملة وفتح الباء الموحدة ثم دال مهملة - وهي محلة عظيمة من جهة البرية
كانت العرب تجتمع فيها من الأقطار ويتناشدون الأشعار ويبيعون ويشترون .

(ومنها) وآسِطُ . قال السمعاني في "الأنسَاب" : بفتح الواو وسكون الألف
وكسر السين المهملة وطاء في الآخر - وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم
السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ،
والعرض اثنتان وثلاثون درجة ونحو عشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" :
سميت واسط لتوسطها بين مُدُن العراق إذ منها إلى البَصْرَة خمسون فرسخًا ، ومنها إلى
الكوفة خمسون فرسخًا ، ومنها إلى الأهواز خمسون فرسخًا ، ومنها إلى بغداد خمسون
فرسخًا . وهي نصفان على جانبي دجلة بينهما جسر من السفن كما تقدم في بغداد .
قال في "المشترك" : وهي من بناء الجحّاج آخَظَها بين الكوفة والبصرة في سنة
أربع وسبعين من الهجرة ، وفرغ منها في سنة ست وسبعين .

(ومنها) حُلَوَانٌ . قال في "المشترك" : بضم الحاء المهملة وسكون اللام . قال
في "اللباب" : ثم ألف وواو ونون - وهي مدينة من أول الإقليم الرابع . قال
في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض أربع وثلاثون

(١) في تقويم البلدان وسمي البلدان : أربع وسبعون .

درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر مدُن العراق ، ومنها يُصعد إلى الجبال ، وقيل هي من الجبال ، وليس بالعراق مدينة بالقرب من الجبل غيرها . قال ابن حوقل : وبها شجر النخل والتين الموصوف ، وأكثر ثمارها التين ، والتلج يسقط على جبلها دائماً ، وهو منها على مرحلة ، وبينها وبين بغداد خمس مراحل .

(ومنها) الحِلَّة . قال في "المشارك" : بكسر الحاء المهملة وتشديد اللام - وهي واقعة في الإقليم الثالث . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول ثمان وستون درجة ، والعرض آنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ياقوت الحموي : وتعرف بحِلَّة بن مَزِيد . وأول من أخط بها المنازل وعمَّرها سيف الدولة صدقة بن دُبَيْس بن عليّ بن مَزِيد الأسدي في سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وكان موضعها قبل ذلك يسمى بالجامعين .

(ومنها) النَّهْرَوَانُ . قال في "اللباب" : بفتح النون وسكون الهاء وضم الراء المهملة وفتح الواو وبعد الألف نون . وهي مدينة في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة على ضفَى نهر . قال في "الأطوال" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : النَّهْرَوَانُ اسم للمدينة والنهر الذي يشقها ، وهي مدينة صغيرة على أربعة فراسخ من بغداد . قال في "اللباب" : ولها عدة [نَوَاجِ] خرب أكثرها . وقال السمعاني في "الأنساب" : هي على أربعة فراسخ من دجلة ، والنَّهْرَوَانُ هذه هي التي أنحاز إليها الخوارج عند فراغهم لعل بعد وقعة صفين على ما تقدم ذكره في الكلام على التحليل والمِلل في المقالة الأولى .

(ومنها) الأَبْلَة . قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة والباء الموحدة وتشديد اللام وهاء في الآخر - وهي مدينة في فَوْحَتِهَا نهر طوله أربعة فراسخ بينها وبين البصرة

على جانبيه قصور وبساتين ومُنذ على خط واحد كأنها بُستان واحد ، وهو أحد متنزّهات الدنيا .

(ومنها) القادِسيّة - بفتح القاف ثم ألف ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ثم هاء . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث . قال فى "الأطوال" حيث الطول ثمان وستون درجة وخمس وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهى مدينة صغيرة ذات نخيل ومياه ، وهى على حافة البادية وحافة سواد العراق ، البادية من جهة الغرب والسواد من جهة الشرق . قال فى "المشارك" : وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا فى طريق الحاج . قال فى "تقويم البلدان" : سميت القادسية لتزول أهل قادس بها ، وقادس قرية بمرؤ الرود ؛ وعليها كانت الوقعة المعروفة بوقعة القادسية .

(ومنها) عبّادان - بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة ثم دال مهملة بين ألفين وفى آخرها نون - وهى بلدة من آخر العراق من الإقليم الثالث . قال فى "الزيج" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة . قال ابن سميّد : عبّادان على بحر فارس ، وهو يحيط بها لا يبقى منها فى البر إلا القليل ، وعندها مصب دجلة فى جنوب عبّادان وشرقها ، وهى عن البصرة على مرحلة ونصف ، وفى جنوبها وشرقها علامات للراكب يبحر فارس لا تتجاوزها المراكب ، وهى خُشب منصوبة حيث يكون البحر عند الجزر فى بعض البحر . قال فى "العريزي" : فى طريق العراق من الغرب القادسية وهيّت ، ومن الشرق حلوان ، ومن الشمال سمر من رأى ، ومن الجنوب الأبلّة .

الإقليم الثالث (خُوزِسْتَانُ والأَهَوَازُ)

بضم الخاء وسكون الواو وضم الزاي المعجمة وسكون السين المهملة وفتح التاء المثناة فوقُ وألف ثم نون . قال في "المشترك" : ويقال لها أيضا الخُوزُ بضم الخاء المعجمة ثم واو وزاي معجمة . قال : وخُوزِسْتَانُ إقليم واسع بين البصرة وفارس يشتمل على مُدُن كثيرة . قال في "تقويم البلدان" : والذي يُحيط به من الغرب رُسْتَانُ واسطُ ودُور الراسيَّة ، ومن جهة الجنوب من عبادان على البحر إلى مَهْرُوبَانَ ، إلى الدُورق ، إلى حدود فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الجنوب حدود فارس ؛ ومن الجهة الشرقية التي إلى جهة الشمال حدود أصفهان وبلاد الجبل . ومن جهة الشمال حدود الصيَّمر ، والكرجة ، وجبال الأور ، وبلاد الجبل إلى أصفهان . قال : وخُوزِسْتَانُ في مستوي من الأرض ليس بها جبال ، وهي كثيرة المياه الجارية ، وتجتمع مياهه وتعرض وتصل ببحر فارس عند حصن مَهْدِيٍّ .

وقاعدتها إلى ما ذكره صاحب حماة في "تاريخه" (نُسِرَ) . قال في "اللباب" : بضم المثناة من فوق وسكون السين المهملة وفتح التاء الثانية وفي آخرها راء مهملة ، والعامَّة تسميها سُستَرُ بإبدال التاء الأولى شينا . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "التانُون" : حيث الطولُ خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرضُ إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وجعلها في "تقويم البلدان" من الأهواز ، ولها نهر معروف بها ؛ بنى فيه سابور : أحد ملوك الفرس بناء عظيمًا حتى أَرَضَعَ الماء إلى المدينة ، على مرتفع من الأرض ؛ ويقال إنه ليس على وجه الأرض مدينة أقدم منها . قال في "اللباب" : وبها قبر البراء بن مالك الصحابي رضي الله عنه .

وقد ذكر في "تقويم البلدان" : بخوزستان عدة مُدُن .

(منها) السُّوس . قال في "المشترك" : بضم السين المهملة وسكون الواو ثم سين ثانية . قال أبو الرِّيحان : وهي بالفارسية معجمة . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة قديمة ، قال : وبها قبر دانيال النبي عليه السلام . قال في "تقويم البلدان" : ولها بساتين وفيها ^{مخرج} كالأصابع .

(ومنها) الطَّيْب . قال في "المشترك" : بكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحتها وفي آخرها باء موحدة ، وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهي بلدة بين واسط وبين الأهواز . ثم قال : وفيها عجائب ولم يذكر ما هي ؛ وإلى الطَّيْب هذه ينسب الطَّيْبِي صاحب الحواشي على "كشاف الزمخشري" .

(ومنها) جُبِّي . قال في "المشترك" : بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وياه آخر الحروف في الآخر . وهي مدينة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم العُرفية . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي كثيرة النخل . قال : وإليها ينسب أبو علي ^(١) الجُبَّائِي المعتزلي .

(ومنها) مَهْرُوبَان . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الميم وسكون الهاء وضم الراء المهملة وسكون الواو ثم باء موحدة وألف ونون . وعدّها ابن حوقل وآبن

(١) في معجم البلدان "بالضم ثم التشديد والقصر" .

(٢) أي على غير قياس والقياس جُبِّي .

سعيد من فارس؛ وهي مدينة من فارس صغيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ست وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة . وهي فرضة أَرْجَان وما والاها . قال في " العزري " :
وهي على البحر .

(ومنها) أَرْجَان . قال في " اللباب " : بفتح الألف وسكون الراء المهملة وفتح الجيم وفي آخرها نون بعد الألف . وقال ابن الجوالقي في المعرب من المعجمة للعربية : إنها بتشديد الراء . وقال ابن حوقل : هي من آخر فارس من جهة خُورُستان . وقال في " العزري " : هي أوّل مدُن فارس - وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير، وبها النخل والزيتون بكثرة، بريةٌ بحرية، سهليةٌ جبليةٌ، على مرحلة من البحر . قال في " العزري " : وهي مدينة جليلة لها كورة وأعمال نفيسة؛ وإليها ينسب القاضي الأَرْجَانِي الأديب الشاعر .



وأما الأهواز . فقال في " اللباب " : هي بفتح الألف وسكون الهاء وفي آخرها زاي معجمة . وهي كورة من كُور خُورُستان المقسم ذكرها كما ذكره في " تقويم البلدان " وإن كان قد ذكر في أوّل الكلام على إقليم فارس أن خُورُستان هي الأهواز إلا أنها غلب ذكرها فصارت كالإقليم المنفرد بذاته .
ولها عدة مدُن تعرف بها .

(منها) سُوق الأهواز - وهي مدينتها، فقد نال في " المشترك " : وسوق الأهواز هي مدينة الأهواز، وذكر مثله في " العزري " . قال في " المشترك " : وقد حُرِب أكثرها . قال في " العزري " : ومنها إلى أَصْفَهَان ثمانون فرسخاً .

(ومنها) قُرُقُوبٌ . قال في "اللباب" : بضم القافين وبينهما راء مهملة ثم واو وفي الآخرباء - وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث ، قال فى "القانون" حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . وهى مدينة مشهورة . قال فى "اللباب" قرية من الطيب قال فى "العزيزى" : وبينهما سبعة فراسخ ومنها إلى مدينة الشوس عشرة فراسخ .

(ومنها) جُنْدَى سَابُورَ . قال فى "اللباب" : بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة بعدها مشاة من تحتها وفتح السين المهملة وألف وباء موحدة وواو وراء مهملة . وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى مدينة خصبة كثيرة الخير . قال ابن حوقل : وبها نخيل وزروع كثيرة ومياه . قال فى "العزيزى" : منها إلى أَسْتَرْمَخَانِيَّة فراسخ ، ومنها إلى الشوس ستة فراسخ .

(ومنها) عَسْكَرُ مُكْرَمٍ . قال فى "اللباب" : بفتح العين وسكون السين المهملتين وفتح الكاف وفى آخرها راء مهملة . قال فى "تقويم البلدان" : عن الثقات أن مكرم بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء المهملة ثم ميم - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وثمان دقائق ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال فى "العزيزى" : وهى مدينة محدثة ، وكانت قرية يتزلها مكرم بن الفُزَر أحد بنى جَعُونَةَ بعسكر كان قد أشغله به الحجاج لمحاربة نُحْرَاز بن بارس ، فأقام بها مدة وأبقي بها البنايات فسميت عَسْكَرُ مُكْرَمٍ . قال : وليس بالأهواز مدينة محدثة سواها ، وبها عقارب صفار مشهورة بالقتل .

(ومنها) رَامَهْرُضْ . قال في "اللباب" : بفتح الراء المهملة والميم وضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم الثانية وفي آخرها زاي معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وسبعون درجة والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي كُورَة من كُورِ الأهواز . قال ويَقَالُ إن سَلْمَانَ الفَارِسِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْهَا . قال المَهَلِّي : وبينها وبين سُوقِ الأهواز تسعة عشر فرسخا .

(ومنها) الدَّورُوقُ . قال في "المشترك" : بفتح الدال المهملة وسكون الواو وفتح الراء المهملة وفي آخرها قاف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال أَبْنُ حَوْقَل : وهي مدينة كبيرة . قال في "المزني" : ومنها إلى أَرْجَانِ ثمانية عشر فرسخا .

(ومنها) حِصْنُ مَهْدِيٍّ . وضبطه معروف ، وموقعه في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وهو حِصْنٌ تجتمع فيه مياه خُوزُستان ثم تصير نهرا وتصب في بحر فارس ، وبينه وبين البصرة خمسة عشر فرسخا .

(ومنها) جُرْحَانُ . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وخاء معجمة ثم ألف ونون . قال : وهي بلدة بقرب السُّوس .

(ومنها) جِبَالُ اللُّورِ . قال في "اللباب" : بضم اللام وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة . قال : وبها جبال يقال لها لُورُستان من بلاد خُوزُستان . وقال أَبْنُ حَوْقَل : غالبُ بلاد اللُّورِ جبال وكانت قديما من خُوزُستان . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلاد خَصْبَةٌ والغالب عليها الجبال ، وهي متصلة بخوزستان ولكن

أفردت عنها . قال في "الأطوال" : وهى بين تُسترواَصْبَهَان ، وأمتدادها طولاً نحو ستة أيام ، وفيها خلق عظيم من الأكراد . قال : وهى حيث الطول أربع وسبعون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال في "مسالك الأبصار" : وهم طائفة كثيرة العدد ومنهم فرق مفرقة فى البلاد ، وفهم مُلك وإمارة ، ولم خفة فى الحركات يقف الرجل منهم إلى جانب البناء المرتفع ويُلصق بطنه بأحدى زواياه القائمة ثم يصعد فيه إلى أن يرتقى صهوته العليا .

ومما يحكى أن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب حضره رجل منهم وصعد فى جدار كذلك ، فأنعم عليه الإنعام الجزيل وأمره أن يُحضّر كل من قدر عليه من أصحابه فأحضر منهم جماعة ، وهو يُخمس إليهم إلى أن لم يبقَ منهم أحدٌ قتلهم عن آخرهم خشيةً مما لهم من قوة التسور ، ومن هؤلاء طوائف بمصر والشام يعرفون بالنورة ، يحالس أحدهم الرجل فيسرق ماله وهولاء يدري ، ويمشون على الجبال المرتفعة ولنسائهم فى ركوب الخيل القروسية العظيمة .

الإقليم الرابع

(فارس)

بفاء مفتوحة بعدها ألف ثم راء مهملة مكسورة وسين مهملة فى الآخر . قال فى "تجويم البلدان" : ويحيط ببلاد فارس من جهة الغرب حدودُ خُوزِستانَ ، وتنام الحدّ الغربى إلى جهة الشمال حدودُ أَصْفَهَانِ والجبال ، ويحيط بها من جهة الجنوب بحر فارس ، ومن جهة الشرق حدودُ كَرْمَانَ ، ومن جهة الشمال المُقَاوِزة التى بين فارس وخراسان ، وتتمام الحدّ الشمالى حدودُ أَصْفَهَانِ وبلاد الجبال ، قال فى "العزيزى" : وعلى نهاية فارس الشرقية ناحية يَزْدَ ، وعلى نهايتها من الجنوب سِراَفُ والبحر ، وحدّها

من الشمال الرُّى . قال ابن حوقل : وقاعدتها فيما ذكره صاحب حماة في تاريخه : (شيراز) . قال في "اللباب" : بكسر الشين المعجمة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفي آخرها زاي معجمة بعد الألف - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وست وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة إسلامية مُحَدَّثَةٌ ، بناها محمد بن القاسم بن أبي عقيل ^(١) التَّقَفِيّ ، وهو ابن عم الحاج بن يوسف . قال : وسميت بشيراز تشبهاً بجوف الأسد لأَنّ عامة الميرة بتلك النواحي تُحْمَلُ إلى شيراز ولا يحمل منها شيء إلى غيرها . قال المهلبى : وهي مدينة واسعة سرية كثيرة المياه ، وشربهم من عيون تتخذ البلد وتجرى في دُورهم ، وليس تكاد تخلو دار بها من بُستان حسن ومياه تجري ، وأسواقها عامرة جليلة ؛ وإليها ينسب الشيخ أبو إسحاق الشيرازى صاحب "التنبيه" رحمه الله ؛ وبها قبر سيويه النحوى ، وبينها وبين أصبهان أثنان وسبعون فرسخاً ، وبها حاكم يكتّاب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) جُور . قال في "اللباب" : بضم الجيم ثم واو وراء مهملة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض إحدى وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من قواعد فارس . قال ابن حوقل : وعليها سور من طين وخندق ، ولها أربعة أبواب وفيها المياه جارية - وهي مدينة زَرْه كثيرة البساتين جداً ويرتفع منها ماء ورد يعم البلاد ، وهي في ذلك كمشق . قال "العزيزى" : ومنها إلى شيراز أربعة وعشرون فرسخاً ، وقال في موضع آخر عشرون فرسخاً .

(١) كذا في التقويم أيضاً وفي سبعم البلدان ابن عقيل .

(ومنها) كَازُرُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الكاف وسكون الألف وفتح الزاي المعجمة وضم الراء المهملة وواو ساكنة وفي آخرها نون - وهي مدينة من كُورة سابور واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول سبع وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أعظم مدينة في كُورة سابور . وقال المهلبي : هي مدينة لطيفة صالحة العبارة . قال ابن حوقل : وهي صحبحة التربة والهواء وماؤها من الآبار . قال في "اللباب" : ونرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) فيروزآباد . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وكسرهما وسكون المثناة من تحت وضم الراء المهملة ثم واو ساكنة وزاي معجمة ثم ألف وباء موحدة وألف ثانية وذال - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وعشر دقائق . قال في "المشترك" : وكانت تسمى في القديم جُور ثم غيرَ اسمها ، وهي بلدة مشهورة على القرب من شيراز ، وهي أصل بلد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي - المقدم ذكره في شيراز .

(ومنها) سِيرَافُ . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الراء المهملة وفاء في الآخر - وهي بلدة على البحر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض ست وعشرون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أعظم فُرْصَةٍ لفارس ، وليس لها زرع ولا ضرع بل هي مدينة حطّ وإقلاع للراكب ، وهي مدينة أهلة ، ولهم عناية بالبيضان حتى إن الرجل من التجار يتفق في عمارة داره ثلاثين ألف

دينار؛ وليس حولها بساتين ولا أشجار؛ وبنائهم بالساج والخشب، يحمل اليهم من بلاد الرّجج؛ وهي شديدة الحرّ .

(ومنها) البَيْضَاء - بفتح الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت وفتح الضاد المعجمة وألف في الآخر . وهي مدينة من عمل إصطخر واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي من أكبر مدُن كورة إصطخر . قال : وسميت البيضاء لأن لها قلعة بيضاء ترى من بُعد، وأسمها بالفارسية نشانك، ويقال إن الحسين الخلّاج منها، وإليها ينسب القاضي ناصر الدين البضاوى صاحب "المنهاج" في أصول الفقه، و"الطوالح" في علم الكلام وغير ذلك . قال المهلبى : وبينها وبين شيراز ثمانية فراسخ .

(ومنها) إصطخرُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون الصاد وفتح الطاء المهملة وفي آخرها راء مهملة قبلها هاء معجمة - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاثون درجة وأثنتان وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أقدم مدُن فارس، وبها كان سرر الملُك في القديم، وبها آثار عظيمة من الأبنية حتى يقال إنها من عمل الجن كما يقال عن تدمر وبعلبك من بلاد الشام . قال في "العزيرى" : وبينها وبين شيراز اثنتا عشر فرسخاً . قال [وينسب إليها] أبو سعيد الإصطخرى أحد أصحابنا الشافعية .

(ومنها) بسا . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة والسين المهملة ثم ألف - وهي مدينة من كورة دارا بجرد واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال

في "الأطوال" حيث الطول ثمان وسبعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ،
والعرض تسع وعشرون درجة . قال ابن حوقل : وهي تقارب شيراز في الكبر وأكثر
خشب أبنيتها السرو ، ويجتمع فيها النارج (٩) والرطب والجوز والأترج ، وإليها ينسب
البساسيري الذي خطب لخلقاء مصر في بغداد .

(ومنها) يزّد . قال السمعاني في "الأنساب" : بفتح المثناة التحتية وسكون الزاي
المعجمة وفي آخرها دال مهملّة - وهي مدينة من كورة إصطخر . قال في "الأطوال"
حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض آنتان وثلاثون درجة . خرج منها
جماعة من العلماء وإليها ينسب القماش البردي .

ومنها - (داراً بيجرد) . قال في "الباب" : بفتح الدال المهملّة وسكون الألفين
بينهما راء ثم باء موحدة وجم مكسورة وراء مهملّة ساكنة وفي آخرها دال مهملّة -
وهي مدينة من فارس واقعة في الإقليم الثالث . قال في "القانون" حيث الطول
ثمان وسبعون درجة ، والعرض آنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : ومعنى
دارا بيجرد عمّل دارا ، وهي مدينة لها سور وخندق تتولد المياه فيه ، وفيه حشيش
يلتف على السابغ فيه حتى لا يكاد يسلم من الغرق ، وفي وسط المدينة جبل كالقبة
ليس له اتصال بشيء من الجبال ، وبنواحيها جبال من الملح الأبيض والأسود
والأصفر والأحمر والأخضر ، يمتد منه ويمتلئ منها إلى البلاد . قال في "المشترك" :
وعملها من أجل كور فارس . قال في "العزيزي" : وأعمالها معدن مؤبياً
ومعدن زئبق .

الإقليم الخامس (كُرمَان)

كما قاله في "مسالك الأبصار" : قال في "المشترك" : بفتح الكاف، ومنهم من يكسرها . قال : وهو صُقع كبير بين فارس وبيحسْتَان ومُكْرَان من بلاد الهند . ويحيط به من جهة الغرب حدود فارس ، ومن جهة الجنوب بحر فارس ، ومن جهة الشرق أرض مُكْرَان من وراء البُلوص إلى البحر ، ومن الشمال المَقَازَة التي هي فيما بين فارس وكُرمَان وبين نُحْرَاسَان . قال في "تقويم البُلدان" : وأرض كُرمَان داخلَة في البحر ، وللبحر ساعدان قد اعتنقا أرض كُرمَان ، فالبحر على ساحل كُرمَان قطعة قوس من دائرة . وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" السَّيرجَان . قال في "اللباب" : بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها والراء المهملة وفتح الجيم وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي أكبر مدينة بكُرمَان، وأبنيتها أقباء لقلعة الخشب بها وداخلها قُنيّ الماء . قال في "اللباب" : وهي مما على فارس .

وتشتمل كُرمَان على عتّة مُدُن .

(منها) جِرْفُت . قال في "اللباب" : بكسر الجيم وسكون المثناة تحت وضم (١١) الراء المهملة وسكون الفاء وفي آخرها تاء مثناة من فوق - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثلاث وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة مجمع للتجار الواصلين من نُحْرَاسَان وبيحسْتَان،

وهى حصينة للغاية . قال المهلبى : وهى من أعظم مدينة بكرمان كثيرة النخل والأترج وبينها وبين السرجان مرحلتان .

(ومنها) زَرْنَد . قال فى "المشترك" : بفتح الزاى المعجمة والراء المهملة وسكون النون وفى آخرها دال مهملة - وموقعها فى الإقليم الثالث . قال فى "القانون" حيث الطول ثلاث وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة مشهورة . قال "المهلبى" : وبينها وبين مدينة السرجان تسعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) بَم . قال فى "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وتشديد الميم - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "العزى" : وهى من كبار مدُن كَرْمَانَ ، وهى مصر من الأمصار . قال ابن حوقل : وهى أكبر من جُرُفَت ، وبها ثلاثة جوامع .

(ومنها) هُرْمُرُ . قال فى "المشترك" : بضم الهاء وسكون الراء المهملة وضم الميم وفى آخرها زاي معجمة - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال فى "تقويم البلدان" : وهى فُرْضة كَرْمَانَ . قال فى "المشترك" : تدخل إليها المراكب من بحر الهند فى خليج . قال صاحب حماة : وهى مدينة كثيرة النخل شديدة الحر . ثم قال : أخبرنى من رآها فى زماننا معنى فى الدولة الناصرية محمد بن قلاوون أن هُرْمُرَ العتيقة خربت من غارات التتروأن أهلها آتقوا عنها إلى جزيرة فى البحر تسمى زَرُون - بفتح الزاى المعجمة وضم الراء المهملة ثم واو وفى الآخرون - وهى جزيرة قريبة من البرغرى هُرْمُرَ العتيقة ،

ولم يبق بهرمز العقبة إلا قليل من أطراف الناس ؛ ومنها إلى أول حدود فارس نحو سبع مراحل .

قلت : وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة كُتِبَ إلى صاحبها عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية في الدولة الناصرية أبي السعادات فرج بن السلطان الشهيد الظاهر برقوق، وسيأتي الكلام على صورة المكتبة إليه في المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم السادس (سجستان والرُخج)

أما سَجِسْتَانُ فقال في " المشترك " : يكسر السين المهملة وكسر الجيم وسكون السين الثانية ثم مشنة من فوقها وألف ونون . قال : وسَجِسْتَانُ إقليم عظيم بين خُرَاسَانَ وبين مَكْرَانَ والسند وبين كَرْمَانَ . قال ابن حوقل : ويحيط بسَجِسْتَانَ من جهة الغرب خُرَاسَانُ، ومن جهة الجنوب المفازة التي بين سجستان وفارس وكَرْمَانَ، ومن جهة الشرق مَفَازة بين سجستان وبين مَكْرَانَ، وهي المفازة الواصلة بين مَكْرَانَ والهند^(١)، وتنام الحد الشرقي في شيء من عمل المُلتان من الهند، ومن جهة الشمال أرض الهند، وفما على خراسان والفُور والهند تقويس . وقال في " العزى " : سجستان شرق كَرْمَانَ إلى الشمال . قال ابن حوقل : وأراضى سَجِسْتَانَ بها الرمال والتخيل، وهي أرض سهلة لا يرى فيها جبل، وتشتت بها الريح وتدم، وبها أرحية تطحن بالريح، والرياح تنقل رمالهم من مكان إلى مكان ، وإذا أرادوا نقل الرمل عن مكان، عملوا هناك حائطا من خشب أو غيره وجعلوا في أسفله طوقا وأبوابا

(١) في " تقويم البلدان " والسند وهو الصواب بدليل ماسياتى .

فقدخل فيها الريح من تلك الأبواب وتطير الرمل وترميه بعيدا، وبجستان خُصْبَةٌ كثيرة الطعام والتمر والأعناب وأهلها ظاهرو اليسار . وقال في "اللباب" : والنسبة إلى بجستان يَجْزَى بكسر السين المهملة وسكون الجيم ثم زاي معجمة على غير قياس . قال : وينسب إليها بِجَسْتَانِي أيضا يعني على الأصل .

وقاعتها (زَرْجِي) . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة والراء المهملة وسكون النون وجيم في الآخر - وهي مدينة كبيرة واقعة في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" " حيث الطول سبع وثمانون درجة، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وقد يطلق على زَرْجِي نفسها بِجَسْتَانُ . قال في "المشارك" : بل أنبى أسم زرج وأطلق أسم الإقليم وهو بجستان على المدينة . وجعل في "اللباب" : زَرْجِي ناحية بسجستان . قال ابن حوقل : ولها سُورٌ وَخَنْدَقٌ يَبِيعُ فيه الماء، وأبنيتها عقود لأن الخشب فيها يسوس ولا يثبت . وفيها مياه تجري في البيوت والأزقة وأرضها سبخة . قال في "اللباب" : ونخرج منها جماعة من العلماء منهم محمد بن كَرام الزَّرْجِي صاحب المذهب المشهور . ولها مُدُنٌ .

(منها) حصن الطاق - وضبطه معروف . قال ابن سعيد : وهو حصن واقع في الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" " حيث الطول ثمان وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة، على جبل عند ألتواء النهر في غاية المنعة لا يرام يحصار . قال وبه يتعصم ملوك هذه البلاد ويعملون فيه خزائهم . أما الطاق المضاف إليها فمدينة صغيرة لها رُستاق، وبها أعناب كثيرة يتسع بها أهل بِجَسْتَان .

(ومنها) سَرَوَانُ . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الثقات - بفتح السين وسكون الراء المهملين وفتح الواو ثم ألف ونون - وهي مدينة من آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ثمان وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة بها فواكه كثيرة ونخيل وأعناب .

(ومنها) بُسْتُ . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها تاء مثناة من فوقها - وهي مدينة على شط نهر الهندسند . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وتسعون درجة وثمان وثلاثون دقيقة ، والعرض اثنتان وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة خصبة كثيرة النخل والأعناب . وقال في "اللباب" : هي مدينة حسنة كثيرة المياه والخضرة . وقال في "العزيزي" : مدينة جليلة بها عدة منابر ورباطات كثيرة عظيمة . وذكر في "اللباب" : أنها من بلاد كابل بين هراة وغزنة . قال ابن حوقل : وبينها وبين غزنة نحو أربع عشرة مرحلة .

وأما (الرَّخِج) فقال في "اللباب" : بضم الراء المهملة وفتح الخاء المعجمة المشددة وفي آخرها جيم . قال ابن حوقل : وهو إقليم عظيم متصل بسجستان فيه عدة مدُن وهي على غاية الخصب والسعة . قال : ومن مدنها بنجوان (٩) ولم يزد على ذلك .

الجناب الثاني

(من مملكة إيران الشمالي)

ويشتمل على عدة أقاليم من الأقاليم العرفية .

الإقليم الأول (إرمينية)

قال ياقوت : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون الياء آخر الحروف وكسر النون ثم ياء ثانية مخففة وقد تشدد - وضبطها في "اللياب" : بفتح الهمزة . قال في "تقويم البلدان" : وقد جمع أرباب المسالك والممالك إرمينية وأزنان وأذربيجان لعسر أفراد إحداها عن الأخرى . قال : ويحيط بها على سبيل الإجمال من الغرب حدود بلاد الروم وشيء من حدود الجزيرة ، ومن جهة الجنوب بعض حدود الجزيرة وحدود العراق ، ومن جهة الشرق بلاد الجبل والدليم ، إلى بحر الخزر ، ومن جهة الشمال بلاد التميمي ثم أفرد أذربيجان بحدود تخصها فقال : يحتملها من جهة الشرق بلاد الجبل وتعام الحد الشرق بلاد الدليم ، ويحتملها من جهة الجنوب العراق عند ظهر حلوان وشيء من حدود الجزيرة . وذكر في "مسالك الأبصار" نحوه إلا أنه ذكر أن حتمها الغربي إلى بلاد الأرمن . قال ابن حوقل : والنسالب على إرمينية الجبال .

وقاعدتها (الدبيل) فيما ذكره ابن حوقل والمهلي . قال في "المشترك" : وهي بفتح الدال المهملة وكسر الباء الموحدة ثم مشنة من تحتها ساكنة وفي آخرها لام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة كبيرة والنصارى فيها كثيرة ، وبها جامع للمسلمين إلى جانب كنيسة النصارى . قال في "العزى" : وهي من أجل البلاد وأنفسها وهي مستقر سلطانها . وبها عتة مدن .

(منها) أَرَزَّجَانُ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الجيم ثم ألف ونون، ويقال بالكاف أيضا عوضا عن الجيم - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة ونحسون دقيقة . قال ابن سعيد : وهى بين سيواس وبين أَرَزْنِ الروم، وبينها وبين كل واحدة منهما أربعون فرسخا ، وما بينها وبين أَرَزْنِ كله مروج ومرعى ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) أَرَزْنُ . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الزاى المعجمة ثم نون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهى من أطراف إرمينية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة ^(١) . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس ونحسون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهى غير أَرَزْنِ الروم، وهى عن خلاط على ثلاثة أيام . قال : ووهيم في "اللباب" بفعلها من ديار بكر من الجزيرة ، والصحيح ما تقدم . وصاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية، على ما سياتى ذكره في الكلام على المكتبات في المقالة الثانية فيما بعد إن شاء الله تعالى .

(ومنها) بِدْلَيْسُ . قال في "تقويم البلدان" : بكسر الباء الموحدة ثم دال مهملة ساكنة ولا م وياء مثناة من تحت ساكنة وسين مهملة . قال : وعن بعضهم أنها بفتح الباء الموحدة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وستون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة

(١) الذى في "تقويم البلدان" أنها من آخر الرابع .

ونحس وأربعون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهل تلك البلاد أنها بين ميا قارقين وبين خلّاط . قال : وهي مدينة مسورة ، وقد خرب نصف سورها ، والمياه تخترق المدينة من عيون في ظاهرها ، ولها بساتين في وادٍ وهي بين جبال تحف بها . قال وهي دون حماة في القدر . وقال ابن حوقل : بلد صغير عامر خصب كثير الخير ، وهي شديدة البرد كثيرة الثلوج ، وصاحبها يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكتابات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(ومنها) أخلّاط . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة وسكون الخاء المعجمة وفتح اللام ثم ألف وطاء مهملة ، ويقال فيها خلّاط بفتح الخاء من غير همز - وموقعها في الإقليم الخامس . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وستون درجة ونحسون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : عن بعض أهلها إنها في مستو من الأرض ، ولها بساتين كثيرة ، وبها عتة أنهار على شبه أنهار دمشق ، وليس يدخل المدينة منها إلا الشيء اليسير ، ولها سور خراب ، وهي قدر دمشق ، والجبال عنها على أكثر من مسيرة يوم ، وبردتها شديد . قال ابن سعيد : وهي أجل مدينة بإرمينية ، وذكرها جليل الشهرة . وقال ابن حوقل : وهي بلدة صغيرة عامرة كثيرة الخير . قال في "العزيزي" : وبينها وبين بديس سبعة فراسخ .

(ومنها) خرت برت - بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وتاء مثناة فوق ثم باء موحدة مكسورة بعدها راء مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق في الآخر ، وتعرف

بمَحْضَن زِيَاد . قال في "تقويم البلدان" : وهي بلدة بإرمينية على القرب من خَلَّاط ، وحاكمها يَكْتَاب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الإقليم الثاني

(أذربيجان)

قال ابن الجوالقي في "المعرب من المعجمة إلى العربية" بقصر الألف وإسكان الدال المعجمة . قال ابن حوقل : الغالب عليها الجبال أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أجمل الأقاليم الثلاثة ، وهي كانت قَرَارَ ملوك بني جنكخان . وبها ثلاث قواعد .

القاعدة الأولى

(أَرْدَبِيل)

قال في "اللباب" : بفتح الهززة وسكون الراء وضم الدال المهملة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء المثناة من تحت ولام في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال في "اللباب" : لعله بناها أَرْدَبِيل بن أَرْدَمِينِي بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال في "العزيزي" : وهي في الجهة الشمالية من أذربيجان . قال : وهي مدينة كثيرة الخصب، وعلى فرسخين منها جبل عظيم الارتفاع لا يفارقه الثلج . قال المهلبي : وأهلها غليظو الطبع سَرِسُو الأخلاق . قال : وبينها وبين تبريز خمسة وعشرون فرسخا . قال في "مسالك الأبصار" : وأعمالها تكون ثلاثين فرسخا . قال : وبها كانت دار الإمارة في صدر الإسلام .

(١) كذا في التقويم أيضا وضبطه بإتوت بفتح الدال وهو المشهور .

القاعدة الثانية

(تَسْبِيْرُ)

قال في "اللباب": بكسر المثناة من فوق وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة ثم مثناة من تحت وفي آخرها زاي معجمة ، والجاري على السنة العاقة توريز بالواو بدل الموحدة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة ونحس وأربعون دقيقة . قال ابن سميذ : وهى قاعدة أذربيجان فى عصرنا . قال فى "اللباب" : وهى أشهر بلدة بأذربيجان ، وبها كان كرسي بيت هولأكو من التتر ، ثم أنتقل بعد ذلك إلى السلطانية الآتية ذكرها . ومبانيها بالقاشاني والحص والكلس ، وبها مدارس حسنة ولها غوطة رائقة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى مدينة أعمرت فى السعادة أنسابها ، وثبتت فى النعمة قواعدها . قال : وهى مدينة غير كبيرة المقدار ، والماء منساق إليها ، وبها أنواع الفواكه لكن ليست بغاية الكثرة ، وأهلها من أكبر الناس حشمة ، وأكثرهم تظاهرا بنعمه ، ولهم الأموال المديدة ، والنعم الوافرة ، والنفوس الأبية ، ولهم التجميل فى زيهم : من المأكول والمشروب ، والملبوس والمركوب ، وما منهم إلا من يأنف أن يذكر الدرهم فى معاملته ، بل لا معاملة بينهم إلا بالدينار . وسبأى ذكر مقدار دينارهم فى الكلام على معاملة هذه المملكة فيما بعد إن شاء الله تعالى - وهى اليوم أم إيران جميعا لتوجه المقاصد من كل جهة إليها ، وبها محط رحال التجار والسفارة وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحين لسلطانها لقربها من أركان محل مشاتهم . قال : ويشد البرد بتوريز كثيرا ، وتوالى الثلوج بها حتى إن سروات أهلها يحثون فى أدريهم ، ليس فيها فجرة ولا يدخلها ضوء إلا ما يروونه من طاقات حيطانها من وراء الزجاج المركب عليها .

القاعدة الثالثة

(السلطانية)

نسبة إلى السلطان ، وأسمها قَنْزُلَان . قال في "تقويم البلدان" : بضم القاف وسكون النون وضم الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ولام ألف ونون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال : وهي عن توديز في سمت المشرق ببيلة يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها - وهي مدينة مُحَدَّمَة ، بناها خربندا بن أرغون بن أبنا بن هولاكو ، على القرب من جبال كيلان ، على مسيرة يوم منها ، وجعلها كرسى مملكته ، وهي في مستو من الأرض ، ومياهها قُتْنِي ، قليلة البساتين والفواكه ، وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد المُصَاقِبَة لها . قال في "مسالك الألبصار" : وهي مدينة قد رُفِعَ بناؤها ، وأتسع فَنَاقُها ، وأُثْقِنَتْ قسمتها في الخطط والأسواق ، وجَلَبَ إليها بانها الناس من أقطار مملكته ، وأستجلبهم إليها بما بسط لسُكَّانها من العدل والإحسان . قال : وهي الآن عامرة أهلة كأنما مر عليها مئوت سنين لكثرة من آستوطنها وتَأَهَّلَ بها وأولد من الولد فيها ، وقد مضت عليها مدة بنوها مَبَالِغُ^(١) الرجال ، وفيهم من جاز إلى الأكتحال .

وبها عِدَّةُ مَدَنٍ غير هذه القواعد .

(منها) سَلَمَاسُ . قال في "الباب" : بفتح السين المهملة واللام والميم وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال المهلب : وهي على آخر حدود أذربيجان من الغرب ، وهي مصر من الأمصار جليل والمتاجر بها وإليها متصلة .

(١) له "حتى بلغ بنوها" أو نحو ذلك .

(ومنها) خُوَيّ . قال في "اللباب" : بضم الخاء وفتح الواو وتسديد المشنة من تحت - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وستون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض ثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي آخر مُدُنْ أَدْرَبِيَّانَ ، وبينها وبين سَلَمَاسَ أحد وعشرون ميلا .

(ومنها) أُرْمِيَّة . قال في "اللباب" : بضم الألف وسكون الراء المهملة والميم في آخرها هاء بعد ياء مشناة من تحتها . قال ابن الجوالقي في "المعزب" : ويجوز في قياس العربية تخفيف الياء منها وتسديدها - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال المهلبي : وهي آخر حدود أَدْرَبِيَّانَ ، وهي مدينة جلييلة . قال : ويقال إن زَرَادَشْت نَبِيَّ المَجُوس منها . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة وُسْطَى عامرة ، وهي في أوّل الجبال وآخر الوطاة ، في الغرب عن سَلَمَاسَ على ستة عشر فرسخا منها ، وبينها وبين الموصل قاعدة الجزيرة أربعون فرسخا ، والموصل في سمت الغرب عنها ، ولأُرْمِيَّةَ قلعة على جبل تسعى قلعة تلا في غاية الحصانة ، كان هولاكو قد جعل أمواله فيها لحصاتها والنسبة إلى أُرْمِيَّةَ أُرْمَوِيَّةَ .

(ومنها) مَرَّاعَة . قال في "المشترك" : بفتح الميم والراء المهملة وألف وغين معجمة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشر دقائق ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال المهلبي : وهي مدينة مُحَدَّثَة كانت قرية ، فزل بها مَرَوَّانُ بن محمد وكان

(١) التي في "تقويم البلدان" وهي في آخر الجبال وأوّل الوطاة التي خلف جبال العرب

هناك سِرْجِينٌ فَرَّغَ النَّاسُ فِيهِ دَوَابَهُمْ فَبَنَاهَا مَدِينَةً فَسَمِيَتْ مَرَاغَةَ . قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ :
وَهِيَ مِنْ قَوَاعِدِ أَذْرَبَيْجَانَ ، وَهِيَ حَصِينَةٌ ، نَزْعَةٌ كَثِيرَةُ الْبَسَاتِينِ وَالرَّسَاتِيْقِ .

(ومنها) مِيَّانَجُ . قَالَ فِي "المَشْتَرَكِ" : يَفْتَحُ الْمِيمُ وَالْمِثْنَةُ مِنْ تَحْتِهَا وَسُكُونُ الْأَلْفِ
وَكَسْرُ النُّونِ وَفِي آخِرِهَا جِيمٌ - وَمَوْقِعُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ . قَالَ
فِي "القَانُونِ" : حَيْثُ الطُّولُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً .
قَالَ فِي "المَشْتَرَكِ" : وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمَيْنِ مِنْ مَرَاغَةَ . وَسَمَّاها
فِي "الْبَابِ" : مِيَّانَهُ يَفْتَحُ الْمِيمُ وَالْمِثْنَةُ مِنْ تَحْتِهَا وَالْفُ نُونٌ وَهَاءٌ . وَقَالَ : نَجْرَجُ
مِنْهَا جَمَاعَةً مِنَ الْعُلَمَاءِ .

(ومنها) مَرَبَنْدُ . قَالَ فِي "الْبَابِ" : يَفْتَحُ الْمِيمُ وَالرَّاءُ الْمَهْمَلَةُ وَسُكُونُ النُّونِ وَفِي آخِرِهَا
دَالٌ مَهْمَلَةٌ - وَمَوْقِعُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ . قَالَ فِي "القَانُونِ" : حَيْثُ
الطُّولُ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ دَرَجَةً ، وَالْعَرْضُ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ دَرَجَةً . قَالَ فِي "الْبَابِ" :
وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ تَبْرِيزَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ عَنْهَا بِمِيلَةٍ يَسِيرَةٌ إِلَى الشَّامِ . وَقَالَ الْمُهَلَّبِيُّ :
هِيَ عَنْ تَدْمُرَ عَلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ فَرَسًا . قَالَ فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" : وَذَكَرَ مَنْ رَآهَا
أَنَّهَا بَلَدَةٌ صَغِيرَةٌ ذَاتُ أَنْهَارٍ وَأَنْجَارٍ .

الإقليم الثالث (أَرَان)

قَالَ فِي "المَشْتَرَكِ" : يَفْتَحُ الهمزة وتشدِيدُ الرَّاءِ الْمَهْمَلَةُ ثُمَّ أَلْفٌ وَنُونٌ .
وَلَهَا قَاعِدَتَانِ .

(١) فِي "تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ" عَنْ ابْنِ حَوْقَلٍ "خَصْبَةٌ" .

القاعدة الأولى

(برَدْعَة)

قال في " الباب " : بفتح الباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملتين ثم عين مهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في " تقويم البلدان " : وهي قاعدة مملكة أَرَان . وقال في " الباب " : هي من أَفَاصِي أَدَرَبِيجَان . قال أَبْن حوقل : وهي مدينة كبيرة كثيرة الحُصْب تَزِيهة . قال : وعلى أَقْل من فرسخ منها موضع [يسمّى الأندراب يكون ^(١)] مسيرة يوم في يوم بُسَاتينُ مشتبكة كلها فواكه . قال المؤيد صاحب حماة : هذا ما كانت عليه في زمان أَبْن حوقل ، أما في زماننا فأخبرني من رآها أنها خربت ولم يبق منها معمور إلا دون المعرفة في القدر ، وهي في مستوٍ من الأرض ، ذات بُسَاتين ومياه ، وهي على القرب من نهر الكَرّ .

القاعدة الثانية

(تَقْلِسُ)

قال في " الباب " : بفتح المشاة فوق وسكون الفاء وكسر اللام وسكون المشاة التحتية وفي آخرها سين مهملة - وموقعها في آخر الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " القانون " : وهي قَصْبَة كرجستان . وقال في " الباب " : هي آخر بلدة من أَدَرَبِيجَان . قال أَبْن حوقل : وهي مدينة مسورة عليها سُورَان ، ولها ثلاثة أبواب ، وبها حَمَامَات مثل حَمَامَات طَبَرِيَّةَ ماؤها ينبعُ سخناً بغير نار ، وهي كثيرة

(١) الزيادة عن " تقويم البلدان " .

الْخِصْبُ . قال ابن سعيد : وكلف المسلمون قد فتحوها وسكنوها مدة طويلة ، وخرج منها جماعة من العلماء ، ثم أسترجمعها الكُرُج وهم نصارى ، وهى بأيدى الكُرُج إلى الآن ؛ وملك الكُرُج صاحبها يكاتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سياتى ذكره فى الكلام على المكاتبات فى المقالة الرابعة فيما بعد إن شاء الله تعالى .
وبها عتة مدن .

(منها) نَسْوَى . قال السمعاني فى " الأنساب " : بفتح النون والشين المعجمة (١) وفى آخرها واو ثم ياء آخر الحروف . وسماها ابن سعيد قَجَّوَان - بفتح النون وسكون القاف وفتح الجيم والواو وبعد الألف نون - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى " الأطوال " حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال ابن سعيد : وهى من المدن المذكورة فى شرق أزان . " قال السمعاني " : وهى بلدة متصلة بإرمينية وأذربيجان . قال ابن سعيد : وهى فى شمالى نهر الكر . قال فى " الأنساب " : وبينها وبين تيريزسته فراسخ . قال ابن سعيد : وقد نحر بها التروقتلوا جميع أهلها .

(ومنها) مُوقَان . قال فى " اللباب " : بضم الميم وسكون الواو وفتح القاف وسكون الألف وفى آخرها نون ، والعانة تُبدل القاف غينا معجمة فيقولون مُوْغان . قال فى " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال السمعاني : وهى بدر بند فيما أظن ، وقال المهلبى : هى من عمل أردبيل . وقال المهلبى : مُوقَان فى نهاية بلاد كِلَانَ فى جهة الغرب . قال ابن حوقل : وبينها وبين باب الأبواب يومان . قال فى " تقويم البلدان " : لم يبق لمدينة مُوقَان فى هذا الزمان شهرة بل المشهور أراضى مُوقَان ، وهى أراض كثيرة المياه والأقصاب والمرأى

في ساحل بحر طَبْرِسَانَ على القرب من البحر، وهي في سَمْت الشَّمال والغرب، عن تَبْرِيز على نحو عشر مراحل منها، وبها يَسْتَقِ أَرْدُو التتر في غالب السنين .

(ومنها) شَمَكُور . قال في ”اللباب“ : بفتح الشين المعجمة وسكون الميم وضم الكاف وسكون الواو وفي آخرها راء مهملة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في ”الأطوال“ حيث الطولُ ثلاث وسبعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمسون دقيقة . قال في ”اللباب“ : وهو حصن من أعمال أَرَان . قال في ”تقويم البلدان“ : وَشَمَكُورُ بَقْرَبُ بَرْدَعَة، وبها منارة في غاية الارتفاع والشُّبُوق .

(ومنها) بَيْلَقَان . قال في ”اللباب“ : بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة من تحت وفتح اللام والفاء ثم ألف ونون . قال في ”القانون“ حيث الطول أربع وستون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . وهي عند شَرَوَان . قال : ولعلها بناها بَيْلَقَان بن أرميني بن لمطى بن يونان فنسبت إليه . قال في ”اللباب“ : وهي مدينة من دَرَبَنْدِ نَخْرَان . قال في ”المشترك“ : وهي من مشاهير البلدان . قال آبن حوقل : وهي كثيرة الخير .

(ومنها) كَنْجَة . قال في ”تقويم البلدان“ : بفتح الكاف وسكون النون وفتح الجيم ثم هاء ساكنة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطولُ أربع وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وعشر دقائق . قال في ”المشترك“ : وهي من مشاهير بلاد أَرَان . قال المؤيد صاحب حماة : وأخبرني مَنْ أقام هناك أنها على مرحلتين من بَرْدَعَة، وبردعة عنها في جهة الغرب بَمِيلَة يسيرة إلى الشمال، وهي قصبة تلك الناحية، وهي في مستو من الأرض وفيها إسمائين كثيرة، وبها التين الكثير . وقد شهر أن من أكل من ذلك التين حُمَ .

(ومنها) شَرَوَان . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح الواو ثم ألف ونون في الآخر - وهي واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول ثمان وستون درجة وست وخمسون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وثلاث وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : بناها أَوْ شَرَوَان فأسقطوا أَوْ للتخفيف وبقى شَرَوَان . قال ابن سعيد : وهي من أَرَان ، وكانت قاعدةً لبلادها ، ثم صارت مملكتها مضافة إلى أَذَرْبَيْجَان . قال : وَبَشَرَوَان الدَّرْبَنْد المشهور . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وهو المعروف في زماننا بِدَرْبَنْد باب الحديد . قال ابن الأثير : وقد نرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) باب الأبواب . قال في "تقويم البلدان" : بإضافة الباب المفرد الذي يُدْخَلُ منه إلى جمعه . قال في "القانون" : ويعرف باب الأبواب بِدَرْبَنْد خُزَان . قال في "تقويم البلدان" : ويعرف هذا المكان في زماننا بباب الحديد بإضافة الذي ينلق إلى الذي يتطرق . قال ابن حوقل : وهي على بحر طَبْرِسْتَان ، وتكون في القدر أصغر من أَرْدَبِيل . قال : ولهم الزرع الكثير وثمار قليلة تحمل إليهم من النواحي . قال : وهي فُرْضة الخَزَر والسَّيرير وسائر بلاد الكفر ، وهي أيضاً فُرْضة جُرجان والدَّيْلَم وطَبْرِسْتَان ، ويحلب إليها الرقيق من سائر الأجناس . قال في "تقويم البلدان" : وهذه الصفات التي ذكرها ابن حوقل على ما كانت في زمانه ، أما اليوم فمن بعض المسافرين أن باب الحديد بِلَيْدَةٍ هي بالقَرْيَةِ أشبه ، على بحر الخَزَر وهي كالحلج بين النهرين الشماليين المعروفين ببَيْت بَرَكَة وبين النهرين الجنوبيين المعروفين ببَيْت هُولَاكُو ، وبها حاكم يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية على ما سيأتي ذكره في الكلام على المكاتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

الإقليم الرابع (بلاد الجبل)

بفتح الجيم والباء الموحدة ولام في الآخر، وصاحب "مسالك الأبصار" بسميها بلاد الجبال على الجمع، والعامة تسميها عراق العجم . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها من جهة الغرب أذربيجان، ومن جهة الجنوب شىء من بلاد العراق وخوزستان، ومن جهة الشرق مفازة خراسان وفارس، ومن جهة الشمال بلاد الديلم وقزوین والرى عند من يخرجهما عن بلاد الجبل ويضمهما إلى الديلم من حيث إن جبال الديلم تحفّ بهما .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في "تاريخه" (أصبهان) . قال في "اللباب" : بكسر الألف وفتحها وسكون الصاد المهملة وفتح الباء الموحدة والهاء وألف ثم نون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وقد تبدل الباء فاء . قال السمعاني : وسمعت من بعضهم أنها تسمى بالمعجمية سباهان . قال وسبا العسكر : وهان الجمع . وذلك أن عساكر الأكاسرة كانوا إذا وقع لهم بكار يجتمعون بها فعربت فقييل أصقهان - وموقعها في الإقليم الثالث . قال في "القانون" : حيث الطول سبع وسبعون درجة وخمسون دقيقة . والعرض ثلاث وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي في نهاية الجبال من جهة الجنوب . قال : وهي مدينتان وإحدهما تعرف باليهودية، وهي من أخصب البلاد وأوسعها خطّة، وبها معدن الكحل الذي لا يسمي، مصابقا لفارس، وإلى أصبهان ينسب الليث بن سعد الإمام الكبير .

قلت : وقد تقدم في الكلام على أعمال الديار المصرية من أوّل هذه المقالة عند ذكر الأعمال القليوبية أنه ينسب إلى بلدنا قلقتنة أيضا وأنه كان له دار بها،

فيحتمل أنه كان أولاً بأصْبَهَانَ، ثم لما رحل عنها إلى مصر نزل فَلَقَشَنَةَ فنسب إليها على عادة من ينتقل من بلد إلى آخر .
ولها عدة مدن .

(منها) إِرْبِل . قال في "المشترك" : بكسر الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الباء الموحدة ولام في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهي قاعدة بلاد شَهْرزُور، وموقعها في الإقليم الرابع . قال ابن سعيد حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وهي مدينة مُحَدَّثة . قال في "المشترك" : بين الرَّاَيْنِ ، فيما بين المشرق والجنوب عن المَوْصِلِ ، على مسيرة يومين خفيفين . قال في "تقويم البلدان" : وعن بعض أهلها أنها مدينة كبيرة قد نَحِرِبَ غالبها، ولها قلعة على تَلٍّ عالٍ داخل السور مع جانب المدينة في مستوى من الأرض، والجبال منها على أكثر من مسيرة يوم، ولها قُبُورٌ تدخل منها اثنتان إلى المدينة للجامع ودار السلطان، وبها حاكم يكتأب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) شَهْرُ زُور . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء ^(١) وضم الراء المهملة والزاى المعجمة وسكون الواو وفي الآخراء مهملة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول سبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وهي بلدة بين المَوْصِلِ وبين هَمْدَانَ بناها زُورُ بْنُ الضُّحَاكِ فقيل شهر زور ، يعنى مدينة شهر . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة . قال في "العريزي" : وهي خِصْبَةٌ كثيرة المتاجر في عُرْزَةٍ إلا أن في أهلها غِلْظَةً وجفاء . قال : وبينها وبين المَرَّاغَةَ ست مراحل .

(١) ضبطها ياقوت بفتح الراء وهو المشهور . (٢) في تقويم البلدان "مدينة زور" وهو الصواب .

(ومنها) الدَّيْنُورُ . قال في "الاسباب" : بفتح الدال المهملة وسكون المثناة تحت وفتح النون والواو ثم راء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي غربي هَمَذَان بِمِيلة إلى الشمال، وهي مدينة كثيرة المياه والمنازه كثيرة الثمار خضبة . قال في "العزيزي" : وبينها وبين الموصل أربعون فرسخاً، وبينها وبين مراغة كذلك .

(ومنها) مَاسَبْدَانُ - بفتح الميم وبعد الألف سين . هملة وباء موحدة وذال معجمة بفتح الجيم وبعد الألف نون . وهي مدينة من سِيرَوَانَ - بكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الراء المهملة وواو وألف ونون . كورة من كُورِ عراق العجم . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وهي مدينة قديمة بين جبال وشعاب . قال : وهي في ذلك تشبه مكة شرفها الله تعالى وعظمتها ، وفيها عيون ماء تجري في وسطها . قال ابن خلكان : وكان المهديّ العباسي يسكنها وبها مات ودفن .

(ومنها) قصر شِيرِينَ - بإضافة قصر إلى شِيرِينَ - بكسر الشين المعجمة ثم ياء آخر الحروف وراء مهملة ثم ياء ثانية بعدها نون في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : وهو قصر شِيرِينَ حَظِيَّة كسرى أبرويز . وقال الإدريسي : شِيرِينَ امرأة كسرى . قال : وبهذا الموضع آثار الملوك الفُرس عجبية، ومنه إلى شهرزور عشرون فرسخاً، ومنه إلى حُلُوان من بلاد العراق خمسة فراسخ .

(ومنها) الصَّيْرَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الميم والراء المهملة وهاء في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" :

حيث الطول إحدى وسبعون درجة وخمسون دقيقة، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة تَزِهة ذات زروع وأشجار، والمياه تجري في دُورها ومحالها . قال أحمد بن يعقوب : وهي في مَرَج أفيح، فيه عيون وأنهار .

(ومنها) قِرْمِيسِينُ . قال في "اللباب" : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وكسر الميم وسكون المثناة من تحتها وكسر السين المهملة ومثناة تحتية ثانية ونون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ووجدناها في كثير من الكتب بإبدال الياء الأولى ألفا . قال في "اللباب" : وهي مدينة بجبال العراق - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "اللباب" : ويقال لها كِرْمَانِشاه . قال في "المزبى" : وهي من أجل مُدُن الجبل وأعظمها خطرا، وهي عامرة غاصّة بالناس . قال : وينبت بها الزعفران .

(ومنها) سُهْرُورْدُ . قال في "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الهاء وفتح الواو وسكون الراء الثانية وفي آخرها دال مهملة . قال في "تقويم البلدان" : كذا ضبطها ولم يذكر الراء الأولى - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة صغيرة، والغالب عليها الأكراد .

(ومنها) زَنْجَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الجيم وألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أقصى مُدُن الجبال

في الشمال . قال في " اللباب " : وهي على حدٍّ أذربيجان من بلاد الجبل ، ينسب إليها جماعةٌ من أهل العلم .

(ومنها) نَهَاوَنْد . قال في " اللباب " : بضم النون وفتح الهاء وسكون الألف^(١) وفتح الواو وسكون النون وبعدها دال مهملّة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول ثلاث وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة على جبل ، ولها أنهار وبساتين ، وهي كثيرة الفواكه ، وفواكهها تحمل إلى العراق لجودتها . قال في " اللباب " : ويقال إنها من بناء نوح عليه السلام ، وإنه كان اسمها نوح أو ند ، فأبدلوا الحاء هاء .

(ومنها) هَمْدَان . قال في " الأنساب " : بفتح الهاء والميم والذال المعجمة وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث انطول أربع وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي وسط بلاد الجبال ، ومنها إلى حُلَوَانَ : أوّل بلاد العراق سبعة وستون فرسخاً . قال : وهي مدينة كبيرة ، ولها أربعة أبواب ، ولها مياه وبساتين وزروع كثيرة . قال في " الأنساب " : وهي على طريق الحاج والقوافل .

(ومنها) أَبَهَر . قال في " المشترك " : بفتح المهملة وسكون الباء الموحدة وفتح الهاء ثم راء مهملّة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في " المشترك " : وهي مدينة بين قَزْوِينَ وَرَنْجَمَانَ . قال ابن خرداذبه : ومنها إلى رَنْجَمَانَ خمسة عشر فرسخاً .

(١) قال ياقوت : " بفتح النون الأولى وتكسر " .

(ومنها) سَاوَة . قال في "اللباب" : بفتح السين المهملة وبعدها ألف ثم واو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال "المهلبّي" : وهي مدينة جليلة على جادة مُجَاج خُرَاسَانَ ؛ وبها الأسواق الحسنة، وبها المنازل الحسنة .

(ومنها) قَزْوِيْنُ . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الزاي المعجمة وكسر الواو وسكون المثناة من تحت وفي آخرها نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون" و"رسم المعمور" حيث الطول خمس وسبعون درجة، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها حصن وماؤها من السماء والآبار، ولها قنّاة صغيرة للشرب فقط . وهي مدينة حصينة، وبها أشجار وكروم كلها عذى لا تسقى، وليس بها ماء جار سوى ما يشرب ويجرى إلى المسجد . قال ابن حوقل : وماء قناتها وريء .

(ومنها) آبَة . قال في "المشترك" : بفتح الهمزة وسكون الألف ثم باء موحدة وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال : والعامة تسميها آوَة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشر دقائق، والعرض أربع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال المهلبّي : وهي مدينة في الشرق بأخفاف إلى الشمال عن هَمَدَانَ، وبينهما سبعة وعشرون فرسخاً . قال في "المشترك" : وبينها وبين ساوَة خمسة أميال .

(ومنها) قَمُ . قال في "اللباب" : بضم القاف وتشديد الميم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "رسم المعمور" حيث الطول أربع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال في "اللباب" : وكان بناؤها في سنة ثلاث وثمانين للهجرة، بناها عبد الله بن سعد

والأحوص وإسحاق وضم وعبد الرحمن بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعريّ من أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث عند أنهبهم من الحجّاج، وكان مكانها سبع قرى فاهلكوا أهلها وبنوها مدينة، كل قرية محلة من محلات المدينة. قال ابن حوقل: وهي مدينة غير مسورة حصينة البناء، وماؤها من الآبار، وبها البساتين على السواني، وبها شجر الفستق والبندق، وأهلها شيعة. قال المهلبيّ: وهي في مرج تقدير سعة عشرة فراسخ في مثلها ثم تفضى إلى جبالها، وبها من الفستق ما ليس بغيرها.

(ومنها) الطالقان. قال في "المشترك": بفتح الطاء المهملّة واللام والقاف ثم ألف ونون. وقال في "اللباب": بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "المشترك": وهو مدينة وكورة بين توريذ وأبهر. قال ابن حوقل: وهي أقرب إلى الديلم من قزوین. وقد أوردتها في "كتاب الأطوال" المنسوب للفرس مع بلاد الديلم. قال أحمد الكاتب: وهي بين جليلين عظيمين، وهي تمس الطالقان بلاد نراسان.

(ومنها) قاشان. قال في "اللباب": بفتح القاف وسكون الألف وبالشين المعجمة وبعد الألف نون. قال: ويقال بالسين المهملّة أيضا - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة. قال في "الأطوال" حيث الطول ست وسبعون درجة، والعرض أربع وثلاثون درجة. قال المهلبيّ: وهي مدينة لطيفة. قال ابن حوقل: هي أصغر من قم وغالب بنائها بالعطين، وهي خصبة؛ وقد خرج منها جماعة من العلماء. قال في "اللباب": وأهلها شيعة.

(١) في تسمية البلدان، بين قزوین وأبهر.

(٢) لذا في الأصل بالأحمال، ولعله وهي غير الطالقان ببلاد الخ.

(ومنها) الرّىّ . قال فى "الباب" : بفتح الراء وتشديد الياء آخر الحروف . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة كبيرة ، قدر عمارتها فرسخ ونصف فى مثله ، وفيها نهران يحران ، وبها قنّى تجرى غير ذلك . وعدها فى "الباب" من الدّيلم ، ويخرج منها قطن كثير للعراق ، وبها قبر محمد بن الحسن صاحب الإمام أبى حنيفة ، والكسائى أحد الفراء السبعة ، والنسبة إليها رازى على غير قياس ، وإليها ينسب الإمام نضر الدين الرازى الإمام المشهور .

(ومنها) الكرج . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف والراء المهملة وفى آخرها جيم - وموقعها فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ست وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهى مدينة متفرقة البناء ليس لها اجتماع المُنْتَبِغ ، وتعرف بكرج أبى دلف . قال فى "المشترك" : لأن أول من مَصَّرَهَا أبودلف القاسم بن عيسى العجلي وقصده الشعراء . قال ابن حوقل : ولها زروع ومواش ، ولكن ليس لها بساتين ولا متنزّهات ، والقواكه تجلب إليها .

(ومنها) خوار . قال فى "المشترك" : بضم الخاء المعجمة وتخفيف الواو وسكون الألف وراء مهملة فى الآخر - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "القانون" حيث الطول ثمان وسبعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة من نواحى الرّىّ تخترقها القوافل . قال فى "القانون" : وقَلْبُها يذكر إلا منسوباً إلى الرّىّ فيقال خوار الرّىّ .

(ومنها) جبال الأكراد . قال في "مسالك الأبصار" : والمراد بهذه الجبال الجبال الحاضرة بين ديار العرب وديار المعجم ، دون أما كن مَنْ توغل من الأكراد في بلاد المعجم . قال : وأبتدأوها جبال همذان وشهرزور ، وأتهاؤها صياحي الكفرة من بلاد التكفور ، وهي مملكة سييس وما هو مضاف إليها مما بأيدي بيت لاون ، ثم ذكر منها عشرين مكانا في كل مكان منها طائفة من الأكراد .

الأول - (دياوش) . من جبال همذان وشهرزور ، وهو مقام طائفة من الأكراد ولهم أمير يخصهم .

الثاني - (دراستك) . وهو مقام طائفة ثانية من الكورانية أيضا ، ولهم أمير يخصهم . قال في "مسالك الأبصار" : والطائفتان جميعا لا تريد عنتهم على خمسة آلاف رجل .

الثالث - داترك وناوند إلى قرب شهرزور . وهي مقام طائفة منهم تعرف بالكلالية ، يعرفون بجماعة سيف ، عنتهم ألف رجل مقاتلة ، ولهم أمير يخصهم ، وهو يحكم على مَنْ جاورهم من الأكراد .

الرابع - مكان بجوار ديار الكلالية المقدم ذكرهم بجبال همذان . وهو مقام طائفة من الأكراد يقال لهم زنكية ، وعنتهم نحو ألفين ذوو شجاعة وحيلة ، ولهم أمير يخصهم ، يحكم على بلاد كيكور وما جاورها من البقاع والكور .

الخامس - نواحي شهرزور . قال في "مسالك الأبصار" : كانت يسكنها طوائف من الأكراد طائفتان إحداهما يقال لها اللوسة والأخرى يقال لها الباسرية ، رجال حُرَب ، وأقبال طعن وضرب ، نزحوا عنها بعد واقعة بغداد ، ووفدوا إلى مصر والشام ، وسكن في أماكنهم قومٌ يقال لهم الحوسة ليسوا من صميم الأكراد .

السادس - مكان بين شهرزور وبين أشنه من أذربيجان؛ به طائفة من الأكراد يقال لهم السولية، يبلغ عددهم نحو ألفي رجل؛ وهم ذوو شجاعة وحجية، وهم طائفتان لكل طائفة منهم أمير يختصهم .

السابع - بلاد بسقاد - وهي مقام طائفة من الأكراد يقال لهم القرياوية ويبدع من بلاد أذربك أماكن أنحر، قال : وعددهم يزيد على أربعة آلاف، ولهم أمير يختصهم .

الثامن - بلاد الكركار - وهي مقام طائفة منهم يقال لها الحسنانية، وهم على ثلاثة أبطن : أحدها طائفة عيسى بن شهاب الدين، ولهم خفر قلعة برى والهامى، وثانيها طائفة تعرف باليلية، وثالثها طائفة تعرف بالجاكية . وجميعهم نحو الألف رجل، ولكل طائفة منهم أمير يختصهم .

التاسع - دربند قرار - وهو مقام الطائفة القرياوية، ولهم خفارة الدربند المذكور، وصاحبه يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . وقد ذكر في "التتيف" أن صاحبه كان سيف الدين بن سيرا الحسنانى .

العاشر - بلاد الكرخين ودقوق الناقه - وبه طائفة منهم عنتهم تريد على سبعمائة ولهم أمير يختصهم .

الحادى عشر - بين الجبلين، من أعمال إربل . قال في "مسالك الأبصار" : وبها قوم كانوا يُدَارُون التتر وملوك الديار المصرية . ففى الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة، وفى الصيف يعينون سرايا الشام فى المجاملة . قال : وعددهم كعدد الكلالية، ولهم أمير يختصهم . وذكر أنه كان لهم فى الدولة المنصورية قلاوون أمير يسمى الخضر ابن سليمان، كاتب شجاع، وأنه وفد إلى الديار المصرية فاخرتمته المنية قبل عوده، وكان معه أربعة أولاد فعادوا بعد موته فى الدولة الزينية كتبنا .

الثاني عشر - مازنجان، وبيرو، وسجدة، والبلاد البرانية - وهي مُقام طائفة منهم يقال لها المازنجانية لا تزيد عنتهم على خمسمائة، وهم طائفة ينتسبون إلى المحمدية، والمازنجانية هم طائفة المبارز كك الموجود اسمه ورسم المكتبة إليه في دساتير المكتبات القديمة . وقد أضيف إليهم الحميدية، وهم طائفة من الأكراد لا تُقص عنتهم عن ألف مقاتل، لأن أميرهم مبارز الدين كك، كان من أمراء الخلافة في الدولة العباسية، ومن ديوان الخلافة لُقّب بمبارز الدين، وكك اسمه . قال : وكان يدعى الصلاح وتُدله النور، فإذا حلت إليه قبلها وأضاف إليها مثلها من عنده وتصلق بهما معا . وذكر نحوه في "التعريف" . ثم كان له في الدولة الهولاء كويته المكانة العلية، وأستأبوه في إربل وأعمالها، وأقطعوه عقرشوش بكالها وأضافوا إليه هراة وتل حفتون وقتموه على خمسمائة فارس، وتولى الإمرة وقوانين (٩) نحو عشرين سنة، وبقى حتى جاوز التسعين وهنته همة الشبان، ثم مات وخلفه ولده عز الدين، فكان من أبيه فتم الخلف، وجرى على نهج أبيه في ترتيب المملكة وعلت رتبته عند ملوك التتر وملوك الديار المصرية، ثم خلفه أخوه نجم الدين خضر بجرى على سمت أبيه وأخيه . ثم قال : وكانت ترد على الأبواب السلطانية بمصر ونواب الشام كتب تهليل بماء الفصاحة كالسحب، وتسرح من أجنابها الأبطال العرب . ثم خلفه ولده بجرى على سنته وبقيت الإمارة في بني . والأمير القائم منهم هو المعبر عنه في الدساتير بصاحب عقرشوش، وله مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الثالث عشر - بلاد شلبياد إلى خفتيان، وما بين ذلك من الدشت والدربند الكبير - وهو مُقام طائفة منهم تعرف بالشهرية معروفون باللصوصية، وهم قوم لا يبلغ عددهم ألفا وجبالهم عاصية، ودربندهم بين جبلين شاهقين يسقيهما الزاب

الكبير . قال في "مسالك الألبصار" : وعليه ثلاث قناطر : آثنتان منها بالبحر والطين، والوسطى مضفورة من الخشب كالخصير، علوها عن وجه الماء مائة ذراع في الهواء، وطولها بين الجبلين خمسون ذراعاً في عرض ذراعين، تمر عليها الدواب بأحمالها، والليل برجالها . وهي ترتفع وتنخفض، يحاطر المجتاز عليها بنفسه ؛ وهم يأخذون الخفارة عندها ؛ وهم أهل غدر وخديعة لا يستطيع المسافر مداقتهم ؛ ولم أمير يخصهم ؛ ولصاحبها مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

الرابع عشر - ما ذكره والرساق، ومرت، وجبل جنتجرين المشرق على أثنائه من ذات اليمين - وهو مقام طائفة منهم يقال لهم الزرزارية، ويقال إنهم ممن تكرر من العجم، ولم عدد جم، يكاد يبلغ خمسة آلاف مائة امرأة وأغنياء وفقراء وأكابر وغيرهم، وجبلهم في غاية العلو والشهوq في الهواء، شديد البرد، بأعلاه ثلاثة أحمار طول كل حجر منها عشرة أشبار في عرض دون الثلاثة، متخذة من الحجر الأخضر المائع، وعلى كل منها كتابة قد أصححت لطول السنين، يقال إنها نصبت لمعنى الإنذار والإخبار عن أهلكه الثلج والبرد هناك في الصيف ؛ وهم يأخذون الخفارة تحته . قال في "مسالك الألبصار" : وكان لهم أمير جامع لكلتهم اسمه نجم الدين باشاك، ثم تولاهم من بعده أبنته جيدة، ثم أبنته عبد الله . قال : وكان لهم أمراء آخرون منهم الحسام شير الصغير، وأبنته باشاك وغيرهم . قال : وينضم إلى الزرزارية شذمة قليلة تسمى بأسم قريتها بالكأن نحو ثلثمائة رجل منفردين بمكان مشرف على عقبة الحان يأخذون عليها الخفارة ؛ ولصاحب ما ذكره مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية . ثم قال في "التتيف" : وهو حنش بن إسماعيل .

الخامس عشر - جولرك - وهو مقام طائفة تسمى الجولركية، وهم قوم نسبوا إلى مكانهم ذلك ففرقوا به، ويقال : إنهم طائفة من العرب من بنى أمية أعصموا

بهذه الجبال عند غلبة بنى البساس عليهم ، وأقاموا بها بين الأكراد فأخترطوا في سلكهم . قال في "مسالك الأبصار" : وهم الآن في عدد كثير، يزيدون على ثلاثة آلاف، كان ملكهم في أوائل دولة التتر أسد بن مكلان، ثم خلفه ابنه عماد الدين، ثم ابنه أسد الدين . وبيلاده معدن الزرنجيين : الأحمر والأصفر، ومنها ينتقل إلى سائر الأقطار . قال : وكان قد ظهر عنده معدن لا زورد فأخفاه لئلا يسمع به ملوك التتر فيطلبونه ، ومعه من أمتع المقاتل ، على جبل مقطوع بذاته ، والزاب الكبير محرق به ، لا يحط للجيش عليه ، ولا وصول للسهام إليه ، وسطحه منسج للزراعة ، وفي كل ضلع من أضلاعه كهف مرتفع يأوى إليه من أراد الامتناع ، وأعله مغمور بالثلج ، والصعود إليه في بعض الطريق يستدعى العبور على أوتاد مضروبة . ومن لا يستطيع التساقط جرباً بالجبال ، وكذلك بغال الطواحين . وملكهم معتمد عند الأكراد، وهو يأخذ الخفارة من جميع الطرقات من تبريز إلى خوى ونقجوان، وهذا هو المعبر عنه في "التعريف" وغيره من الدساتير في المكاتبات بصاحب جولرك؛ وهو يكتب من الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

السادس عشر - بلاد مراكوان . على القرب من الجولركية ، كثيرة الثلوج والأمطار، بلاد زرع وضرع - وهي متاخمة لأرمية من بلاد أذربيجان، وبها طائفة من الأكراد تبلغ عدتهم ثلاثة آلاف، وهم أحلاف للجولركية .

السابع عشر - بلاد كوردات - وهي بلاد مجاورة لبلاد الجولركية من جهة بلاد الروم، وهي بلاد خصبة، وبها طائفة من الأكراد ينتسبون إليها لا إلى قبيلة، وعدتهم نحو ثلاثة آلاف، ولم أمير يخصهم .

الثامن عشر - بلاد الدينار - وهي بلاد تلي بلاد الجولركية، وبها طائفة من الأكراد يقال لهم الدينارية نسبة إلى بلدتهم، وعددهم نحو خمسمائة، ولم سوق وبلد،

وكان لهم أميران ، أحدهما الأمير إبراهيم بن الأمير محمد ، كان له وجه عند الخلفاء ، والثاني الشهاب بن بدر الدين ، توفي أبوه وخلفه كبيراً خلفه في إمرته ، وكان بينهم وبين المازنجانية حروب .

التاسع عشر - بلاد العمادية وقلة هارون . وهي بالقرب من بلاد الجولمركية ، وبها طائفة منهم يقال لهم الهكارية يزيد عددهم على أربعة آلاف مقاتل ، ولم إمارة تخصهم . قال في " مسالك الأبصار " : وهم يأخذون الخفارة في أماكن كثيرة من بخارا إلى بلد الجزيرة . وصاحب هارون يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

العشرون - القمرائية وكهف داود - وبها طائفة منهم يقال لهم التنبكية . قال في " مسالك الأبصار " : وقليل ما هم لكنهم حُمَاة رَمَاءٌ وطعامهم مبنول على خصاصة .

وأعلم أنه بعد أن ذكر في " مسالك الأبصار " ما تقدم ذكره عقب ذلك بذكر جماعة من الأكراد تفرقوا في الأقطار بعد اجتماع ، منهم الصحبة ، وهم قوم كانوا يضاهون الجندية كان لهم أعيان وأمراء وأكابر ، فهلك أمراؤهم ونسيت كبراؤهم ، ولم يبق منهم إلا شزيمة قليلة تفرقت بين القبائل والشعوب . ثم قال : وشُعْبُهُمْ كثيرة : منهم السندية وهم أكثر شُعْبِهِمْ عدداً ، وأوفرهم مَدَدًا ، كانوا يبلغون ثلاثين ألف مقاتل . ومنهم المحمدية ، وكان لهم أمير لا يزيد جمعه على ستمائة رجل . ومنهم الراسية ، كانوا أوفى عدد وعدد ، وجمع ومدد ، ثم تشتت شملهم ، وتفرق جمعهم ، وعادت عدتهم في بلد الموصل لا تزيد على ألف رجل ، وكان لهم أمير يقال له علاء الدين كورك بن إبراهيم في بلد القفر ، ولا ينقص عن خمسمائة ، ومنهم الدينكية ، وهم متفرقون في البلاد لا يزيد عددهم على ألف رجل .

قلت : وقد ذكر في "التحيف" عتة أماكن من بلاد وقلاع يكاتب أصحابها من الأكراد سوى من تقدم ذكره، وهي خمسة وعشرون موضعا .

إحداها - برجو . الثانية - البلهشة . الثالثة - كرم ليس . الرابعة - اندشت .

الخامسة - حردقيل . السادسة - سكرالك . السابعة - قبليس . الثامنة - جرموك .

التاسعة - شنكوس . العاشرة - بهرمان . الحادية عشرة - حصن أزان وهو حصن الملك . الثانية عشرة - ... الثالثة عشرة - سونج . الرابعة عشرة - اكريسا .

الخامسة عشرة - يزاركد . السادسة عشرة - الزاب . السابعة عشرة - الزينة .

الثامنة عشرة - الدربندات العراقية . التاسعة عشرة - قلعة الجبلين .

العشرون - سيدكان . الحادية والعشرون - صاحب رمدان .

الثانية والعشرون - الشعبانية . الثالثة والعشرون - نمرية . الرابعة والعشرون -

المحمدية . الخامسة والعشرون - كركك .

الإقليم الخامس

(بلاد الديلم)

بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة تحت وفتح اللام وميم في الآخر . وهم جيلٌ من الأعاجم سكنوا هذه البلاد فعرفت بهم ، وبمض الناس يزعم أنهم من العرب من بني ضبة ، ومنهم كان بنو بويه القائمون على خلفاء بني العباس ببغداد .

قال ابن حوقل : وهي جبال متسعة إلى الغاية ، وبها غياض ومياه مشيكة في الوجه الذي يقابل طبرستان والبحر ، وبين ذيل الجبل وبين البحر مسيرة يوم ، وربما قصص عن ذلك ، وربما زاد حتى بلغ يومين .

وقاعدتها (رُودَبَار) . قال في "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو وفتح الذال المعجمة والباء الموحدة ثم ألف وراء مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "الأطوال" : حيث الطول خمس وسبعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والارض ست وثلاثون درجة وإحدى وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وبه مقام ملوكهم .

ومن بلادها (كَلَار) . قال في "تقويم البلدان" : بكاف ولام وألف وفي الآخر راء - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القصان" : حيث الطول سبع وسبعون درجة، والارض ست وثلاثون درجة . قال المهلب : وهي مدينة الديلم، وهي في جهة الشرق والجنوب عن لَاهْمَان من بلاد كِلَان .

الإقليم السادس

(الجيل)

قال في "المشترك" : بكسر الجيم وسكون المثناة من تحت ثم لام - وهو اسم لَصُفْعٍ واسع مجاور لبلاد الديلم، ليس فيه قرى كثيرة، وليس فيه مدينة عظيمة . وقال في "الآباب" : الجيل اسم لبلاد متفرقة وراء طَبْرِسْتَانَ . قال : ويقال لها أيضا كِلَان وكِل، فلما عُرِّبَت قيل جِلَان وجِيل، ومنها كُوشِيَار الحكيم الجيلي فيما ذكره ياقوت، وإليها ينسب الشيخ عبد القادر الكيلاني، وبالجملة فهما صُفْعَان متلاصقان يحصر تمييز أحدهما عن الآخر . قال في "مسالك الأبصار" عن الشريف محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الواحد الجيلي : إن بلاد كِلَان في وطاة من الأرض، وإنه يحيط بها أربعة حدود ؛ من الشرق إقليم مَازَنْدَرَانَ، ومن الغرب مَوْقَان، ومن الجنوب عراق العجم، يفصل بينهما جبل يعرف بأشناده، ومن الشمال بحر

الْقَرْمُ، يعنى بحر طَبْرِسْتَانَ . قال : وطول مجموع كيلان بما أبدي ملوكها، وهو شرق
 بغرب نحو عشرة أيام ، وعرضها وهو جنوب بشمال نحو ثلاثة أيام تزيد وتنقص ،
 وهى شديدة الأمطار، كثيرة الأنهار، كثيرة الفواكه خلا النخل والموز وقصب السكر
 والمشمش، ويحب إليها الحمضات من مازَنْدَرَان . قال : ومُذَنْ كيلان غير مسورة ،
 والملوكهم قصور عليّة، وجميع مبانيها بالأجر مفروشة به أيضا كما في بغداد، مسقفة
 بالخشب ، وبعضها معقودة أقباء وعليها قش مصفور، وفي غالب ديارها آبار قريبة
 المستقى نحو ذراعين أو ثلاثة أو أقل ، والأنهار حاكمة على مُذْنِها ، وبها حَمَامَاتٌ
 يجرى إليها الماء من الأنهار ، وبها المساجد والمدارس وتسمى بها الخواصق ، وغالب
 أقواتهم الأرز يعمل منه الخبز والزقاق مع تيسر القمح والشعير عندهم ، والبقر والغنم
 عندهم بكثرة ، وأسعارهم متوسطة إلى الرخص ، وبها الحرير الكثير ، ولها حصون
 في نواحي مازَنْدَرَان وجزائرى بحر طَبْرِسْتَانَ، بها الزمان والبلوط والفواكه ، وفيها
 تحصنهم عند مغالبة العدو لهم ، ولباسهم الألفية الإسلامية الضيقة الأكم وتحافيف
 صفار على رؤوسهم ، ويشنون المناطق والبُود؛ وخيلهم براذين ، وفي سروجهم المحلى
 بالقفزة وغيره ، والملوكهم زى جميل على ضيق بلادهم وقلة متحصلها، ويركب
 الملك بالرقبة السلطانية والمجتاب والسلاح دارية والجندارية والجنايب المجرورة ،
 ويَتَخَذُ بطواهر قصور ملوكهم ميادين خُضْرَ، في أواسطها قصور صفار من الخشب
 فيها جلوسهم لغيرهم والمظالم . ولا يزال بين ملوكهم الخلف، فإذا قصدهم عدو خارجي
 عنهم تآلفوا واجتمعوا عليه ، حتى إن هؤلاء كوجهم جيشا عدته سبعون ألفا
 صهبة نائبه قَطْلُوشاه فلم يبل منهم قصدا ، وكان آخر الأمر أن قُتِل قَطْلُوشاه وهلك
 جُلٌّ من معه . وقد ذكر في ” مسالك الأبصار ” أن بها ثمان قواعد بكل قاعدة
 منها ملك ، بعضهم أكبر من بعض ، وموقع جميعها في الإقليم الرابع .

فأما الكبار فأربع قواعد .

القاعدة الأولى

(بُومِن)

قال في "تقويم البلدان" : بضم الباء الموحدة التي بين الفاء والباء الموحدة وسكون الواو وكسر الميم ثم نون في الآخر . قال : وهي قرية من البحر، وبها فيما يحاذيها مَعْدِن حديد، وبها من معمولات القماش . قال في "مسالك الأبصار" : وصاحبها شافعي المذهب دون غيره من ملوك الجليل، مذهب نشأ عليه ملوكها . قال : وعسكره يزيد على ألف فارس، وبلاده قليلة ولكن غالب دخله من الثَّجَّار، والحرير بها كثير . قال : وصاحبها يدعي النسبة إلى بيت الشرف، وله اعتناء بأهل العلم والفضل، ولباس الملك والجند بها نوع من لباس التتر، ولباس غلمانها قريب من زى التجار، ولم عذبات كالصوفية فقامهم، وعامة أهلها كثيرهم عن جاورهم .

القاعدة الثانية

(تُولُم)

قال في "تقويم البلدان" : بضم المثناة الفوقية وواو ولام وميم، وصاحب "مسالك الأبصار" يثبت فيها ياء مثناة تحية بين اللام والميم - وهي قرية من البحر أيضا . قال في "مسالك الأبصار" : وأمر صاحبها قريب من صاحب بُومِن ولكن لآخرى في بلاده، وهو حنبل المذهب، وعدة عسكره نحو ألف فارس وهم أفرس إخوانهم، ولم على ملوك الجليل استظهار لما ظهر من نكايتهم في عسكر التتر . قال : وزينها كرى بومِن .

القاعدة الثالثة

(كسك)

قال في "تقويم البلدان": بفتح الكافين وسكون السين المهملة بينهما وراء مهملة في الآخر. وقد ذكر أنها دُولَابٌ - بضم الدال المهملة وسكون الواو ولام ألف وباء موحدة في الآخر. قال: وعن السمعاني فتح الدال وأنه أفصح وأنها من حدود الديلم. وذكر في "اللباب" أنها قرية من أعمال الري. قال في "مسالك الأبصار": وصاحبها له صَوْلَةٌ في ملوك تُولَم، وجيشه أكثر عددا من غيره من ملوك الحيل، وبلاده أوسع، وأرضه أخصب وأكثر حَبًّا وفاكهة وأغناما وأبقارا مما حولها، وهي كثيرة السمك والطير. ومنها الشيخ العارف السيد عبد القادر الكيلاني قدس الله روحه.

وأما الصَّغار فأربع أيضا.

القاعدة الأولى

(لأجج)

قال في "تقويم البلدان": بفتح اللام وبعدها ألف وهاء وجم مفتوحان ثم ألف بعدها نون، ثم قال: وهي من الديلم أو كيلان. قال في "الأطوال" حيث الطول أربع وسبعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة. قال في "تقويم البلدان": ومنها يجلب الحرير المشهور إلى البلاد. قال في "مسالك الأبصار": وهي في حال الحرير كما في يومن بخلاف غيرها من سائر بلاد الجليل.

القاعدة الثانية - (سحلم).

القاعدة الثالثة - (مرست).

القاعدة الرابعة - (تنفس).

ولها عدة مدُن غير القواعد .

(منها) كُوثُم . قال في "تقويم البلدان" : بضم الكاف وواو ساكنة ثم تاء مثناة فوقية مضمومة ثم ميم في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : قال من رآها إنها مدينة لها بساكنين ، وهي نافلة عن البحر مسيرة يوم . قال المهلبى : وهي مدينة كبيرة للجليل .

(ومنها) سألُوس . قال في "تقويم البلدان" : المشهور بالسين المهملّة وألف ولام مضمومة وواو ساكنة ثم سين ثانية وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وسبعون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي على البحر ولها منعة وهي صعبة المسلك . قال المهلبى : وهي أترحة طَبَرَسْتَان من جهة الغرب .

الإقليم السابع

(طَبَرَسْتَان)

بفتح الطاء المهملّة والباء الموحدة والراء المهملّة وسكون السين المهملّة وفتح التاء المثناة فوق وألف ثم نون . قال في "تقويم البلدان" : وهي في جهة الشرق عن بلاد الديلم وكيلان . قال : وإنما سميت طَبَرَسْتَان لأن طَبَر بالفارسية القَاسُ ، وهي من كثرة أشبائك أشجارها لا يسلك فيها الخيُش إلا بعد أن تقطع الأشجار بالطَبَر من بين أيديهم ، وآستان بالفارسية الناحية ، فسميت طَبَرَسْتَان أى ناحية

(١) ضبطها ياقوت بفتح الكاف والتاء .

(٢) ضبطه ياقوت بكسر الراء ، وقد تاجناه في ضبط ماتة م .

الطَّيْر . قال في "العزى" : وهى فى غاية المنعة والحصانة بالجبال المنبئة المحيطة بها من كل جانب ، وفى وسط الجبال الأراضى السهلة ، وفيها من كثرة المياه والفياض ما لا يساويها فيه بلد آخر ، وهى عن قزوین فى الشرق بأخفاف إلى الشمال . قال ابن حوقل : وهى بلاد كثيرة المياه والأشجار والغالب عليها الفياض ، وأبنيتها بالخشب والقصب ، وهى بلاد كثيرة الأمطار . ويرتفع منها حريريم الآفاق ، وغالب خبزهم الأرز . قال : وليس بجميع طبرستان نهر تجرى فيه السفن ، إلا أن البحر قريب منهم على أقل من يوم . قال ابن خلكان : والنسبة إليها طبرى .

وقاعدتها (أمل) . قال فى "المشترك" : همزة مفتوحة بعدها ألف ثم ميم مضمومة ولام فى الآخر . وهى مدينة من طبرستان واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول سبع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال فى "القانون" : وهى قصبة طبرستان ، وهى أكبر من قزوین ، مشتبكة بالعمارة لا يعلم على قدرها عمر منها فى تلك النواحي . قال أحمد الكاتب : وهى على بحر الديلم . وقال فى "المشترك" : هى أكبر مدينة بطبرستان . ومنها أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى الإمام الكبير المشهور . ولها عدة مدن .

(منها) رويان . قال فى "المشترك" : بضم الراء المهملة وسكون الواو ثم ياء مشاة من تحت وألف ونون . وهى مدينة من طبرستان واقعة فى الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال فى "رسم المعمور" : حيث الطول ست وسبعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال فى "المشترك" : وهى مدينة كبيرة فى جبال طبرستان ، ولها كورة عظيمة وعمل . قال فى "الباب" : وخرج منها جماعة كثيرة من العلماء .

(ومنها) مَاطِيزُ . قال في "اللباب" : بفتح الميم وكسر الطاء المهملة وسكون المثناة من تحت وراء مهملة في الآخر . قال في "اللباب" : وهي بلدة من عمل أَمَلْ ، خرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) دِهِسْتَانُ . قال في "اللباب" : بكسر الدال المهملة والهاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة من فوق ثم ألف ونون . قال ابن حوقل : وهي مدينة من طَبَرَسْتَانَ ، وقيل هي من تُرْسَاتٍ .. وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول إحدى وثمانون درجة وعشر دقائق ، والعرض ثمان وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة عند مَازَنْدَرَانَ ، بناها عبد الله بن طاهر ، ومعناها بالفارسية موضع القرى ، وهي آخر حد طَبَرَسْتَانَ بين جُرْجَانَ وَخَوَارَزْمَ .

الإقليم الثامن

(مَازَنْدَرَانَ)

بفتح الميم وبسبب ألف وفتح الزاي المعجمة وسكون النون وفتح الدال والراء المهملتين وألف ثم نون ، وهو إقليم على القرب من طَبَرَسْتَانَ وقاعدتها (جُرْجَانُ) . قال في "اللباب" : بضم الجيم وسكون الراء المهملة وجم ثانية وألف وفي آخرها نون . قال في "المشترك" : والعجم تسميها كُرْكَانَ بضم الكاف وسكون الراء المهملة . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمسون دقيقة . قال "المهلّي" : وهي

مدينة جَلِيلَة بين تُرَّاسَانَ وبين طَبْرَسَانَ . فَخَوَارِزْمُ منها في جهة الشرق وطَبْرَسَانُ منها في جهة الغرب . قال : وهي بلدة كثيرة الأمطار، متصلة الشتاء، وفي وسطها نهر يجري ، وهي قرية من بحر الخزر، والجبال مُحْتَفَةٌ بها فهي سَهْلِيَّةٌ جَبَلِيَّةٌ ، يجتمع فيها فواكه الثَّوَرِ والنَّجْدِ . قال : وبها من خشب الخَلْتَجِ ما لمس في بلد آخر مثله . ولها مَدُنٌ أخرى .

(منها) سَارِيَّةٌ . قال في ”اللباب“ : بفتح السين المهملة وألف وراء مهملة ومثناة من تحته وهاء . قال في ”اللباب“ : وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقال ابن سعيد : من طَبْرَسَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . وفي شرقها خَوَارِزْمُ الرِّيِّ - وبينهما نحو ثمانين ميلاً .

(ومنها) أَسْتَرَابَادُ . قال في ”المشترك“ : بفتح الهمة . وقال في ”اللباب“ : بفتح الهمة وسكون السين المهملة وكسر المثناة من فوق وفتح الراء المهملة وباءء الموحدة بين ألفين وفي آخرها ذال معجمة . قال في ”اللباب“ : وقد يُلْحَقُونَ فيها ألفاً أخرى بين التاء والراء . قال في ”المشترك“ : أَسْتَرَامُ رجل وإبازد أَسَمُ عمارة ، فكأنه قال عمارة أَسْتَر . وهي مدينة من مَازَنْدَرَانَ . وقيل من تُرَّاسَانَ . وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في ”القانون“ حيث الطول تسع وسبعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وخمس دقائق . قال في ”العزيزي“ : وهي على حَدِّ طَبْرَسَانَ ، وبينها وبين أَمَلٍ : قَصْبَةُ طَبْرَسَانَ تسعة وثلاثون فرسخاً .

(١) التي في تميم البلدان عن اللباب بكسر الألف .

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح .

(ومنها) أَبْسُكُونُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف الممدودة وضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة وضم الكاف وفي آخرها نون - وهي بلدة على ساحل بحر الخَزَرِ واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وعشر دقائق . قال في "القانون" : وهي قُرْصَةُ جُرْجَانَ . قال ابن حوقل : وإليها ينسب بحر أَبْسُكُونُ ، ومنها يركب إلى الخَزَرِ وإلى باب الأبواب والجيل والدَّيْلَمِ وغير ذلك .

الإقليم التاسع (قُومَسُنْ)

قال في "اللباب" : بضم القاف وسكون الواو وفتح الميم وفي آخرها سين مهملة . قال : ويقال لها بالفارسية كُومَسْ بإبدال القاف كافا . قال : وهي من بَسْطَامَ إلى سِمْتَانَ ، وهما من قُومَسْ بين خُرَّاسَانَ وبين الجبال ، أولها من ناحية الغرب سِمْتَانَ . قال أحمد الكاتب : وقُومَسُ بلدٌ واسع جليل القدر . وقال في "المشترك" : قُومَسُ موضع كبير فيه بلاد كثيرة وقُرَى - وقاعدتها (سِمْتَانُ) . قال في "المشترك" : بكسر السين المهملة وسكون الميم ونونين بينهما ألف . قال في "القانون" حيث الطول تسع وسبعون درجة وخمس عشرة دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهو بلد مشهور بين ارَّيِّ والبَاهْمَانِ .
وبها مدُنٌ أيضا .

(منها) الدَّامَقَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الدال المهملة وألف وفتح الميم والسين المعجمة وألف ثانية ثم نون - وموقعها في الإقليم الرابع . قال في "القانون"

(١) ضبطها ياقوت بفتح الباء . - (٢) ضبطها ياقوت بكسر الميم .

حيث الطولُ تسع وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة .

(ومنها) بَسْطَامُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون السين وفتح الطاء المهملتين وفي الآخريم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "اللباب" : وهي بلدة مشهورة . قال ابن حوقل : ولها البساتين الكثيرة ، وهي كثيرة الفواكه ، وإليها ينسب أَبُو يَزِيدَ الْبَسْطَامِيُّ الزاهد .

الإقليم العاشر

(نُحْرَاسَانُ)

قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة وألف ثم سين مهملة وألف ونون - وهي بلاد كثيرة . قال : وأهل العراق يقولون إنها من الرُّى إلى مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، وبعضهم يقول من حُلُوتَانِ إلى مَطْلَعِ الشَّمْسِ ، ومعنى خُرَاسَمٌ للشَّمْسِ ، واسان موضعُ الشيء ومكانه ، وقيل معنى نُحْرَاسَانُ كُلُّ بِالرَّافِيَةِ . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط بها من جهة الغرب المَفَازَةُ التي بينها وبين بلاد الحِمْيَلِ وَجُرْجَانَ ، ومن جهة الجنوب مَفَازَةُ فاصلة بينها وبين فَارِسَ وَقُومَسَ ، ومن الشرق نَوَاحِي سِيحِسْتَانَ وبلاد الهند ، ومن جهة الشمال بلاد ماوراء النهر وشيْءٌ من تُرْكُسْتَانَ . قال : وَنُحْرَاسَانُ تَشْتَمِلُ عَلَى عِدَّةٍ كُورٍ كُلُّ كُورَةٍ مِنْهَا نَحْوُ إِقْلِيمٍ .

ومن كورها المشهورة (جَوْنُ) بضم الجيم وفتح الواو وسكون المثناة من تحت ونون في الآخر . (وَقُومَسْتَانَ) بضم القاف وسكون الواو وفتح الهاء وسكون السين المهملة وفتح المثناة فوق وألف ثم نون . (بَشْتُورُ) بفتح الباء الموحدة والسين المعجمة

الساكنة ثم شين معجمة وواو وراء مهملة في الآخر. و(مَرَوْ) بفتح الميم وسكون الراء المهملة وواو في الآخر. و(طُوسٌ) بضم الطاء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر. و(يَهَقُ) بفتح الباء الموحدة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح الهاء وقاف في الآخر. و(يَاخَرُ) بفتح الباء الموحدة ثم ألف وخاء معجمة وراء مهملة ساكنة وزاي معجمة ؛ وإليها ينسب اليَاخَرُزَى الذي أسلم على يديه بَرَكة .

وقاعدتها فيما ذكره المؤيد صاحب حماة في تاريخه (يَسَابُورُ) . قال في "اللباب" :
بفتح النون وسكون المثناة من تحتها وفتح السين المهملة وسكون الألف وضم الباء الموحدة وبعدها واو وراء مهملة . قال في "اللباب" : وسُميت يَسَابُورَ لأن سابور الملك لما رعاها ، قال : يصلح أن يكون هاهنا مدينةً ، وكانت قَصْبًا فأمر بقطع القَصَب وأن تبنى مدينة ، فقبل نيسابور والتي هو القَصَبُ . قال ابن سعيد :
والعجم تسميها كَسَاور . قال في "تقويم البلدان" : وأسمها الآن كَسَاورُ ؛ بمعنى بفتح النون والشين المعجمة وألف وفتح الواو وراء مهملة في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة مشهورة في أرض سَهْلَة ، وهي مفرشة البناء مقدار فرسخ في فرسخ ، وبها فُني ماء ، وهي صحيحة الهواء . قال في "اللباب" : وهي أحسن مُدُن خُرَاسان وأجمعها للخير . قال أحمد بن يعقوب الكاتب : وبينها وبين كُلِّ من مَرَوْ ومن هَرَاة ومن جَرْجَانَ ومن الدَّامَغَانَ عشر مراحل .

وبها مدن عديدة .

(منها) الطَّابَرَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة والراء المهملة وبعده الألف نون . قال في "التانون" : وهي قصبة طُوس من كُورِ

نُحْرَاسَانَ - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمس وثلاثون درجة وعشرون دقيقة . قال في "المزبى" : وهي من أجل مدن نُحْرَاسَانَ .

(ومنها) نَوْقَانُ . قال في "اللباب" ^(١) : بفتح النون وسكون الواو وفتح القاف وبعد الألف نون - وهي مدينة من أعمال طُوس من نُحْرَاسَانَ، موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول آنتان وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض ثمان وثلاثون درجة . قال المهلب : وهي من أجل مدن نُحْرَاسَانَ وأعرها، وبظاهرها قبر الإمام علي بن موسى بن جعفر الصادق، وقبر هارون الرشيد الخليفة العباسي؛ وبها معدن الفيروزج والذهب .

(ومنها) إسْفَرَايُنُ . قال في "اللباب" ^(٢) : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الفاء والراء المهملة وكسر المثناة التحتية ونون في الآخر - وهي بلدة بنواحي نيسابور من نُحْرَاسَانَ - موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وسبعون درجة ، والعرض ثلاث وثلاثون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى المِهْرَجَانُ أيضا بكسر الميم وسكون الميم وفتح الراء المهملة والجيم وألف ونون في الآخر . يقال إن كسرى سماها بذلك تشبيها بالمِهْرَجَانِ أحد أعياد الفرس : لأن المِهْرَجَانِ أطيب أوقات الفصول، شبيها بذلك تخضرتها ونضارتها، وإليها ينسب الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني الإمام الكبير المشهور .

(ومنها) خُسْرَوَرْدُ . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وسكون السين وفتح الراء المهملتين وسكون الواو وكسر الجيم ثم راء ودال مهملتان - وموقعها

(١) ضبطها ياقوت بالضم .

(٢) ضبطها ياقوت بالفتح، ثم قال ويا مكسورة ويا أخرى ساكنة .

في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وثمانون درجة ونحس دقائق، والعرض ست وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي قَصَبَة ناحية يَبَقَّ من خُرَّاسَانَ . وقال في "اللباب" : كانت قَصَبَتَهَا ثم صارت القصبة سبروار .

(ومنها) نَسَا . قال في "المشترك" : بفتح النون والسين المهملة وألف مقصورة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول اثنتان وثمانون درجة، والعرض تسع وثلاثون درجة . قال في "المشترك" : وهي مدينة من خُرَّاسَانَ بين أَسْوَرْدَ وسَرَخْسَ . قال ابن حوقل : وهي مدينة خِصْبَة، ومنها الإمام أحمد النسائي صاحب السنن .

(ومنها) أَزَادَوَار . قال في "تقويم البلدان" : بالهمزة والزاي المعجمة ثم ألف وذال معجمة وواو مفتوحتين وألف وراء مهملة في الآخر . وهي قَصَبَة جُورَيْنَ من خُرَّاسَانَ . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمانون درجة ونحس وأربعون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة؛ ومنها إمام الحرمين الإمام الشافعي المشهور .

(ومنها) قَائِنُ . قال في "اللباب" : بفتح القاف وبعد الألف ياء مثناة تحتيه مكسورة ثم نون . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول أربع وثمانون درجة ونحس وثلاثون دقيقة [والعرض ثلاث وثلاثون درجة ونحس وثلاثون دقيقة^(١)] . قال ابن حوقل : وهي قَصَبَة قَوْهَسَتَانَ، من خُرَّاسَانَ على مفازة . قال : وهي مثل سَرَخْسَ في الكبر، وماؤها من القتي، وبساتينها قليلة، وقرائها متفرقة . قال في "اللباب" : وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(١) الزيادة عن تقويم البلدان نقلا عن القانون .

(ومنها) سَرَحْس . قال في "تقويم البلدان" : بفتح السين والراء المهملتين ثم خاء معجمة ساكنة وسين مهملة ساكنة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة بين نيسابور وبين مرو في أرض سهلة ، وليس لها ماء جار إلا نهر يجري في بعض السنة ، وهو فضلة مياه هَرَاة ، والغالب على نواحيها المراعى ، ومعظم مال أهلها الجمل ، وماؤه من الآبار ، وأرجبتهم على الدواب . قال المهلب : والرمال مُحَنَّةٌ بها .

(ومنها) بُوَشْنَج . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وسكون النون وجيم في الآخر . قال في "اللباب" : ويقال لها أيضا قُوشْنَج بالفاء بدل الباء . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها أيضا بُوَشْنَك بالكاف بدل الجيم . قال ابن حوقل : وهي مدينة على نحو النصف من هَرَاة في مستوى من الأرض ، ولها مياه وأشجار كثيرة ، وماؤها من نهر يَرَاة ، وهو يجري من هَرَاة إلى بُوَشْنَج إلى سَرَحْس .

(ومنها) هَرَاة . قال في "اللباب" : بفتح الهاء والراء المهملة ثم ألف وهاء في الآخر . قال في "التعريف" : ولا يسمع عجمي يقول إلا هري - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي من حُرَّاسَانَ ، ولها أعمال ، وداخلها مياه جارية ، والجبل منها على نحو فخرتين ، ومنه تعمل حجارة الأرحية وغيرها ، وليس به محتطب ولا مَرَعَى ، وعلى رأسه بيت ناركان للقرس ، وخارج هَرَاة المياه والبساتين . قال في "المشتك" : وكانت مدينة عظيمة فخر بها التتر . قال في "اللباب" : وكان فتحها في خلافة أمير المؤمنين

عثمان رضى الله عنه . قال : والنسبة إليها **هَرَوِيٌّ** . قال في "مسالك الأبصار" :
ومن الناس من يعدّ **هَرَاة** مفردة بذاتها عن **نُحْرَاسَانَ** ؛ وصاحبها يكتب عن الأبواب
السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) **مَرَوُ الرُّوذِ** . قال في "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة
وفي آخرها واو . وقال في "اللباب" بفتح الواو وألف ولام وضم الراء الثانية
وسكون الواو وذال معجمة ، والرُّوذُ بالعجمة النهر ، ومعناه **مَرَوُ النهر** . وموقعها
في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول سبع وثمانون
درجة وأربعون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال
أبن حوقل : وهي أكبر من **بُوشَنَج** ، ولها نهر كبير وعليه البساتين ، وهي طيبة التربة
والهواء ، والجبل عنها في جهة الغرب على ثلاثة فرائخ . قال في "اللباب" : وهي
من أشهر مدُن **نُحْرَاسَانَ** ، والنسبة إليها **مَرَوَرُوذِيٌّ** و**مَرَوُذِيٌّ** أيضا .

(ومنها) **مَرَوُ الشَّاهِجَانِ** . قال في "المشترك" : بفتح الميم وسكون الراء المهملة
وواو في الآخر ، وهو مضاف إلى الشاهجان بفتح الشين وألف بعدها هاء ثم جيم
وألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "المشترك" :
و**مَرَوُ الشَّاهِجَانِ** معناه رُوح الملك . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع
وثمانون درجة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وأربعون دقيقة . قال أبن حوقل :
وهي مدينة قديمة يقال إنها من بناء طهمورث : أحد ملوك القُرْس . قال في "مسالك
الأبصار" : ويقال إنها من بناء ذى القرنين . قال : وهي في أرض مستوية بعيدة
عن الجبال لا يرى منها الجبل ، وأرضها كثيرة الرمل وفيها سُبوخة ، ويمر على بابها
نهر يدخل منه الماء إلى حياض المدينة ، ومنه شرب أهلها ؛ ولها ثلاثة أنهار أخرى
وبها الفواكه الحسنة قدّدت وتحمل إلى البلاد ؛ وبها الزبيب الذي لا نظير له ؛ ولها من

النظافة وحسن الترتيب وتقسيم الأبنية والفُروس على الأنهار، وتميز كل سوق عن غيره مالميس لغيرها من البلاد . قال في "المشترك" : والنسبة إليها مَرَوِزِي . قال في "تقويم البلدان" : وبها كان مُقام المأمون لما كان بِمُحَرَّاسَانَ، وبها قُتِلَ يَزْدَجَرْدُ آخرُ ملوك الفُرس، ومنها ظهرت دولة بنى العباس، وبها صُيغ أول سواد لبسته المسوَّدة، ومنها يرتفع الحرير الكثير والقطن . قال في "المشترك" : وبينها وبين كل من يَسَابُورَ وَهَرَاءَ وَبَلَّخَ وَبُخَارَا مسيرة اثني عشر يوما .

(ومنها) الطَّلَاقَانُ . قال في "المشترك" : بفتح الطاء المهملة واللام والقاف ثم ألف ونون . وقال في "اللباب" : بتسكين اللام - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وثمانون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة نحو مَرَوِ الرُّود في الكبَر، ولها مياه جارية وبساتين قليلة، وهي في جبل، ولها رُستاق في الجبل، وهي غير الطَّلَاقَانِ المتقدم ذكرها في عراق العجم .

(ومنها) بَلَّخَ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون اللام وفي آخرها خاء معجمة - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة في مستوٍ من الأرض . بينها وبين أقرب جبل إليها أربعة فراسخ، والمدينة نصف فرسخ في مثله، ولها نهر يسمى الدهاش يجرى في رِضْها، وهو نهر يدير عَشْرَ أَرْجِيَّةٍ، والبساتين تحتف بها من جميع جهاتها، وبها الأَثَرُجُ وَقَصْبُ السُّكَّرِ، وتقع في نواحيها التلوج . قال في "اللباب" :

(١) وقع في التقويم بإهمال السين، ولم تشرطه في المعجم ولا في القاموس .

فتحتها الأحنف بن قيس التيمي في خلافة عثمان رضي الله عنه؛ وتخرج منها مالا يحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء .

(ومنها) شَهْرَسْتَان . قال في "اللباب" : بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وفتح الراء وسكون السين المهملين وفتح التاء المثناة من فوق وبعد الألف نون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة قال في "الأطوال" و"القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة ، والعرض ست وثلاثون درجة وإحدى وأربعون دقيقة . قال في "المشترك" : شَهْرَبَاغَةُ الفرس المدينة ، واستان الناحية ، فعني أسمها مدينة الناحية . قال : وهي مدينة مشهورة بين نَيْسَابُورَ وَخُورَزْمَ في آخر حدود خُرَاسَانَ وأول حدود رَمَالَ خُورَزْمَ .

الإقليم الحادي عشر

(زَابُلِسْتَانُ)

بفتح الزاي المعجمة ثم ألف بعدها باء موحدة ولام مضمومتان وسين مهملة ساكنة وتاء مثناة فوق مفتوحة ثم ألف ونون - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وخمسون دقيقة ، والعرض أربع وثلاثون درجة وخمس عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة لها بلاد وأعمال ، وهي عن بَلْخَ على عشر مراحل ، وعندها نهر كبير يجري ؛ وليس لها بساتين بل هي مدينة على جبل ، والقواكه تأتيها مجلوبة . قال في "اللباب" : وبها قلعة حصينة .

ولها مدن غيرها .

(منها) غَزْنَةُ . قال في "اللباب" : بفتح الغين وسكون الزاي المعجمتين وفتح

النون - وموقعها في آخر الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" و "القانون" حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والمرض ثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : هي من عمل الباميان؛ وقد تقدم أن الباميان من زابلستان . وقال في "اللباب" : هي من أول بلاد الهند . وقال في "مزيل الأرتياب" : هي في طرف خراسان وأول بلاد الهند، وهي كالخذ بينهما . قال ابن حوقل : وهي قُرْصَة الهند وموطن التجار، ولها دَرَبَنْد مشهور .

(ومنها) بَجَّهِيرُ . قال في "اللباب" : بفتح الباء الموحدة وسكون النون وفتح الجيم وكسر الهاء وسكون المثناة تحت وراء مهمله في الآخر - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول أربع وتسعون درجة وعشرون دقيقة، والمرض خمس وثلاثون درجة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من أعمال الباميان على جبل، والغالب على أهلها العيثُ والفساد . قال في "اللباب" : وبها جبل الفضة، والدرهم بها كثيرة، لا يشترون ولو بأَقَّة بَقْل بأقل من درهم، وقد جعلوا السوق كهيئة الغريال لكثرة الحفر . قال : وإنما يتبعون عروقاً يحidonها تُفِضِي إلى الفضة، فإذا وجدوا عرقاً حفرُوا أبداً إلى أن يصيروا إلى الفضة، والرجل منهم يُنْفِقُ الأموال الكثيرة في الحفر، وربما خرج له من الفضة ما يستغني به هو وعقبه، وربما خاب عمله لقلة المال وغير ذلك، وربما وقف رجل على العرق ووقف آخر عليه في موضع آخر فإخذان جميعاً في الحفر؛ والعادة عندهم أن من سبق فاعترض على صاحبه فقد آسحق .

الإقليم الثاني عشر (الغور)

قال في "النداب" : بضم الفين المعجمة وسكون الواو وراء مهملة في الآخر .
قال : وهي بلاد في الجبال بِحُرَّاسَانَ قَرْيَةً من هَرَّاءَ، وهي مملكة كبيرة، وغالبها جبال
عامرة ذات عيون وبساتين وأنهار، وهي بلاد حصينة مُنِيعَة، وتحيط بها حُرَّاسَانُ
من ثلاث جهات ولذلك حُصِنَتْ من خراسان، والحد الرابع لها قِبَلَ بَحْسَتَانِ .

وقاعدتها فيما قاله في "تقويم البلدان" (يَرُوزْكُوَه) . قال في "المشترك" :
بكسر الباء الموحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاي معجمة
وضم الكاف وواو وهاء - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال
في "المشترك" : معنى يَرُوزْكُوَه الجبل الأزرق ؛ وهي قلعة حصينة دار مملكة
جبال الغور . قال : وبها كان مستقرا بنو ساحان ملوك الغور^(١) .

قلت : وبلاد الغور وَغَزَنَةُ وما والاها وإن عتقا في "مسالك الأبصار" من
مملكة التورانيين، فإنها ليست من أصل مملكة تُورَان، وإنما تغلب ملوكها عليها
من مملكة إيران، فلذلك أُنِيتْها في مملكة إيران ؛ وما غلب عليه بنو هولاكو من مملكة
الروم، وهو قُوْنِيَسَة وما معها ليس من مملكة إيران بل هو مملكة مستقلة بذاتها كما
سبأني، ولذلك لم أُنِيتْها في مملكة إيران والله أعلم .

(١) كما في الأصل على هذه الصورة، والذي في التقويم "بها كان مستقرا آل سام الخ" وفي معجم البلدان
"بناها بنو سام ملوك الغورية" .

الجملة الثالثة

(في الأنهار المشهورة)

واعلم أن بهذه المملكة عدّة أنهار، والمشهور منها ثلاثة عشر نهرًا :
 الأوّل - الفُرات وما يصب فيها ويخرج منها ^(١) . فاما نهر الفرات فأوله من شمال
 مدينة أَرزَن الروم وشرقيها، وأَرزَن هذه آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق؛
 ثم يأخذ إلى قرب مَلطِيَّة ثم إلى شِمَشَاط؛ ثم يأخذ مشرقًا ويتجاوز قلعة الروم ويمت
 مع جانبها من شمالها وشرقيها؛ ثم يسير إلى اليَيرة، ويمت من جنوبيها؛ ثم يمر مشرقًا حتى
 يتجاوز بالسّ وقلعة جَعْبَر ويتجاوزها إلى الرّقة؛ ثم يمر مشرقًا ويتجاوز الرّحبة من شمالها
 ويسير إلى عانة ثم إلى هيت؛ ثم يسير إلى الكوفة . فإذا جاوز نهر كُوفى بستة فراسخ
 أقسم نصفين، ومرت الجنوبي منهما إلى الكوفة ويتجاوزها ويصب في البطائح . ويمت
 القسم الآخر وهو أعظمهما ويعرف بنهر سُوراء، ويمت بإزاء قصر ابن هُبيرة، ويتجاوز
 إلى مدينة بابل القديمة، ويتفرّع منه عدّة أنهر ويمت عموده إلى النيل ويسمى من
 بعد النيل نهر الصّراء؛ ثم يتجاوز النيل ويصب في دجلة .

وأما الأنهار التي تصب فيه، فمنها نهر شِمَشَاط، ونهر البليخ، ونهر الخابور، ونهر
 الهيرماس، وغيرها .

وأما الأنهار التي تخرج من الفرات، فمنها نهر عيسى، ونهر صرصر، ونهر الملك،
 ونهر كُوفى وغير ذلك .

الثاني - دجلة وما يصب إليها ويخرج منها . فاما دجلة فقل في " المشترك " :
 بكسر الدال المهملة وسكون الجيم . قال : وهي نهر عظيم مشهور تخرجه من بلاد

(١) كذا في النجوم أيضا بالتأنيث والأولى الذكر .

الرُّومَ؛ ثم يَمُرُّ عَلَى أَمَدَ، وَحِصْنِ كَيْفَا، وَجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ، وَالْمَوْصِلَ، وَتِكْرِيتَ، وَبَغْدَادَ، وَوَاسِطَ، وَالْبَصْرَةَ؛ ثُمَّ يَصُبُّ فِي بَحْرِ قَارَسَ . وَذَكَرَ فِي "الْعَزِيزِيِّ" :
 أَنَّ رَأْسَ دِجْلَةَ شِمَالِيَّ مِيَّافَارِقَيْنِ مِنْ تَحْتِ حِصْنِي يَعْرِفُ بِحِصْنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ .
 وَيَجْرِي مِنَ الشَّمَالِ وَالْقَرْبِ إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ وَيَرْجِعُ إِلَى جِهَةِ
 الشَّمَالِ ؛ ثُمَّ يَغْرُبُ بِمِيسَلَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى مَدِينَةِ أَمَدَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا إِلَى جَزِيرَةِ
 ابْنِ عُمَرَ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ مَشْرِقًا وَجَنُوبًا إِلَى مَدِينَةِ بَلَدَ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ إِلَى الْمَوْصِلِ، ثُمَّ يَسِيرُ
 مَشْرِقًا إِلَى تِكْرِيتَ ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ مَشْرِقًا نَصَبًا إِلَى سُرْمَنْ رَأَى ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا عَلَى
 عُنْكَبَرَى ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ مَشْرِقًا إِلَى الْبَرْدَانِ، ثُمَّ يَأْخُذُ جَنُوبًا بِمِيسَلَةٍ إِلَى الشَّرْقِ إِلَى بَغْدَادَ؛
 ثُمَّ يَسِيرُ جَنُوبًا إِلَى كَلَّوَادَا ، وَيَأْخُذُ إِلَى الْمَدَائِنِ وَيَتَجَاوَزُ إِلَى دِيرِ الْعَاقُولِ ؛ ثُمَّ يَسِيرُ
 مَشْرِقًا إِلَى النُّعْمَانِيَّةِ؛ ثُمَّ يَسِيرُ جَنُوبًا وَمَشْرِقًا إِلَى قِمِّ الصَّلْحِ ؛ ثُمَّ يَسِيرُ مَغْرِبًا إِلَى
 وَاسِطَ ؛ ثُمَّ يَشْرِقُ إِلَى بَطَائِحِ وَاسِطَ ؛ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ الْبَطَائِحِ وَيَسِيرُ بَيْنَ الشَّرْقِ
 وَالْجَنُوبِ حَتَّى يَتَجَاوَزَ الْبَصْرَةَ، وَيَمُرُّ عَلَى قُوَّةِ الْأُبُلَّةِ، ثُمَّ يَسِيرُ إِلَى عِبَادَانَ وَيَصُبُّ
 فِي بَحْرِ قَارَسَ .

وَأَمَّا الْأَنْهَارُ الَّتِي تَصُبُّ فِي دِجْلَةَ : فَهِيَ نَهْرُ أَرْزَنَ ، وَنَهْرُ الزُّنَارِ، وَنَهْرُ الْفَرَاتِ
 الْأَعْلَى وَهُوَ الْأَكْبَرُ، وَنَهْرُ الزَّأْبِ الْأَصْفَرِ، وَغَيْرُهَا .

وَأَمَّا الْأَنْهَارُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْ دِجْلَةَ فَعَلَّةُ أَنْهَارَ ؛ مِنْ أَشْهَرِهَا نَهْرُ الْأُبُلَّةِ، وَنَهْرُ مَقِيلِ
 الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُمَا فِي الْكَلَامِ عَلَى مَتَرَهَاتِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ .

الثَّالِثُ - دِجْلَةُ الْأَهْوَازِ . وَهِيَ نَهْرٌ يَنْبَعُثُ مِنَ الْأَهْوَازِ ، وَيَمُرُّ فِي جِهَةِ الْقَرْبِ
 إِلَى عَسْكَرِ مُكْرَمَ، وَهُوَ قَرِبُ دِجْلَةِ بَغْدَادَ فِي الْمَقْدَارِ، وَعَلَيْهِ مَزَارِعُ عَظِيمَةٌ مِنْ قَصَبِ
 السُّكَّرِ وَغَيْرِهِ .

الرابع - نهر شيرين . وهو نهر يخرج من جبل دينار من ناحية بازرع ويختلج بلاد فارس ويقع في بحر فارس عند جنابة ، من بلاد فارس .

الخامس - نهر المسترقان . وهو نهر عظيم في بلاد خوزستان ، يجري من ناحية نُسْتَر ، ويمتز على عسكر مكرم ، ويسقي جميع مائه النخل والزرع وقصب السكر ، ولا يضيع شيء من مائه .

السادس - نهر نُسْتَر . وهو نهر يخرج من وراء عسكر مكرم ، ويمتز على الأهواز ، ثم يتنهي إلى نهر السدرة إلى حصن مهدى ، ويصب في بحر فارس .

السابع - نهر طاب . ويخترجه من جبال أصفهان من قرب المرج ، وينضم إليه نهر آخر ويسير حتى يمز على باب أَرْجَان ، ويقع في بحر فارس عند شهر .

الثامن - نهر سگان . وهو نهر يخرج من رُستاق الرونجان من قرية تدعى ساركرى ، ويسقى شيئاً كثيراً من كور فارس ، ثم يصب في بحر فارس ، وعليه من العارة ما ليس على غيره .

التاسع - نهر زَنْدُورْدَ ، بفتح الزاى المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة والواو ثم راء مهملة ساكنة وذال معجمة فى الآخر . وهو نهر كبير على باب أصفهان .

العاشر - نهر الهَنْدَمَنْد . قال ابن حوقل : وهو أعظم أنهار بَحْسْتَان ، ويخرج من ظهر القور ، ويمتز على حدود الرُخَج ، ثم يعطف ويمتز على بُسْت ، حتى يصير على مرحلة من بَحْسْتَان ، ثم يصب في بحيرة زَرَه ، وإذا تجاوز بُسْت يشتعب منه أنهار كثيرة ، وعلى باب مدينة بُسْت على هذا النهر جسر من السفن كما في دجلة .

(١) فى التوقيم "تاريخ" ولم تشرق المصم على كلا القنطين .

(٢) فى التوقيم "الروىحان ساذفرى" .

الحادى عشر - نهر الرّس . وهو نهر يخرج من جبال قَالِقَلَا، ويمتد إلى وَرَثَانَ، ثم يلتقى مع نهر الكُرّ الآتى ذكره بالقرب من بحر الخَزَرِ فيصيران نهرا واحدا ويصبان في بحر الخَزَرِ المذكور . قال في "تقويم البلدان" : وخلف نهر الرّس فيما يقال ثمانية وستون مدينة خراب ، يقال إنها المراد في القرآن بقوله تعالى ﴿ وَأَحْبَابُ الرَّسِّ ﴾ .

الثانى عشر - نهر الكُرّ . وهو نهر فاصل بين أَرَانَ وأَذَرَبَيْجَانَ كالحُدَيْدِ بينهما ، وأوله عند جبل باب الأبواب ، ويمتد في بلاد أَرَانَ ويصب في بحر الخَزَرِ . وذكر ابن حوقل أن نهر الكُرّ يمر على ثلاثة فرائخ من بَرْدَعَةَ . وبقَارِسَ أيضا نهر يقال له نهر الكُرّ إلا أنه دون هذا في القدر والشهرة .

الثالث عشر - نهر جُرْجَانَ . ويخرجه من جبل جرجان ، ويسير غربا بجنوب إلى أْبُسْكُون ثم يفتقر من أْبُسْكُون نهرين ويصب في بحر الدَّيْلَمِ .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى قواعد هذه المملكة ، وذكر شئ)

من المسافات بين بلادها)

وأعلم أن آخر المملكة المضافة إلى الديار المصرية من جهة الشرق مملكة حَلَبَ، فتعين الابتداء منها . ويحسب نورد ذلك على ما يقتضيه كلام عبيد الله بن عبد الله ابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك" مقتصرًا على ذكر مشاهير البلاد .

(الطريق من حَلَبَ إلى المَوْصِلِ) - من حَلَبَ إلى مَنبِجَ، ومن مَنبِجَ إلى الرِّسَنِ، ومن الرِّسَنِ إلى الرِّقَّةِ إلى رأس عين سبعة عشر فرسخًا، ومن رأس عين إلى كَفَرْتَوْتَا سبعة فرائخ، ومن كَفَرْتَوْتَا إلى دارًا خمسة فرائخ، ومن دارًا إلى نَصِييْنِ أربعة فرائخ، ثم إلى بَلَدَ ثلاثون فرسخًا، ثم إلى الموصل سبعة فرائخ .

(الطريق من الموصِل إلى بَندَاد) - من الموصِل إلى الحدينة أحد وعشرون فرسخاً، ثم إلى السَّن خمسة فراسخ، ثم إلى سُرَّ من رأى ثلاثة فراسخ، ثم إلى القادسية تسعة فراسخ، ثم إلى عكبري ثمانية فراسخ، ثم إلى البردان أربعة فراسخ، ثم إلى بَندَاد خمسة فراسخ. وأخبرني بعض أهل تلك البلاد أن الطريق من حَلَب إلى البيرة يومان، ومن البيرة إلى الرها يومان، ومن الرها إلى ماردين أربعة أيام، ثم من ماردين إلى جزيرة ابن عمر ثلاثة أيام، ثم من جزيرة ابن عمر إلى الموصِل يومان، ومن الموصِل إلى تكريت يومان، ومن تكريت إلى خوى يومان، ومن خوى إلى بَندَاد يومان.

(الطريق إلى نيسابور: قاعدة خراسان) - من بَندَاد إلى التهرؤان أربعة فراسخ، ثم إلى الدسكرة اثنا عشر فرسخاً، ثم إلى جلولاء سبعة فراسخ، ثم إلى خاقين سبعة فراسخ، ثم إلى قصر شيرين ستة فراسخ، ثم إلى حلوان خمسة فراسخ، ثم إلى مرج القلعة عشرة فراسخ، ثم إلى قصر يزيد أربعة فراسخ، ثم إلى قصر عمرو ثلاثة عشر فرسخاً، ثم إلى قصر الأصوص سبعة عشر فرسخاً، ثم إلى قرية العسل ثلاثة فراسخ، ثم إلى همدان خمسة فراسخ، ثم إلى الأساورة اثنا عشر فرسخاً، ثم إلى ساوة خمسة عشر فرسخاً، ثم إلى الرى أربعة وعشرون فرسخاً، ثم إلى قصر الملح أحد وثلاثون فرسخاً، ثم إلى رأس الكلب سبعة فراسخ، ثم إلى سيمتان ثمانية فراسخ، ثم إلى بومن سبعة عشر فرسخاً، ثم إلى أسداباذ أربعون فرسخاً، ثم إلى خسروجرذ اثنا عشر فرسخاً، ثم إلى نيسابور خمسة عشر فرسخاً.

(الطريق من نيسابور إلى بلخ ثم إلى نهر جيحون) - من نيسابور إلى طوس ثلاثة عشر فرسخاً، ثم إلى مرو الرود أحد عشر فرسخاً، ثم إلى سرخس، ثم إلى قصر التجار ثلاثة فراسخ، ثم إلى مرو الشاهجان سبعة وعشرون فرسخاً، ثم إلى القريتين خمسة

وعشرون فرسخاً، ثم إلى أَسَدَابَاذَ على النهر سبعة فراسخ، ثم إلى قَصْرِ الْأَخْنَفِ على النهر عشرة فراسخ، ثم إلى مَرَوِ الرُّوذِ خمسة فراسخ، ثم إلى الطَّالِقَانِ ثلاثة وعشرون فرسخاً، ثم إلى أربعين تسعة فراسخ، ثم إلى العاديّات عشرة فراسخ، ثم إلى السِّدْرَةِ من عمل بَلْعَ أربعة وعشرون فرسخاً، ثم إلى الغُورِ تسعة فراسخ، ثم إلى بَلْعِ ثلاثة فراسخ، ثم إلى شَطِّ جَيْحُونَ أَشَا عشر فرسخاً . فذات اليمين كورة خُتِلَ ونهر الضَّرْعَامِ وذات اليسار خُورَزْمُ، وسبأى ذكرهما في الكلام على مملكة تُورَانِ فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

(الطريق إلى شِيرَازَ قاعدة فارس) - قد تقدّم الطريق من حَلَبَ من مضافات الديار المصرية إلى بغداد، ومن بغداد إلى واسطَ خمسة وعشرون سِكَّةً، ومن واسطَ إلى الأهوازِ عشرون سكة، ثم إلى التُّوبَنْجَانِ تسع عشرة سكة، ثم إلى شِيرَازَ اثنتا عشرة سكة .

(الطريق من شِيرَازَ إلى السَّيْرَجَانِ: قاعدة كَرْمَانَ) - من شِيرَازَ إلى إصطَخْرَ خمس سِكَكٍ، ثم من إصطَخْرَ إلى البحيرة ثلاثة عشر فرسخاً، ثم إلى شَاهَكِ الكَبْرَى سبعة عشر فرسخاً، ثم إلى قرية المَلَحِ تسعة فراسخ، ثم إلى مَرْزُبَانِه ثمانية فراسخ، ثم إلى اروان ثلاثة فراسخ، ثم إلى المَرْمَانِ وهو آخر عمل فارس إلى السَّيْرَجَانِ ستة عشر فرسخاً .

(الطريق إلى أَصْبَهَانَ) - من بُوْمَنِ المَقْدَمِ ذكرها إلى الرِّبَاطِ ثلاثة عشر فرسخاً، ثم إلى أَصْبَهَانَ أربعة عشر فرسخاً .

(الطريق إلى البصرة) - قد تقدّم الطريق من حَلَبَ إلى بَنْدَادَ، ثم إلى واسطَ، ثم إلى الفاروث، ثم إلى ديرِ العَمَالِ، ثم إلى الحَوَانِيتِ، ثم يسير في البطائح، ثم إلى نهر أبي الأسد، ثم في دِجْلَةِ العُورَا، ثم في نهر مَعْقِلٍ، ثم يمضي إلى البصرة .

(الطريق إلى تبريز^(١)) - قد تقدم الطريق من حلب إلى مَردِين، ثم من مَردِين إلى حِصْن كَيْفَا يومان، ومن الحِصْن إلى سِعرْت يومان، ومن سِعرْت إلى وان يومان، ومن وان إلى وَسْطَان ثلاثة أيام، ومن وَسْطَان إلى سَلْمَاس يومان، ومن سَلْمَاس إلى تَبْرِيز أربعة أيام؛ فيكون بين حلب وتَبْرِيز ثلاثة وعشرون يوما .

(الطريق إلى السُّلْطَانِيَّة) - من تَبْرِيز إليها سبعة أيام؛ فيكون من حلب إلى السُّلْطَانِيَّة ثلاثون يوما .

الجملة الخامسة

(في بعض مسافات بين بلاد هذه المملكة)

(بعض مسافات بلاد الجزيرة) - من الأَنْبَار إلى تِكْرِيْت مرحلتان، ومن تِكْرِيْت إلى المَوْصِل ستة أيام، ومن المَوْصِل إلى أَمْد أربعة أيام، ومن أَمْد إلى مُتَمِيسَاط ثلاثة أيام؛ ومن المَوْصِل إلى نَصِيبِيْن أربع مراحل، ومن نَصِيبِيْن إلى رَأْس عَيْن ثلاث مراحل، ومن رَأْس عَيْن إلى الرِّقَّة أربعة أيام، ومن رَأْس عَيْن إلى حَرَّان ثلاثة أيام، ومن حَرَّان إلى الرُّها يوم واحد .

(بعض مسافات خُوزِسْتَان) - من عَسْكَر مُكْرَم إلى الأَهْوَاز مرحلة، ومن الأَهْوَاز إلى الدَّوْرَق أربع مراحل، [وكذلك من عَسْكَر مَكْرَم إلى الدَّوْرَق^(٢)] ومن عَسْكَر مُكْرَم إلى سُوْق الأَرْبَعَاء مرحلة، ومن سُوْق الأَرْبَعَاء إلى حِصْن مَهْدِي مرحلة، ومن السُّوس إلى بَصْثِي مرحلة خفيفة، ومن السُّوس إلى مَتُوث مرحلة .

(بعض مسافات فارس) - قال ابن حوقل : من شِيرَاز إلى سِيرَاف نحو ستين فرسخا، ومن شِيرَاز إلى أَصْطَخَر نحو آثِي عشر فرسخا، ومن شِيرَاز إلى كَازِرُون

(١) في القاموس "تبريز وقد تكسر"

(٢) الزيادة عن "تقوم البلدان" ليم البيان .

نحو عشرين فرسخاً ، ومن كَازَرُون إلى جَنَابَةِ أُرْبَعَة وأربعون فرسخاً ، ومن شِيرَازَ إلى أَصْبَهَانَ أَتْشَانَ وسبعون فرسخاً ، ومن شِيرَازَ مُغْرِباً إلى أَوَّلِ حَدُودِ خُوزِستَانِ ستون فرسخاً ، ومن شِيرَازَ إلى بَسَا سبعة وعشرون فرسخاً ، ومن شِيرَازَ إلى البَيْضَاءِ ثمانية فَرَاسِخَ ، ومن شِيرَازَ إلى دارايجِرْدَ خمسون فرسخاً ، ومن مَهْرُوبَانَ إلى حصن ابنِ عمارَة نحو مائة وستين فرسخاً .

(بعض مسافات كَرْمَانَ) - من السَّيرجَانِ إلى المفازة مرحلتان ، ومن السَّيرجَانِ إلى جِرْفَتَ مرحلتان ، ومن السَّيرجَانِ إلى مدينة الزُّرَنْدِ تسعة وعشرون فرسخاً .

(بعض مسافات أَرْمِينِيَّةَ وَأَرَانَ وَأَذَرْبَيْجَانَ) - قال ابن حوقل : من بَرْدَعَةَ إلى شَمْكَورَ أربعة عشر فرسخاً ، ومن بَرْدَعَةَ إلى تَقْلَيْسَ ثلاثة وأربعون فرسخاً ، ومن أَرْدُبِيلَ إلى المَرَاغَةَ أربعون فرسخاً ، ومن المَرَاغَةَ إلى أُرْمِيَّةَ أربع مراحل ، ومن أُرْمِيَّةَ إلى سَلَمَاسَ مرحلتان ، ومن سَلَمَاسَ إلى خُوى سبعة فَرَاسِخَ ، ومن خُوى إلى بَرْكِرِي ثلاثون فرسخاً ، ومن بَرْكِرِي إلى أَرَجِيَشَ يومان ، ومن أَرَجِيَشَ إلى خَلَّاطَ ثلاثة أيام ، ومن خَلَّاطَ إلى بَدْلَيْسَ ثلاثة أيام ، ومن بَدْلَيْسَ إلى مِيَا فَارِقِينَ أربعة أيام .

[ذكر الطريق من المَرَاغَةَ إلى أَرْدُبِيلَ ؛ من مَرَاغَةَ إلى أُرْمِيَّةَ ثلاثون فرسخاً ^(١)] ، ومن أُرْمِيَّةَ إلى سَلَمَاسَ أربعة عشر فرسخاً ، ومن خُوى إلى نَسُوئِ [ثلاثة أيام ، ومن نَسُوئِ] إلى دَيْبَلِ أربع مراحل ؛ ومن المَرَاغَةَ إلى الدِّبَنْوَرِ ستون فرسخاً ، ومن خُوجَجَ إلى مَرَاغَةَ [ثلاثة عشر فرسخاً ^(١)] ، ومن بَرْدَعَةَ إلى وَرْثَانَ سبعة فَرَاسِخَ ، ومن وَرْثَانَ إلى بَيْلَقَانَ سبعة فَرَاسِخَ ، ومن شَرَوَانَ إلى باب الأبواب نحو سبعة أيام ، ومن بَرْدَعَةَ إلى تَقْلَيْسَ نحو آتِينَ وستين فرسخاً .

(١) الزائد من تقويم البلدان عن ابن حوقل يستقيم الكلام .

(بعض مسافات عراق العجم) - من همدان إلى الدينور ما ينيف على عشرين فرسخا ، ومن همدان إلى ساوة ثلاثون فرسخا ، ومن ساوة إلى الرى ثلاثون فرسخا أيضا ؛ ومن همدان إلى زنجان على شهرزور ثلاثون فرسخا ؛ ومن همدان إلى أصبهان ثمانون فرسخا ؛ ومن همدان إلى أول خراسان نحو سبعين فرسخا ، ومن ساوة إلى قم نحو اثني عشر فرسخا ، ومن قم إلى قاشان نحو اثني عشر فرسخا أيضا ، ومن الرى إلى قزوین ثلاثون فرسخا ، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل ، ومن أصبهان إلى قاشان ثلاث مراحل .

(بعض مسافات طبرستان ومازندران وقومس) - قال ابن جوقل : بين أمل وسارية مرحلتان ، ومن سارية إلى أسراباذ نحو أربع مراحل ، ومن أسراباذ إلى جرجان نحو مرحلتين ، ومن أمل إلى ما مطير مرحلة ، ومن ما مطير إلى سارية مرحلة ، ومن جرجان إلى بسطام مرحلتان .

(بعض مسافات خراسان) - قال في "تقويم البلدان" : من أول أعمال نيسابور إلى وادی جیحون ثلاث وعشرون مرحلة ، ومن سرخس إلى نسا سبعة وعشرون فرسخا ، ومن هراة إلى نيسابور أحد عشر يوما ، ومن هراة إلى مرو كذلك ، ومن هراة إلى يمحستان كذلك ، ومن مرو الرود إلى مرو الشاهجان أربعة أيام ، ومن بلخ إلى قرغانة ثلاثون مرحلة مشرقا ، ومن بلخ إلى الرى ثلاثون مرحلة مغربا ، ومن بلخ إلى نيسابور ثلاثون مرحلة جنوبا ، ومن بلخ إلى کرمان ثلاثون مرحلة ، ومن بلخ إلى خوارزم ثلاثون مرحلة .

الجملة السادسة

(فيما بهذه المملكة من النفائس العلية القدر، والعجائب الغريبة الذكر،

والمنترهات المرتفعة الصيت)

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" : بها عدة نفائس وعجائب .

أما النفائس فإن بها مقاص الأؤلؤ ببحر فارس بجزيرة كيش وعُمان، وهما من أحسن المقاصات وأشرفها وأعلاها قدرا في حسن اللؤلؤ على ما تقدم ذكره في الكلام على الأحجار النفيسة فيما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبالدائمات في جبلها معدن ذهب . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني : وهو قليل المتحصل لكثرة ما يحتاج إليه من الكُلف حتى يُستخرج ويبذخشان شرق^(١) عراق العجم البازهر الحيواني الذي لا يسار به شيء في دفع السُّموم يوجد في الأيايل التي هناك ، وقد مرّ ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى .

وبها الإثمدا الأصفهاني الذي لا يساوى رتبة، وقد مرّ ذكره في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته في المقالة الأولى، ولكنه قد عرّ الآن حتى لا يكاد يوجد . قال المقرئ الشهابي بن فضل الله : سألت الشيخ شمس الدين الأصفهاني عن سبب قلته ، فقال : لاقطاع عرقه فما بقي يوجد منه إلا مالا يرى . قال في "مسالك الأبصار" : وبهذه المملكة مستعملات التماس الفاجر من النخ ، والمخمل ، والكحط ، والعتابي ، والنصافي ، والصوف الأبيض المارديني ، وتعمل بها البسط الفانخرة في عدة مواضع مثل شيراز وأقصر وتوريز إلى غير ذلك من الأشياء النفيسة التي لا يضاهاها غيرها فيها .

(١) هذه الكلمة غير واضحة في الأصل .



وأما العجائب، فقد ذكر الشيخ شمس الدين الأصفهاني أن بمدينة قشيمير على ثلاثة أيام عن أَصْفَهَانَ عين ماء سارحة يسمى ماؤها بماء الجراد، إذا حمل ماؤها في إناء وعلق في تلك الأرض على عال، أتاها طير يقال له سار فأكل ما فيها من الجراد حتى لا يدع منه شيئاً بشرط أن لا يوضع على الأرض حتى يؤتى به إلى مكان الجراد فيعلق . وحكى محمد بن حيدر الشيرازي في مصنف له : أن بين الدامغان وأسیراباذ من نُرَّاسَانَ عينا ظاهرة إذا ألقيت فيها نجاسة فار ماؤها وأزبدت شيئاً^(١) تبغته دودة طول أكلة الإنسان حتى لو حمل الماء تسعة وكان معهم عاشر لم يحمل الماء، تبع كل واحد من حل الماء دودة، ولم يتبع الآخر منها شيء، فلو قتل واحد منهم تلك الدودة استحال الماء مرا لوقته، وكذلك ماء كل من هو وراءه، ولا يستحيل ماء من هو إلى جانبه مراً . قال ابن حوقل : ويكورة سَابُور من بلاد فارس جبل فيه صورة كل ملك وكل مرزبان معروف للعجم وكل مذكور من سدنة النيران . وفي كورة أَرْجَان قرية يقال لها طبريان [يَرْ] يذكر أهلها أنهم آمنحوا قعرها بالمتقلات فلم يلحقوا لها قعرا، ويفور منها ماء بقدر ما يدبر رحي تسقى أرض تلك القرية . قال : وفي كورة رُستاق [يَرْ] تعرف بالهنديجان بين جبلين يخرج منها دخان لا يستطيع أحد أن يقربها، وإذا طار عليها طائر سقط فيها وأحترق . وبناحية داذين نهر ماء عذب يعرف بنهر أخشين، يشرب منه الناس وتسقى به الأرض، وإذا غسلت به الثياب خرجت خضراً .

(١) لعله ولو حمل واحد من ماؤها شيئاً الخ .

(٢) الزيادة عن تقويم البلدان ليستقيم الكلام .



وأما المترهات فيها نهر الأبلّة وشعب بَوَّانَ - وهما نصف مترهات الدنيا الأربعة : وهى نهر الأبلّة وشعب بَوَّانَ المذكوران وصُفد سَمَرْقَنْدَ وَغُوَلَةَ دِمَشْقَ . وقد تقدم أن نهر الأبلّة نهر شَقَّه زِيَادُ مَقَابَلَةَ نهر مَعْقِلَ ، وبينهما البساتين والقصور العالية والمباني البديعة ، يسلسل مجراه ، وتهلل بُكَرُهُ وعشاياه ، ويُظله الشجر وتغنى به زمر الطير . وفيه يقول القاضى التنوخى من أبيات :

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى الْأَبْلَةِ خَلَّتْهَا * مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ حِينَ تُحِيلُ !
كَمْ مَنَزِلٍ فِي نَهْرِهَا إِلَى السُّرُو * رُبَّائُهُ فِي غَيْرِهَا لَا يَسْتَرِلُ !
وَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْقُصُورُ عَرَائِسُ * وَالرُّوْضُ حَلٌّ وَهِيَ فِيهِ تَرْفُلُ !

وشعب بَوَّانَ - وهو عتة قُرَى مجتمعة ومياه متصلة ، والأشجار قد غطت تلك القرى فلا يراها الإنسان حتى يدخلها ، وهو بظاهر هَمْدَانَ يشرف عليها من جبل ، وهو فى سفح الجبل والأنهار تحط عليه من أعلى الجبل ، وهو من أبدع بقاع الأرض منظرًا . قال المبرد : أشرفت على شعب بَوَّانَ فنظرت فإذا بماء يخدر كأنه سلاسل فضة ، وترية كالكاפור ، وترية كالثوب الموشى ، وأشجار متهادلة ، وأطيار متجاوبة . وفيه يقول أبو الطيّب المتنبي حين مرَّ به :

مَتَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَتَانِي * بِمِثْلَةِ الرِّبْعِ مِنَ الزَّمَانِ !
وَلَيْكُنَّ النَّفْسُ الْعَرِيَّ فِيهَا * غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ !

الجملة السابعة

(في ذكر من ملك مملكة إيران جاهلية وإسلاما)

وهم على ضربين :

الضرب الأول

(ملوكها قبل الإسلام)

وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ لَمْ تَزَلْ بِيَدِ مُلُوكِ الْفُرسِ لِبَدْءِ الْأَمْرِ وَإِلَى حِينَ انْقِرَاضِ
دَوْلَتِهِمْ بِالْإِسْلَامِ عَلَى مَاسِيَاتِي ذِكْرِهِ . قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ : وَهُمْ أَعْظَمُ مُلُوكِ
الْأَرْضِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ ، وَدَوْلَتُهُمْ وَتَرْبِيَّتُهُمْ لَا يَمَانِلُهُمْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ .
وَهُمْ عَلَى أَرْبَعِ طَبَقَاتٍ :

الطبقة الأولى

(القيشداذية)

سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ يُقَالُ لِكُلِّ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ قِيشْدَاذٌ وَمَعْنَاهُ سِيرَةُ الْعَدْلِ .
وَأَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْهُمْ (أَوْشَنِج) وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ عُقِدَ عَلَيْهِ رَأْسُهُ التَّاجُ وَجَلَسَ عَلَى
السَّرِيرِ وَرَتَّبَ الْمُلْكَ وَنَظَّمَ الْأَعْمَالَ وَوَضَعَ الْخَرَاجَ . وَكَانَ مُلْكُهُ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِمِائَةِ
سَنَةٍ ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَتِي بَابِلَ وَالسُّوسَ ، وَكَانَ مَجْمُودَ السَّيْرِ ، حَسَنَ السِّيَاسَةِ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (طَهُمُورْث) وَهُوَ مِنْ عَقَبِ أَوْشَنِجِ الْمَقْدَمِ ذِكْرُهُ ، وَبَيْنَهُمَا عِدَّةُ
آبَاءَ ، وَسَلَكَ سِيرَةَ جَدِّهِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ بِالْفَارْسِيَةِ .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ (جَمَشِيدُ) وَمَعْنَاهُ شُعَاعُ الْقَمَرِ ، وَسَارَ سِيرَةً مِنْ تَقَدُّمِهِ وَزَادَ
عَلَيْهَا ، وَمَلَكَ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ ، وَرَتَّبَ طَبَقَاتِ الْجُنَّابِ وَالْكُتَّابِ وَنَحْوَهُمْ ؛ وَهُوَ الَّذِي
أَحْدَثَ التَّيْرُوزَ وَجَمَلَهُ عِيدَاءَ ، ثُمَّ حَادَّ عَنْ سِيرَةِ الْعَدْلِ فَقَتَلَهُ الْفُرسُ .

(١) فِي تَارِيخِ أَبِي الْفَدَا (بِمَاتِي) بِالثَّنِيَةِ .

وملك بعده (بيوراسب) ويعرف بالذَّهَّاءُ^(١)، ومعناه عشر آفات، والعامة تسميه الضحَّاك، وملك جميع الأرض فسار بالجور والعسف، وبسط يده بالقتل، وأحدث المكوس والعشور، واتخذ المغنن والملاهي. وسيأتي خبر هلاكه مع كابي الخارج عليه في الكلام على النحل والملل، ويقال إنه هو ومن قبله كانوا قبل الطوفان. ثم ملك بعده (إفريدون) ويقال إنه التاسع من ولد "بحشيد" المتقدم ذكره، وفي أول ملكه كان إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو ذو القرنين المذكور في القرآن على أحد الأقوال، وملك جميع الأرض أيضا وقسمها بين ينيه ومات.

فملك بعده أبنيه (إيراج) يههد من أبيه، ثم ملك بعده أخوه (شرم) و(طوج) ثم غلبهما على الملك (منو جهر بن إيراج) وفي أيامه ظهر موسى عليه السلام. ويقال إن فرعون موسى كان عاملا له على مصر داخلا تحت أمره.

ثم تغلب على المملكة (فراسياب بن طوج) فأفسد وحرب؛ ثم غلبه عليها (زوبن طهماسب) من أولاد منو جهر، فأحسن السيرة وعمّر البلاد، وشق نهر الزاب وبني مدينة على جانبه.

ثم ملك بعده (كرشاسف) من أولاد طوج بن إفريدون، وهو آخر ملوك هذه الطبقة.

الطبقة الثانية

(الكانيّة)

سُمُّوا بذلك لأن في أول أسم كل واحد منهم لفظة كي، ومعناه الرُّوحاني وقيل الجبار. وأول من ملك منهم بعد كرشاسف المتقدم ذكره (كيقباز) بن زو، فسار سيرة أبيه في العدل ومات؛ فملك بعده (كيكاؤوس) بن كينه بن كيقباز ومات؛ فملك

(١) كذا في المختصر أيضا وفي السمر "الازدهاك بصاد بين السين والزاى وحاء قريبة من الماء وكاف قريبة من القاف" وفي المسعودي "الده آك".

بعده أبنة (كيجسرو بن سىاوس بن كىكاؤوس) بولاية من جده ، ثم أعرض عن الملك .

وملك بعده (كىهراسف بن أنخى كىكاؤوس) وأتخذ سريرا من ذهب مرصعا بالجوهر ، كان يجلس عليه ، وبني مدينة بلخ بأرض خراسان وسكنها لقتال الترك ، وفي زمنه كان يُختصر بفعله نائبا له ثم مات .

وملك بعده (كىبشتاسف) وبني مدينة نسا ، وفي أيامه ظهر زرادشت صاحب " كتاب المجوس " الآتى ذكره فى الكلام على النحل والملل ، وتبعه كىبشتاسف على دينه ثم قُتِل .

وملك بعده (أردشير بهمن) ومعنى بهمن الحسن النية ابن إسفنديار بن كىبشتاسف ، وأسمه بالعبرانية كورش ، وملك الأقاليم السبعة ، وهو الذى أمر بعمارة البيت المقدس بعد أن خربه بختنصر .

ثم ملك بعده أبنة (دارا بن أردشير) وفي زمنه ملك (الإسكندر بن فيلبس) وغلب دارا على ملك فارس ، وأستتاب به عشرين رجلا ، وهم المسمون بملوك الطوائف ، فأقاموا على ذلك خمسمائة وأثنى عشرة سنة ، ثم بطل حكم ذلك .

الطبقة الثالثة

(الإشتانية^(١) ، يقال لكل منهم اشغان)

وأول من ملك منهم بعد ملوك الطوائف (اشغان بن اشغان) . ثم ملك بعده أبنة (سابور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بسين بن اشغان) ستين سنة . ثم ملك بعده (جور بن اشغان) عشر سنين . ثم ملك بعده (بيرن الاشغانى) إحدى وعشرين

(١) فى العبر " الاشكائية وكانها أقرب إلى الفين " غنجه .

(٢) هنا مخالفة لما فى كتابي مختصر أبى الفداء والبرغاجيهما .

سنة ومات . فلك بعده (جودرز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فلك بعده (نزي الاشغاني) أربعين سنة ومات . فلك بعده (هرمز الاشغاني) تسع عشرة سنة ومات . فلك بعده (اردوان الاشغاني) اثنتي عشرة سنة ومات . فلك بعده (خسرو الاشغاني) أربعين سنة ومات . فلك بعده (بلاش الاشغاني) أربعين سنة ومات . فلك بعده (اردوان الأصغر) وهو آخر ملوكهم من هذه الطبقة .

الطبقة الرابعة

(الأكاسرة)

وأول من ملك منهم (أردشير بن بابك) من عقب ساسان بن "أردشير بهمن" تحتل "أردان" وأستولوا على ملكه ، فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وكتب عهدا بالملك في عقبه ومات . فلك بعده أبنة (سابور) إحدى ثلاثين سنة وستة أشهر ، وفي أيامه ظهر "ماني الزنديقي" وأدعى النبوة ، وأعتنى بنقل كتب الفلسفة من اللغة اليونانية إلى اللغة الفارسية ، ويقال إن العود الذي يتغنى به حدث في أيامه ومات . فلك بعده أبنة (هرمز) سنة واحدة وستة أشهر ومات . فلك بعده أبنة (بهرام) ثلاث سنين وثلاثة أشهر ومات ؛ فلك بعده أبنة (بهرام بن بهرام) سبع عشرة سنة ومات . فلك بعده أبنة (بهرام بن بهرام بن بهرام) أربع سنين ثم مات . فلك بعده أخوه (نزي بن بهرام) تسع سنين ثم مات . وملك بعده أبنة (هرمز) تسع سنين أيضا ومات . فلك بعده أبنة (سابور) وهو الذي عمل الجسر الثاني لدجلة ليكون أحد الجسرين للذاهبين ، والآخرون لاثنين . وفي زمنه كان قسطنطين ملك الروم ومات . فلك بعده أخوه (أردشير) بوصية منه ، ثم مات . فلك بعده أبنة (سابور)

(١) قال في البر " ضبطه الله ارتضى بالراء المهمة "

(٢) صوابه ابن أخيه .

أبن سابور) ثم ملك بعده أخوه (بهرام بن سابور) ثم ملك بعده أبنه (يزدجرد) المعروف بالأنيم؛ ثم ملك بعده (كسرى) من ولد "أردشير" [ثم ملك بعده (بهرام جور بن يزدجرد الأنيم) وكانت مدة ملكه ^(١) ثلاثا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (يزدجرد) ثمانيا وعشرين سنة ومات . فملك بعده أبنه (هرمز) ثم مات . فملك بعده أخوه (فيروز) سبعا وعشرين سنة ، وظهر في أيامه غلاء شديد . ثم ملك بعده أبنه (بلاش) أربع سنين ومات . فملك بعده أخوه (قباد) ثلاثا وأربعين سنة "وفي أيامه ظهر مردك الزنديق وادعى النبوة" ثم خلع . وملك بعده أخوه (جاماسف) [ثم تغلب عليه قباد واستمر في الملك] ثم مات . وملك بعده (أنوشروان) ثمانيا وأربعين سنة ، وقتل مردك الزنديق وأتباعه وجماعة من المانوية ، وغلب على اليمن وأترعها من الحبشة . وفي زمانه ولد عبدالله أبو النبي صلى الله عليه وسلم ! ثم ولد النبي صلى الله عليه وسلم ! في آخر أيامه ؛ ثم مات . وملك بعده أبنه (هرمز) نحو ثلاث عشرة سنة ونصف . ثم ملك (أبرويز بن هرمز) ؛ ثم غلبه على الملك (بهرام جوين) من غير أهل بيت الملك ؛ ثم عاد أبرويز إلى الملك وملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وتزوج شيرين المغنية وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين . ثم ملك بعده أبنه (شيوه) تغلبا على أبيه ثمانية أشهر . ثم ملك بعده أبنه (أردشير) سنة وستة أشهر . ثم ملك بعده (شهریان) من غير بيت الملك ثم قتل . وملك بعده (بوران) بنت أبرويز سنة وأربعة أشهر . ثم ملك بعدها (خشغنده) من بنى عم أبرويز أقل من شهر . ثم ملك بعده (أزرميدخت) بنت أبرويز أخت بوران . ثم قتلت ؛ وملك بعدها (كسرى بن مهر خشغش) ؛ ثم قتلوه بعد أيام ؛ ثم ملك بعده

(١) الزيادة من تاريخ أبي الفداء ليم الكلام ويستقيم .

(٢) > > > بالحق لتتبع الكلام .

فرخ زاد خسرو [من أولاد أنوشروان وملك ستة أشهر وقتلوه؛ ثم ملك] (يزدجرد) وهو آخرهم .

الضرب الثاني

(ملوكها بعد الإسلام، وهم على ثلاث طبقات)

الطبقة الأولى

(عمال الخلفاء)

قد تقدم أن فتحها كان في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فتوالت عليها أعمال الخلفاء في بقية خلافة عمر ، ثم في خلافة أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، ومقامهما يومئذ بالمدينة النبوية ؛ ثم لما بويع أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه بالخلافة بعد قتل عثمان ، جعل إقامته بالعراق ؛ ثم كان بعده ابنه الحسن السبط رضى الله عنه ، فأقام بالعراق إلى أن سَلَّمَ الأمر إلى (معاوية بن أبي سفيان) وصارت الخلافة إلى بني أمية ، وجعلوا دار إقامتهم بالشام وتوالت على هذه المملكة توابعهم في خلافة معاوية ؛ ثم (ابنه يزيد) ؛ ثم (ابنه معاوية بن يزيد) ؛ ثم (مروان بن الحكم) ؛ ثم (عبد الملك بن مروان) ؛ ثم (الوليد ابن عبد الملك) ؛ ثم (سليمان بن عبد الملك) ؛ ثم (عمر بن عبد العزيز) ؛ ثم (يزيد ابن عبد الملك) ؛ ثم (هشام بن عبد الملك) ؛ ثم (الوليد بن يزيد بن عبد الملك) ؛ ثم (يزيد بن الوليد بن عبد الملك) ؛ ثم (إبراهيم بن الوليد) ؛ ثم (مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم) وهو آخرهم .

(١) أمي ابن شهر يار - وبقية نسبه في تاريخ أبي القداء والزيادة منه ليم الكلام .

الطبقة الثانية

(خلفاء بني العباس)

وقد تقدم في أول هذه [المقالة] أن دار مقامهم كانت بالعراق، وأن أول من ولي منهم الخلافة (أبو العباس السفاح)، فبنى المدينة الهاشمية ونزلها، ثم انتقل منها إلى الأنبار فكانت دار مقامه إلى أن مات، ثم كان بعده أخوه (أبو جعفر المنصور^(١)) فبنى بغداد وسكنها، ثم سكنها بعده أبنة (المهدي بن المنصور) [ثم أبنة (المهدي)]، ثم أخوه (هارون الرشيد) بن المهدي، ثم أبنة (الأمين) بن أخوه (المأمون) بن أخوه (المعتصم) بن الرشيد، ثم (الواثق) بن المعتصم، ثم أخوه (الموكل) بن أخوه (المتنصر) بن (المعتصم)، ثم (المستعين بن المعتصم)، ثم (المعتز بن المتوكل) بن (المهدي) بن (الواثق) بن (المعتصم) بن (الموكل)، ثم (المعتضد بن الموفق طاح) بن (الموكل)، ثم أبنة (المكتفي) بن المعتضد، ثم أخوه (المقتدر)، ثم (المرتضى) بن (المعتز) ثم أخوه (القاهر)، ثم (المقتدر) المقدم ذكره، ثم أخوه (القاهر) المقدم ذكره، ثم أبنة أخيه (الراضي)، ثم أخوه (الموفق) بن عمه (المستكفي) بن عمه (المطيع) بن أبنة (الطائع) بن (القادر) بن أبنة (القائم) بن أبنة (المقتدى) بن أبنة (المستظهر) بن أبنة (المسترشد) بن أبنة (الراشد) بن (المقتفي) بن (المستظهر) بن أبنة (المستجد) بن أبنة (المستضيء) بن أبنة (الناصر) بن أبنة (الظاهر) بن أبنة (المستنصر) بن أبنة (المستعصم) وقتله هولاكو ملك التار الآق ذكره، في العشرين من الحزم سنة ست وخمسين وسبعمائة، وهو آخرهم ببغداد.

وأعلم أن أمر الخلافة كان قد وهى وضعف، وتناهت في الضعف أيام الراضي، وتغلب عمال الأطراف عليها، فاستولى محمد بن رائق من القرأت على البصرة،

(١) سقط من ظ النسخ فأتيناها ليم الكلام وينظم.

والبريدى على خوزستان، وعماد الدولة بن بويه على فارس، ومحمد بن الياس على كرمان. وركن الدولة بن بويه على الري وأصفهان، وبنو حمدان على الموصل وديار بكر وديار مصر وديار ربيعة، وغير أقطار هذه المملكة مع ملوك أحر. ولم يبق لخليفة غير بغداد وأعمالها، وأستولى آبن رائق على جميع الأمور وخطب باسمه على المنابر، وأقام سنة وعشرة أشهر، ثم صار الأمر بعده إلى (يحكم) مملوك وزير (ماكان) بن كاكى الديلمى. وأستمر أيام الرضى فقتل، وأستقر (البريدى) بعده فى أيام المتقى وأيام المستنكى. وضربت ألقابه على الدنانير والدرهم، وخطب باسمه على المنابر، وأستمر ذلك لذويه من بعده، ثم ملك بعده (بختيار)؛ ثم آبن عمه (عضد الدولة) بن ركن الدولة حسن بن بويه؛ ثم آبنه (صمصام الدولة) بن عضد الدولة، ثم أخوه (شرف الدولة) شيرزبك بن عضد الدولة؛ ثم أخوه (بهاء الدولة) أبو نصر بن عضد الدولة؛ ثم آبنه (سلطان الدولة) أبو شجاع؛ ثم آبنه (بهاء الدولة)؛ ثم أخوه (مشرف الدولة) آبن بهاء الدولة؛ ثم أخوه (جلال الدولة) أبو الطاهر بن بهاء الدولة؛ ثم آبن أخيه (أبو كاليجار) بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة؛ ثم آبنه الملك الرحيم (خسرو فيروز) آبن كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة آبن بويه. وبنو بويه هؤلاء ينسبون إلى يزدجرد ملك الفرس.

ثم كانت دولة السلاجقية. وهى من أعظم الدول الإسلامية، ونسبتهم إلى سلاجوق بن دقاق أحد مقدمى الأتراك، وبهم زالت دولة بنى بويه عن بغداد وأعمال الخلافة.

وأول من ملك منهم (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلاجوق فى سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة؛ ثم ملك بعده آبن أخيه (ألب أرسلان) بن داود بن ميكائيل؛ ثم آبنه

(١) فى الأصل "ثم آبنه" وهو خلاف الواقع.

(٢) أجمعت التواريخ على إسقاط هذا من الين، وهو ماقتضيه عبارة المؤلف.

(ملكشاه) بن ألب أرسلان ، ثم أبوه (محمود بن ملكشاه) ، ثم أخوه (برتيارق) ابن ملكشاه ، ثم أخوه (محمود بن ملكشاه) ، ثم أبوه (محمود بن محمد) ، ثم أبوه (داود بن محمود) ، ثم عمه (طغرل بك) بن محمد ، ثم أخوه (مسعود) بن محمد ، ثم ابن أخيه (ملكشاه) بن محمود ، ثم أخوه (محمد بن محمود) . ثم قام منهم ثلاثة : وهم (ملكشاه بن محمود) أخو محمد المذكور ، و(سليمان شاه) بن محمد بن ملكشاه ، وهو عم محمد المذكور ، و(أرسلان شاه) بن طغرل بك بن محمد بن ملكشاه . ثم قبض على سليمان شاه ، ومات ملكشاه ، وانفرد أرسلان شاه بن طغرل بك بالسلطنة . ثم ملك بعده ابنه (طغرل بك) بن أرسلان شاه ، وبقى حتى قتل علاء الدين تكتش صاحب خوارزم وبعض نرأسان والرّي وغيرها ، في خلافة الناصر لدين الله في سنة تسعين وخمسمائة ، واشتغل (خوارزم شاه) عن فصل العراق فيقبى بيد الخلفاء من لدن الناصر لدين الله ، ومن بعده إلى أن أقرضوا بقعة هولاكو ملك التتر الآتي ذكره .

الطبقة الثالثة

(ملوكها من بني جنكخان)

وأول من ملكها منهم (هولاكو) بن طولی بن جنكخان المقدم ذكره ، قصدها بأمر أخيه منكوقان بن طولی صاحب التخت في سنة تسعين وخمسمائة ، وقتل المستعصم آخر الخلفاء ببغداد ، وأستولى على جميع المملكة . قال في "مسالك الأبصار" : قال شيخنا العلامة شمس الدين الأصفهاني : إلا أن هولاكو لم يملك ملكا مستقلا بل كان نائبا عن أخيه منكوقان ، ولم يضرب بأسمه سكة درهم ولا دينار ، وإنما كانت تضرب باسم أخيه منكوقان . قال : وكان يكون لصاحب التخت أميرًا يزال مقيما في مملكة إيران مع هولاكو ، ومات في تاسع عشر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين

وسمائه؛ وملك بعده (أبنة أبنا) . قال الشيخ شمس الدين الأصفهاني: ولما ملك أضاف اسمه في السكة إلى اسم صاحب التخت ، وكان قد وجه أخاه منكوتغر إلى الشام وألقى مع الجيوش الإسلامية على حمص، وأنكر عليها؛ ومات سنة إحدى وثمانين وسمائه؛ وملك بعده أخوه (بوكدار بن هولاكو) وأسلم وحسن إسلامه وتلقب أحمد سلطان، وحمل العسكر على الإسلام فقتلوه؛ وملك بعده ابن أخيه (أرغون) بن أبنا بن هولاكو في حمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين وسمائه ، وتوفي في ربيع الأول سنة تسعين وسمائه؛ وملك بعده أخوه (كيختو) فخرج عن الياسة وأخفى في الفسق ببناء المفل وأبنائهم ، فوثب عليه بنو عمه فقتلوه في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وسمائه؛ وملك بعده (بيدو بن طرغاي) ابن هولاكو ، وبقي حتى قتل في ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ وملك بعده (محمود غازان) بن أرغون بن أبنا بن هولاكو ، ودخل إلى الشام . وكان بينه وبين الملك الناصر محمد بن قلاوون وقعات يحمص وغيرها آخرها على شقحب ، كسر فيها كسرة فاحشة ، هلك فيها معظم عسكره في سنة اثنتين وسبعائة ، وبقي حتى توفي في ثالث عشر شوال سنة ثلاث وسبعائة ؛ وملك بعده أخوه (خدابندا) والعامية تقول خربندا بن أرغون بن أبنا بن هولاكو في الثالث والعشرين من ذى الحجة سنة ثلاث وسبعائة؛ ثم ملك بعده (أبو سعيد بن خدابندا) وهو آخر من ملك من بني هولاكو. وكان بينه وبين الناصر محمد بن قلاوون مكاتبات ومراسلات وتودد بعد وحشة ، وبموته تفرقت المملكة بأيدي أقوام، وصارت شبيهة بملوك الطوائف من الفرس .

قال في "مسالك الأبصار" بعد ذكر أبي سعيد : ثم هم بعده في دهاء مظهره ، وعمياء مقتمه ؛ لا يقضى ليهم إلى صباح ، ولا فرقتهم إلى أجتاع ، ولا فسادهم إلى

صَلَّاحٍ، فِي كُلِّ نَاحِيَةِ هَاتِفٍ، يَدْعِي بِاسْمِهِ، وَخَائِفٍ، أَخَذَ جَانِبًا إِلَى قَسَمِهِ، وَكُلِّ طَائِفَةٍ تُتَغَلَّبُ وَتَقِيمُ قَائِمًا تَقُولُ هُوَ مِنْ أَبْنَاءِ الْقَانِ، وَتَنْسِبُهُ إِلَى فُلَانٍ، ثُمَّ يَضْمَحَلُّ أَمْرَهُ عَنْ قَرِيبٍ، وَلَا تَلْحَقُ دَعْوَتُهُ حَتَّى يَدْعِيَ فَلَا يَجِيبُ، وَمَا ذَلِكَ مِنَ الدَّهْرِ بِعَجِيبٍ. وَذَكَرَ نَحْوَهُ فِي "التَّعْرِيفِ" وَزَادَ عَلَيْهِ فَقَالَ: "وَكَانَ الْعَهْدُ بِهَذِهِ الْمَمْلَكَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَسُلْطَانٍ فَرْدٍ مَطَاعٍ، وَعَلَى هَذَا مَضَتْ الْأَيَّامُ إِلَى حِينٍ وَقَاةِ أَبِي سَعِيدٍ، فَصَاحَ فِي جَنَابَاتِهَا كُلِّ نَاعِقٍ وَقَطَعَ رِدَائِعَهَا كُلَّ جَاذِبٍ، وَتَهَرَّدَ كُلُّ مُتَغَلَّبٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ، فَهِيَ الْآنَ تُهَيَّ بِأَيْدِيهِمْ."

فَإِمَّا عِرَاقُ الْعَرَبِ وَهُوَ بَقْدَادُ وَبِلَادُهَا وَمَا يَلِيهَا مِنْ دِيَارٍ بَكْرٌ، وَرَبِيعَةٌ وَمُصَرٌّ، فَيُعِيدُ الشَّيْخَ حَسَنَ الْكَبِيرِ، وَهُوَ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ أَقْبَا مِنْ طَائِفَةِ التُّورَانِيِّينَ، كَانَ جَدُّهُ نَوَكْرًا مُوَلَّا كُوْبَنْ طُولِي بْنِ جَنْكِرْخَانَ، وَالنَّوَكْرُ هُوَ الرِّفْقِيُّ.

وَأَمَّا بَقِيَّةُ دِيَارِ بَكْرٍ، فَيُعِيدُ إِبْرَاهِيمَ شَاهَ بْنَ بَارَنْبَايَ بْنِ سَوْنَايَ.

وَأَمَّا مَمْلَكَةُ أَذَرْبَيْجَانِ وَهِيَ قَطْبُ مَمْلَكَةِ إِيرَانَ، وَمَقَرُّ كَرْمِيٍّ مُلُوكِهَا مِنْ بَنِي جَنْكِرْخَانَ، فَهِيَ الْآنَ بِيَدِ أَوْلَادِ جَوَابَانَ، وَبِهَا الْقَانُ الْقَائِمُ بِهَا (سَلِيمَانُ شَاهٍ)، قَالَ: وَلَا أَعْرِفُ مَحَلَّةَ نَسَبِهِ وَلَا سِيَاقَتَهُ بِالْدَّعْوَى.

وَأَمَّا خِرَاسَانُ، فَيُعِيدُ الْقَانُ طَفَيْتَمَرِيَارَ. وَهُوَ صَحِيحُ النِّسَبِ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَعْرِفْ اسْمَ آبَائِهِ.

وَأَمَّا بِلَادُ رُومٍ، فَقَدْ أَضْيَقَتْ إِلَى إِيرَانَ مِنْهَا قِطْعَةً صَالِحَةً، وَبِلَادُ نَازَحَةٍ، ثُمَّ قَالَ: وَهِيَ الْآنَ بِيَدِ أَرْتَا، وَقَدْ نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ لِيَعْرِفَ.

قُلْتُ: ثُمَّ تَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ عَنْ ذَلِكَ.

الجملة الثامنة

(في معاملاتها وأسعارها)

أما معاملاتها فالمعتبر فيها معاملة ثلاث قواعد .

الأول - (بَنَدَاد) . قد ذكر في "مسالك الأبصار" : أن ببغداد دينارين . أحدهما يسمى الموال ، عنه آتسا عشر درهما ، الدرهم بغيراط وحبطين . وذلك أن الدينار عشرون بغيراطا ، كل بغيراط ثلاث حبات ، كل حبة أربعة فلوس من الدرهم النقرة ، عن كل فليس فليسان أحمران . والثاني الدينار المرسل ، عنه عشرة دراهم ، وبه أكثر مبيعاتهم ومعاملات تجارهم . وقد اختلف أصحابنا الشافعية في رطل بَنَدَاد ، فذهب الرافعي إلى أنه مائة وثلاثون درهما وهو الموجود فيها الآن ، وعليه أقصر في "مسالك الأبصار" . وذهب الشيخ محي الدين النووي إلى أنه مائة وسبعة وعشرون درهما وأربعة أسباع درهم ، والمن بها رطلان بالتوراني . ومكاييلها أكبرها الكُر ، وهو ثلاثون كارة ، كل كارة قفيزان ، فيكون الكُر [ستين] قفيزا ، والقفيز مكوكان كل مكوكان خمس عشرا^(١) . وتختلف الكارة في الغلال ، فالقمح كارته مائتان وأربعون رطلا ، وكارة الأرز ثلثمائة رطل ، وكارة كل من الشعير والحبص والعنيس والمُرطمان مائة رطل ، وكارة الحبة السوداء ، وهي الثونيز مائة رطل .

الثانية - (تَوْرِيْز) قاعدة أذربيجان وسائر المملكة غير ببغداد وخُرَاسان . فمعاملاتها بدينار يسمى عندهم بالراج ، عنه ستة دراهم .

الثالثة - (نَيْسَابُور) قاعدة خُرَاسان . فدينارها أربعة دراهم ، وفي بعضها الدينار الرابع المقدم ذكره . قال في "مسالك الأبصار" : ولا يساع بتوريز وبلادها

(١) كذا في الأصل . وقد تكلم على المكوكان صاحب القاموس وصاحب اللسان بأوضح مما هنا .

في الغالب قح ولا شعير ونحوهما إلا بالميزان، وليس لهم إلا المن، وهو بتوريز رطلان بالفدائي، فتكون زنته مائتين وستين درهما، وبالسلطانية المن ستمائة درهم .
وأما أسعارها فنقل في "مسالك الأبصار" عن يحيى بن الحكيم الطيارى في السعر ببغداد : أن كُرَّ القمح بسعة وثلاثين ديناراً ونصف دينار، والشعير بخسة عشر ديناراً، كلاهما من العوال . ثم قال : ولعل هذا هو السعر المتوسط، لا يكاد يميل فيه القانون عن محله . وذكر أن الأسعار بتبريز والسلطانية إذا لم يترل عليها السلطان، فأسعارها رخيصة لا إلى غاية، وكل بلد نزل عليه السلطان غلت أسعاره . ولعل هذا قد تغير كل في زماننا كما تغير غيره من الأحوال .

الجملة التاسعة

(في ترتيب هذه المملكة على ما كانت عليه في زمن بني هولاكو، آخر أيام أبي سعيد : من الأمراء والوزراء وأرباب الوظائف)

أما الأمراء . فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أنهم عندهم على أربع طبقات أعلاها النوين ، وهو أمير عشرة آلاف، ويبر عنه بأمير تومان، إذ التومان عندهم عبارة عن عشرة آلاف ، ثم أمير ألف ، ثم أمير مائة ، ثم أمير عشرة . قال في "التعريف" : (وحكام دولة هذا السلطان أمراء الألوس، وهم أربعة، أكبرهم بكلاوى بك : وهو أمير الأمراء، كما كان قطلوشاه عند غازان، وجوبان عند خدابندا، ثم عند أبي سعيد) . قال : وهؤلاء الأمراء الأربعة لا يُفصل جليل أمر إلا بهم، فمن غاب منهم كتب في البرالغ : وهى المراسيم كما يكتب لو كان حاضراً، ونائبه يقوم عنه، وهم لا يُمضون أمراً إلا بالوزير، والوزير يعضى الأمور دونهم ويأمر بتأجيلهم فتكتب أسماءهم، والوزير هو حقيقة السلطان، وهو المنفرد بالحديث في المال ،

والولاية، والعزل، حتى في جلائل الأمور كما كانت بكلارى بك يتحدث في أمر
العسكر بمفرده. فاما الاشتراك في أمور الناس فيهم أجمعين، وليس للأمرء في غالب
ذلك من العلم إلا ما علم توابهم.

قال في "مسالك الأبصار" قلا عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى : وأمر
الجيش والعساكر إلى كبير أمرء الألويس المسمى بكلارى بك، كما كان قتلوشاه مع
السلطانين محمود غازان وأخيه محمد خدابندا، وجوبان مع خدابندا، ثم بعده مع ولده
السلطان أبى سعيد بهادرخان، والشيخ حسن بن حسين بن أقبا مع خانه السلطان
محمد بن طشتمر بن اشتمر بن غبرجى، وإليه يقطع أمر كل ذى سيف. قال : وأمر
متحصلات البلاد ودخلها ونخرجها إلى الوزير، وإليه يرجع أمر كل ذى قلم ومنصب
شرعى، وله التصرف المطلق في الولاية والعزل والعطاء والمنع، لا يساور السلطان
إلا فيما جلّ من المهمات وما قلّ من الأمور، وهو السلطان حقيقة وصاحب البلاد
معنى، وإليه ترجع الأمور كلها، وإليه عقدها وحلّها. أما السلاطين بها فلا ألتفات
لهم لأمر ولا نهى ولا نظر في متحصّل ولا دخل ولا نخرج. قال : وعدة جيشهم
المتزلة في دواوينهم لا تبلغ عشرين توماناً. أما إذا أرادوا فلهم يركبون بثلاثين توماناً
وما يزيد عليها، وعامة العسكر لا تزال أسماؤهم في دواوينهم على الأفراد، وكل طائفة
منهم عليهم في الديوان فارس معين، إذا رسم لهم بالركوب ركب العدة المطلوبة. قال :
وقد ذكر أنه كان في هذه المملكة عدة ملوك كصاحب هراة، وحلول الجبل هم كالعيد
لقائهم الأكبر متقادون إليه وداخولون تحت طاعته.

وأما القضاة فعادة هذه المملكة أن يكون بها في محبة السلطان قاضى قضاء الممالك،
وهو الذى يولى القضاة في جميع المملكة على تسأى أقطارها إلا العراق، فإن لبغداد
قاضى قضاء مستقل بها يولى فيها وفى بلادها من جميع عراق العرب.

وأما السُّكَّابُ وأصحاب الدَّواوين : من ديوان الإنشاء ودواوين الأموال ، فعلى
أتمّ نظام وأعدل قاعدة .

الجملة العاشرة

(فيا لأرباب المناصب والجُند من الرزق على السلطان)

قد نقل في "مسالك الأبصار" عن نظام الدين الطيارى : أن المقرّر للأمراء
في القديم من زمن هولاكو لكل نون (أمير) تومانٌ وهو عشرة آلاف دينار رايغ ،
عنها ستون ألف درهم ، ثم ترايد الحال بهم حتى لا يقع النون فيهم إلا بخمسين
ألف^(١) تومان ، وهي خمسمائة ألف دينار رايغ ، عنها ثلاثة آلاف ألف درهم ، ومن
خمسين توماناً إلى أربعين توماناً . وكان قد استقر لجويان ، وهو يومئذ بكلارى بك
ثم لمن بعده ثلثمائة تومان ، وهي ثلاثة آلاف ألف دينار رايغ ، عنها ثمانية عشر
ألف ألف درهم مع ما يحصل لكل من أمراء الألوس الأربعة من الخدم الكثيرة
في البلاد جميعها عند تقريرات الضمان بها على صُحُفها . قال : وأما أمير ألف ومن
دونه ، فلا يتجاوز أحد منهم تقريره التقديم في الديوان : وهو لأمير الألف ألف دينار
رايغ ، عنها ستة آلاف درهم . وأما أمير المائة وأمير العشرة وكل واحد من العسكرية
إلى الجند فمائة دينار رايغ ، عنها ستمائة درهم لانتفاوت بينهم ، وإنما تبقى منزلة أمير
المائة أو العشرة أنه يأخذ لنفسه شيئاً مما هو للعسكرية ، ولكل طائفة أرض لتروطهم ،
توارثاً الخلف عن السلف منذ ملك هولاكو البلاد ، فيها منازلهم ، ولهم بها مزدراع
لأقواتهم ، لكنهم لا يعيشون بالحرث والزرع .

وأما الخواتين فإنه يبلغ ما للقاتون الواحدة في السنة مائتي تومان ، وهو ألف ألف^(٢)

(١) لعل لفظ ألف من زيادة التاميم كما يستفاد من الفلكة بعد قائل .

(٢) كذا في الأصل ، ولعل الصواب ألفاً ألفاً بالثنية ليستقيم الحساب .

دينار راجح، عنها اثنا عشر ألف ألف درهم، وما دون ذلك إلى عشرين تومانا، وهو مائتا ألف دينار، عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم .

وأما الوزير فله مائة وخمسون تومانا، وهو ألف ألف وخمسمائة ألف دينار راجح، عنها تسعة آلاف ألف درهم، ولا يقنع بشرة أضعاف هذا في تقادير البلاد .

وأما الخواجكية من أرباب الأقاليم، فمنهم من يبلغ في السنة ثلاثين تومانا، وهي ثلثمائة ألف دينار، عنها ألف ألف ومائتا ألف درهم . ثم قال : والذي للأمرء والمسكينة لا يكتب به مرسوم، لأن كل طائفة ورثت ما لها من ذلك عن آباؤها، وهم على الجاهات التي قررها لهم هؤلاء كوا لم تتغير بزيادة ولا نقص، إلا أكابر الأمرء الذين حصلت لهم الزيادات فإنه في ذلك الوقت كتب لهم بأمر القان أصدرها الوزراء عنه، ومن الخوانين من أخذ بماله أو ببعضه بلدا فهي له . قال : وفي هذه المملكة ما لا يحصى من الإدارارات والرسومات حتى إن بعض الرواتب يبلغ ألف دينار .

وأما الإدارارات من المبلغ أو القرى، فإنها تبقى لصاحبها كالمالك يتصرف فيه كيف شاء من بيع وهبة ووقف لمن أراد .

الجملة الحادية عشرة

(في ترتيب أمور السلطان بهذه المملكة على ما كان الأمر عليه)

حكى في "مسالك الأبحار" عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن أهل هذه المملكة من التتر كانوا قد داخلوا المعجم وزوجهم وزوجوا منهم، وغلطوهم بالنفوس في الأمور، ففخمت قواعدهم، وجرت على عوائد الخلفاء والملوك في غالب الأمور قوانينهم .

ثم للسلطان بهذه المملكة مَشَقَّى ومَصِيف :

فأما مَشَتَاه فأوجان بظاهر تبريز ، وهو مكان متسع ذو مَرُوج ومياه على ما تقدم ذكره ، وبه قُصُور لأكابر الأمراء والخوَّاتين . أما عامة الأمراء والخوَّاتين ، فإنهم يتخذون زُرُوبا من القصب كالخطائر يترزبون بها ، ويتنصبون معها الخركاوات والخيام ، فتصير مدينة متسعة الجوانب ، فسيحة الأرجاء ، حتى إذا خرجوا لمصيفهم راحلين عنها ، أحرقوا تلك الخطائر لكثرة ما يتولد فيها بقي منها من الإفاعى والحيات ، ولا يبالون بما يُغرم عليها من كثير الأموال .

وأما مَصِيفه فكان يُعرف بقَرَاباغ ، ومعناه البستان الأسود ، وفيه قَرْى ممتدة ، وهو صحيح الهواء ، طيب الماء ، كثير المرعى . وإذا نزل به الأردوا ، وهو وطاق السلطان وأخذت الأمراء والخوَّاتين منازلهم ، نُصِب هناك مساجد جامعة ، وأسواق متنوعة ، يوجد بها من كل ما فى أمهات المدن الكبار حتى يكون بها أسواق لا ينكر أحد على أحد ، بل كل أحد وما استحسن ، إلا أن الأسعار تغلو حتى يصير الشيء بقيمة مثليه أو أكثر لكثافة الحمل ومشقة السفر . وذكر أنه كان من عادة سلطانهم أنه لا يعمل موكبا ، ولا يجلس للخدمة ولا لقراءة قصص حكيمة وإبلاغ مظالم إليه ، بل له من أبناء الأمراء خاصة له يقال لهم الإينافية ، يكونون حوله لا يكاد منهم من يفارقه .

فأما الأمراء فإنهم يركبون فى غالب الأيام على نحو عشرين غلوة سهم منها إلى باب الكرباس ، وتنصب لهم هناك كراسى صندلية ، يجلس كل أمير منهم على كرسى منها بحسب مراتبهم : الأعلى ثم الأدنى ، ويدخل الوزير فى بكرة كل يوم على القان ، ويبقى الأمراء على باب الكرباس ، فلما أن يخرج لهم القان ، وإما أن يأذن لهم فى الدخول ، أو لاهذا ولا هذا . فلذا حضر طعام القان بشت إلى كل أمير منهم شيئا للأكل بمفرده يأكله هو ومن أنضم معه ، فياكلون ثم يتفرقون ويذهبون إلى حاكمهم ، ومن تأخر منهم عن الحضور لم يطلب بحضور إلا أن تدعو الحاجة .

أما الظَّلَامَات فإن كانت متعلّقة بالمسكينة، فإلى أمير الألوس. وإن كانت متعلقة بالبلاد والأموال أو الرعايا، فإلى الوزير. بل أكثر الظَّلَامَات لا يفصلها إلا الوزير لملازمته باب القان، بخلاف أمير الألوس لقلة ملازمته. ثم قال: وليس في هذه البلاد قاعدة محفوظة، بل كل من أنضوى إلى خاتون من الخواتين أو أمير من الأمراء أو كبير من الخواجكية، قام بأمره إما في قضاء حاجة يطلبها، أو إزالة ظُلّامة يشكوها، حتى إن من الخواتين والأمراء من يقتل ويوسّط بيده بغير أمر القان ولا أمير الألوس.

الجملة الثانية عشرة

(فيما يتعلق بترتيب ديوان الإنشاء بهذه المملكة)

أما البرالغ: وهى المراسيم، فالمتعلق بالأموال تسمى الطن طمغا ويكون صدورها عن رأى الوزير، وكذلك المتعلق بالبريد. والمتعلق بالمسكينة صادر عن أمير الألوس، وليس لأحد على الجميع خطأ إلا الوزير، وإنما العادة أن يأمر الوزير بكتابة ما يرى، ثم تؤخذ خطوط المتحدثين فيما يكتب، ثم تحرّر مسودة وتعرض على الوزير فيأمر بتبديدها، فإذا بيّضت كتب عليها اسم السلطان، ثم تحته اسم الأمراء الأربعة، ويختل تحتها مكان لخط الوزير، ثم يكمل البرلغ ويختتمه بالتاريخ شخص مخصص معد لذلك غير من يكتب، ثم يكتب الوزير في المكان الخالي "فلان سورى" أى هذا كلام فلان يسمى نفسه.

ثم إن كان متعلقا بالمسال أثبت بالديوان المتعلق به، وإلا فلا. وأما المتعلق بالمسك، فنشأ الأمر فيه عن أمير الألوس يأمرهم على بقية الترتيب، ولا خطأ لأمير الألوس بيده. وعادة أصحاب الدواوين عندهم كما هو بمصر والشام لا يعلم صاحب علامة حتى يرى خط نائبه عليه أولا ليعلم أنه قد ثبت عنده.

قلت: وقد اختلفت الأحوال بعد ذلك وتغيرت عما كانت عليه في جُل الأمور.

المملكة الثانية

(مما بيد بني جنكرخان مملكة تورات)

قال في "المشترك" : بضم المثناة من فوق وسكون الواو ثم راء مهجلة وألف ونون . قال في "التعريف" : وهي من نهر يُلغ إلى مطلع الشمس على سمت الوسط ، فما أخذ عنها جنوبا كان بلاد السند ثم الهند ، وما أخذ عنها شمالا كان بلاد الخفجانيخ ، وهي طائفة القَبْجَاق ، وبلاد الصَقَب ، والجهار كس ، والروس ، والماجار ، وما جاورهم من طوائف الأمم المختلفة سُكَّان الشمال . قال : ويدخل في تورات ممالك كثيرة ، وبلاد واسعة ، وأعمال شاسعة ، وأمم مختلفة لا تكاد تحصى ، تشمل على بلاد غَزَنَةَ ، والبَامِيَان ، والغُور ، وما وراء النهر الذي هو نهر جِيحُون ، نحو بُخَارَا وسمَرْقَنْد والصَّفِيد وَتَجَنْد وغير ذلك ، وبلاد تَرْكِسْتَان وأشروسَنَة وقرغَانَة ، وبلاد سَاغُون وأطَرَار وصريوم ، وبلاد الخِطَا نحو بشبالي والمالقي إلى قَرَاقُوم ، وهي قرية جنكرخان التي أنرجته ، وعِريْسَتُهُ التي أدرجته . إلى ما وراء ذلك من بلاد الصَّين وِصِين الصَّين . ثم قال : وكل هذه ممالك جليله ، وأعمال حفيله . أما في "المشترك" : فإنه قد جعل تورات أسماء لمجموع ما وراء النهر من مملكة الهَيَاطَلَة ، وهي جزء مما تقدم ذكره .

وقد قسم في "التعريف" ^(١) : مملكة تورات إلى ثلاثة أقسام .

القسم الأول - منها غَزَنَة وَبُخَارَا وسمَرْقَنْد وعامة ما وراء النهر وتَرْكِسْتَان .

قال في "مسالك الأبصار" : وما بعده ومأمعه . قال : وهي من أجل الممالك وأشهرها . ثم قال : وهي ممالك طائفة السُّمْنَة ، طائفة البَقْعَة ، أَسِرَّة ملوك ، وأُنُق عُمَاء ، ودارة أكابر ، وسمَقِد أَلَوِيَّة وَبُنُود ، وعجري سوابق وَجُنُود ، كانت

(١) عبارة "التعريف" وأما مملكة تورات فهي مقسمة ثلاثة أقسام وبها سلطانان ميلان و سلطان كافر . ثم تكلم على المكتبة إلى الجلبع .

بها سلطنة الخانية وآل سامان وبنى سُبُكْتِكِين والتُّورِيَّةُ ؛ ومن ألقها بزغت شمسُ
آل سَلْجُوقَ ، وأمتدت في الإِشراق والشُّروق ؛ وغير هذه الدول مماطمٌ سهولٌ هذه
الهمالك على قربها . كانت قبل أنتقالها إلى الإسلام ، في ملوك الترك لا ترمى ولا
ترام ، ولا يشق لها سهام ؛ حتى [إذا] خيم بها الإسلام وحاز ملكها هذه الأمة ، برقت
بالإيمان أيسرُها ، وتطهرت بالجموع والمساجد قراها ؛ ثم بنيت بها المدارس والخوانق
والربط والزوايا ، وأجريت الأوقاف عليها ، وكثر من العلماء أهلها ، وسارت لها
التصانيف المشهورة في الفقه والحديث والأصول والخلاف ، وكان فيهم الرؤساء
والأعلام ، والكبراء أهل البحث والنظر . ثم قال : وهي في أواسط المعمور وأوسع
الأرض إذا قيل إنها أخصب بلاد الله تعالى وأكثرها ماء ومرعى ، لم يغير القائل
الحق في أوصافها ؛ ذات الأنهار السارحة ، والمروج الممتدة ؛ كأنما نشرت الخلل على
أفاقها ، وثمرت الحل على حصبائها .

ويرجع المقصود منها إلى سبع جمل .

الجملة الأولى

(في ذكر حدودها ، وطولها وعرضها ، وموقعها من الأقاليم السبعة)

أما حدودها وطولها وعرضها ، فقال في "مسالك الأبصار" : وهي واقعة بشرق
محض آخذة إلى الجنوب ؛ يحدها السند من جنوبيها ، والصين من شرقيها ، وخوارزم^(١)
وإيران من جنوبيها ، وطولها من ماء السند إلى ماء ايلان المسمى قراخوجا ، وهي
على براخط ، وعرضها من وِجْج وهو منبع نهر جِيحُون إلى حدود كُرْكَانْج قاعدة
خوارزم ؛ وحدها من الجنوب جبال البتْم وماء السند الفاصل بينها وبين السند ؛
ومن الشرق أوائل بلاد الخط ؛ ومن الشمال مراعي باران وكند وبعض خراسان

(١) لعله من غربها .

إلى بحيرة خُوارزَم، ومن الغرب بعض خُراسان إلى خُوارزَم إلى مجرى النهر آخذاً على الختل . ثم حكى عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن بلاد هذه المملكة متصلة بخُراسان متداخلة بعضها ببعض، لا يفصل بينهما بحر ولا نهر ولا جبل ولا مفازة، بل بينها وبين خُراسان أنهار جارية ومزارع متصلة .

الجملة الثانية

(فيما يدخل في هذه المملكة من الأقاليم العرفية، وهى سبعة أقاليم)

الإقليم الأول منها

(ما وراء النهر)

قال فى "تقويم البلدان" : والذى ظهر لنا فى تحديد ما وراء النهر أنه يحيط به من جهة الغرب حدود خُوارزَم، ومن الجنوب نهر جِيحُون من لَدُن بَدَخْشَانَ إلى أن يتصل بحدود خُوارزَم، فإن جِيحُون فى الجملة يجرى من الشرق إلى الغرب، وإن كان يعرض فيه عطفات تجري جنوباً مرة وشمالاً أخرى . ثم قال : أما حدوده من الشرق والشمال فلم تتضح لى . قال صاحب "كتاب أشكال الأرض" : وما وراء النهر من أخصب الأقاليم منزلة، وأزهرها وأكثرها خيراً، وأهلها يرجعون إلى رغبة فى الخير، وأستجابة لمن دعاهم، مع قلة غائلة، وسلامة ناحية، وبساحة بما ملكت أيديهم، مع شدة شوكة ومنعة وبأس ونجدة واعدة وعدة، وآلة وكراع وبسالة وعلم وصلاح، وليس من إقليم إلا ويُحِطُّ أهله مراراً قبل أن يُفِطَّ ما وراء النهر مرة واحدة، ثم إن أحسوا يبرد أو يجراد أو بأفة تآتى على زروعهم وغلاتهم، ففى فضيل ما يسلم فى عروض بلادهم ما يقوم بأوديم حتى يستنفوا به عن شئ ينقل إليهم من غير بلادهم . قال : وليس بما وراء النهر مكان يخلو من مدُن

أَوْ قَرَى أَوْ مَرَّاجَ لِسَوَاتِمِهِمْ؛ وَلَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْهُ إِلَّا وَعِنْدَهُمْ مِنْهُ مَا يَقِيمُ
أَوْتَعَمَ وَيُفَضَّلُ عَنْهُمْ لَيْسَرِيهِمْ؛ وَمِيَاهُهُمْ أَغْذَبَ الْمِيَاهِ وَأَبْرَدَهَا وَأَخَفَّهَا، وَقَدْ عَمَّتْ
جِبَالَهَا وَضَوَاحِيَهَا وَمُدَّتْهَا إِلَى التَّحْكُنِ^(١) مِنْ الْجَدِّ فِي جَمِيعِ أَقْطَارِهَا، وَالتَّلَوُّجِ مِنْ جَمِيعِ
نَوَاحِيهَا، وَالغَالِبَ عَلَى أَهْلِ الْمَالِ وَالثَّرْوَةِ بِهَا صَرْفَ الْمَالِ فِي عَمَلِ الْمَدَارِسِ وَبِنَاءِ
الرُّبُطِ وَعِمَارَةِ الطَّرِيقِ، وَالْأَوْقَافِ عَلَى سُبُلِ الْجِهَادِ وَوُجُوهِ الْخَيْرِ، وَعَقْدِ الْقَنَاطِرِ،
إِلَّا الْقَلِيلَ مِنْ ذَوَى الْبَطَالَةِ .

وَفِيهَا مِنَ الدَّوَابِّ الْخَيْلُ وَالْبَقَالُ وَالْحَمِيرُ وَالْإِبِلُ الْبُخْتُ وَالْبَقَرُ، وَالتَّنَمُّ أَكْثَرُهَا
فَإِنَّهَا كَمَا يُقَالُ أَعُوْزَهَا لِلزَّرَابِ، وَفِيهَا مِنَ الْمَبَاحِ مَا فِيهِ كِفَايَتُهُمْ، وَلَهُمْ مِنْ نَتَاجِ التَّنَمِ
الكَثِيرُ وَالسَّاعَةُ الْمَفْرُطَةُ . وَذَكَرَ أَنَّهُ يَوْجَدُ عِنْدَ أَحَادِ الْعَامَةِ مِنْ عَشْرِينَ دَابَّةً إِلَى
خَمْسِينَ دَابَّةً لَا كَلْفَةَ عَلَيْهِ فِي آفَتَانِهَا لِكَثْرَةِ الْمَاءِ وَالْمَرْعَى .

وَفِيهَا مِنَ الْحَبُوبِ الْقَمْحُ وَالشَّعِيرُ وَالْحَمْصُ وَالْأَرْزُ وَالذُّخْنُ وَسَائِرُ الْحَبُوبِ خِلَا
الْبَقَالِ؛ وَبِهَا مِنَ الثَّوَاكِهِ الْمُتَوَعَّةِ الْأَجْنَاسِ الْعِنَبُ، وَالتَّيْنُ، وَالرُّمَانُ، وَالثَّمَاخُ،
وَالْكُثْرَى، وَالسَّفَرَجَلُ، وَالخَوْخُ، وَالْمِشْمِشُ، وَالتُّوتُ، وَالْبَطِيخُ الْأَصْفَرُ، وَالْبَطِيخُ
الْأَخْضَرُ، وَالْخِيَارُ، وَالْقِنَاءُ .

وَفِيهَا مِنَ الْبَقُولِ اللَّفْتُ وَالْجَزَرُ وَالْكَرْبُ وَالْبَازِجَانُ وَالْقَرَعُ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الْبَقُولِ .
وَفِيهَا مِنَ الرِّيحَيْنِ الْوَرْدُ وَالْبَنْفَسُجُّ وَالْآسُ وَاللَّيْنُوقُ وَالْحَبَقُ؛ وَلَا يَوْجَدُ بِهَا الْأَرْجُ
وَالنَّارِجُ وَاللَّيْمُونُ وَاللِّيمُ، وَلَا الْمَوْزُ وَلَا قَصَبُ السُّكَّرِ . وَلَا الْقَلْقَاسُ، وَلَا الْمُلُوخِيَا،
فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ عَارِيَةٌ خَالِيَةٌ مِنَ الْمَرْوِجِ؛ إِلَّا مَا أَتَى بِهِ إِلَيْهَا مِنَ الْمَحْمُضَاتِ مَجْلُوبًا .
وَفِيهَا أَصْنَافُ الْمَلْبُوسِ : مِنَ الْقَرَزِ، وَالصُّوفِ، وَطَرَائِفِ الْبَزِّ .

وَفِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ مَعْدُنُ زَبَقٍ لَا يَعَادِلُهُ مَعْدُنٌ فِي الْفَرَارَةِ .

(١) لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ دَاعِيَةً إِلَى التَّحْكُنِ إِلَى .

وقد أشتمل ما وراء النهر على عدة كور .

(منها) السُّد . قال في "اللباب" : بضم السين المهملة وسكون الفين المعجمة ودال مهملة في الآخر، ويقال الصُّدُّ بالصاد بدل السين، ويضاف إلى سَمَرَقَنْدَ، فيقال سُدُّ سَمَرَقَنْدَ، وهو أحد منتهات الدنيا الأربعة التي هي غوطة دِمَشقَ، ونهر الأُبُلَّةِ، وشعب بَوَّانَ، وسُدُّ سَمَرَقَنْدَ . قال ابن حوقل : وهو أتره الأربعة لأنه ممتد نحو ثمانية أيام، مشتبك الخُضرة والبساتين، لا ينقطع ذلك في موضع منه، وقد حُصَّت تلك البساتين بالأنهار العائِم جُريَّهاً، ومن وراء الخُضرة من الجانبين مزارعُ، ومن وراء المزارع مَرَاعى السوائم . ثم قال : وهي أزرى بلاد الله وأحسنها أشجاراً .

ومنها أُسْرُوشَنَةُ . قال في "اللباب" : بضم الألف وسكون السين وضم الراء المهملتين وسكون الواو وفتح الشين المعجمة ثم نون . قال ابن حوقل : والغالب عليها الجبال ، ويحيط بها من الشرق بعض قرغانة ، ومن الغرب حدود سَمَرَقَنْدَ، ومن الشمال بعض قرغانة أيضاً، ومن الجنوب بعض حدود كَشَّ والصَّغَانِيَّانِ . قال أحمد الكاتب : ولها عدة مُدُن، ويقال إن بها أربعائة حصن .

(ومنها) قَرَّغَانَةُ . قال في "المشترك" : بفتح الفاء وسكون الراء المهملة وفتح الفين المعجمة وألف ونون . قال ابن حوقل : وفيها مُدُن وكُور، وإليها ينسب جماعة من العلماء، منهم أبو سعيد القَرَّغَانِي شارح "تائية ابن الفارض" قال ابن حوقل : وبجبال قَرَّغَانَةُ معادنُ الذهب والفضة والفيروزَج والحديد .

وقاعدتها مُجَنَّا . قال في "اللباب" : بضم الباء الموحدة وفتح الخاء المعجمة ثم ألف وراء مهملة مفتوحة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض

تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة خارجها تربة كثير البساتين . قال : وليس بتلك البلدان بلد أهلها أحسن قياما على عمارة قراهم منهم ، ويحيط بها وبقرأها ومزارعها سور واحد اثنا عشر فرسخا ، وطأ كورة عظيمة تصاقب جحجون على معبر خراسان ، وبها يتصل سغد سمرقند . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أم الأقاليم ومن التقاسيم ، وقد كانت [مستقرا] للدولة السامانية ومركز أفلاكهم الدائرة ، وكانت تلك الممالك كلها تبعا لها . قال صاحب "أشكال الأرض" : ثم لم أر ولم أسمع بظاهر بلد أحسن من بخارا ، لأنك إذا علوت لم يقع نظرك من جميع النواحي إلا على خضرة تتصل خضرتها بلون السماء ، مكبة زرقاء على بساط أخضر . تلوح القصور فيما بين ذلك كالترايس التبنية ، أو الخجف اللطيفة ، أو الكواكب العلوية ، بين أراض وضياح مقسومة بالاستواء ، ممهدة كوجه المرأة في غاية الهندسة ، وطأ سبعة أبواب حديد : وهي باب المدينة ، وباب يون ، وباب خضرة ، وباب الحديد ، وباب قهندر ، وباب بنى أسد ، وباب بنى سعد . وليس فيها ماء جار لأرتفاعها ، ومياههم من النهر الأعظم الجارى من سمرقند ، وإليها ينسب الإمام الحافظ (أبو عبد الله البخارى) صاحب الجامع الصحيح في الحديث .

ولها عدة مدن :

(منها) الطواويس . قال في "اللباب" : بفتح الطاء المهملة والواو وبعد الألف واو ثانية مكسورة ومثناة تحت ساكنة وسين مهملة في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي مدينة من مضافات بخارا داخل الحائط الدائر على أعمال بخارا ، كثيرة البساتين والماء الجارى . قال : وقد خربت الآن . وقال في "اللباب" :

هى قرية من قرى بخارا خرج منها جماعة من العلماء، وبينها وبين بخارا سبعة فراسخ، وإليها ينسب الطاووسى صاحب "المصباح على الحساوى الصغير" فى فقه الشافعية، ردا لها فى النسب إلى المفرد وهو الطاوس .

(ومنها) تَحْشَبُ . قال فى "اللباب" : بفتح النون وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين ثم باء موحدة . قال فى "تقويم البلدان" : فلما عربت قيل نَسَفَ - يعنى بفتح النون والسين المهملة وفاء فى الآخر . قال ابن حوقل : وهى فى مستو من الأرض . والجبال منها على نحو مرحلتين مما إلى كَشْ، وبينها وبين جِمْحُون مفازة، ولها نهر يجرى فى المدينة وينقطع فى بعض السنة ، والغالب عليها الخِصْبُ . قال المهلبى : وهى وَبِيَّةٌ .

(ومنها) كَشْ . قال فى "المشترك" : بفتح الكاف ثم شين معجمة مشددة - وموقعها فى الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال فى "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض تسع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وهى مدينة قدرها ثَلُثُ فرسخ فى مثله ، وهى خِصْبَةٌ وفواكهها تُمْرِك قبل فواكه غيرها من بلاد ما وراء النهر؛ وطول عملها أربعة أيام فى نحوها . قال المهلبى : ولها رستاق جليل، ولها نهران، وإليها ينسب جماعة من العلماء .

(ومنها) سَمَرْقَنْدُ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح السين المهملة والميم وسكون الراء المهملة وفتح القاف وسكون النون ثم دال مهلة - وموقعها فى الإقليم الخامس . قال فى "القانون" : حيث الطول ثمان وثمانون درجة وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة . قال ابن حوقل : وهى قَصَبَةُ السُّفْدِ، وهى مبنية على ضَفَّة واديه، وهى مرتفعة عن الوادى؛ وحول سُورِها رسمٌ خندق عظيم؛ ولها نهر يدخل إليها على حمالات فى الخندق معمول بالِرَّصَاصِ، وهو نهر جاهلى يُسْقِ السوق

بوضع يعرف برأس الطاق . قال ابن حوقل : ورأيت على باب من أبوابها يسمى باب كُتَشَ صفحة من حديد وعليها كُتِبَتْ يزعم أهلها أنها بالحِمْيَرِيَّةُ ، وأن الباب من بناء تُبَّع ملك اليمن ، وأن من صَنَعَهُ إلى سَمَرْقَنْدَ ألف فرسخ ، وأن ذلك مكتوب من أيام تُبَّع . قال : ثم وقعت فتنة بها في أيام مُقَامَى بها وأُحرق البابُ وذهبت الكتابة ، ثم أعاد عمارة الباب محمد بن قُفَّان بن نصر الساماني ولم يُعِد الكتابة . قلت : والمراد تبَّع المسمَّى بأسعد أبَا كَرْبٍ ، وقد أشرت إلى قضية تُبَّع في بناء سَمَرْقَنْدَ في الكتاب الذي أنشأته لأن يكتب عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية إلى تمرلك عند إرساله بالمفاوضة في الصلح بعد واقعة دِمَشْقَ والقبيص على ابن عثمان صاحب برسا من بلاد الروم بقولى بعد الدعاء : ” ولا زال بالنصر تَقْضِي قواضيه ، وبالظفر وحسن الأثر تَمْضِي مَقَانِيهِ وقشاع مناقبه ، ولسان دولته القاهرة يُصَاح بِتُبَّع سَمَرْقَنْدَ لن تبلغ هذه الرتبة حتَّى تَظُمَ الحِزْرَعُ ثاقِبَهُ “ . على ما سيأتى ذكره في الكلام على مكتبة القان صاحب ماوراء النهر ، في الكلام على المكتبات في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

قال في ”مسالك الأبصار“ : وسَمَرْقَنْدُ مدينة مرتفعة يُشْرِفُ الناظر بها على شجر أخضر ، وقُصُور تُزِيهِرُ ، وأنهار تَطْرُدُ ، وعمارة تُتَقَدُّ ، لا يقع الطُوفُ بها على مكان إلا ملائمةً ، ولا بسَتان إلا أستحسنه . قال صاحب ”أشكال الأرض“ : وقد نصبت^(١) أمحار السير ، وتشبهت بطوائف الحيوان : من الفيلة والإبل والبقر والوحوش المقبل بعضها على بعض . قال : وبها حصن ولها أربعة أبواب : باب مما على المَشْرِق يعرف بباب الصَّين ، مرتفع عن وجه الأرض يتزل إليه (؟) بدرج كثيرة ، مطل على وادي السُّنْد ، وباب مما على المغرب يعرف بباب التُّوْهَار على تَشْرَمَن

(١) كذا في الأصل والمراد وصف المدينة بالتقدم والأرخاء .

الأرض، وباب مما إلى الشمال يعرف بباب بُخَّاراً، وباب مما إلى الجنوب يعرف بباب كَشْ. قال: وفيها مافى المدن العظام من الأسواق الحسان والحمامات والخانات والمساكن، وبنائوها من طين وخشب، والبلد كله: طُرُقُه وَسِجْكُه وأسواقه وأزقُّه مفروشة بالحجارة .

(ومنها) بَنَكْتُ . قال في "الباب" : بكسر الباء الموحدة وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها تاء مثناة - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . ولها سُوْرٌ وَرَبَضٌ وبساتين كثيرة .

(ومنها) نوبكت - بنون وواو وباء موحدة ثم كاف ومثناة من فوق . قال ابن حوقل : وهي قصبة ناحية لإيلاق^(١)، وعليها سُوْرٌ ولها عدة أبواب، وفيها مياه وبساتين كثيرة .

(ومنها) مُجَنَّدَةُ . قال في "الباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح الجيم وسكون النون ثم دال مهمللة - وهي مدينة على طرف سِيَحُونٍ مضمومة إلى فَرَعَانَةٍ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول تسعون درجة، والعرض أربعون درجة وخمسون دقيقة . قال في "الباب" : وهي مدينة كبيرة، وهي في مستوٍ من الأرض، ولها بساتين كثيرة . قال أحمد الكاتب : ومنها إلى سَمَرْقَنْدَ سبع مراحل، ومنها إلى الشاش كذلك .

(ومنها) مُتَكْتُ . قال في "الباب" : بضم المثناة من فوق وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها تاء ثانية - وهي مدينة من مدن الساحل، وقيل هي قصبة لإيلاق،

(١) التي في "تقويم البلدان" عن ابن حوقل أن عاصمة إيلاق تسمى تونكت، وكذا في "معجم البلدان" لابن خرداد، إلا أنه نص على أن آخرها تاء مطقة، وهي تنكت الآتية بعد قلينبه .

وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : ولها نهر ودار إمارة، ونخرج منها جماعة من العلماء .

(ومنها) أَخْصِيكْتُ . قال في "اللباب" : بفتح الألف وسكون الخاء المعجمة وكسر السين المهملة وسكون المثناة من تحتها وفتح الكاف وفي آخرها ثاء مثلثة . وهي مدينة من بلاد فَرَغَانَة ، واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال ابن حوقل : وهي على شَطِّ نهر الشاش في أرض مستوية بينها وبين الجبال نحو فرسخ .

(ومنها) تَرْمِذ . قال في "اللباب" : قيل بفتح التاء ثالثة الحروف وقيل بضمها وقيل بكسرها . قال : والمتداول على لسان أهلها فتح التاء وكسر الميم ، والمشهور في القديم كسر التاء والميم جميعاً ، وقيل بضم التاء والميم وبينهما راء ساكنة وفي آخرها ذال معجمة - وهي مدينة على شَطِّ جَيْحُون ، واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول إحدى وتسعون درجة وخمس وخمسون دقيقة ، والعرض سب وثلاثون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : ومعظم مساكنها وأسواقها مفروشة بالآجر ، وهي قَصَبَة تلك النواحي . وأقرب الجبال إليها على مرحلة ، وليس لقرائها شُرْب من جَيْحُون بل من نهر الصَّغَايَان . قال : ولها مُدُن كثيرة وكُوَر مضافة إليها . قال في "اللباب" : وهي مدينة قديمة .

(ومنها) الصَّغَايَانُ . قال في "اللباب" : بفتح الصاد المهملة والغين المعجمة وألف ونون ومثناة تحتية ونون في الآخر، جميع ذلك بالتخفيف . قال : ويقال لها بالعجمية جَغَايَان - وهي مدينة موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة .

قال في "الأطوال" حيث الطول تسعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثلاث وأربعون درجة وثلاث عشرة دقيقة . قال ابن حوقل : وهي أكبر من ترمذ إلا أن ترمذ أكثر أهلا . ثم قال : وهي كورة كبيرة كثيرة الماء والشجر، والنسبة إليها صفائي وصافاني .

الإقليم الثاني (تُرْكُتَانُ)

بضم التاء المثناة من فوق وسكون الراء المهملة وضم الكاف وسكون السين المهملة وألف بعدها نون، ومعناه ناحية الترك . قال في "مسالك الأبصار" : وهي مملكة لو انفردت لكانت ملكا كبيرا وسلطنة جليلة (زهرة الدنيا، وطرار الأرض بلاد الترك) وحقيقة من كُتِبَها رعت غزلانها، ومن غلبها أفتَحَرَّتْ ليوثهم . وهي إقليم فسيح المدى، قديم الذكر، منشأ حماه، ومنسب كُناه . قال : وهو المراد بقولهم بلاد الأتراك؛ ولم تزل الملوك تلحظها لالتقاء بوادرها، واللقاء ذواخرها، فاشتهر ما تكثر الأيام معالمها، وغيبت التغير أحوالها . قال : ولقد صادفت حدة التتار في أول التَّيَّارِ بغاءت قدامهم في سورة غضبهم ، ونفحة نارهم؛ فأملت السيوف حصائد أحبالهم ، ولم يبق إلا من قلَّ عديده . ثم قال : حكى لي من جال في رسايقها ، وجاز في قُرَاهَا، أنه لم يبق من معالمها إلا رسومٌ دائرة، وأطلال نائمة، يرى على البُعد القرية مُشَيَّدة البناء، مُحَضَّرَة الأكثاف، فيأنس لعله يجد بها أنيسا ساكنا، فإذا جاءها وجدها عالية البنيان، خالية من الأهل والسكان؛ إلا أهل العمل وأصحاب السائمة . ليست بذات حرث ولا زرع، وإنما خضرتها مُرُوج أطلعها باريها بها من النباتات البرية، لا يذرُها يَازِرٌ، ولا زرعها زارع . ويوجد بها خَلَف من بقايا العباء . ويميزُ التيمم فيها بالتقارب بعد الماء .

ومن نواحها (فَارَابُ) . قال في "المشترك" : بفتح الفاء والراء المهملة بين ألفين وفي آخرها باء موحدة . وقال في "مسالك الأبصار" : الصواب إبدال الفاء باء موحدة لأنه ليس في اللغة التركية فاء . قال ابن حوقل : وهي ناحية لها غياض، ولهم مزارع، ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم . قال في "تقويم البلدان" : وتسمى أطرار .

وقاعدتها (قَاشَغَر) . قال في "اللباب" : بفتح القاف وسكون الألف ثم سكون الشين المعجمة أيضا وفتح النين المعجمة وفي آخرها راء مهملة . قال في "تقويم البلدان" : ويقال لها كَاشَغَر بإبدال القاف كافا - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وتسعون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض أربع وأربعون درجة . قال المهلبى : وهي مدينة عظيمة أهلة عليها سُورُ وأهلها مسلمون . قال في "القانون" : وتسمى أزدوكند .

قال في "مسالك الأبصار" : أما الآن فقاعدتها (قرشى) بقاف وراء مهملة وشين معجمة ثم ياء مثناة من تحت في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وهي على نهر قراخوجا في نهاية الحد . قال : وهي وإن لم تكن شيئا مذكورا، ولا لها على اختلاف حالات الزمان شهرة تُذكر ، لكن قد شملها في دولة ملوكها الآن من نظر السعادة لنسبتها إلى أنها سَكَنَ لهم ، وإن كانوا ليسوا بِسُكَّانٍ جِدَارٍ ، ولا متديرين في ديار، ولكن لاسم وُسِّمَتْ به . وبها عتة مدن أيضا :

(منها) كدر . قال في "الأطوال" : وهي قَصْبَة فَارَاب . قال في "مسالك الأبصار" : وإليها ينسب فيلسوف الإسلام أبو نصر الفَارَابِي .

(ومنها) حَتَن . قال في "اللباب" : بضم الخاء المعجمة وفتح المثناة من فوق ونون في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول ست وثمانون درجة ، والعرض ثمان وأربعون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي أقصى تَرْكْتَان . قال في "العزيزي" : وهي مدينة يَخْصِبَةُ أهلة عامرة ، بها أنهار كثيرة .

(ومنها) جَنْد . قال في "اللباب" : بفتح الجيم وسكون النون وفي آخرها دال مهملة - وهي بلدة واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول سبع وثمانون درجة وخمس وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي في حدود التُّرك على طَرَف سِيحُون ، خرج منها جماعة من الفضلاء .

(ومنها) إِسْفِيَجَابُ . قال في "اللباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر الفاء وسكون المثناة من تحت وفتح الجيم وفي آخرها باء موحدة بعد الألف - ووقع في "مسالك الأبحار" إبدال الفاء باء موحدة - وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة ونمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة . قال في "اللباب" : وهي بلدة كبيرة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من نغور الترك .

(ومنها) طَرَّازُ . قال في "اللباب" : بفتح الطاء والراء المهملتين وألف وزاى معجمة - وهي مدينة على حد بلاد التُّرك واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول تسع وثمانون درجة ونمسون دقيقة ، والعرض ثلاث وأربعون درجة وخمس وثلاثون دقيقة . قال ابن حوقل : وحولها حصون مفسوبة إليها .

(ومنها) نبلي . قال في "مسالك الأبصار" : وهي أربعة مُدُن بين كل مدينة والأخرى فرسخ واحد ، ولكل واحدة منها اسم يخصها : فالأولى نبلي ، والثانية نبلي ماتي ، والثالثة بكك ، والرابعة تلان . قال : وبينها وبين سمرقند عشرون يوما .

(ومنها) ألتائي - بفتح الهمزة وسكون اللام وفتح الميم وألف بعدها ثم لام مكسورة وقاف في الآخر . قال في "مسالك الأبصار" : وبينها وبين نبلي عشرون يوما . ونقل عن الشيخ محمد التيجاني الصوفي وغيره أن بها من الخيل والأغنام مالولاً وموتان يقع فيها في بعض السنوات ، لما بيعت ولا وجد من يشتريها لكثرتها وبركات نتائجها .

الإقليم الثالث

(طُغَارُ سْتَانُ)

قال في "اللباب" : بضم الطاء المهملة وفتح الحاء المعجمة وألف وضم الزاء وسكون السين المهملين وفتح المشاة من فوق وألف ونون . قال : وهي ناحية مشتملة على بلدان في أعلى نهر جيحون . وقال ابن حوقل : هو إقليم له مُدُن كثيرة من مضافات بلخ . وقاعدتها فيما ذكره في "القانون" - ولَوَاجِج . قال في "تقويم البلدان" : بواوين بينهما لام ساكنة ثم ألف ولام وجيم - وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة وخمس وخمسون دقيقة . قال في "القانون" : وهي مقر مملكة الهياطلة في القديم . قال المهلب : وهي في مستو من الأرض . ولها مُدُن .

(منها) **إِسْكَكَنْدُ** . قال في "الباب" : بكسر الألف وسكون السين المهملة وفتح الكافين ، بينهما لام ساكنة ثم نون كذلك ودال مهملة في الآخر . قال : وقد تحذف الألف من أولها . وهى مدينة صغيرة موقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة ونمسون دقيقة ، والعرض ست وثلاثون درجة ونمسون دقيقة . قال في "الباب" : وهى مدينة صغيرة كثيرة الخير .

(ومنها) **رَاوُنُ** . قال في "الباب" : بفتح الراء المهملة والواو ونون في الآخر . وموقعها في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" : حيث الطول اثنتان وتسعون درجة وأربعون دقيقة ، والعرض سبع وثلاثون درجة ونمسون وثلاثون دقيقة . قال في "الباب" : وهى مدينة من **طُخَارِسْتَانَ** ولم يزد .

الإقليم الرابع (بَدَخْسَانُ)

قال في "الباب" : بفتح الباء الموحدة والدال وسكون الخاء وفتح الشين المعجمة ونون في الآخر . قال ابن حوقل : وهو أسم للدينة والإقليم معاً . قال في "الباب" : وهى في أعلى **طُخَارِسْتَانَ** متاخمة لبلاد **الترک** . وقال في "مسالك الأوصار" : هى مملكة ما وراء النهر وليست حقيقة منها ولا من **تُرْكِسْتَانَ** ، بل هو إقليم قائم بذاته ، محدود المجاورة مع أخواته ، قد حوى كل بديع من حيوانه ومعدنه ونباته .

ثم حكى عن محمد المجلندي الصوفي وغيره أن بها معدن **البَحْشِ** ، ومعدن **الْأَزْوَردِ** ، وهما في جبل بها ، يُخَفَّرُ عليهما في معادنها ، فيوجد **الْأَزْوَردُ** بسهولة ، ولا يوجد **البَحْشِ** إلا بتعب كثير وإنفاق زائد ، وقد لا يوجد بعد التعب الشديد

والإنفاق الكثير . ولذلك عَزَّ وجوده ، وعلت قيمته ، وكثر طلبه ، وألفتت الأعناق إلى التحلِّي به . وقد تقدَّم ذكره في المقالة الأولى في الكلام على ما يحتاج الكاتب إلى معرفته ليَصِفَه عند ذكر الأحجار النفيسة . وقد تقدَّم هناك أن أنفس قطعة وصلت إلى بلاد الشام منه قطعة زَتَبًا نحسون درهما . وقد ذكر في ”اللباب“ أن بها معدن البلور أيضا ، وقد تقدَّم ذكره هناك في الكلام على الأحجار النفيسة .

الجملة الثالثة

(في الطرق الموصلة إليها ، وبعض المسافات الواقعة بين بلادها)

قد تقدَّم في الكلام على مملكة إيران الطريق إلى أَمَل الشطِّ بشطِّ جِيحُون . قال ابن خرداذبه : ومن أَمَل إلى بُخَّارَا تسعة عشر فرسخا ، ومن بُخَّارَا إلى سَمَرَقَنْد سبعة وثلاثون فرسخا ، ومن سَمَرَقَنْد إلى الشَّاش أثنان وأربعون فرسخا ، ثم إلى باب الحديد مِيلَان ، ثم إلى كَار فرسخان ، ثم إلى إِسْفِجَاب عشرة فراسخ ، ومن إِسْفِجَاب إلى أَطْرَارَ وهي قَارَابُ ستة وعشرون فرسخا . قال في ”تقويم البلدان“ : ومن سَمَرَقَنْد إلى مُجَنْدَة سبع مراحل ، ومن مُجَنْدَة إلى الشَّاش أربع مراحل .

الجملة الرابعة

(في عِظَام الأنهار الواقعة في هذا القسم من مملكة تُوْرَان ، وهي نهران)

الأوَّل - نهر جِيحُون - بفتح الجيم وسكون الياء المثناة تحت وضم الحاء المهملة وسكون الواو ثم نون ؛ ويسمى نهر بَلُغ أيضا ، إضافة إلى مدينة بَلُغ من بلاد قَارِس المقدم ذكرها . قال في ”تقويم البلدان“ : وقد اختلف النقل فيه ، وأقرُّبه ما نقله ابن حوقَل أن عمود نهر جِيحُون يخرج من حدود بَدَخْشَانَ ، ثم تجتمع إليه أنهار

كثيرة، ويسير غربا وشمالا حتى يصل إلى حدود بلخ، ثم يسير إلى ترمذ، ثم غربا وجنوبا إلى زم وأسمها أمويه، ويمجرى كذلك غربا وشمالا إلى خوارزم. قال في "رسم المعمور": ويخرج جنوبا ويمر قرب تُجَنَّدَة ويتجاوزها ويصب في البحر الأخضر. الثاني - نهر سِيحُون. قال في "تقويم البلدان": وقد اختلف النقل فيه أيضا. قال: والمختار ما ذكره ابن حوقل، لأنه يحكي ذلك عن مشاهدة. فقال: إن نهر الشاش بقدر الثلاثين من نهر جِيحُون، وهو يجرى من حدود بلاد الترك ويمر على أخسيك، ثم يسير منزبا بميلة إلى الجنوب إلى تُجَنَّدَة، ثم يجرى إلى فاراب إلى يَنْغِي كَنْت ثم يقع في بحيرة خوارزم على مرحلتين من يَنْغِي كَنْت.

الجملة الخامسة

(في معاملاتها وأسماؤها)

أما معاملاتها بالدينار الرابع، وهو ستة دراهم كما في مُعْظَم مملكة إيران، وفي بعضها بالدينار الخُرَّاسَانِي وهو أربعة دراهم. قال في "مسالك الألبان": ودراهمهم نوعان، درهم ثمانية فلوس، ودرهم أربعة فلوس. قال: ودراهمها فِضَّةٌ خالصة غير مفشوشة، وهي وإن قلَّ وزنها عن معاملة مصر والشام فإنها تجوز مثل جوازها. وأما أسماؤها فأسماؤها جميعها رخيصة حتى إذا غلت الأسعار فيها أعلى الفلوس، كانت مثل أرخص الأسعار بمصر والشام.

الجملة السادسة

(في مَنْ ملك هذا القسم من مملكة تُورَانَ)

قد تقدم في الكلام على أصل مملكة تُورَانَ أنها كانت مملكة الترك في القديم،

وأنه كان بها افراسياب بن شيبك بن ترك بن كوبر بن يافث بن نوح عليه السلام على الخلاف السابق فيه ، وكانت تعرف بمملكة الخانية .
أما في الإسلام فلوكلها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(ماهو عقيب الفتح ، وهم على ضرين)

الضرب الأول

(ملوك ماوراء النهر)

وكانت بيد تواب الخلفاء برهة من الزمان في صدر الإسلام ، ثم تغلب عليها الملوك بعد ذلك وحازوها ، وتوالت عليها أيديهم إلى الان . وأوّل من تغلب عليها من الملوك السامانية ، وهم بنو سامان بن جثان بن طمعان بن بوشرد بن بهرام جوين المذكور في أخبار كسرى أبرويز أحد ملوك القرس .

وأوّل من ملكها منهم أولاد أسد بن سامان في خلافة المأمون في سنة أربع ومائتين . فتولى (أحمد بن أسد) فرغانة ، و(بجي بن أسد) الشاش وأسرؤشنة و(نوح ابن أسد) سمرقند ، ثم مات نوح بن أسد بسمرقند ، ثم مات أحمد بفرغانة واستخلف ابنه نصرا على أعماله ، وكان إسماعيل بن أحمد يخدم أخاه نصرا فولاه نصر بختارا في السنة المذكورة . وكان إسماعيل رجلا خيرا يحب أهل العلم ويكرمهم ، فاستقرت قدمه بختارا وملك جميع ماوراء النهر . وملك إسماعيل المذكور خراسان مع ماوراء النهر في سنة سبع وثمانين ومائتين .

(١) في "الأخبار الطوال" للدينوري ابن تودل بن الترك بن يافث ، وفي أبي الفداء "ابن طوج" وفي غيرها غير ذلك . نها على ذلك ليعلم أن بين المؤرخين اختلافا ، ولم يتقدم المؤلف في توران شيء من هذا النسب ، متنبه .

ثم ملك بعده ماوراء النهر وخراسان (أبنة أحمد بن إسماعيل) حتى قتل في سنة إحدى وثلاثمائة؛ وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (أبو الحسن نصر بن أحمد) وتوفي سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (نوح بن نصر) وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة .

وولى بعده ماوراء النهر وخراسان أبنة (عبد الملك بن نوح) وبقي حتى قبض عليه إيلك خان ملك الترك، وحبس هو وجميع أقاربه، ومات في الحبس في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وأقرضت بموته دولة بني سامان، وكانت دولتهم من أحسن الدول وأعدلها، وكانت ولايتهم إمارة لأملاك .

وملك بعدهم ماوراء النهر (إيلك خان) المقتسم ذكره، وتوالت بأيديهم حتى ملكها منهم رجل اسمه (أحمد خان) فبقيت بيده حتى ملكها منه (ملكشاه السلجوقي) في سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، وأطاعه صاحب تركستان فخطب له وضرب السكة باسمه، ثم خرج عنها وعاد أحمد خان إليها، فبقي حتى ثبث زندقته وضرب عنقه في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .

وملك بعده ابن عمه (مسعود)، ثم أقيمت الخطبة بما وراء النهر (لبريكاروق)، ثم خطب بريكاروق فيما بيده ما وراء النهر وغيره لأخيه محمد بن ملكشاه. ثم غلب عليها الخطا الكفار في سنة ست وثلاثين وخمسمائة وأتبعوها من يد سبج بن ملكشاه. ثم صارت بيد الفز: وهم طائفة من الترك مسلمون .

ثم استولى عليها بنو أنوشكين ملوك خوارزم الآتي ذكرهم، إلى أن غلب عليها جنك خان في سنة ست عشرة وسفمائة .

وَأَمَّا غَزْنَةُ وَمَا مَعَهَا فَكَانَتْ بِيَدِ بَنِي سَامَانَ ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهَا سُبُكْتُكَيْنِ : وَهُوَ أَحَدُ مَمَالِكِ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ أَلْبُتَكَيْنِ صَاحِبِ جَيْشِ غَزْنَةَ لِلْسَامَانِيَةِ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ فِي سَنَةِ سِتٍّ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي إِسْحَاقَ الْمَذْكُورِ ، ثُمَّ مَاتَ وَقَامَ بِالْأَمْرِ بِهَا بَعْدَهُ ابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ أَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ سُبُكْتُكَيْنِ ، وَاسْتَضَافَ إِلَيْهَا بَعْضُ تُخْرَاسَانَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثَةَ ، وَقَطَعَ الْخَطْبَةَ السَّامَانِيَّةَ ، وَبَقِيَ حَتَّى تَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعَةَ .

وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ (مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ) بَعْدَ مِنْ أَبِيهِ ، ثُمَّ قَدِمَ أَهْلُ الْمَمْلَكَةِ عَلَيْهِ أَخَاهُ (مَسْعُودُ بْنُ مُحَمَّدٍ) وَمَلِكُوهُ عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ حَتَّى قُتِلَ فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعَةَ .
ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ أَخُوهُ مُحَمَّدُ الْمَقْدَمِ ذَكَرَهُ وَقُتِلَ مِنْ عَامِهِ ، وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُ أَخِيهِ (مُودُدُ بْنُ مَسْعُودٍ) وَتَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَةَ .

وَمَلِكٌ بَعْدَهُ عَمُّهُ (عَبْدُ الرَّشِيدُ بْنُ مُحَمَّدٍ) وَقُتِلَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعَةَ .
وَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَخُوهُ ^(١) (فَرْخَزَادُ بْنُ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدٍ) ، وَتَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَأَرْبَعَةَ .
وَمَلِكٌ بَعْدَهُ أَخُوهُ الْمَلِكُ الْمُؤَيَّدُ (إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ) ، وَتَوَفَّى سَنَةَ إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعَةَ .
وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ (مَسْعُودُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ) ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسَةَ .
وَمَلِكٌ بَعْدَهُ (أَرْسَلَانُ شَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ) .

ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ (بَهْرَامُ شَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ) ثُمَّ تَوَفَّى .
وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ (خَسْرُوشَاهُ بْنُ بَهْرَامٍ) ، وَتَوَفَّى سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَخَمْسَةَ .
وَمَلِكٌ بَعْدَهُ ابْنُهُ (مَلِكْشَاهُ بْنُ خَسْرُوشَاهُ) بْنُ بَهْرَامِ بْنِ مَسْعُودِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سُبُكْتُكَيْنِ ، وَهُوَ آخِرُهُمْ .
ثُمَّ انْتَقَلَ الْمَلِكُ إِلَى الْفُورِيَّةِ .

(١) الضمير راجع إلى مودود والأول أن يقال " ابن أخيه " ليعود الضمير إلى عبد الرشيد .

فأول من ملك منهم علاء الدين (الحسين بن الحسين)، ملك عند آق قراض الدولة السُّبُكْتِكِيَّة، واستضافها إلى الفور في سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وتلقب بالملك المعظم، وتوفي سنة ست وخمسين وخمسمائة .

وملك بعده غياث الدين (محمد بن سام بن الحسين) ، ثم استولى عليها الفُزْنَوِيُّ خمس عشرة سنة ، ثم ملكها (شهاب الدين) أخو غياث الدين المقدم ذكره سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وقتل سنة اثنتين وسمسمائة، وفي أيامه كان الإمام نضر الدين الرازي وكان يَفْشَاهُ وَيَعْظُمُهُ .

ثم ملك بعده علاء الدين (محمد بن سام بن محمد بن مسعود بن الحسين) ، ثم غلبه عليها (يلدز) مملوك غياث الدين أخى شهاب الدين ، ثم غلبه عليها علاء الدين المذكور ، ثم غلب عليها يلدز أيضا ، ثم غلب عليها علاء الدين (محمد بن تكش) بن خوارزم شاه في سنة اثنتي عشرة وسمسمائة، وبقي حتى غلبه عليها جنكخان الآتي ذكره في سنة سبع عشرة وسمسمائة .

الطبقة الثانية

(ملوكها من بني جنكخان)

قال في "مسالك الأبصار" : كان جنكخان قد أوصى بمملكة ماوراء النهر لولده جدای، ويقال له جفطای فلم يتمكن من ذلك .

ثم ملك بعده ابنه قراهورلاوو، ثم ولده مبارك شاه ، ثم غلب عليه قیدو بن قاشي ابن يكبوك بن أوكداي بن جنكخان ، ثم غلب عليه براق بن بسنطو بن منكوقان ابن جفطای بن جنكخان .

ثم ملك بعده ابنه دوا بن براق، ثم أخوه كنجك، ثم أخوه اسبغا، ثم أخوه كيوك، ثم أخوه الحكداي، ثم أخوه دراغر، ثم أخوه ترما شيرين .

ثم ملك بعده رجل ليس من أولاد دوا اسمه توزون بن أويّا كان . قال : وتخلل في خلال ذلك مَنْ وثب على الملك ، ولم ينتظم له حال ولا صلت له أعلام دولة ، وبقى الملك بعد ترماشيرين غير منتظم حتى قام جنفصوبن دراثر بن حلوبن براق بن بسنطو ابن منكوقان بن جفطاي بن جنكرخان . إلى هنا انتهى كلامه في "مسالك الأبصار" .

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة "ترماشيرين" المقدم ذكره سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، فأسلم وحسن إسلامه وأخلص في إسلامه وأيد الإسلام ، وقام به حق القيام ، وأمر به أمراءه وعساكره ، فنهض من كان سبق إسلامه ومنهم من أجاب داعيته فأسلم ، وقشاً فيهم الإسلام ، وعلاً لواؤه حتى لم تمض عشرة أعوام ، حتى أشتمل فيها بملايته الخاص والعام ، وأعان على ذلك من في تلك البلاد من الأئمة العلماء والمشايع الصالحاء . وصارت التجار من مصر والشام مترددة إلى تلك الممالك ، وهو يكرمهم أتم الإكرام ، على أن رعايا هذه المملكة من قدماء الإسلام ، السابقين إليه كانوا مع كفر ملوكهم في جانب الإعزاز والإكرام ، لا يتطرق إليهم منهم أذية في دين ولا حال ولا مال .

الجملة السابعة

(في ترتيب هذه المملكة وحال عساكرها)

أما ترتيبها فقد أشار في "مسالك الأبصار" إلى أنها على نحو ما تقدم في مملكة إيران لاتفاق ملوك بني جنكرخان في الترتيب على طريقة واحدة .

وأما عساكرهم فذكر أن عساكرهم من أهل النجدة والبأس ، لا يصح ذلك من طوائف الترك جاحد ، ولا يتخالف فيه مخالف ، حتى حكى في "مسالك الأبصار" عن مجد الدين إسماعيل السلاوي أنه كان إذا قيل في بيت هؤلاء : العساكر ،

تَحَرَّكَتْ مِنْ خَوَارِزْمَ وَالْقَبْجَاقِ ، لِأَيِّمَلْ لَذَلِكَ أَحَدٌ مِنْهُمْ هَمًّا . وَإِذَا قِيلَ : إِنْ الْعَسَاكِرُ تَحَرَّكَتْ مِمَّا وَرَاءَ النَّهْرِ ، تَأَثَّرُوا لَلَّذَلِكَ غَايَةُ التَّأَثُّرِ ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَقْوَى نَاصِرًا وَإِنْ كَانَ أَوَّلُكَ أَكْثَرَ عِدْدًا ، لِأَنَّهُ يُقَالُ : إِنْ وَاحِدًا مِنْ هَؤُلَاءِ بِمِائَةٍ مِنْ أَوَّلُكَ ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ تُحْرَسَانُ عِنْدَهُمْ قَفَرًا لِأَيُّهْمَلْ سِدَادَهُ ، وَلَا يَزَالُ فِيهِ مَنْ يَسْتَحِقُّ مِيرَاثَ التَّخَتِ أَوْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ، لَمَّا وَقَرَ فِي صُدُورِهِمْ لِهَؤُلَاءِ مِنْ مَهَابَةٍ لَا يَقْضِي طَوْدُهَا ، لِأَنَّهُمْ طَالَمَا بَلَّوْهُمْ فِي الْحَرْبِ وَأَبْتَلَوْهُمْ فِيهَا .

القسم الثاني

(من مملكة توران خوارزم والقبجاق)

قَالَ فِي "مَسَالِكِ الْأَبْصَارِ" : حَدَّثَنِي الشَّيْخُ نَجْمُ الدِّينِ بْنِ الشَّحْمِ الْمَوْصِلِيُّ : أَنَّ هَذِهِ الْمَمْلَكَةَ مَتَسَعَةٌ الْجَوَانِبِ طَوْلًا وَعَرْضًا ، كَبِيرَةُ الصَّحْرَاءِ ، قَلِيلَةُ الْمُدُنِ ، وَبِهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ لَا يَدْخُلُ تَحْتَ حَدٍّ ، إِلَّا أَنَّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ كَثِيرٌ نَفْعُ قَلْعَةِ السِّلَاحِ وَرَدَاءَةُ الْخَيْلِ ، وَأَرْضُهُمْ سَهْلَةٌ قَلِيلَةُ الْحَجَرِ ، لَا تُطِيقُ خَيْلٌ رُبِّيَتْ فِيهَا الْأَوْعَارَ ، فَلِذَلِكَ يَقِلُّ غَنَاؤُهَا فِي الْحُرُوبِ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ زَمَانِ الْخُلَفَاءِ وَمَا قَبْلَهُ تَعْرِفُ بِصَاحِبِ السَّرِيرِ . قَالَ فِي "الزُّرُوضِ الْمَعْطَارِ" : وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا سَرِيرٌ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُ عَلَيْهِ مُلُوكُهَا نَقْلُهُ إِلَيْهَا مُلُوكُ الْفُرْسِ . قَالَ فِي "التَّعْرِيفِ" : وَكَانَ صَاحِبُهَا فِي الْأَيَّامِ النَّاصِرِيَّةِ (يَعْنِي أَبْنَ قَلَاوُونَ) السُّلْطَانُ أَرْزُكْ خَانٌ . قَالَ : وَقَدْ خُطِبَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ فَرْوَجُ بَنَتَا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : وَمَا زَالُ بَيْنَ مُلُوكِ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ ، وَبَيْنَ مُلُوكِ قَدِيمِ اتِّحَادٍ ، وَصِدْقٍ وَدَادٍ ، مِنْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ الظَّاهِرِيَّةِ بِبِيرْسٍ وَإِلَى آخِرِ وَقْتٍ .

وَيَحْصُلُ الْفَرْضُ مِنْ ذَلِكَ فِي ثَمَانِ جُمُلٍ :

المجلة الاولى

(في ذكر حدود هذه المملكة ومساقفها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" قلا عن الشيخ علاء الدين بن النعمان الخوارزمي أن طول هذه المملكة من بحر أصطنبول إلى نهر أريس ستة أشهر، وعرضها من بلغار إلى باب الحديد أربعة أشهر تقريبا . ثم ذكر عنه في موضع آخر : أن مجموع هذه المملكة من ورعات خوارزم^(١) من الشرق إلى باشقرد، وعرضا من خوارزم إلى أقصى بلاد سير، وهي منتهى العازة في الشمال . وذكر في موضع آخر عن ابن النعمان أن مبدأ عرض هذه المملكة من ديرمو، وهي مدينة من بناء الإسكندر، كان عليها باب من حديد قديما، إلى بلاد بوعره^(٢)، وطولها من ماء أريس، وهو أعظم من نيل مصر بكثير من ناحية بلاد الخطا، إلى أصطنبول يعني القسطنطينية . قال : ويتجاوز هذا الطول قليلا إلى بلاد تسمى كنج مشتركة بين الروس والفرنج . وذكر في موضع آخر أن خوارزم إقليم منقطع عن خراسان وعن ما وراء النهر، والمقاويز محيطة به من كل جانب، وحدّه متصل بقرنة مما إلى الشمال والغرب وجنوبه وشرقيه، وهو على جانبي جيحون . قال ابن حوقل : وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ومنها يتبدئ الجلود في نهر جيحون . قال في "العزري" : وبلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة خوارزم، وبينهما نحو ست مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وأول حدّ خوارزم بلدة تسمى الظاهرية مما إلى أمل، وتمتد العازة في جانبي جيحون معا . وحكى عن حسن الرومي التاجر السفار أن طولها من مدينة باكو المعروفة بالباب الحديد إلى حدود بلاد الخطا، فيكون يسير القوافل خمسة أشهر، وعرضها من نهر

(١) كذا في الأصل، ولعلها درعان الآتية قريبا .

جِيحُونَ إلى نهر طونا . وقال في "مسالك الأبصار" : وهذه المملكة واقعة في الشمال
أخذة إلى الشرق، تحدها أطراف الصّين من شرقها ، وبلاد الصّقّاب وما يليها من
شمالها، وخراسان وما سامتها من جنوبها، والخليج القاطع من بحر الروم من غربها .

الجملة الثانية

(فما أشتملت عليه من الأقاليم العرفية)

إعلم أن هذه المملكة قد أشتملت على عدة أقاليم :

الإقليم الأول

(خوارزم)

بضم الخاء المعجمة وفتح الواو وألف بعدها راء مهملة ثم زاي معجمة ساكنة
وميم في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : وهو إقليم منقطع عن خراسان وعن
ماوراء النهر، والمفاوز محيطة به من كل جانب . قال : ويحيط به من الغرب بعض
بلاد الترك، ومن جهة الجنوب خراسان، ومن الشرق بلاد ماوراء النهر، ومن الشمال
بلاد الترك أيضا . قال : وإقليم خوارزم في آخر جيحون، وليس بعده على النهر
عمارة إلى أن يقع جيحون في بحيرة خوارزم، وهو على جانبي جيحون . قال
ابن حوقل : (وبلاد خوارزم من أبرد البلاد، ويتدنى الجود في نهر جيحون من
جهة خوارزم) . وقال المهلب : بلاد خوارزم في جهة الجنوب والشرق عن بحيرة
خوارزم إلى أمل نحو اثنتي عشرة مرحلة، ومن خوارزم إلى بحيرة خوارزم نحو ست
مراحل . قال في "مسالك الأبصار" : وبخوارزم جبل يقال له جبل الخير به عين
تعرف به، يقصدها قو الأُمراض المزمنة، ويقيمون عندها سبعة أيام، في كل يوم

(١) تقدمت هذه الجملة بآياتها في الصفحة التي قبل هذه، فإعادتها غير مفيدة .

يفتسلون بها بكرة وعشية، ويشربون منها عقب كل أغسال حتى يتصلموا، فيحصل البرء. قال: وخوارزم على جيحون بين شعبتين منه مثل السراويل. قال: ويلي خوارزم أرض مدقورة تسمى قسلاخ، طولها خمسة أشهر، وعرضها كذلك كلها صحراء، يسكنها أمم كثيرة من البرجان، ويفصل بينها وبين نهر جيحون جبل اسمه أولغان شمالي نراسان. ولها قاعدتان.

القاعدة الأولى

(التسمية مدينة كاث)

بكاف وألف وئاء مثلثة. قال ابن حوقل: وهو اسمها بالخوارزمية؛ وهي مدينة واقعة في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة. قال في "القانون" حيث الطول خمس وثمانون درجة، والعرض إحدى وأربعون درجة وست عشرة دقيقة. قال في "القانون": وهي في شرقي جيحون. قال المهلب: وبينها وبين القرية الحديثة من بلاد الترك خمسون فرسخا. قال: وهي من أجل مدن خوارزم. قال ابن حوقل: وقد خربها التترو بنى الناس لهم مدينة ورامها. قال: وكانت هذه المدينة في الجانب الشمالي عن جيحون. قال في "مسالك الأبصار": وبها مائة بيت من اليهود، ومائة بيت من النصارى، لا يسمع لهم بأكثر من ذلك.

القاعدة الثانية

(كورانج)

قال في "المشتك": بضم الكاف وسكون الراء المهملثة ثم كاف ثانية وألف ونون ساكنة وفي آخرها جيم. قال: ويلتق فيها ساكنان (يعني الألف والنون) ولذلك يكتبونها كُورَنج بغير ألف، وتعرف بكُورَنج الكُورِي، والعرب تسميها

البحرانية - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " و " القانون " حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة . قال في " المشترك " : وهي على ضفة جیحون . قال في " القانون " من غربيه . وبها عتة مدن أيضا :

(منها) كُرْكُج الصغرى . وتعرف بالبحرانية أيضا - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة أيضا . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وثمانون درجة وخمس دقائق ، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس دقيقة . قال في " المشترك " : وهي مدينة قريبة من كُرْكُج الكبرى ، بينهما عشرة أميال ، وهي في غربي جیحون .

(ومنها) زَمَخْشُر . قال في " الباب " : بفتح الزاى المعجمة والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وراء مهملته في الآخر - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة . وإليها ينسب الإمام أبو القاسم محمود الزمخشري صاحب " الكشاف " في التفسير وغيره من المصنفات الفاتحة النافعة .

(ومنها) هَرَارَاسُب . قال في " الباب " : بفتح الهاء والزاى المعجمة وسكون الألف وفتح الراء وسكون السين المهملتين وباء موحدة في الآخر - وهي قلعة بخوارزم موقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في " الأطوال " حيث الطول خمس وثمانون درجة وعشرون دقيقة ، والعرض إحدى وأربعون درجة وعشرون دقيقة . قال السمعاني : ويقال لها بالفارسية هَرَارَسُف . قال : وهي قلعة حصينة . قال المهلبى غربي جیحون ، وبينها وبين مدينة كاث ستة فراعخ .

(ومنها) دَرْعَان . بدال وراء وعين مهملات وألف ثم نون - وموقعها في الإقليم الخامس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول ست وثمانون درجة وأربع وعشرون دقيقة، والعرض أربعون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "تقويم البلدان" : وهي آخر حدود خُوارزَم إلى جهة مَرُو . قال المهلبى : وبين هَرَارَاسَب أربعة وعشرون فرسخا .

(ومنها) فَرَبْرُ . قال في "اللباب" : يفتح القاء والراء المهملة وسكون الباء الموحدة . وقال في "مزيل الأرتياب" : يفتح القاء وكسرهما، كل منهما مسموع - وهي مدينة على طرف بَجِيحُونَ مما على بُحَارَا - موقعها في آخر الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول سبع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض ثمان وثلاثون درجة ونحو وأربعون دقيقة . قال في "القانون" : وهي المَعْبَر من بلاد ما وراء النهر إلى خُرَاسَانَ . وجعلها ابن حَوْقَل من أعمال بُحَارَا . فتكون مما وراء النهر، وهي خَصْبَةٌ ولها قرى عامرة .

الإقليم الثانى (الدُّشْتُ)

يفتح الدال المهملة وسكون الشين المعجمة وتاء مثناة فوق في الآخر - وهي صحارى في جهة الشمال ، وتضاف إلى القَبَجَاقِ بفتح القاف وسكون الباء الموحدة وفتح الجيم وألف بعدها ثم قاف - وهم جنس من التُّرك يسكنون هذه الصحارى ، أهل حَلْ وَتَرَحَا على عادة البدو .

وقاعدة المملكة بها (صراى) . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد والراء المهملتين وألف وياء مثناة تحتية . ووقع في "مسالك الأبصار" بالسين المهملة بدل الصاد - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : وهى مدينة عظيمة فى مستو من الأرض على شطّ نهر [الأئيل] ^(١) من الجانب الشمالى [الشرقى] ^(١) غربى ببحر الخزر وشماله على مسيرة نحو يومين ، وبحر الخزر شرقها بجنوبها ، ونهر الأئيل عندها يجرى من الشمال والغرب إلى الشرق والجنوب حتى يصب فى بحر الخزر . وهى فرصة عظيمة للتجار ورقيق الترك . وذكر فى "مسالك الأبصار" عن عبد الرحمن الخوارزمي الترجمان : أنها بناء بركة بن طوحى بن جنكخان ، وأنها فى أرض سبخة بغير سور ، ودار الملك بها قصر عظيم على عليائه هلال من ذهب زنته قطاران بالمصرى ، ويحيط بالقصر سور وأبراج فيها الأمراء ، وبهذا القصر يكون مستاهم ، والسراى مدينة كبيرة ذات أسواق وحمامات ووجوه رى مقصودة بالإجلاب ، وفى وسطها بركة مأوها من نهر الحل مأوها للاستعمال . أما شربهم فن النهر يسقى لهم فى حرار فطار ، وتُصنّف على العجلات وتجر إلى المدينة وتباع بها . قال : وبعدها عن خوارزم نحو شهر ونصف . قال فى "تقويم البلدان" : وقد بنى بها السلطان أريك مدرسة للعلم . قال فى "مسالك الأبصار" : وهم فى جهد من قشيف العيش لأنهم ليسوا أهل حاضرة ، وشدة البرد تهلك مواشيهم . قال : وهم لشدة ما بهم من سوء الحال إذا وجد أحدهم لحما صلقه ولم يُضجّه وشرب مرقه ، وترك اللحم ليا كله مرة أخرى ، ثم يجمع العظام ويعاود صلقها مرة أخرى ويشرب مرقها ، وقس على هذا بقية عيشتهم . ونقل عن جمال الدين عبد الله الحصنى التاجر : أن لبس كثير منهم الجلود : مدكاة كانت أو ميتة ، مدبوعة أو غير مدبوعة ، من حيوان

(١) الزيادة عن تقويم البلدان . (٢) لعل هذا اللفظ زائد من النسخ .

طاهر أو غيره، ولا يعرفون في المآكل ما يُعاف مما لا يُصاف، ولا التحريم من التحليل؛ وأنهم يبيعون أولادهم في بعض السنين لضيق العيش . قال : ومع ذلك فليس لهم تمسك بدين ولا رزانة في عقل؛ ثم عقب ذلك بأن قال : ومع ذلك فهم من خيار الترك أجتاسا لوفائهم وشجاعتهم وتجنبهم الفدر، مع تمام قاماتهم وحسن صُورهم وظرافة شمائلهم . ثم قال : ومنهم معظم جيش الديار المصرية من ملوكها وأمرائها وجُندها؛ إذ لما رغب الملك الصالح (نجم الدين أيوب) في مشترى الممالك منهم، ثم صار من ممالكه من انتهى إلى الملك والسلطنة، قالت^(١) الجفسيّة إلى الجفسيّة، ووقعت الرغبة في الاستكثار منهم حتى أصبحت مصرُ بهم أهلة العالم، حَمِيَّة الجواب؛ منهم أقارُ مواكبها، وصدور مجالسها، وزعماء جيوشها، وعظماء أرضها . وحد الإسلام مواقفهم في حماية الدين، حتى إنهم جاهدوا في الله أهلبيهم . قال : وكفى بالنصرة الأولى يوم عَيْن جَالُوتَ في كسر الملك المظفر قطز صاحب مصر إذ ذاك في سنة ثمان وخمسين وستائة عساكر هولاكوا كوكب التتر بعد أن عجز عنهم عساكر الأقطار، وأسْتَأصلوا شأفة السلطان (جلال الدين محمد بن خوارزم شاه) وقتلوا عساكره؛ مع أن الجيش المصري بالنسبة إلى العساكر الجلالية كالنقطة من الدائرة، والنقبة من البحر، واهه يؤيد بنصره من يشاء .

أما في زماننا هذا فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس، رغب في الممالك من جنسه وأكثر من الممالك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند، وقَلَّت الممالك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم .

(١) لعل هذا هو الجواب والفاء زائدة من التامع .

الإقليم الثالث

(بلاد الخَزَر)

بفتح الخاء والزاي المعجمتين وراء مهملة في الآخر .

وقاعدته مدينة (بَلَجَر) . قال في "الباب" : بفتح الباء الموحدة واللام ونون ساكنة وجيم مفتوحة ثم راء مهملة - وهى مدينة بَدْرَبَنْد نخران، واقعة في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة . قال في "كتاب الأطوال" : وهى إترل . قال في "الباب" : وهى داخل الباب والأبواب، قيل إنها نسبت إلى بَلَجَر بن ياقث .

الإقليم الرابع

(الْقِرْم)

قال في "تقويم البلدان" : بكسر القاف والراء المهملة وميم في الآخر . قال : وهو أسم لإقليم يشتمل على نحو أربعين بلدا .

وقاعدتها (صُلْفَاتُ) . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وسكون اللام وفتح الفين المعجمة وألف وتاء مثناة فوقية في الآخر - وقد أطلق الناس أسم القِرْم عليها حتى إذا قالوا القِرْم لا يريدون إلا صُلْفَات - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة وعشر دقائق والعرض خمسون درجة . قال : وهى عن البحر على نصف يوم، وهى عن الأَرَق في الغرب والشمال .

ويَصْرَأَى بلاد مضافة إليها .

(منها) الأَكْكُ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الهمزة وفتح الكاف الأولى ثم كاف ثانية - وهي بلدة من بلاد العُبراي ، موقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : القياس حيث الطول ثمان وسبعون درجة ، والعرض تسع وأربعون درجة وخمسون دقيقة ، وهي على جانب نهر إبل من الجانب الغربي بين صَرَائَ وبُلَّارَ ، على قرب منتصف الطريق بينهما ، وهي عن كل واحدة منهما على نحو خمس عشرة مرحلة . وإلى الأَكْكِ هذه ينتهي أردو القان صاحب هذه المملكة ؛ ولها مُدُنٌ أخر كما تقدم . وهي عن الكَفَا شمالاً غرب ، وعن صُودَاقَ شمال شرق ، وبين كل منهما مسيرة يوم ؛ وبها حاكم يكاتبُ عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية .

(ومنها) حُودَاقُ . قال في "تقويم البلدان" : بضم الصاد المهملة وواو ، وفتح الدال المهملة وألف وقاف في الآخر ، والعامة يقولون : سُرْدَاقُ ، فيبدلون الصاد سيناً مهملة والواو آءً مهملة - وموقعها في آخر الإقليم السابع من الأقاليم السبعة أو في الشمال عنه . قال ابن سعيد حيث الطول ست وخمسون درجة ، والعرض إحدى وخمسون درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي في ذيل جبل على شَطِّ بحر القِرمِ ، وأرضها عَجْر وهي مَسُورَة ، وهي فُرْضة للتجار ؛ ويقابلها من البرِّ الآخر مدينة سَامُوسُ ، من سواحل بلاد الروم الآتي ذكرها . قال : وأهلها مسلمون . وقال ابن سعيد : أهلها أخلاط من الأثم والأديان ، والأمر فيها راجع إلى النصرانية . وإليها يُنسب الجلد السُرْدَاقُ المعروف .

(ومنها) كَفَا . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الكاف والفاء وألف مقصورة . وهي فُرْضة القِرم - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال : والقياس أنها حيث الطول سبع وخمسون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهي في وطاة

من الأرض ؛ وهى على ساحل بحر القرم ، ويقابلها من البر الآخر مدينة طرابزون .
من سواحل بلاد الروم ، وهى شرق صوداق ، وعليها سور من لبن ، ومن شمالها
وشرقيها صحراء القبيجاق ؛ وهى عن صوداق فى سمت الشرق ، والكفا وصوداق
وصلقات كالاتانى .

الإقليم الخامس (بلاد الأترق)

قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الهمزة والراى المعجمة وقاف فى الآخر .
وقاعدته مدينة الأترق بالضبط المعروف - موقعها فى الإقليم السابع من الأقاليم
السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول خمس وستون درجة ،
والعرض ثمان وأربعون درجة . قال : وإليها ينسب بحر الأترق المعروف فى الكتب
القديمة ببحر مانيطش ، وهى قرصة على بحر الأترق فى مستو من الأرض عند مصب
نهر "تان" فى بحر الأترق ، وبنائها بالخشب ، وبينها وبين القيرم نحو خمس عشرة
مرحلة ، وهى فى الشرق والجنوب عن القرم . ولها مدن أخر .
(منها) الكرش . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح الكاف وسكون الراء
المهملة وشين معجمة فى الآخر - وهى بلدة صغيرة على ساحل بحر الأترق ، واقعة
فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : القياس حيث
الطول ستون درجة ، والعرض سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة . وهى بلدة
صغيرة بين الكفا والأترق على فم بحر الأترق ، ويقابلها من البر الآخر الطامان من
سواحل أرمينية وبلاد الروم ، وأهلها قبجاق كفار .

الإقليم السادس (بلاد الجُرْكِس)

يفتح الجلم وسكون الرء وفتح الكاف وسين مهملة في الآخر. قال المؤيد صاحب حماة في "تاريخه": وهو على بحر نيطش من شرقه، وهم في شَطَف من العيش . قال : وقد غلب عليهم دينُ النصرانية ، وقد صار في زماننا منهم أكثرُ عسكر الديار المصرية من لدن مَلَك الظاهر برقوق فإنه أكثر الإجلابَ منهم .

الإقليم السابع (بلاد البُلْفَار)

بضم الباء الموحدة وسكون اللام وفتح الفين المعجمة وألف ثم راء مهملة في الآخر . وهم جنس معروف أيضا . قال صاحب حماة في "تاريخه": وهم منسوبون إلى بُلْدان يسكنونها .

وقاعتها مدينة (بُلَار) بضم الباء الموحدة وفتح اللام وألف وراء مهملة في الآخر. قال في "تقويم البلدان": ويقال لها بالعربي بُلْفَار - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة ، أو في الشمال عنه . قال في "الأطوال" وطولها ثمانون درجة ، والعرض خمسون درجة وثلاثون دقيقة ، وهي بلدة في نهاية البحارة قرية من شَط نهر إتل من البر الشمالي الشرق ، وهي وصَراى في برٍّ واحد ، وبينهما فوق عشرين مرحلة ، وهي في وطاة والجبال عنها أقل من يوم ، وأهلها مسلمون حَفَنِيَّة ، وليس بها شيء من الفواكه ولا أشجار الفواكه لشدة بردها ، والقُجُل الأسود في غاية الكبر . قال السلطان عماد الدين صاحب حماة : وقد حكى لي بعض أهلها أن في أول الصيف لا يغيب الشَّقَق عنها ويكون ليلا في غاية القصر . ثم قال .

وهذا الذى حكاه صحيح موافق لما يظهر بالأعمال الفلكية ، لأن من عرض ثمانية وأربعين ونصف يتبدى علم غَيُوبَةِ الشَّفَقِ فى أول فصل الصيف ، وعرضها أكثر من ذلك ، فصح مائة قدم على كل تقدير . قال فى "مسالك الأبصار" : وحكى لى الحسن الإربلى أن أقصر ليها أربع ساعات ونصف ، وهو غاية نقصان الليل . قال حسن الرومى : سألت مسعودا المؤقت بها عن هذا فقال : جربناه بالآلات الرصدية فوجدناه كذلك تحريرا . قال فى "مسالك الأبصار" : وقد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" أنه كان فى السَّرب والبُلغار من قديم دار إسلام ومستقر إيمان . فأما الآن فقد تبدلت بإيمانها كُفراً ، وتداولها طائفة من عباد الصليب ، ووصلت منهم رُسُلٌ إلى حضرة مصر سنة إحدى وثلاثين وسبعائة من صاحب السَّرب والبُلغار ، يعرض نفسه على مَوَدَّتِهِ ، ويسأله سيفاً يتقلده وسنجقاً يقهر أعداءه به ، فأكرم رُسُلَهُ ، وأحسن زُكُوه ، وجهازه معه خُلعة كاملة : طرد وحش بقصب بسنجاب مقدس على مقرح سكندرى وكلوة زركش بطرفين ، ومنطقة ذهب ، وكلايب ذهب وسيف محلى ، وسنجدى سلطاني أصفر مُدَّهَب . قال : وهم يدارون سلطان القبايق لعظيم سلطانه عليهم ، وأخذة بخناقهم لقربهم منه . وذكر فى "التعريف" قريبا منه ، ولصاحب السَّرب مكتبة عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ، يأتى ذكرها فى المكتبات إن شاء الله تعالى .
وبين السَّرب والبُلغار وبلاد الترك بلاد :

(منها) أَقْبَا كَرَمَانَ - بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الجيم وألف وفتح الكاف والراء المهملة والميم وألف والنون فى الآخر - وهى بليدة على بحر نيطش المعروف ببحر القرم ، واقعة فى الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول خمس وأربعون درجة ، والعرض خمسون درجة ، وهى

في مستو من الأرض، وأهلها أخلاط من مسلمين وكفار، وعلى القرب منها يصب نهر طرلو .

(ومنها) صَارِي كَرْمَانَ . قال في "تقويم البلدان" : بفتح الصاد المهملة وألف وكسر الراء المهملة وياء مثناة تحتية - وَكَرْمَانُ عَلَى مَا تَقَدَّمَ، منخرطة في أَقْبَا كَرْمَانَ، وهي بلدة أصغر من ألقا كرمان - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" حيث الطول خمس وخمسون درجة، والعرض خمسون درجة قياساً، ويقابلها من البر الآخر مدينة سَنْوَبَ من سواحل بلاد الروم، وهي شرقي أَقْبَا كَرْمَانَ المقدم ذكرها، وبينهما نحو خمسة عشر يوماً، وبينها وبين صُلَفَات نحو خمسة أيام .

الإقليم الثامن (بلاد الأذلاق)

بضم الحزوة وسكون الواو ولام ألف بعدها قاف، ويقال لهم الْبَرْغَالُ بضم الباء الموحدة وسكون الراء المهملة وفتح الفين المعجمة وألف ثم لام، وهم جنس معروف . وقاعدتهما مدينة (طَرُونُ) . قال في "تقويم البلدان" : بالطاء المكسورة والراء الساكنة المهملتين والتون المفتوحة وواو في الآخر - وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة . قال في "تقويم البلدان" : والقياس أنها حيث الطول سبع وأربعون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهي غربي صَقِجِي عَلَى ثَلَاثة أيام منها، وأهلها كُفَّار من الجنس المذكور . ولهم بلاد أخرى :

(مِنْهَا) صَقِجِي . قال في "تقويم البلدان" : قال بعض الفقهاء : بفتح الصاد المهملة وسكون القاف وكسر الجيم المشربة بالشين المعجمة وفي الآخر ياء مثناة تحتية -

(١) التي في تقويم البلدان "عن بعض أهلها" .

وهي من أولاق وبلاد القُسْطَنْطِينِيَّة . قال في "الأطوال" حيث الطول ثمان وأربعون درجة وسبع وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة، وهي متوسطة بين الصَّغَرِ والكِبَرِ في مستوٍ من الأرض، عند مصب نهر طُنا في بحر نيّطش المعروف ببحر القِرِم في الجانب الجنوبي الغربي منه . وهي عن أَقْبَا كَرْمَانَ على مسيرة خمسة أيام، وبينها وبين القُسْطَنْطِينِيَّة في البحر عشرون يوما، وغالب أهلها مسالمون .

الإقليم التاسع

(بلاد الآص)

بفتح الهمزة المدودة وصاد مهملة - وهم جنس معروف . وقاعدته (قِرْقِرْ) . قال في "تقويم البلدان" : بكسر القاف وسكون الراء المهملة وسكون القاف الثانية (؟) وكسر الراء المهملة في الآخر . ومعنى اسمها بالتركية أربعون رجلا؛ وموقعها في آخر الإقليم السابع . قال في "تقويم البلدان" : القياس أنها حيث الطول خمس وخمسون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض خمسون درجة . قال : وهي قلعة عاصية على جبل لا يقدر أحد على الطلوع إليه، ووسط ذلك الجبل وطاة تسع أهل البلاد؛ وهي بعيدة عن البحر في شمالي صَارِي كَرْمَانَ على نحو يوم، وعندنا جَبَلٌ عظيم شاهق في الهواء يقال له (جَاطُوطَاغ) بفتح الجيم وألف وطاء مكسورة وواو ساكنة وطاء مهملة وألف وغين معجمة، يظهر للراكب من بحر القِرِم .

الإقليم العاشر

(بلاد الروس)

بضم الراء المهملة وسكون الواو وسين مهملة في الآخر . وهم جنس معروف . قال في "تقويم البلدان" : في شمالي مدينة بَلَار المذكورة . قال صاحب حماة

في "تاريخه" : ولم جزائر أيضا في بحر نيطنش وبلار في شماله . قال : وقد غلب عليهم دين النصرانية . قال في "مسالك الأبصار" : وإذا سافر المسافر على غربي جولمان وصل إلى بلاد الروس ، ثم إلى بلاد الفريج وسكان البحر الغربي . قال في "تقويم البلدان" : وفي شمالي الروس الذين يبيعون مفاية . ونقل عن بعض من سافر إلى تلك البلاد أنهم يتصلون بساحل البحر الشمالي ، فإذا وصلوا إلى تخومهم ، أقاموا حتى يعلموا بهم ، ثم يتقدمون إلى المكان المعروف بالبيع والشراء ، ويحيط كل تاجر بضاعته معلمة ويرجعون إلى منازلهم ، فيحضر أولئك القوم ويضعون قبالة تلك البضاعة السمور والعلب والوشق وما شاكل ذلك ، ويدعونه ويضنون ، ثم يحضر التجار فمن أعجبه ذلك أخذه ، وإلا تركه حتى يتفصلوا على الرضا .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشيخ علاء الدين بن النعمان : أن البلاد التي يجلب منها السمور والسجباب هي بلار المقدمة الذكر . قال ابن النعمان : وتجار بلادنا لا يتعدون بلاد البلغار ، وتجار البلغار يسافرون إلى بلای جقطای ، وتجار جولمان يسافرون إلى بلاد بوغزه ، وهي في أقصى الشمال ليس بعدها عمارة سوى برج عظيم من بناء الإسكندر على هيئة المنارة العالية ، ليس وراءه مذهب لأحد إلا الظلمات ، فسئل عن الظلمات فقال : صحار وجبال لا يفارقها الثلج والبرد ، ولا تطلع عليها الشمس ، ولا ينبت فيها نبات ، ولا يعيش فيها حيوان ، متصلة ببحر أسود لا يزال يطرأ الفيم متعقد عليه .

وأعلم أن صاحب "تقويم البلدان" : قد ذكر عدة أماكن من هذه المملكة سوى ما تقدم ولم ينسبها إلى إقليم .

(منها) كوماجر - بضم الكاف وسكون الواو والميم المشددة وألف وجيم وراء مهلة - وهي مدينة قريبة من الوسط ما بين باب الحديد والأزق ، شرقي الأزق وغربي باب الحديد .

(ومنها) مدينة لكر - بفتح اللام وسكون الكاف وفي آخرها زاي معجمة -
وهي مدينة يسكنها جنس من الترك يقال لهم اللكرى ، وهم في الجبل الفاصل بين
ترمملكة بركة ، وترمملكة هولاكو .

(ومنها) بلاد القيتق - بفتح القاف وسكون المثناة تحت وفتح المثناة من فوق وفي
آخرها قاف ثانية ، وهم جنس من الترك يسكنون الجبل المنصل باللكر من شماليه .
قال في "تقويم البلدان" وهم قُطّاع طريق ، وجبلهم متحكم على باب الحديد .
قلت : وهذه المملكة أوسع من أن يحاط ببلادها ، وفيما ذكرناه مَقْنَع لمن تأمله

الجملة الثالثة

(في ذكر الأنهار العظام والبُحيرات الواقعة في هذه المملكة)

أما الأنهار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" أن بهذه المملكة سَيحُونٌ وَجَيحُونٌ
المقدم ذكرهما في مملكة ماوراء النهر ، وذلك أنهما يمتدان من هذه المملكة إلى تلك ،
فيصدق وجودهما في الملكتين جميعا . وقد تقدم ذكرهما هناك فأغنى عن إعادته هنا .
ثم المشهور مما يختص بهذه المملكة خمسة أنهار .

أحدها - نهر أئِل - بفتح الهمزة وكسر المثلثة ولام في الآخر - فعرف بأئِل ،
وهي مدينة بَدَجَرِ المقدم ذكرها ، ويقال فيه نهر الأئِل بالألف واللام أيضا ، وهو
من أعظم الأنهار بتلك البلاد وأشهرها . ذكر في "مسالك الأبصار" عن الفاضل
شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي الترجمان أنه يكون قدر النيل ثلاث مرات
أو أكثر . قال : وأصله من بلاد الصَّقَلَب . قال في "تقويم البلدان" : وهو يأتي
من أقصى الشمال والشرق من حيث لا عمارة ، ويمز بالقرب من مدينة بلار ، وهي

(١) كذا في "التقويم" ونص ياقوت على أنه بالمثناة القوية وأنه يفرز إلى .

بُغَارٌ، ويستدير عليها من شمالها وغربها، ويمر منها إلى بَلْدَةِ عَلَى شَطِّه يُقَال [لها أوكك ثم يتجاوزها إلى قرية يُقَالُ] لها بلجمن، ويمر جنوباً ثم يعطف، ويمر إلى الشرق والجنوب، ويمر على مدينة صَرَاى من جنوبها وغربها، فإذا تجاوز مدينة صَرَاى أَتَرَاق، ويصير على ما قبل أَلَف نهر ونهر، ويصب الجميع في بحر الخَزَر. قال في "مسالك الأبصار": ويمر في السفن الكبار، وسافر فيه المسافرون إلى الرُّوس والصَّقَلِب .

الثاني - نهر كُنَا . قال في "تقويم البلدان" : يضم الطاء المهملة وفتح النون وألف . قال في "تقويم البلدان" : وهو نهر عظيم يكون أكبر من دِجْلَةِ والفَرَاتِ إذا اجتمعاً بكثير . قال : ويمر من أقصى الشمال إلى جهة الجنوب، ويمر في شرق جبل يسمّى (قشغا طاغ) . ومعناه الجبل الصَّعْبُ ، وهو جبل فيه أجناس مختلفة من أمم الكُفَر مثل الأولاق والماجار والسَّرب وغيرهم، فيمرُّ في شرقه، وكلما جرى جنوباً قرب من بحر نِيَطِش المعروف الآن ببحر القِرِم، ولا يزال يتقارب منه ويقرب ما بين الجبل والبحر المذكور حتّى يصب فيه في شَمَالِ مدينة صَقِجِي في شمالي القُسْطَنْطِينِيَّة بِمِيلَةٍ إلى الغرب .

(٢١)
الثالث - نهر أَرُو . قال في "تقويم البلدان" : بالزاي المعجمة [المفخمة] بعد الألف وواو في الآخر . قال : وهو نهر عظيم يأتي من الشمال شرقاً نهر كُنَا المُقَدَّم ذكره، ويمر مغرباً، ثم يعطف ويمر مشرقاً حتّى يصب في خَوَر من بحر القِرِم بين صَارِي كَرْمَانَ وَأَقْبَا كَرْمَانَ المُقَدَّم ذكرهما .

الرابع - نهر تَان . قال في "تقويم البلدان" : بناء مثناة من فوق وألف (٢٢)
[مسألة] ونون في الآخر . قال : وهو نهر عظيم شرقاً أَرُو المُقَدَّم ذكره وغرباً نهر

الأبل يجرى من الشمال إلى الجنوب، ويصب في بحيرة ما نيطش المعروفة في زماننا ببحر الأزق عند مدينة الأزق من غربيها .

الخامس - نهر طرلو . قال في "تقويم البلدان" بضم الطاء وسكون الراء المهملين ولام وواو . قال : وهو نحو عاصي حماة ، ويصب على القرب من أقبا كزمان في بحر نيطش المعروف ببحر القريم .



وأما البحيرات فالمشهور بها بحيرة خوارزم : وهي بحيرة كبيرة مأوها ملح . قال ابن حوقل : دورها مائة فرسخ، وفيها يصب نهر جيحون في جانبها الجنوبي ، وفيها يصب نهر الشاش أيضا، وبينها وبين البحر عشرون مرحلة، وبينها وبين خوارزم ست مراحل .

الجملة الرابعة

(في الطرق الموصلة إلى هذه المملكة)

ولها طريقان : طريق في البر، وطريق في البحر .

فأما طريق البر فقد تقدم في الكلام على مملكة إيران الطريق إلى شط جيحون . وقد ذكر في "تقويم البلدان" أن بين أمل الشط وبين خوارزم نحو اثني عشرة مرحلة . وذكر في "مسالك الأبصار" أن بين خوارزم ومدينة صراى نحو شهر ونصف، وأن بين خوارزم ومدينة صراى مدينة وجق ومدينة قطلود .

وأما طريق البحر فهو أن يركب المسافر إليها في بحر الروم من مدينة الإسكندرية أو مدينة دمياط من شمالي الديار المصرية، ويسير إلى خليج القسطنطينية المتصل ببحر الروم من جهة الشمال، ويركب فيه ويمارزه إلى بحر نيطش المعروف ببحر القريم، ثم إلى بحر ما نيطش المعروف ببحر الأزق وينتهي إلى آخره .

الجملة الخامسة

(في الموجود بها)

قد ذكر في "مسالك الأبصار" أن فيها من الحبوب القمح، والشعير، والدخن، ويسمى عندهم الأرن، والماش، والجاووس، وهو شبيه بحب البرسيم، على قلة في القمح والشعير. أما القول فلا يكاد يوجد عندهم، وأكثر حبوبهم الدخن ومنه أكلهم، وبها من الفواكه جميع أنواع الفواكه إلا النخل، والزيتون، وقصب السكر، والموز، والأترج، والليمون، والتاريخ. وذكر عن بلاد القباقي أنها كانت قبل استيلاء التتار عليها معمورة بالحيوان، وأنها في بقايا تلك العمار، والفراش، وأن فيها من الفواكه العنب، والرمان، والسفرجل، والتفاح، والتكرن، والمشمش، والخواج، والجاووس، وفاكهة تسمى بلغة القباقي بانيك شبيهة بالين، وأن الفواكه كثيرة الوجود في جبالهم مع كثرة مآبدها. قال: وأما البطيخ فينبج عندهم نجابة خاصة الأصفر، وهو في غاية صدق الحلاوة يقدونه ويصفونه فيبقى عندهم من السنة إلى السنة، وربما استخرجوا ماءه وصنعوا منه الحلوى، وعنهم من الحضرات ألفت، والجوز، والكُنْب، وغير ذلك. ثم قال: وكذلك مدن الجركس والروس والآص، وبها السِّل الكثير الأبيض اللون اللذيذ الطعم الخالي من الحدة.

الجملة السادسة

(في المعاملات والأسعار بها)

أما المعاملات فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن عبدالرحمن الخوارزمي الترمجاني أن دينارهم رائج كما في غالب مملكة إيران، وهو الذي عنه ستة دراهم، وأن الحبوب تباع كلها عندهم بالرطل، وذكر أن رطل خوارزم زنته ثلثمائة وثمانون درهما.

وأما الأسعار فقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر أن الأسعار في جميع هذه المملكة رَخِيَّةٌ إلى الغاية إلا كَرَكُجَ أَمْ إقْلِمِ خُوَارَزْمَ فإنها متماسكة في أسعار الغلات قَلٌّ أن تَرْخُصَ، بل إما أن تكون غِلَّةً أو متوسطة لا يعرف [بها] الرُّخْصُ أبداً. ثم ذكر عن شجاع الدين عبد الرحمن الخوارزمي التَّزْجَمَانُ : أن الأسعار في خُوَارَزْمَ والسَّراي لا يكاد يتباين ما بينهما . قال : والسعر المتوسط عندهم القمح بدينارين ونصف ، وكذلك الماش والشعر بدينارين ، وكذلك الدخن والجلَّاورُسُ ، وربما زاد ، والغالب أن يكون سعره مماثل سعر القمح ، والقمح الضأن على السعر المتوسط كل ثلاثة أرطال بدرهم . وذكر ابن مسافر أن القمح بها رخيصة ، وأكثر ما يذبح بها الخيل .

وأما سُكَّانُ البر فإن القمح لا يباع لديهم ولا يُسْتَرَى لكثرة ، وغالب أكلهم لحوم الطير واللبن والسمن ، وإن تَلَفَ لأحد منهم دابَّةً من فَرَسٍ أو بقرة أو شاة أو غير ذلك ، ذبحها وأكل هو وأهله منها ، وأهدى لجيرانه . فإذا تلف عند مَنْ أهدى إليه شيء من ذلك ، ذبحه أيضاً وأهدى لجيرانه ، فلهذا لا تكاد بيوتهم تخلو من اللحم .

الجملة السابعة

(في ذكر ملوك هذه المملكة)

قد تقدم أنها قسم من مملكة تُورَانَ ، ومملكة تُورَانَ كانت في القديم بيد افراسياب ملك التُّركِ ، وتداولها ملوك الترك بعده إلى الفتوح الإسلامية ، وأسلم مَنْ أسلم من ملوكهم .

أما خُوَارَزْمُ فتوالت عليها الأيدي حتى صارت إلى (محمود بن سُبُكْتِكِين) المقدم ذكره في ملوك غَزَنَةِ من القسم الأول من هذه المملكة ؛ ثم صارت (لمسعود) آبنه ،

واستتاب فيها خُوَارِزْمَ شاه هارونَ بن الطيطاش؛ ثم قتله غلمانُه عند خروجه إلى الصيد؛ وأستولوا عليها رجل يقال له (عبد الجبار)؛ ثم وثب غلمانُ هارونَ بعد الجبار فقتلوه، وولَّوا مكانه (إسماعيل بن الطيطاش) أخا هارون؛ ثم غلبه عليها (شاه ملك) ابن علي؛ ثم غلبه عليها (طغرل بك) بن ميكائيل بن سلجوق، وبقيت بيد السلجوقية المقدم ذكرهم في مملكة إيران، إلى أن صارت منهم إلى (بركيارق) بن ملكشاه بن أرسلان ابن داود بن ميكائيل بن سلجوق، فأستتاب فيها علاء الدين محمد أنوشتهكين في أيام بركيارق بن ملكشاه بن ميكائيل بن سلجوق السلجوق، ولُقِّب خوارزم شاه في سنة تسعين وأربعمائة .

ثم ولى بعده أبنه (أطسر) بن محمد؛ ثم غلبه على ذلك (سنجر) بن ملكشاه أخو علاء الدين محمد، وأقام بها من يحفظها في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، [ثم غلبه عليها أطسر بن محمد المقدم ذكره] ^(١)، وبقي بها حتى توفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . وملك بعده أبنه (أرسلان بن أطسر) وتوفي سنة ثمان وستين وخمسمائة .

وملك بعده أبنه (سلطان شاه محمود) صنيرا، وقامت أمه بتدبير دولته؛ ثم غلب على المُلْك أخوه (علاء الدين تكتش) ثم غلبه أخوه (سلطان شاه) وطرده، ثم مات سلطان شاه وأُفرد (تكتش بالملك) ثم مات في سنة ست وتسعين وخمسمائة .

وولى بعده أبنه (محمد بن تكتش) وكان لقبه قُطْبُ الدين فتلَّقب علاء الدين، وبقي حتى غلبه جنكركان وهزَّمه في سنة تسع عشرة وستمائة، ثم مات بعد ذلك . ولما ملك جنكركان أوصى بدشت القَبْجَاق، وما معه لأبنه طوجي، ويقال له دوجي أيضا، فمات طوجي في حياة أبيه جنكركان . فلما مات جنكركان أستقر في مملكة ماوراء النهر، وما معه باتو بن طوجي بن جنكركان، ثم مات باتو .

(١) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا ليوافق الواقع .

وملك بعده أخوه (بركة بن طوحي) وهو الذي تنسب هذه المملكة إليه، فيقال فيها بيت بركة، بمعنى هذه مملكة بيت بركة، كما يقال في مملكة إيران هي مملكة بيت هولاكو. قال صاحب "الذيل على الكامل" وكانت المكتبة بينه وبين الظاهر بيبرس لاستقطم، وبقي حتى توفي سنة خمس وستين وستمائة عن غير ولد.

وملك بعده ابن أخيه (منكوتمر بن طغان) بن باطو بن دوجي خان، ابن جنكرخان، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة.

وملك بعده أخوه (تدان منكوتمر) بن طغان بن باطو بن دوجي خان، ابن جنكرخان. وقيل سنة اثنتين وثمانين وستمائة، وكان صاحب مصر قد جهز إلى منكوتمر هدية فلم تصل إليه حتى مات، وأستقر (تدان منكو) فقدمت إليه فابتاع بها، وعادت الرسل بجوابه بذلك، وبقي إلى سنة ست وثمانين وستمائة فأظهر الولة وتخل عن المملكة وأتمى إلى المشايخ والفقراء.

وملك بعده (تلابغا) بإشارته [ابن منكوتمر بن طغان بن باطو] بن دوجي خان ابن جنكرخان، وبقي حتى قتل في سنة تسعين وستمائة.

وملك بعده (طقطغا) بن منكوتمر بن طغان بن باطو خان ابن جنكرخان.

والذي ذكره قاضي القضاة ولي الدين بن خلدون في "تاريخه" أنه ملك بعد باطو خان أخوه طرطو، ثم أخوه بركة، ثم منكوتمر بن طغان خان ابن باطو خان ابن دوشي خان، ثم ابنه تدان منكو، ثم أخوه تلابغا، ثم أخوه جفطاي، ثم ابن أخيه أربك، وهو الذي كان في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون صاحب الديار المصرية. قال في "التعريف": وخطب إليه السلطان فزوجه بنتا تقرب إليه، ثم ابنه جاني بك، ثم ابنه بردي بك، ثم ابنه طقتمش، ثم نائبه ماماي، ثم عبد الله بن أربك،

(١) في تاريخ أبي الفدا "سنة ثمانين". (٢) الزيادة عن تاريخ أبي الفدا.

ثم قطعتم، ثم ماماي ثانياً، ثم حاجى جركس، ثم أبىك خان، ثم أبىه قانى بك خان، ثم أرس خان، ثم طقتمش خان أبى بردى بك خان. قال: ومنه أترعها تملكتك وقتله. قلت: المعروف أن تملكتك لم يملك هذه المملكة أصلاً ولا قتل طقتمش، وما ذكره وهم فيه.

وأول من أسلم من ملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان بركة بن طوبجى أبى جنكرخان، وكان إسلامه قبل تملكه حين أرسله أخوه باطوخان لإجلاس منكوخان على كرسى جده جنكرخان، فأجلسه، وعاد فز فى طريقه على البأخرزى شيخ الطريقة، فأسلم على يديه وحسن إسلامه، ولم يملك بعد أخيه باطوخان إلا وهو مسلم، وتلاه من تلاه من ملوكهم بهذه المملكة فى الإسلام حتى كان أزبك خان منهم، فأخلص فى الإسلام غاية الإخلاص، وتظاهر بالديانة والتمسك بالشرعة، وحافظ على الصلاة وداوم على الصيام.

وقد حكى فى "مسالك الأبصار" عن زين الدين عمر بن مسافر أن ملوك هذه الطائفة مع ظهور الإسلام فيهم وإقرارهم بالشهادتين مخالفون لأحكامها فى كثير من الأمور، واقفون مع ياسة جنكرخان التى قزرها لهم وقوف غيرهم من أتباعه، مع مؤاخذه بعضهم بعضاً أشد المؤاخذه فى الكذب والزنا ونبد المواقف والعهود. وقد جرت عادة ملوكهم أنهم إذا غضبوا على أحد من أتباعهم، أخذوا ماله وباعوا أولاده، وأن فى سلطان هذه المملكة طوائف الجركيس والرؤيس والآيس، وهم أهل مدن عامرة أهلة، وجبال مشجرة مثمرة، ينبت عندهم الزرع، ويدبر لهم الصرع، وتجرى الأنهار، وتجنح الثمار، وهم وإن كان لهم ملوك فهم كالراعى، فإن داروه بالطاعة والتحف كف عنهم، وإلا شق عليهم الغارات، وضايقتهم، وحاصروهم،

(١) لعله فهم ملك مصر أو نحو ذلك كالراعى ليتنظم الكلام.

وقتل رجالهم، وسبى نساءهم، وذرازمهم، وجلب رقيقهم إلى أقطار الأرض .
ثم قال : والقسطنطينية مجاورة لأطراف ملك القباقي، وملك الروم معه في كلِّ دائم،
وأفتراحات متعددة في كل وقت، وملك الروم على توقد جمرته، وكثرة حُمائِه وأنصاره،
يخاف غارته وشره، ويتقرب إليه، ويداريه، ويدافع معه الأيام من وقت إلى وقت
منذ تدبير ملوك بني جنكخان هذه المملكة . وما تخلو بينهم مدة عن تجديد عهود
ومسألة إلى مدة تؤجل بينهم، وأشياء تحمل من جهة ملك الروم إلى ملكهم .

الجملة الثامنة

(في مقدار عسكر هذه المملكة ، وترتيبها ، ومقادير الأرزاق)

الجلارية عليهم ، وزيم في اللبس)

اما مقدار عسكرها ، فقد ذكر في " مسالك الأبصار " عن الشيخ علاء الدين
ابن النعمان أن عساكرها كثيرة تفوت الحصر ، لا يُعلم لها مقدار إلا أنه خرج مرة
عليه وعلى القان الكبير اسبغا سلطان ما وراء النهر خارج ، فجود إليه من كل عشرة
واحدا فبلغ عتة المجزدين مائتين وخمسين ألفا ممن دخل تحت الإحصاء سوى من
أنضم إليهم ، وألزم كل فارس منهم بفلامين وثلاثين رأسا من الغنم وخمسة رؤوس
من الخيل وقدرين نحاس وعجلة .

وأما ترتيب مملكتهم فحكى عن الشيخ نعيم الدين بن الشحام الموصلي أن ترتيب
هذه المملكة في أمر جيوشها وسلطانها كما في ترتيب مملكة العراق والعجم في عتة
الأمراء والأحكام والخدَم ، ولكن ليس لأُمير الألوس والوزير بها تصرفُ أمير
الأكوس والوزير بتلك المملكة ، ولا لسلطان هذه المملكة نظيرُ ما لذلك السلطان من
الدخل والمجاوب وعدد المُدن والقرى ، ولا مثلي أهل هذه المملكة على قواعد الخلقاء
مثل أولئك ، ولخواتين هؤلاء مشاركة في الحكم معهم وإصدار الأمور عنهم مثل

أولئك وأكثر ، إلا ما كانت عليه بغداد بنت جوبان امرأة أبي سعيد بهادر بن خدابندا ، فإنه لم يَرَمَنْ بِحَكَمِ حَكَمِهَا . قال المقرّ الشهابي بن فضل الله : وقد وقفتُ على كثير من الكتب الصادرة عن ملوك هذه البلاد من عهد بركة وما بعده ، وفيها "وأنفقت آراء الخواتين والأمراء على كذا" أو ما يجري هذا المجرى .

وحكى عن الصدر زين الدين عمر بن مسافر عن أربك خان سلطان هذه المملكة في الأيام الناصرية محمد بن قلاوون أنه لا أنفقت له من أمور مملكته إلا إلى جُمُليات الأمور دون تفصيل الأحوال ، يَقَعُ بِمَا حُلَّ إِلَيْهِ ، ولا يبحث عن وجوه القبض والعصرف ، وأن لكل امرأة من خواتينه جانباً من الحمل ، وأنه يركب كل يوم إلى امرأة منهز ، يقيم ذلك اليوم عندها ، يأكل من بيتها ويشرب ، وتلبسه بدلة قماش كاملة ، ويخلع التي كانت عليه من اللبس على من يتفق من حوله . ثم قال : وقاشه ليس بفاثق الجنس ولا غالى الثمن ، مع قربه من الرعايا القاصدين له ، إلا أن يده ليست مبسطة بالمطاء ، ولو أراد هذا لما وفى به دخل بلاده ، فإن غالب رعاياه أصحابُ عملٍ في الصحراء ، أقواتهم من مواشيهم . ونقل عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أن لسلطان هذه المملكة على جميعهم خراجاً يستأديه منهم ، وأنهم ربما طُوبلوا بالخراج في سنة مُمَحَلَّة لوقوع الموتان بدوابهم ، أو سقوط الثلج ونحوه ، فباعوا أولادهم لأداء ما عليهم من الخراج .

وأما مقادير أرزاق جندهم ، فقد حكى عن شجاع الدين عبد الرحمن أن كل من كان بيد آبائه شيء من الإقطاع فهو بيد أبنائه . ثم قال : والأمراء لهم بلاد ، منهم من تغل بلاده في السنة مائتي ألف دينار راجع وما دون ذلك إلى مائة ألف دينار راجع . أما الجند فليس لأحد منهم إلا تقود تؤخذ ، كلهم فيها على السواء ، لكل واحد منهم في السنة مائتا دينار راجع .

وأما زَيْهٌمُ في اللبس ، فحكى عن شجاع الدين الترخمان أيضا أنه كان زيهِمُ زِيَّ
عسكر مصر والشام في الدولة الإسلامية وما يناسب ذلك ، ثم غلب على زيهِمُ زِيَّ التتر
إلا أنهم بعاهم ضغار مُدَوَّرَةٌ .

القسم الثالث

(من مملكة تُورَانْ مملكة القان الكبير)

قال في " التعريف " : وهو أكبر الثلاثة ، (يعني ملوك الأقسام الثلاثة المتقدمة
الذكر) . وهو صاحب الصَّينِ والخِطَا ووارث تخت جنكرخان . قال : وقد تواترت
الأخبار بأنه أسلم ودان بدين الإسلام ، ورقم كلمة التوحيد على ذوائب الأعلام .
قال : وإن صحَّ وهو المؤمل ، فقد ملأت الأمة المحمدية الخافقين ، وعمرت المشرق
والمغرب ، وأمتدت بين صَفَتَي البحر المحيط . قال في " مسالك الأبصار " : وهو
القائم مقام جنكرخان والجالس على تخته . قال : وهو كالخليفة على بنى عمه من بقية
ملوك تُورَانْ : من مملكة إيران ، وصاحب القَبْجَاقِ ، وصاحب ما وراء النهر .
فإذا تجدد في مملكة أحد منهم مُهمٌ كبير ، مثل لقاء عسكر ، أو قتل أمير كبير بذنوب ،
أو ما يناسب ذلك ، أرسل إليه وأعلمه به ، وإن كان لا آفتقار إلى استئذانه ،
ولكنها عادة مَرِجِيَّةٌ بينهم .

وقد ذكر في " مسالك الأبصار " عن نظام الدين بن الحكيم الطيارى أنه لم
يزل يكتب إلى كل من القانات الثلاثة ، يأمرهم بالاتحاد والألفة ، وإذا كتب إليهم
بدأ باسمه قبلهم ، وإذا كتبوا إليه بدأوا باسمه قبلهم . قال : وكلهم مُدْعَنُونَ له بالتقدم
عليهم . قال في " مسالك الأبصار " : وأهل هذه المملكة هم أهل الأعمال اللطيفة ،
والصنائع البديعة ، التي سالت إليهم فيها الأمم . وقد تكتب الكتب^(١) من أحوالهم
بما أغنى عن ذكره . قال : ومن عادة المجيدين في الصنائع أنهم إذا عملوا عملا

(١) له " وقد تكفلت الكتب الخ " .

بديعا ، حملوه إلى باب الملك ، وعلّق عليه ليراه الناس ، وبقى سنة ، فإن سلم من جانب أسدى إلى صاحبه الإحسان ، وإن عيب عليه وتوجّه العيب ، وضع قدر الصانع ولم يوجه العيب [على] من عابه .

وقد حكى المسعودى فى "مروج الذهب" أن صانعا منهم صور عصفورا على سُنْبُلَةٍ فى نقش ثوب كعفا ، فاستحسنه كل من رآه ، حتى مر به رجل فعابه باستقامة السنبلة ، لأن العصفور من شأنه أنه إذا وضع على السنبلة أمالها .

وحكى فى "مسالك الأبصار" عن بدر الدين حسن الإسعردى أن بعض صنّاعهم عمل ثيابا من الورق وباعها على أنها من الكمخاوات الخطائية ، لا يشك فيها شاك ، ثم أظهرهم على ذلك فمجبوا منه .

وحكى عن الشريف حسن السمرقندى أنه كان بهذه البلاد ، فشكا ضرسه ، فأراه لرجل من الخطّا ، فوضع يده عليه ، فأخرج منه قطعة متأكلة ، ووضع مكانها قطعة من ضرس أجنبى ، ودعته بدّهن وأمره أن لا يشرب ماء يومه ، فالتصق حتى صار كأنه من أصل الخلق ، إلا أن لون الأول يبين من اللون الثانى . وذكر المقرئ الشهابى أنه أراه له بحضرة الشيخ شمس الدين الأصفهائى وجماعة من أهل العلم . قال بدر الدين حسن الإسعردى : ولقد رأيت منهم من هذه الأعمال ما يحار فيه العقل .

ويحصل الفرض منه فى خمس جمل :

الجملة الأولى

(فما أشتملت عليه هذه المملكة من الأقاليم)

وأعلم أن هذه المملكة هى أوسع ممالك بى جنكخان وأوسعها جوانب ، وأثراها أقاليم ، وأوفرها مدنا ، غير أنها بعيدة المسافة ، منقطعة الأخبار ، فجُهِلت لذلك أسماء

(١) كذا بالأصل ، ولعل الصواب "رفع" .

أقاليمها، وتعددت الإحاطة بأقطارها، ونحن نورد منها ماشاع ذكره في سائر الآفاق وأنتشر، ونقتطع من التفصيل بالجملة، ونكتفى من البحر بالنفحة .
والقول الجملى في ذلك أنه يشتمل على إقليمين عظيمين :

الإقليم الأول (الصين)

بكسر الصاد المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر . قال في "تقويم البلدان" : ويحيط به من جهة الغرب المفاوز التي بينه وبين الهند، ويحيط به من جهة الجنوب البحر (يعنى بحر الهند) ، ويحيط به من جهة الشرق البحر المحيط، ويحيط به من جهة الشمال أرض يأجوج ومأجوج وغيرها من الأراضي المتقطعة الأخبار عنا . ثم قال : وقد ذكر أصحاب المسالك والممالك في كتبهم بلادا كثيرة، ومواضع وأنهارا وغيرها في إقليم الصين؛ ولم يقع لنا ضبط أسمائها، ولا تحقيق أحوالها، فصارت كالمجهولة لنا لعدم من يصل من تلك النواحي من المسافرين إلينا لنستعلم منه أخبارها فأضربنا عن ذكرها .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين حسن بن الجلال السمرقندى، وهو من السفار، وعن جال الآفاق، ودخل الصين وجال بلاده، وجاب آفاقه، وجاس خلالها، وجال في أقطاره : أن بالصين ألف مدينة، وأنه دار الكثير منها . قال : وبلاد الصين كلها عمارة متصلة من بلد إلى بلد، ومن قرية إلى قرية .

وقاعدة هذه المملكة (خان بالي) . قال في "تقويم البلدان" : فتع انحاء المعجمة ثم ألف ونون ساكنة وباء موحدة مفتوحة ثم ألف ولام مكسورة وقاف في الآخر . قال : وهي مدينة من أقاصى الشرق عند بلاد الخطا، واقعة في الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة، والعرض

خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . وهى قاعدة مشهورة على ألسنة التجار وأهلها من جنس الخطا ، وعندهم معادُ القصة . قال ابن سعيد : ويُذكر عن عظيم هذه المدينة ما يستبعده العقل . قال فى "مسالك الأبصار" نقلا عن الشريف حسن بن الجلال السمرقندى : إن مدينة خَانْ بَالَى المذكورة مدينتان ، قديمة وجديدة ، والجديدة منهما اسمها ديدو ، بناها (ديدو) آخر ملوكها فسميت باسمه ، والقان الكبير يتزل بوسطها فى قصر عظيم يسمى كوك طاق ؛ ومعناه بلغة المغل القصر الأخضر ، لأن طاق معناه القصر ، وكوك معناه الأخضر ؛ ومنازل الأمراء حوله خارج القصر ؛ قال : وهى مدينة طيبة ، واسعة الأهوات ، رحيّة الأسعار ، ويمجد بها الماء فى زمن الشتاء فيصير كالثلج ، فيُرفع إلى أيام الصيف حتى يُبرد به الماء كما يبرد بالثلج . ويسق مدينة ديدو المذكورة نهر .

وبها أنواع الفواكه إلا العنب فإنه قليل بها ، وليس بها تَرْبُجٌ ولا لَيْمُونٌ ولا زَيْتُونٌ ، ثم يُعمل بها السكر . وبها من الزرع والحمل والخيل والبقر والغنم ما لا يدخل تحت الإحصاء .
وبالصين مَدُنٌ مشهورة سواها .

(منها) قَرَأْقُومُ . قال فى "تقويم البلدان" : بفتح القاف والراء المهملة ثم ألف وقاف مضمومة وواو ساكنة وميم . قال : وهى مدينة فى أقصى بلاد التُّرك الشرقية ، ومعنى قراقوم باللغة التركية الرمل الأسود ، لأن قرا فى لغتهم بمعنى الأسود ، وقم بمعنى الرمل ، ويقع فى كثير من الكتب قَرَأْقُومٌ بإبدال الواو راء وهو خطأ ، وإنما كتبت الواو بها بعد القاف دليلا على الضمة على عادتهم فى ذلك - وموقعها فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وست وخمسون درجة ، والعرض خمس وثلاثون درجة وخمس وعشرون دقيقة . قال : وهى كانت قاعدة التتر ، وفى جهاتها بلاد المغل : وهم خالصة التتر . ومنها خاناتهم . قال الشريف

حسن بن الجلال السمرقندى : وفيها غالب عساكر القان الكبير، وبها يُعمل القماش القانر، والصنائع الفاخرة، وغالب ما يحتاج إليه القان يُستدعى منها لأنها دار استعمال، وأهلها أهل صنائع فائقة . قال فى "مسالك الأبصار" : وهى قرية جنكرخان التى أخرجته، وعمرته التى أدرجته .

(ومنها) الخنساء . قال فى "تقويم البلدان" : بانحاء المعجمة والنون والسين المهملة وألف . وهى مدينة واقعة فى الإقليم الثالث من الأقاليم السبعة . قال فى "تقويم البلدان" : حيث الطول مائة وخمس وستون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثمان وعشرون درجة وثلاثون دقيقة . قال : وعن بعض المسافرين من بلادنا أن الخنساء فى هذا الزمان أعظم فُرُصِ الصَّينِ ، وإليها ينتهى وصول التجار المسافرين من بلادنا . قال الشريف السمرقندى : وطول الخنساء يوم كامل، وعرضها نصف يوم، وفى وسطها سوق واحد ممتد من أولها إلى آخرها، وأسواقها مبلطة بالبلاط، وبنائها خمس طبقات بعضها فوق بعض، وكلها مبنية بالأخشاب والسامير، وشرب أهلها من الآبار، وأهلها فى قَشَفٍ عظيم، وغالب أكلهم لحم الجاموس والإوز والتجاج . وفيها الأرز، والموز، وقصب السكر، واللَّيمُونُ، وقليل الرُّمَّانِ، وأسعارها متوسطة، وتجلب إليها النعم والقمح على قلة، ولا يوجد فيها من الخيل إلا ماقل عند أعيانها . وأما الجمال فلا توجد فيها البتة، فإن دخلها حملٌ تعجبوا منه . ونقل فى "مسالك الأبصار" أن بينها وبين جالق بالى أربعين يوما . وحكى عن الصدر صدر الدين عبد الوهاب بن الحنقاد البغدادى أنه وصل إلى الخنساء ووصف عظمت بنائها ومنعة رِفعة مدينتها مع قسَّطِ الأقوات بها ووفور المكاسب فيها ورخص الدقيق^(١) الجيد فيها وفى جميع تلك البلاد . قال : وأهلها يتفاحرون بكثرة الجوارى السراى، حتى إنه ليجود لأحد التجار وآحاد الناس أربعون سرية فما زاد على ذلك .

(١) لعله الرقيق بالراء، فأمل .

(ومنها) الزَيْتُونُ . قال في "تقويم البلدان" عن بعض المسافرين الثقات : هي بلفظ الزيتون الذي يُعْتَصَر منه الزيت ، وهي فُرْصَةٌ من فُرُصِ الصَّيْنِ - موقعها في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال ابن سعيد حيث الطول مائة وأربع عشرة درجة ، والعرض سبع عشرة درجة . قال : وهي مدينة مشهورة على ألسنة التجار المسافرين إلى تلك البلاد ؛ وهي على خَوْرٍ من البحر ، والمراكب تدخل إليها من بحر الصَّيْنِ في الخَوَرِ المذكور ، وقدره نحو خمسة عشر ميلاً ، ولها نهر عند رأس الخور المذكور . وذكر في "مسالك الأبحار" عن الشريف السمرقندي أن مدينة الزَيْتُون على البحر المحيط وهي آخر العارة . قال : وبينها وبين جالق بالق شهر واحد .

(ومنها) السَّيْلُ . قال في "تقويم البلدان" : بالسَّيْنِ المهمل والماء المشاة الصحية ولا م وياء ثانية . ثم قال : هكذا وجدناه في الكتب . قال : ويقال لها سَيْلاً بمعنى بلام ألف ، ورأيت في بعض الكتب سَيْلان بزيادة نون بعد اللام ألف . قال : وهي مدينة في أقصى الصَّيْنِ الشرقي ، خارجة عن الإقليم الأول إلى الجنوب . قال في "القانون" حيث الطول مائة وسبعون درجة ، والعرض خمس درج ، وهي في أعلى الصَّيْنِ من الشرق بجزائر الخالدات في بحر الغرب ، لكن هذه معسورة في خُصْبٍ بخلاف تلك .

(ومنها) جحكوت . قال في "تقويم البلدان" : بالجيم والميم والكاف ثم واو ونا . مائة فوقية في الآخر . قال : كذا وجدناها مكتوبة ، وأسمها عند الفُرسِ جاكرد . قال : وهي مدينة في أقصى العارة الشرقية ، خارجة عن الإقليم الأول من الأقاليم السبعة إلى الجنوب . قال في "الأطوال" : وهي على خط الاستواء لا عرض لها . قال في "تقويم البلدان" : وهي على النهاية الشرقية مثل ما يحكى عن الجزائر الخالدات في النهاية الغربية . قال : وليس شرق جحكوت عمارة أصلاً .

(ومنها) مدن أخرى مذكورة في الكتب مجهولة الضبط .

إحداها مدينة (ينجو) - وموقعها في الإقليم الثاني من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة وخمس وعشرون، والعرض اثنتان وعشرون . وقد ذكر في "القانون" أنها مستقر ملكهم الأكبر الملقب بطمفاج .

(ومنها) مدينة خانقو . بجاء معجمة وألف ونون وقاف ثم واو - وهي مدينة على النهر واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "القانون" حيث الطول مائة وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "تقويم البلدان" : وهي من أبواب الصين . قال ابن سعيد : وموقعها على شرق نهر حمدان . قال ابن خرداذبه : وهي المرفأ الأكبر، وفيها الفواكه الكثيرة، والبقول، والحنطة، والشعير، والأرز، والعنب، والسكر .

(ومنها) مدينة خانجو - بإبدال انقاف من المدينة السابقة جيا - وهي مدينة على النهر، واقعة في الإقليم الأول من الأقاليم السبعة . قال في "الأطوال" حيث الطول مائة وأثنتان وستون درجة، والعرض أربع عشرة درجة . قال في "القانون" : وهي من أبواب الصين .

(ومنها) مدينة سوسة - بسينين مهملتين بينهما واو ساكنة وفي الآخر هاء . قال في "تقويم البلدان" : وهي مدينة مشهورة كثيرة التجار متصلة بالعارة، وبها يُصنع الصغار الصيني الذي لا يفوقه ولا يعدله شيء من أعمال الصين . قال : وهي على شرق نهر حمدان .

الإقليم الثاني (بلاد الخطأ)

بكسر الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة وألف في الآخر، وهم جنس من الترك بلادهم في متاخمة بلاد الصين .

وقد ذكر في "مسالك الأبصار" مدينة (قجوهي) بقاف وميم وجيم وواو ثم هاء وياء آخر الحروف . وقال : إنها أول بلاد الخطأ ، وإن منها إلى جالقي بالقي أربعين يوما ، بل ذكر أن مدينة جالقي بالقي التي هي قاعدة هذه المملكة من بلاد الخطأ .

الجملة الثانية

(في معاملة هذه المملكة وأسعارها)

أما معاملتها فقال في "مسالك الأبصار" : حدّثني الفاضل نظام الدين ابن الحكيم أن معاملتهم بقشور من لحاء شجر التوت مطبوعة باسم القان ، فإذا عتق ذلك حمله صاحبه إلى تواب هذا القان وأخذ عوّضه مع خسارة لطيفة ، كما يؤخذ في دار الضرب مما يجعل إليها من الذهب والفضة ليضرب بها . وذكر عن الشريف حسن السمرقندي أن فيها كبارا وفيها صفارا ، فمنها ما يقوم في المعاملة مقام الدرهم الواحد ، ومنها ما يقوم مقام درهمن ، ومنها ما يقوم مقام خمسة دراهم وأكثر إلى ثلاثين وأربعين وخمسين ومائة . وقد تقدّم في الكلام على جالقي بالقي والخنساء ذكر ما بهما من الحيوان والحبوب والبقول وغير ذلك .

الجملة الثالثة

(في الطريق الموصل إلى هذه المملكة)

قد حكى في "مسالك الأبصار" عن الشريف تاج الدين السمرقندي : أن من سمرقند من بلاد ما وراء النهر إلى سبلى عشرين يوما ، ومن سبلى المذكورة إلى المالح عشرين يوما ، ومن المالح إلى قرا خوجا إلى قجوهي إلى خان بالقي أربعين يوما . ثم قال : ومن خان بالقي إلى الخنساء طريقان : طريق في البر ، وطريق في البحر ،

(١) كذا في الأصل ، وسبق له مثله مرارا من "المسالك" ولكن الذي ضبطه فيما تقدّم من "التقويم" خان بالقي بالغاء المعجمة والتون .

وفى كل من الطريقين من خان بالى إلى الخنساء أربعون يوما . وذكر فى الكلام على مملكة بيت بركة عن حسن الإربلى أن المسافر إذا سافر من جولان على شرقها وصل إلى مدينة قراقوم .

الجملة الرابعة

(فى ذكر ملوكها)

قد ذكر المسعودى فى "مروج الذهب" عدة ملوك من ملوك الصين قبل الإسلام وبعده، أسماؤهم أعجمية لا حاجة بذكرها، والمقصود معرفة حالها فى أيام بنى جنكرخان القائمين بها إلى الآن .

قد تقدم فى الفصل الأول من هذا الباب الكلام على مبتدأ أمر جنكرخان وكيفية مصير الملك إليه فأغنى عن إعادته هنا .

ثم لما ملك جنكرخان أوصى بتخته المستولى فيه على هذا القسم من المملكة لولده الصغير أوكداى، ومات جنكرخان فأستقر ولده أوكداى، [ثم أستقر] فى هذه المملكة مكانه أبنة كيوك ثم مات .

فلك بعده (منكوفان) بن طولى بن جنكرخان، ومات سنة ثمان وخمسين وستمائة .

فلك بعده (أرى^(١) بك)، ثم قبلى خان، ثم دمرياق، ثم قرمانى، ثم ترقاى كيزى، ثم قيان قان، ثم سند مرقان بن طولى بن جنكرخان، وهو الذى كان فى الأيام الناصرية محمد ابن قلاوون صاحب الديار المصرية، ثم أقطع خبرهم فلم يعلم من ملك منهم . وملوك هذه المملكة من بنى جنكرخان كُفَّارٌ يدينون بتعظيم الشمس، واقفون فى الأحكام مع ياسة جدتهم جنكرخان المقتم ذكرها فى الفصل الأول . قال فى "مسالك الأبصار":

(١) وجدنا فى "العبر" ج ٥ ص ٣٠ . اختلافًا فى الأسماء فاتبعنا الأصل وأجلنا فى التنبيه .

(٢) فى العبر "سند مرقان بن طرمالان بن جنكر بن قبلاى بن طولى" .

ذكر لى الفاضل نظام الدين بن الحكيم الطيارى الكاتب البوسعيدى أنهم على ما هم عليه من الجاهلية على السيرة الفاضلة الشاملة لأهل مملكتهم ومن يرد إليها ، قال الشريف السمرقندى : ومن عجائب ما رأيتُ فى مملكة هذا القان أنه مع كُفْرِهِ فى رعاياه من المسلمين أُمٌّ كثيرة وهم عنده مكرمون محترمون ، ومضى قتل أحد من الكفار مسلماً ، قُتِلَ القاتلُ الكافر هو وأهل بيته ونُهِبَت أموالهم ، وإن قَتَلَ مسلمٌ كافراً لا يُقْتَلُ به ، بل يُطْلَبُ بِدِيْنِهِ ، وِدِيَّةُ الكافر عندهم حمار لا يطلب بغيره .

الجملة الخامسة

(فى عسكره)

قال بدر الدين حسن الإسعردى التاجر : وهذا القان ذو عسكر مديد ، قال : والذى أعلم من حاله أن له آتى عشر ألف بازدار يركبون الخيل ، وعساكره من المغل عشرون توماناً ، وهى مائتا ألف فارس ، أما من الخطأ فما لا يحصى .

الجملة السادسة

(فى ترتيب هذه المملكة)

قال الشريف تاج الدين السمرقندى : وترتيب هذه المملكة أن لهذا القان أميرين كبيرين هما الوزراء ، يسمّى كل من يكون فى هذه الرتبة جنكصان ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بنجار ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما زوجين ، ودونهما أميران آخران يسمّى كل منهما بوجين . قال : وله كاتب هو رأس كتّابه يسمّى لنجون ، وهو بمنزلة كاتب السر فى بلادنا ، والقان يجلس فى كل يوم فى صدر دار فيبحة تسمى شن ، بمثابة دار العدل عندنا ، ويقف الأمراء المذكورون حوله عن ايمين وعن الشمال على مقادير رُتَبهم ، ورأس الكتّاب المسمى لنجون ، فإذا

شكا أحدُ شكوى أو سأل حاجة ، أعطى قصته رأس الكُلب المذكور فيقف عليها ، ثم يوصلها إلى أحد الأميرين اللذين يليانه وهما أصغر الكل فيقف عليها هو ومن معه ، ثم يوصلاتها إلى من يليهما في الرتبة ، وهكذا إلى أن تصير إلى القان ، فيأمر فيها بما يراه . وذكر عن الشريف أبي الحسن الكربلاي وكان ممن اجتمع بالقان في هذه البلاد أن لهذا القان أربعة وزراء يُصدرون الأمر في مملكته كلها ، ولا يُراجع القان إلا في القليل النادر . قال : وإذا أراد القان أن يركب ركب في حَفَّة ولا يظهر للناس إلا في يوم واحد ، وهو مثل يوم مولده في كل سنة ، فإنه يركب فرسا ويخرج إلى الصحراء ويمسح بها من الأطعمة والسماطات ما ينمرُ الناس ، ويكون مثل يوم العيد عندهم .

تم الجزء الرابع . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الخامس .

واژه المقصد الثاني

في ممالك جزيرة العرب الخارجة عن مضافات الديار المصرية

والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ،

وآله وصحبه والتابعين وسلامه .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

۹۶۷۷
 آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
 لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
 صورت میں ایک آنہ یہ دیرانہ لیا جائے گا۔

لاہور
 ۲۰۰۲
 ۲۰۰۲

۱. در این کتاب
 ۲. در این کتاب
 ۳. در این کتاب
 ۴. در این کتاب
 ۵. در این کتاب
 ۶. در این کتاب
 ۷. در این کتاب
 ۸. در این کتاب
 ۹. در این کتاب
 ۱۰. در این کتاب

